



وقائع ومجوت

السِّيَرُ الْأَمَامِيَّةُ الدَّوْلِيُّ الثَّانِي

للمعقّد تحت شعار

النُّبُوَّةُ وَالْإِمَامَةُ صِنَا لَا يَفْتَرِقَانِ

وبعنوان

منهج الإمامية في تربية الفرد والامة

لجريدة الخامسة

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

الترقيم الدولي المعياري للكتاب

ISBN : 9789922263335

العتبة العباسية المقدسة. اسبوع الامامة الدولي (الثاني : 2024 : كربلاء، العراق)، مؤلف.
وقائع وبحوث اسبوع الامامة الدولي الثاني : المنعقد تحت عنوان النبوة والامامة صنوان لا يفترقان :
وبعنوان منهاج الأئمة في تربية الفرد والأمة-الطبعة الأولى-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة،
1445 هـ. = 2024.

8 مجلد : ايضاحيات : 24 سم

يتضمن ارجاعات بيبليوجرافية.

النص باللغة العربية : ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.

ISBN : 9789922263335 (v. 5)

1. اهل بيت الرسول عليهم السلام (شيعة)-مؤتمرات. أ. العنوان.

LCC: BP193 .A83 2023 VOL. 05

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر



٢٣٩،٠٦

و ٤٩٨ وقائع وبحوث اسبوع الامامة (٢٠٢٦:٢ : كربلاء)

وقائع وبحوث اسبوع الامامة الثاني : تحت شعار

النبوة و الامامة صنوان لا يفترقان / مجموعة مؤلفين -. ط ١ .

- كربلاء : العتبة العباسية المقدسة ، ٢٠٢٦

ج ٥ (٥١٢ ص.) : ٢٤٤ سم.

١. السيرة النبوية الشريفة - بحوث . ٢. الامامية (الشيعة).

٣. علي بن ابي طالب (ع)-الامام الأول -بحوث . أ. العنوان .

رقم الإيداع

٢٠٢٦ / ٣٥١٠

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٣٥١٠) لسنة ٢٠٢٦



اسم الكتاب

وقائع وبحوث اسبوع الامامة
الدولي الثاني

المراجعة العلمية

اللجنة العلمية المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

الناشر

العتبة العباسية المقدسة

الاعداد والتحرير

اللجنة التحضيرية المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

الاشراف العام

اللجنة العليا المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

التصميم والاخراج الطباعي

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الجزء

الخامس

الطبعة

الاولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



مؤتمر الإمام الصادق عليه السلام

الإمام جعفر الصادق عليه السلام في «موسوعة الإسلام» دراسة تحليلية ونقدية

د. عبدالكريم حسن پور
ايران/ جامعة المصطفى العالمية

المستخلص

يحتل الإمام جعفر الصادق عليه السلام في نفوس المؤمنين بمنزلة جليلة ومقام سامي، حيث قام بتدوين مذهب الشيعة وتأسيس المفاهيم الدينية (العقائدية، الأخلاقية، والفقهية) وتطويرها وفق متطلبات عصره. فلا شك أن له دوراً رئيسياً في تشكيل مواقف الشيعة تجاه الطوائف الأخرى، وتميزهم عنها استناداً إلى تعاليمه. ومن جانب آخر، تعتبر آثار المستشرقين وآراؤهم إزاء تاريخ المسلمين وتجاه شخصيات المسلمين البارزة، من المواضيع المهمة ومن الأمور الخطرة. لأنه رغم ادعائهم على منهجيتهم العلمية، عدم انتقائهم الدقيق للتاريخ والمعارف الشيعية، وخاصة وجهة نظرهم في الإمامة، جعل بحوثهم حول أئمة الشيعة لا تكون فقط بعيدة عن القوة العلمية اللازمة، بل يمكن محاولة نقدها من مختلف الجوانب الشكلية والمنهجية والمحتوائية. وتأتي «دائرة المعارف الإسلامية» من أهم المصادر الغربية التي يعتمد عليها في معرفة الإسلام والتشيع عند الغربيين. ففي بحثنا الحاضر سيتم تحليل مادة (مقالة) «جعفر الصادق عليه السلام» في هذه الموسوعة، التي كتبها المستشرق «مارشال هاجسون»¹ باستخدام منهج تحليلي نقدي، معتمداً على مبادئ الشيعة وإستناداً إلى المصادر التاريخية والروائية للشيعة.

الكلمات المفتاحية: دائرة المعارف الإسلامية، المستشرق هاجسون،

الإمام الصادق عليه السلام

المقدمة

نحن نعلم أن الدور الفعلي والممارسة العملية المباركة للإمام جعفر الصادق (عليه السلام) كانت متزامنة مع سقوط الأمويين وظهور العباسيين. لذلك يمكن تصور الأوضاع السياسية المضطربة في تلك الفترة بسهولة. من الخلافات السياسية المستمرة بين قبيلتي بني كلب وقيس (أنصار مروان بن الحكم وأنصار عبد الله بن زبير)، ومقتل زيد بن علي، والاضطرابات الحادثة بعد تأسيس العباسيين ومقتل أمراء الأمويين على يد أبي العباس السفاح، إلى مقتل أبي مسلم الخراساني وأبي سلمة الخلال، والأهم من هذه الموارد، هو ظهور تيارات الموعودية والمهدوية بين الناس التي تعبر جميعها عن الأوضاع المضطربة للمجتمع في ذلك الوقت. في مثل هذه الظروف، نشأت ثورات من جانب العلويين والحسينيين لإنهاء تلك الأوضاع.

ومن جانب الثقافة والديانة واجهت الثقافة الإسلامية بالثقافات اليهودية والمسيحية والصوفية والدرأويش، أفرزت ظروفاً ونقاشات أثارت العديد من المواضيع الدينية. فتصاعدت الحركة الفكرية في هذه الفترة بشكل غير مسبوق في نشاطها وانتشارها. ظهرت المقالات الأجنبية وتيارات غريبة عن الإسلام وانتشرت بين المسلمين، خاصة بين الشباب، نظراً لانتشار الإسلام وتوسعه، وللفتوحات الكثيرة التي قامت بها العرب، وتفاعلهم مع العديد من الأمم والثقافات والأديان المتنوعة. كان الإمام الصادق (عليه السلام) أول من شعر بهذا الخطر وتقدم في مواجهته ومناهضته. فتحمل مسؤولية الدفاع عن الحق وأهله، ورفع راية الشريعة الإسلامية بأصولها وفروعها غير مبالٍ تجاه الأحداث السياسية على الظاهر. وكانت نتيجة جهوده تجاه هذه الحركات الفكرية والتيارات



العقدية، استقرار مذهب الشيعة على حقيقته في العقيدة والتفسير، والفقه والأصول والأخلاق. فالفضل في استقلال التشيع واستقراره يعود للإمام الصادق (عليه السلام) بعد أن أسعفته الظروف السياسية والثقافية والدينية، والتي مهدت له السبيل. ومن هنا جاءت تسمية الشيعة بالجعفرين، وتسمية مذهبهم وفقهم بالجعفري. من هذا المنطلق، قد تطرق المستشرقون في بعض أعمالهم إلى تقديم هذه الشخصية العظيمة، وعبروا عن آرائهم استناداً إلى ما ورد في التاريخ حول الإمام الصادق (عليه السلام)، فقد ركزوا في أبحاثهم على مواضيع مثل الإمامة والمكانة العلمية والوضع السياسي والعلاقات مع الحكومات والزعماء في ذلك الوقت وقادة الفرق والمذاهب الأخرى ومواقفه السياسية.

منهم المستشرق مارشال هاجسن (M.G.S. Hodgson) في دائرة معارف الإسلام (Encyclopedia of Islam Second Edition)، والمستشرق رابرت غليو (Robert M. Gleave) في دائرة معارف إيرانيكا (Encyclopedia Iranica). والمستشرق البلجيكي دانييل دِ إسمت (Daniel De Smet) والمستشرق إيتان كوهلبرغ (Etan Kohlberg) في دائرة معارف الفكر السياسي للإسلام، والمستشرق دونالدسن (Dwight Donaldson) في كتابه الموسوم بـ«عقيدة الشيعة» والمستشرقة آرزينا لالاني (Arzina Lalani) في المجلد السابع من دائرة معارف الدين^٢ وغيرهم..

وفي هذا السياق، المصادر التاريخية التي تأثرت بتركيز الحكومة والثروة بين أهل السنة، اكتفت بتناول ما حدث فقط، وبعض الباحثين الغربيين أيضاً تشكلت عقولهم التاريخية تحت تأثير هذه البيانات والتقارير.



المبحث الأول: الإمامة بين الشيعة والمستشرقين

لقد مارس الغربيون مناهج عدة خلال القرون الماضية للوصول إلى أسلوب صحيح ودقيق في اجراء بحوثهم، وكانوا يسعون إلى تقديم تحليلات موثوقة من خلال التدقيق في التفاصيل والرجوع إلى المصادر الأم وجمع الأدلة والقرائن لا سيما على صعيد الدراسات الإسلامية الاستشراقية. وذلك لا يمنع من بروز بعض الإخفاقات والنقائص في دراساتهم وآرائهم. كما أنه يعد التشيع والمعارف الشيعية والأئمة الشيعة من المجالات والمواضيع التي يهتمون بها، ولكن أبحاثهم في هذه المجالات لم تكن شاملة بما فيه الكفاية فحسب، بل تتعارض أحياناً مع معتقدات الشيعة ومصادره التاريخية، خاصة من وجهة نظر القارئ الشيعي الذي يؤمن بأصل الإمامة الإلهية والمكانة السامية للأئمة الاثني عشر عليهم السلام في هداية البشر. مقالة «جعفر الصادق» في دائرة معارف الإسلام التي كتبها المستشرق مارشال هاجسون هي واحدة من تلك المقالات التي يمكن تناولها بالنقد من هذا المنظور. والسؤال الرئيسي الذي شجع الباحث على دراسة بحوث المستشرقين، وهو: لماذا الدراسات التي أجراها المستشرقون بهدف التعرف على المذهب الشيعي والأئمة الشيعة، لا تتطابق مع الحقيقة الواقعية للمذهب الشيعي من حيث العقيدة والتاريخ؟ في محاولته للإجابة على السؤال المذكور، توصل إلى هذه الفرضية: أن الدراسات المذكورة لم تستطع أن تعبر عن حقيقة الأئمة في تاريخ التشيع لأنها أعدت دون النظر إلى اعتقاد الشيعة بشأن منصب الإمامة ومكانة الإمام عند الشيعة و دون الرجوع إلى مصادره التاريخية. فأى بحث يجري حول أئمة الشيعة يجب أن يكون على أساس مفهوم الإمامة، ومكانة الإمام ومهمته عند الشيعة حتى يتمكن من الوصول إلى النتيجة المرجوة. سنقوم بتحليل

المادة المختصة بالإمام الصادق (عليه السلام) في «دائرة معارف الإسلام» بعد تعريف موجز عن هذه الموسوعة والمستشرق هاجسن.

المبحث الثاني: تعريف عن دائرة المعارف الإسلامية

عام ١٨٩٥م بدأت جامعة (ليدن) الهولندية وهي من أهم مراكز الدراسات الإسلامية والاستشرافية هناك بالتعاون مع رابطة الأكاديميين الدولية، والمجمع العلمي الملكي بهولندا مشروعها في تأليف وطباعة دائرة معارف إسلامية شاملة باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

وكان (تيودور هوتسم) أول مشرف على العمل، وهو من جامعة (أوتراخت) الهولندية، ثم في سنة ١٩٢٤ أوكل العمل من بعده إلى (فينسينك). صدر أول أجزاء الطبعة الألمانية سنة ١٩٠٨ والذي كان حصيلة تعاون وتآزر المستشرقين والعلماء بالإسلام وغالبيتهم من غير المسلمين، حتى صدر الجزء الرابع والأخير منها سنة ١٩٣٤.

وصدرت الطبعة الإنجليزية في أربعة أجزاء وجزء خامس ضمّ ملاحق خلال الأعوام (١٩١٣-١٩٣٨م). وقد اشترك في تأليفها نخبة من المستشرقين أمثال: ارنولد، بروكلمان، كارادو، جولدزهر، غايب، ماسنيون، نيكلسون، فينسينك، بالإضافة لبعض الباحثين من الدول الإسلامية. وقد حوت على أكثر من تسعة آلاف مدخل معجمي في أكثر من خمسة آلاف صفحة من المعلومات الخاصة بالتاريخ والجغرافيا والحضارات والعلوم والمعتقدات والفرق الإسلامية والشعوب والطوائف ومشاهير المسلمين، الأمر الذي جعلها من الموسوعات المهمة والفريدة، لكنها مع ذلك لم تخل من الهفوات العلمية، إما على حساب الأهواء الخاصة أو نظراً لما تظهر من نظريات جديدة تنقض سابقتها.

ونظراً لأهمية هذه الموسوعة، فقد تم في عام ١٩٨٧ المباشرة في تجديد طبعها الأولى بتحرير ثانٍ وإعادة نظر إجمالية، حيث توقف العمل بها في منتصف الطريق

المبحث الثالث: في تعريف المستشرق مارشال هاجسن M. G.S. Hodgson
من مواليد ولاية إنديانا الأمريكية في عام ١٩٢٢. وهو ابن أحد أمناء المكتبات، ومن هنا نشأ في الأجواء التي جاءت مليئة بالعلم والمطالعة. حصل على مرحلة البكالوريوس في عام ١٩٤٣ من جامعة غولرادو، ونال درجة الدكتوراه في عام ١٩٥١ من جامعة شيكاغو. في عام ١٩٥٣، تم تعيينه أستاذاً مشرفاً على الدراسات العليا في جامعة شيكاغو، حيث تولى منصب أستاذ التاريخ فيما بعد. استمر في تدريس التاريخ والبحث فيه حتى وفاته في عام ١٩٦٨م قبل بلوغه سنّ الخمسين. وكان يجيد عدة لغات، منها: الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، اللاتينية، العربية، والفارسية، بالإضافة إلى معرفته بالأوردوية والتركية.

ساهم مارشال في الإصدار الثاني لدائرة المعارف الإسلامية من خلال مقالة (جعفر الصادق)، مضافاً لمواضيع متفرقة حول الشيعة وخصوصاً الفرقة الإسماعيلية.

المبحث الرابع: الإمام الصادق (عليه السلام) في دائرة المعارف الإسلامية

مقالة «جعفر الصادق (عليه السلام)» للمستشرق مارشال هاجسن في دائرة المعارف الإسلامية، بغض النظر عن العيوب التي تعرضها للنقد، تتمتع بمزايا وامتيازات أكثر مقارنة بالإصدار الأول منها. لأنها بالإضافة إلى المعلومات العامة المتعلقة بنسب الإمام وعائلته، مثل أسماء والديه وأجداده، وعبد الله الأبطح (ت ١٤٨ هـ) كابنهم المعروف، تتطرق إجمالاً إلى الشخصيات المهمة في مجال القضايا العقائدية مثل زيد بن علي (ت ١٢٢

(هـ)، والشخصيات المهمة في المسائل العلمية مثل هشام بن حكم (ت ١٧٩ هـ)، ومؤمن الطاق (ت ١٨٠ هـ)، وأبو حنيفة (ت ١٥٠ هـ)، ومالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ)، وواصل بن عطا (ت ١٣١ هـ)، وكذلك الشخصيات المهمة والمؤثرة في التيارات الضالة مثل أبي الخطاب الأسدي (ت ١٣٨ هـ)، وفي مجال القضايا السياسية حول أبي جعفر المنصور (حكم ١٣٦-١٥٨ هـ)، ومحمد نفس الزكية (ت ١٤٥ هـ). وهذا مما يدل على اشراف الباحث على الجوانب المختلفة للموضوع. وأما هناك بعض الظرائف التي تدل على وجود منهج يتبع إلقاء بعض الفكرة إلى القارئ والتي لا يمكن تجاهلها بسهولة. نستعرضها فيما يلي ثم سنقوم بنقدها:

«أبو عبد الله بن محمد الباقر، وكان أحد رواة الحديث، وهو آخر إمام معترف عند الشيعة الإثني عشرية والإسماعيلية، وكانت والدته أم فروة وهي ابنة حفيد لأبي بكر. بعد وفاة الإمام الباقر (عليه السلام) في سنة ١١٩ هـ / ٧٣٧ م (أو ١١٤ هـ / ٧٣٣ م)، توجه أتباعه إلى الإمام الصادق (عليه السلام)..... وكان على رأس الشيعة الذين اعترفوا بإمامة فاطمي غير محارب..... وكان يعيش في هدوء بالمدينة كحجة في الحديث، وربما في الفقه، ولم يعمل على قطع علاقته بشكل حاد مع معظم من هم على مذهب غير مذهب الشيعة، حتى أحد الشيعة من أتباعه استطاع الظهور في أسانيد أهل السنة. (واتهم خلفه عبد الله من قبل الشيعة المتأخرين بأنه ذو ميول سنية) ومع ذلك فيما يبدو إنه كان قائداً شيعياً جاداً..... بيد أنه كان يعقد جلسات التدريس في دائرة أوسع من الناس، وكانوا يستفتونه هو وغيره من العلماء..... ولكن من الصعب أن نتحدث على وجه التحقيق إلى أي حد يمكن أن تنسب مذاهب الأئمة الاثنا عشرية الإسماعيلية (أو الزيدية) التي تلت ذلك إلى تعاليمه، على الرغم من أن له دوراً قيادياً في مذهبي الاثنا عشرية والإسماعيلية.

وكان جعفر في الفترة التي نشبت فيها ثورة زيد سنة ١٢٢ هـ (٧٤٠م) بمثابة رمز لهؤلاء الشيعة الذين أبوا أن ينتفضوا، وظل محايداً أثناء الثورات التي نشبت بعد وفاة الوليد سنة (١٢٦ هـ ٧٤٤م) عندما توقع معظم الشيعة أن تصل الأسرة العلوية أخيراً إلى الحكم. ولعل شيعة الكوفة قد طلبوا منه العون، وربما طلبوا منه ترشيح نفسه في عهد انتصار العباسيين، ولكن يبدو أنه تحاشى الاعتراف بترشيح أي شيعي آخر من غيره، وكان إذا ما فكر في نفسه تمسك بمبدأ القعود، أي أن الإمام الحق ليس في حاجة لمحاولة الاستيلاء على السلطة إلا إذا كان الوقت مناسباً، وحسبه أن يقوم بالتعليم. والتزم للمرة الثانية جانب الحياد في الفترة التي انتفض فيها الشيعي محمد النفس الزكية بالحجاز سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢م) كان قائداً للحسينيين الذين - في تلك الثورة التي كانت بشكل أساسي حسنية - بقوا غير فاعلين، فتركه المنصور يعيش في سلام^٢.

المبحث الخامس: نقد المقالة

أولاً: عدم الشمولية والمنهجية العلمية

١. هذه المقالة غير مكتملة من حيث الشمولية اللازمة، لأن الإمام الصادق عليه السلام لم يكن شخصية بارزة في نظر الشيعة فقط، بل كان أيضاً شخصية مرموقة لدى أهل السنة، حيث كان قدوة ومثالاً يحتذى به في مختلف جوانب الحياة.

٢. كان بإمكانه أن ينظم موضوعات بحثه ضمن إطار علمي أكثر دقة وشمولاً، بحيث يتناول الأبعاد المختلفة لحياة الإمام الصادق عليه السلام وأثره العلمي والسياسي والفكري. يمكن تقسيم البحث إلى محاور رئيسية تشمل:

٣. المكانة العلمية للإمام الصادق (عليه السلام): المكانة العلمية التي لفتت انتباه المؤرخين والباحثين ودراسة دوره كمفكر وعالم دين، مساهماته في تطوير العلوم الإسلامية، ومدى تأثيره في تلاميذه والمؤسسات العلمية في عصره وبعده.

* سيرته السياسية: تحليل دوره في الأحداث السياسية التي عاصرها، مواقفه من السلطة الحاكمة، وطريقة تعامله مع التحديات السياسية في عصره.

* سيرته الاجتماعية: دراسة تفاعلاته مع المجتمع المحيط، دوره في توجيه الناس والإصلاح الاجتماعي، وكيفية تعامله مع القضايا الاجتماعية المختلفة وتأثيره على حياة الناس اليومية.

* سيرته العبادية: استعراض عباداته وأوراده اليومية، اهتمامه بالجانب الروحي والتربوي، وكيفية تطبيقه لمفاهيم العبادة في حياته اليومية وتوجيهاته لأتباعه في هذا الشأن.

* تفاعله مع التيارات الفكرية والعقدية: استعراض علاقاته مع المدارس الفكرية والعقدية المختلفة، سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية، ودوره في الحوار والنقاش العلمي مع ممثلي تلك التيارات. مثل مكافحته العلنية ضد الغلاة ومسألة الغلو.

كان من الأنسب أن يتم تقديم هذه المحاور بتصنيف دقيق ومنهجي، بحيث يُوثق كل موضوع بمراجع علمية محددة ومعترف بها. وذلك لضمان دقة المعلومات وصحتها. علاوة على ذلك، يتطلب البحث توظيف منهجيات البحث العلمي الحديثة، لتمكين القارئ من فهم السياق التاريخي والفكري بشكل أعمق.

٤. المصادر التي اعتمد عليها الباحث واستشهد بها هي في الغالب غير شيعية، ونادراً ما استند إلى مصادر شيعية. وهذا يعد نقصاً كبيراً في البحث، حيث إن تجاهل المصادر الشيعية المعترف بها يقلل من دقة وشمولية الدراسة.

والأسوأ من ذلك، أن الباحث اعتمد بشكل كبير على كتابات المستشرقين مثل دونالدسون، التي تفتقر إلى العمق والتحليل العلمي الكافي، مما زاد من ضعف مقاله وأفقده الكثير من المصداقية. في مثل هذه البحوث، من الضروري الرجوع إلى مصادر شيعية موثوقة مثل «أعيان الشيعة» للسيد محسن الأمين العاملي، الذي يُعتبر مرجعاً مهماً في الدراسات الشيعية.

٥. قلة عدد المصادر المستخدمة في المقالة تعد نقصاً كبيراً، خاصة بالنظر إلى المكانة العلمية البارزة للإمام الصادق (عليه السلام) ووفرة المصادر المتاحة التي تناول حياته وتعاليمه. هذا التقصير في استخدام المصادر يمثل نقصاً فادحاً في البحث، نظراً لكم الهائل من الكتب والمراجع الشيعية التي تناول بتفصيل حياة الإمام الصادق (عليه السلام)، وتعاليمه، وأثره الفكري والديني. من المتوقع في دراسة بهذا المستوى، حول شخصية بهذه العظمة والمكانة، أن تشمل استعراضاً شاملاً ومكثفاً للمصادر المتاحة. وكان ينبغي أن يتضمن البحث مراجعة دقيقة وشاملة للموضوع، بما جاء في المصادر التاريخية، والعقائدية، والتراثية التي تناولت جوانب حياة الإمام الصادق (عليه السلام). فإن تضمين هذا الكم الكبير من المراجع والمصادر لا يضيف فقط عمقاً ومصداقية أكثر للدراسة، بل يساهم أيضاً في تقديم صورة شيعية متكاملة وشاملة عن الإمام الصادق (عليه السلام).

علاوة على ذلك، كان من الأجدر بالباحث أن يعتمد على منهجية تحليلية ونقدية في التعامل مع هذه المصادر، بحيث يتم التمييز بين الروايات المختلفة وتقييمها وفقاً لمعايير البحث العلمي الرصين.

فهذه النقطة (قلة المصادر) تتجلى في عدم الاستفادة الكاملة من المراجع الحديثة، التاريخية، والكلامية الشيعية المتوفرة. على سبيل المثال، كان من الممكن أن يستعين الباحث بكتب الحديث الشيعية المعتمدة مثل «الكافي» للكليني، و«من لا يحضره الفقيه» للصدوق، و«تهذيب الأحكام» و«الاستبصار» للطوسي. هذه الكتب تحتوي على كم هائل من الأحاديث والروايات التي تسلط الضوء على تعاليم الإمام الصادق عليه السلام وأثره في تطوير الفكر الشيعي.

بالإضافة إلى ذلك، كان يمكن للباحث الاستفادة من المصادر التاريخية المهمة مثل «تاريخ اليعقوبي»، «الطبقات الكبرى» لابن سعد، و«تاريخ الأمم والملوك» للطبري، التي تقدم نظرة شاملة على السياق التاريخي والسياسي لعصر الإمام الصادق عليه السلام. كما أن الآثار الكلامية والفلسفية الشيعية، مثل كتابات الشيخ المفيد، السيد المرتضى، والشيخ الطوسي، توفر تحليلات عميقة للأفكار العقيدية التي طرحها الإمام الصادق عليه السلام، وكيف أثرت على الفكر الشيعي والإسلامي بشكل عام.

٦. إضافة إلى ذلك، كان ينبغي على الباحث أن يتبع منهجية أكثر صرامة في توثيق المصادر، على غرار المقالات الموسوعية الحديثة، حيث يتم الاستناد إلى مراجع دقيقة وموثوقة لكل نقطة يتم مناقشتها. هذا الأسلوب لا يعزز فقط من مصداقية البحث، بل يساعد القارئ أيضاً في تقييم وفهم مضمون المقالة بشكل أفضل. إن الإخفاق في تلبية هذه المعايير يعكس نقصاً في الجدية والالتزام العلمي، مما يجعل من الضروري إعادة النظر في منهجية البحث وتوجيهاته لتكون أكثر شمولية ودقة.

ثانياً: نقد المحتوى

في هذا المبحث، سنتناول بعض المطالب التي تستحق النقد فيما يلي:

١. عدم الحياد والموضوعية العلمية

«وكانت والدته أم فروة وهي ابنة حفيد لأبي بكر». هذه العبارة قابلة للنقد من عدة جوانب:

أولاً: إن الإمام الصادق عليه السلام من جهة الأب كان حفيد النبي محمد صلى الله عليه وآله، ومن جهة الأم حفيد أبي بكر. والمؤلف في نصه يصرح ويؤكد على نسب الإمام الصادق إلى أبي بكر، دون أن يشير إلى إنتسابه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة الأب. فكان ينبغي على المؤلف أن يذكره لتقديم صورة كاملة ودقيقة عن نسب الإمام. وإذا كان من المقرر أن يكون النسب مؤثراً في الاعتبار والمكانة، فإن فالانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يعتبر أعلى مرتبة في الشرف والمكانة وكان أولى وأجدر بالذكر. تجاهل هذا الجانب يشير إلى تأثر المؤلف من الفكر السني، ابتعاد البحث من الموضوعية والحياد العلمي.

ثانياً: هناك جدل حول صحة نسب أم فروة إلى أبي بكر. بعض الباحثين والمؤرخين،^٥ بمن فيهم جعفر مرتضى العاملي في كتابه «ميزان الحق، شبهات وردود»، جاء بقول القرماني أحد علماء أهل السنة في القرنين العاشر والحادي عشر، والذي أكد أن والدته الإمام الصادق عليه السلام هي أم فروة بنت قاسم بن محمد بن أبي سمرة. وعدم ذكر اسم محمد بن أبي سمرة في كتب الرجال لا يمكن اعتباره دليلاً قاطعاً على عدم وجوده. فقد كانت هناك شخصيات مشهورة لم تذكر أسماؤها في كتب الرجال لأسباب متعددة، منها الأغراض السياسية أو الاجتماعية.^٦

من المهم أن نلاحظ أن القاسم بن محمد بن أبي بكر كان شخصية مشهورة، وفي بعض الحالات التي ورد فيها اسم القاسم بن محمد، كان

يتم اعتباره خطأ ابن أبي بكر. وقد يكون هذا الخطأ إما ناتجاً عن التباس لفظي أو عن الأهواء والتحايلات. لذلك، استناداً إلى ما تم ذكره، قد يكون الشخص الذي ينسب إليه الإمام الصادق (عليه السلام) هو محمد بن أبي سمرة وليس محمد بن أبي بكر.^٧

كما يُحتمل أن الشهيد الأول لهذا السبب اكتفى في تعريف والده الإمام الصادق (عليه السلام) بذكر «أم فروة بنت قاسم بن محمد» دون أن يذكر المزيد.^٨

٢. عدم إتقان النص وعدم التوثيق

أ. «وكان... كحجة في الحديث، وربما في الفقه... يبدو إنه كان.... ومن المحتمل، فيما يبدو...» يتحدث المؤلف في مقاله بالتشكيك في مرجعية الإمام الصادق (عليه السلام) في الفقه، بينما أن مرجعية الإمام الصادق (عليه السلام) في الفقه تعد من المسائل الاتفاقية بين الفرق الشيعية والسنية^٩، التي اعترف بها علماء السنة وصرحوا على المكانة المتميزة والبارزة للإمام الصادق (عليه السلام) في المجتمع الإسلامي^{١٠}. على سبيل المثال، قول الإمام الأعظم عند أهل السنة، أبي حنيفة: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد»^{١١}، وكذلك قول صالح بن أبي الأسود: «سمعت جعفر بن محمد يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنه لا يحدثكم بعدي بمثل حديثي»^{١٢}

فينكشف للقارئ أن المؤلف لم يقم بالتوجه الكافي نحو المصادر المرتبطة بالموضوع كي يستطيع أن يتحدث بثقة وعمق من خلالها عن الحجم الحقيقي للإمام الصادق في الفقه والحديث.

ب. وفي فقرة أخرى، يتحدث المؤلف عن عبد الله بن جعفر قائلاً: «واتهم خلفه عبد الله من قبل الشيعة المتأخرين بأنه ذو ميل سنية»: هذه العبارة تحتوي على عدة إشكالات تشير إلى عدم معرفة الكاتب بالشخصيات والتيارات الشيعية والمصادر الرجالية.

أولاً: عبد الله لم يكن خليفة أو وارثاً للإمام الصادق عليه السلام، بل كان ابنه الأكبر. ومجموعة محدودة من أتباعه اعتبرته الإمام السابع للشيعة، وهؤلاء الأتباع يعرفون في التاريخ بالفطحية. ولكن هذا التوجّه لم يكن معترفاً به من قبل الأغلبية الشيعية التي قبلت الإمام موسى الكاظم عليه السلام كإمام سابع. ثانياً: الكاتب لم يوضح من هم الشيعة المتأخرون الذين اتهموا عبد الله بالميلول السنية، ولم يذكر المصدر الرجالي الشيعي الذي أورد هذا الاتهام. في الواقع، المصادر والموسوعات الرجالية الشيعية المعروفة، مثل (رجال النجاشي، رجال الطوسي، اختيار معرفة الرجال للكشي، معجم رجال الحديث للخوئي، قاموس الرجال للتستري وغيرها)^{١٣}، لا تحتوي على أي إشارة تدل على وجود ميلول سنية لدى عبد الله بن جعفر، أو نسبته لتلك الميلول من قبل الشيعة.

فإن غياب هذه المعلومات يضعف مصداقية هذا الادعاء ويعكس نقصاً واضحاً في البحث والتوثيق من قبل المؤلف. ومن المعروف أن المصادر الرجالية الشيعية دقيقة وشاملة في توثيق الشخصيات وتوجهاتها، وأي اتهام من هذا النوع يجب أن يستند إلى أدلة قوية ومصادر موثوقة. ج. «وكان جعفر في الفترة التي نشبت فيها ثورة زيد سنة ١٢٢ هـ (٧٤٠ م) بمثابة رمز لهؤلاء الشيعة الذين أبوا أن ينتفضوا، وظل محايداً أثناء الثورات التي نشبت بعد وفاة الوليد سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤ م).... والتزم للمرة الثانية جانب الحياد في الفترة التي انتفض فيها الشيعي محمد النفس الزكية بالحجاز سنة ١٤٥ هـ».

هذه الجمل التي تصف الإمام الصادق عليه السلام بأنه محايد، صامت وبعيد عن السياسة، تعد أخطاء فادحة تعكس عدم اطلاع المؤلف على المصادر التاريخية وجهله بالظروف الاعتقادية والثقافية والسياسية للشيعة في تلك الفترة.

كما ذكرنا في مقدمة البحث، أن فترة من حياة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) تزامنت مع أوضاع سياسية غير مستقرة ناجمة عن سقوط الأمويين وظهور العباسيين وخيانتهم للعلويين، بمواجهة هذه الظروف، قامت ثورات من قبل العلويين والحسينيين وحولت الساحة الدينية والسياسية إلى مسرح للثورات الدموية والحروب الأهلية. والأهم والأخطر من ذلك، كان ظهور الفرق الفكرية منها المعتزلة والغلاة ونمو التيارات الانحرافية المهدوية وانتظار الموعود. وهذا كان أحد الأسباب التي يمكن أن تُبَيِّنَ عدم مشاركة الإمام الصادق في ثورات العلويين ضد العباسيين وعدم دعمه لهم. لأن جزءاً كبيراً من انصار زيد بن علي ومحمد نفس الزكية، كانوا من المعتزلة والمرجئة والخوارج^١، الذين كانت لديهم أفكار تتعارض مع فكر الشيعة الإمامية^٢. في هذه الظروف، كان الإمام الصادق (عليه السلام) العلوي الوحيد الذي شعر بهذا الخطر وبدأ ظاهرياً غير مبالي بالأحداث السياسية، وركز على تعليم وتربية الطلاب ونشر المعارف الإسلامية والشيعة في المجتمع. ولهذا السبب، كان يظهر في مظهره الخارجي محطّ شك من قبل الحسينيين ومن قبل خلفاء أهل السنة. ومن ثم المصادر التاريخية التي كانت متأثرة بانحصار السلطة والثروة لدى أهل السنة، اقتصرَت على تسجيل ما كان يظهر في منظر العام والعلن. ثم الباحثون الغربيون، ومنهم مارشال هاجسون، تأثروا بهذه الروايات وشكلوا تصورهم عن الإمام بناءً على تلك الظواهر، واصفين إياه بأنه صامت، ومن أهل العيش والراحة ومنعزل عن السياسة.

فيتضح من خلال ما تم ذكره أن عدم دعم الإمام (عليه السلام) لثورة زيد بن علي ومحمد نفس الزكية وغيرهما، وعدم تشجيع أصحابه للمشاركة معهم، لا يمكن أن يُنظر إليه على أنه كان محايداً أو غير نشط. وإنما استند الإمام (عليه السلام)، بناءً على معرفته العميقة عن شخصيات هذه الأشخاص ودوافعهم وأصحابهم،

والوعي الكامل بقوة العباسيين وضعف الثوريين العلويين وعدم انسجامهم مما جعله يطمئن بهزيمة محتومة لهذه الانتفاضات والثورات.

إضافة إلى ذلك، يُعتبر ترويح الأخبار الزائفة عن المهدي المنتظر، واحداً من الأسباب الأخرى لمعارضة الإمام عليه السلام هذه الانتفاضة. فبعض أنصار محمد كانوا يُلقون بأطعمهم فيها، ويُثيرون الآمال الزائفة في قلوب الشيعة. فبطبيعة الحال، بعد فشل الانتفاضة، كان ذلك يؤدي إلى شعور بالهزيمة واليأس في جماعة الشيعة. وألحق ضرراً جسيماً بهؤلاء، مما يُضاف إلى الأضرار الناتجة عن فشل الثورة. ومن هنا، نقول إن الإمام لم يكن محايداً بل اتخذ موقفاً سلبياً تجاه هذه الأحداث.

وأساساً ادعاء اعتزال الإمام الصادق عليه السلام عن السياسة وإنكار نشاطه السياسي هو أمر لا يتوافق مع التقارير التاريخية، حيث نُقل في سيرته عليه السلام أنه اشتكى مراراً من قلة الأنصار المخلصين والمضحين الذين يقفون بجانبه عند الحاجة ويعملون بجد لتحقيق أهدافه وإقامة دولته^{١٦}. لذلك، يجب ربط عدم بروز النشاط السياسي والسعي من قبل الإمام الصادق عليه السلام لتشكيل الحكومة بعدم توافر الظروف اللازمة، لا بالراحة والرغبة في الابتعاد عن السياسة.

د. «فتركه المنصور يعيش في سلام» ويعد هذا الكلام كلاماً لا أصل له ولا دليل عليه.

منذ أن تولى المنصور الحكم وحتى يوم استشهاد الإمام الصادق عليه السلام، الذي استمر لمدة ١٢ سنة، وعلى الرغم من وجود مسافة كبيرة بين الإمام والمنصور، حيث كان الإمام في الحجاز والمنصور يعيش في العراق، إلا أنه كان يضايق الإمام عليه السلام بطرق مختلفة واستدعاه عدة مرات بهدف قتله، لكنه لم ينجح في تحقيق نيته الشريرة^{١٧}. وهناك تعبير غريب للمنصور عن الإمام

الصادق عليه السلام، حيث قال: جعفر بن محمد مثل عظمة في حلقى؛ لا أستطيع إخراجها ولا أستطيع ابتلاعها. لا أستطيع العثور على دليل ضده للتخلص منه ولا أستطيع تحمله^{١٨}. كان الإمام الصادق عليه السلام بين بني هاشم يُعتبر شخصية روحية فريدة. وكان في عهد المنصور يتمتع بشهرة علمية ويحظى باهتمام العديد من الفقهاء والمحدثين من أهل السنة. من الطبيعي أن المنصور، نظرًا لحقده الشديد تجاه العلويين، كان يراقب الإمام عن كثب ولم يسمح له بالعيش بحرية. لهذا السبب كانت أنشطة الإمام تُجرى في الغالب سرًا، وكان عليه السلام يأمر أصحابه بكتمان أسرار أهل البيت عليه السلام كرارًا.

يتضح من خلال الرجوع إلى المصادر الشيعية، أن علاقات المنصور مع الإمام الصادق عليه السلام لم تكن ثابتة، بل كانت تتغير شدة و ضعفاً بحسب الظروف، خاصة عند وقوع الثورات والانتفاضات كان المنصور يراقب الإمام عليه السلام ويضغط عليه بشدة أكثر، وفي بعض الأحيان كان يحاول قتله، ولكنه كان يراجع عن قراره أو يفشل في تحقيق هدفه. وكما أشار المؤلف نفسه إلى أن الشيعة يعتقدون أن الإمام عليه السلام في نهاية المطاف تم تسميته^{١٩} واستشهاده بتدبير المنصور وعلى يد عملائه^{٢٠}.

كما أن رسالة المنصور إلى حاكم المدينة بعد سماعه بخبر وفاة الإمام (عليه السلام)، والتي أمر فيها بالتحقق من وفاته وسرعة التخلص من جثمانه، تعد دليلاً آخر على خطأ الكاتب وعدم اطلاعه على تاريخ حياة الإمام. إن المواجهات بين الإمام (عليه السلام) والخلفاء والحكام المعاصرين له، وخاصة المنصور، كانت كثيرة جداً، حتى إن العلامة المجلسي خصص حوالي خمسين صفحة من كتابه «بحار الأنوار» لهذا الموضوع تحت عنوان «باب ما جرى بينه (عليه السلام) وبين المنصور وولاته وسائر الخلفاء الغاصبين والأمراء الجائرين»، وهذه المواجهات كانت غالباً غير سلمية.

٣. عدم الإمام بمبادئ الإمامة عند الشيعة

«يبدو أنه تحاشى الاعتراف بترشيح أي شيعي آخر من غيره، وكان إذا ما فكر في نفسه تمسك بمبدأ القعود»

وهذا الكلام يتعارض بشكل أساسي مع مبادئ العقيدة الشيعية، وذلك:
أولاً: تعتبر الإمامة حجر الأساس في المذهب الشيعي وجوهر العقيدة وإن كثيراً من المعتقدات الشيعية الأخرى تدور حولها وتعود إليها. فنصب الإمام لا يتم من خلال الترشيح أو الانتخابات أو اختيار الناس، بل يتم بنص إلهي وتعيين مباشر من قبل الله عبر النبي ﷺ. سنتحدث مفصلاً عن هذا الموضوع في المبحث الأخير من هذا البحث.

ثانياً: تعبير «تمسك بمبدأ القعود» غير دقيق وغير معروف في تراث الشيعة الإمامية. بل مصطلح «القعود» كان يستخدم بشكل رئيسي من جانب الزيدية في مواجهة الإمام الصادق عليه السلام، حيث يعتبرون أنفسهم المجاهدين والقائمين بالجهاد وينسبون إلى الإمام الصادق عليه السلام لقب «القاعد» بسبب عدم قيامه. وأما في الحقيقة، هذا المصطلح «أصل القعود» ليست له مكانة خاصة في تعاليم الإمام الصادق عليه السلام. لأن الأئمة عليهم السلام، وخاصة الإمام الصادق عليه السلام، لم يعبروا عن تراجعهم المؤقتة والمصلحية أمام العدو بـ «القعود»، حتى يُعرف الإمام بالقاعد بغض النظر عن الظروف الراهنة، بل من خلال إرساء مصطلحات أخرى مثل «التقية»، كانوا يقدمون هذه السياسة السلمية وكتمان العقيدة الحقيقية، التي كانت تعتمد على الظروف السياسية والاجتماعية للمسلمين، مع إمكانية تغييرها في أي لحظة وأن. وهي - أي: التقية - مبدأ ديني يهدف إلى حماية النفس والمجتمع من الأذى دون التخلي عن المبادئ الدينية.

هذه السياسة كانت في الواقع استراتيجية تهدف إلى الحفاظ على النفس والقوى من أجل تحقيق أهداف أهم، والتي يمكن أن تشمل الجوانب الثقافية ونشر الدين والمذهب والمعارف الإسلامية. فإن فشل ثورة زيد (١٢٢ هـ) في الكوفة وقمع الزيديين، وفشل ثورة يحيى بن زيد (١٢٦ هـ) في الجوزجان، وثورة محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية في الحجاز، وأخيه إبراهيم في البصرة، تشكل أمثلة واضحة على بصيرة الإمام (عليه السلام) وصحة سياساته المأخوذة؛ لأنه (عليه السلام) من خلال هذه الاستراتيجية والابتعاد عن الثورات العسكرية، تمكّن من تربية عدد كبير من الطلاب، ونشر المعارف الشيعية بل المعارف الإسلامية بشكل عام في المجتمع الإسلامي^{٢١}، بحيث اعترف أهل السنة أيضاً بدور الإمام في ترويج المعارف الإسلامية^{٢٢}.

المبحث السادس: الإمامة والإمام في الفكر الشيعي والاستشراقي

في ضوء ما تم عرضه باختصار في الصفحات والفقرات السابقة، يبدو أن العامل الرئيسي في التحليلات الخاطئة للمستشرقين حول أئمة الشيعة هو فهمهم الخاطئ عن مفهوم الإمامة. لذا، يتعين في نهاية البحث التركيز على التفكيك بين مفهوم الإمامة ومعرفة الإمام في الفكر الشيعي ومفهوم الإمامة ومعرفة الإمام في الفكر الاستشراقي فيما يلي:

أ. الإمامة في الفكر الشيعي

هي الزعامة والقيادة للمجتمع الإسلامي في شؤون الدين والدنيا خلافة عن النبي الأكرم (عليه السلام) لشخص من الأشخاص^{٢٣}، وهي عهد^{٢٤} ومنصب الهي^{٢٥} محصور في علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأحد عشر من أولاده المعصومين (عليهم السلام) وقد نص النبي (عليه السلام) عليهم في حديث جابر وحديث الخلفاء الاثني عشر بوصفهم وعددهم وذكر أسمائهم^{٢٦}، فلا شك أن هناك للإمامة مكانة محورية في منظومة الفكر الشيعي بمبدئية الآيات القرآنية^{٢٧}

ويعتبر الإيمان بها من العناصر الأساسية في التشيع^{٢٨} وهو الفارق بينه والفرق الإسلامية الأخرى، فتتجلى هذه المكانة من وجهة نظرهم في ثلاثة جوانب: سياسية، دينية وروحية.

من الناحية السياسية، يعتقد الشيعة أن الإمام هو المعصوم بعد النبي يتولى القيادة السياسية والاجتماعية للبشر. وهو الوحيد الذي يستحق ويستطيع أن يحكم الناس بعد النبي. ومن الناحية الدينية، هو المفسر لكلام الله والمبين لأحكام دينه والمفترض طاعته. وذلك يعود إلى حظهم من العلم اللدني والمعرفة الإلهية وعلمهم بمقصود الله في الكتب السماوية^{٢٩} والقوانين التي وضعها الله للبشر كما جاء في الروايات^{٣٠}. من الناحية الروحية أيضاً، الإمام هو الإنسان الكامل كحجة الله الذي يجب أن يكون حاضراً في كل زمان ومراقباً على نفوس البشر.

بناءً على هذا، يجب أن تجري الدراسات التاريخية والتحليلية حول أئمة الشيعة على أساس مفهوم الإمامة، ومكانة الإمام ومهمته عندهم. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تُدرس الإمامة كعملية متواصلة ومشروع واحد تمتد من وفاة رسول الله إلى غيبة الإمام المهدي. ولكن المؤرخ أو الباحث الغربي يدرس كل إمام من الأئمة منفصلاً عن الإمام السابق، ويقتصر على ذكر الفضائل والمناقب والأحداث المهمة في حياة كل إمام. من الواضح أن هذا المنهج يعتمد على التجربة المادية دون أي اعتبار لمفهوم الوحي، ويتعامل مع جوانب الثقافة والمجتمع الإسلامي.

بالطبع، هذه الطريقة التجزئية في دراسة حياة الأئمة، من حيث إنها تؤدي إلى حفظ تفاصيل حياة كل إمام بشكل كامل وتوصيلها إلى الأجيال أمر ضروري في محلها، إلا أنها من ناحية أخرى قد تجعل سيرة الأئمة تبدو متناقضة في بعض الحالات. مثل أن نعتبر الإمام الحسن شخصاً مساحاً أو

محتاطاً، والإمام الحسين رجلاً ثورياً، والإمام السجاد ملازماً للدعاء والعبادة، والإمام الباقر رجلاً منشغلاً بالحديث والفقه فقط. بالإضافة إلى ذلك، لن يستطيع القارئ أن يفهم أن حياة كل إمام هي حلقة من سلسلة مترابطة^{٣١}. فبهذا السبب، من الضروري تجنب هذه الطريقة في الدراسات الفكرية.

ب. الإمامة في الفكر الإستشراقي

تعتبر معرفة الشيعة في الغرب فرعاً من معرفة الإسلام فيه، وهي نوع من العلوم التحصيلية التي يقوم بتحليل الأديان من منظور العلم الغربي المادي وبعيداً عن مفهوم الوحي والاعتقاد بالإمامة الإلهية، إلا أنه يتعامل مع جوانب الثقافة والمجتمع الإسلامي. فإن المعيار في كون الدراسات والبحوث استشراقية، ليست الإقليم والجغرافيا بل أصبح المعيار العقلية الغربية التي يعتمد عليها الباحث غربياً كان أو شرقياً. يعني ذلك أنه إذا كان البحث مؤلفاً ضمن إطار العلم والفكر الغربي، فيُعتبر استشراقياً وغريباً، بغض النظر عن جنسية الباحث أو جانبه الشخصي، سواء كان مسلماً أو مسيحياً، غربياً أو شرقياً.

ونحن اليوم نشهد الكثير من الدراسات والمؤلفات من قبل الباحثين الغربيين حول أئمة الشيعة، حيث تختلف بشكل كبير عن واقع مكانة الإمام في الثقافة الشيعية. وسبب ذلك هو الاختلاف في مفهوم الإمامة والصورة التي يحملونها عن الإمام في عقولهم. فلذا نتناول آراء بعض المستشرقين الغربيين حول الإمام كي نتعرف أخطاءهم المنهجية والمبدئية في بحوثهم:

في المجلد الرابع عشر من دائرة المعارف الأمريكية الذي نُشر في عام ١٩١٨، جاء في تعريف الإمام: «الإمام هو زعيم أو قائد للدين المحمدي. هذا العنوان يُطلق على أربعة خلفاء النبي محمد واثنى عشر قائداً للشيعة

الذين يتم اختيارهم من قبل الناس، ثم يتم تأكيد اختيارهم من قبل السلطات العلمانية»^{٣٢}.

توجد عدة أخطاء فادحة في هذا التعريف للإمام وتجعله غير موثوق به:
أولاً: يُشير إلى الإسلام بوصفه المحمدي وفقاً لافتراضه الخاطيء الذي لا يزال يشير إلى الدين النصراني بوصفه دين المسيح. فهذا الوصف الانتساب إلى محمد كمؤسس، يوحي بإنكار اهية الإسلام وأن الإسلام ليس وحياً من الله تعالى مؤسس دين الإسلام هو محمد ﷺ، بينما النبي محمد ﷺ هو رسول الله ومبلغ رسالته.

ثانياً: إن إختيار الإمام من قبل الناس، يتعارض مع نظرية الإمامة الشيعية التي تعتبر الإمامة منصباً إلهياً وتجعل إختيار الإمام بإرادة الله حصرياً. فيكشف سيطرة الرؤية السنية على عقلية المؤلف، بينما أنه كان في مقام تعريف الإمام من منظور الشيعة الإثني عشرية.

ثالثاً: وهناك خطأ منهجي للمؤلف أنه استخدم مصطلحاً ومفهوماً متأخراً «العلماني» في توضيح مفهوم تاريخي متقدم (الإمامة)، حيث لا يتصور لها (العلمانية) أي نوع من الوجود في ذلك الوقت، فضلاً عن أن كونه مؤثراً في قرارات تلك الفترة.

والمستشرق فان فلوتن أيضاً في كتابه الموسوم بـ «تاريخ التشيع أو أسباب سقوط بني أمية» اعتمد على نفس المنهج في تبين مفهوم الإمامة بعيداً عن معناه الاعتقادي عند الشيعة: «كانت مسألة الإمامة (المنصب القيادي الأعلى لدى المسلمين) أول مسألة أثارت التفرق بين المسلمين وجعلتهم يتجزؤون إلى أحزاب»^{٣٣}

غالبية المقالات التي نُشرت في دائرة المعارف الإسلامية حول أئمة الشيعة تناولتهم فقط كرموز بارزة و شخصيات مشهورة في التاريخ، الذين كانوا أحياناً يتفاعلون ويتصادمون مع الحكومات المعاصرة لهم. وتم الإكتفاء في هذه المقالات بتقديم معلومات تعريفية عن الأئمة وذكر الأحداث المهمة في عصرهم، وغُفل عن رسالتهم الحقيقية ومكانتهم في العقيدة والمجتمع.

الخاتمة والإستنتاج

كانت مقالة «جعفر بن محمد» في المجلد الأول من الإصدار الأول لدائرة المعارف الإسلامية، التي كتبها كارل فيلهلم زترستين، من بين المقالات التي أعيدت كتابتها في الإصدار الثاني بهدف استكمالها وإزالة نقائصها بقلم المستشرق مارشال هاجسون. وعلى الرغم من أن هذه المقالة تتفوق على المقالة الأولى من حيث الاهتمام بالشخصيات والأحداث المرتبطة بالإمام الصادق، إلا أنها لا تزال غير ناجحة في تقديم تعريف شامل للإمام الصادق وتحتوي على نقائص مهمة سيتم الإشارة إليها فيما يلي:

١. افتقار المقالة إلى هيكل منطقي مناسب يشمل المفاصل المحددة.

٢. عدم إشتمال المقالة على جوانب متعددة من حياة الإمام الصادق: مثل السيرة الاجتماعية، العبادية، السياسية، وتعاملاته مع التيارات الفكرية المعاصرة و مكانته العلمية.

٣. استخدام المؤلف لكلمات ترديدية في بيان المسائل القطعية: مثل «ربما»، «احتمالاً»، «يبدو أن».

٤. الإدلاء بتصريحات تتعارض مع الحقائق التاريخية المؤكدة (تعامل المنصور مع الإمام بالسلم)

٥. عدم الرجوع إلى المصادر التاريخية والحديثية الشيعية

٦. عدم توثيق مدعياته بالمصادر المعترف بها

٧. محاولة نشر بعض المعلومات غير الصحيحة بشأن فكر الإمامة الشيعي.

٨. اتهام الإمام باختيار عيش الراحة والعزلة السياسية والحيادية في ثورات العلويين.

٩. محاولة تقديم صورة مختلفة عن الإمام الصادق عليه السلام مع أهل السنة وتخليه عن أصول الشيعة.

١٠. تأثر المؤلف بمصادر غير الإمامية أو معادية لهم.

١١. عدم إلتفات المؤلف إلى الاعتقاد الشيعي بمسألة الإمامة ومكانة الإمام.

بناءً على ما سبق، يمكن القول إن المقالة، رغم التحسينات التي أُجريت عليها، لا تزال تعاني من نقائص جوهرية تمنع تقديم صورة دقيقة وكاملة عن الإمام الصادق.



الهامش:

- ١ . (Marshall Goodwin Simms Hodgson (M. G.S. Hodgson
- ٢ . Encyclopedia of Religion، Vol.7، p.4760-4761
- ٣ . ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM، vol: 2، p 374-375
- ٤ . جعفریان، رسول، ص ٢٥٦.
- ٥ . مختصر مفید، ج ١، ص ٧٣ - ٧٤.
- ٦ . مرتضی عاملی، میزان الحق، ج ١ ص ٣٤٥.
- ٧ . مرتضی العاملی، میزان الحق، ج ١، ص ٣٤٦.
- ٨ . المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ١؛ مرتضى العاملی، میزان الحق، ج ١، ص ٣٤٤.
- ٩ . اسد حیدر، الامام الصادق (عليه السلام) والمذاهب الاربعه.
- ١٠ . سير اعلام النبلاء؛ ج ١٣، ص ١٢٠ / ؛ الأعلام؛ ج ٢، ص ١٢٦.
- ١١ . النجوم الزاهرة؛ ج ٢، ص ٩؛ التحفة اللطيفة؛ ج ١، ص ٢٤٢؛ تاريخ الاسلام؛ ج ٩، ص ٨٩؛ الموفق، مناقب ابوحنيفة، ج ١، ص ١٧٣.
- ١٢ . الذهبي، تاريخ الاسلام؛ ج ٩، ص ٩٠.
- ١٣ . أنظر: رجال النجاشي، رجال الطوسي، اختيار معرفة الرجال للکشي، معجم رجال الحديث للخواشي، قاموس الرجال للتستري. مادة: عبدالله أفتح.
- ١٤ . رحمتی و ناجی، ١٣٩٦، ٦١.
- ١٥ . زرگری نژاد، ١٣٩٧، ١٧٨.
- ١٦ . الكليني، اصول الكافي، ج ٢، ص ١٩٠.
- ١٧ . الامام الصادق (عليه السلام)، محمد ابوزهره، ص ٢٨ / الامام جعفر الصادق رائد السنه والشيعة، ص ١٩.
- ١٨ . العاملی، وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٢٩؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل ابی طالب (عليه السلام)، ج ٤، ص ٢٣٨؛ مظفر، الامام الصادق (عليه السلام)، ج ١، ص ١١١؛ س؛ إربلی، كشف الغمه، ج ٢، ص ٢٠٩-٢٠٨.
- ١٩ . ابن شهر آشوب، المناقب: ج ٤، ص ٢٨٠.
- ٢٠ . المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ١ - ٢.
- ٢١ . نعمت الله صفري، نقش تقيه در استنباط، ص ٩٢ - ١١٢.
- ٢٢ . راجع: الجندي، عبد الحليم، الامام جعفر الصادق (عليه السلام).
- ٢٣ . العلامة الحلي، مناهج اليقين في أصول الدين، ص ٤٣٩.
- ٢٤ . سورة البقرة: ١٢٤: ﴿إِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ

لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾

٢٥ . التستري، أحقاق الحق وازهاق الباطل، ج ٢، ص ٣٠٠.

٢٦ . الخزاز الرازي، كفاية الأثر، صص ٥٣ - ٥٥؛ الصدوق، كمال الدين، ج ١، صص ٢٥٣ - ٢٥٤.

٢٧ . سورة المائدة: ٣.

٢٨ . السبحاني، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، ج ٤، ص ١٠.

٢٩ . الطباطبائي، الشيعة في الإسلام، صص ٣١ - ١٣٢.

٣٠ . الكليني، أصول الكافي، ج ١، صص ١٣٣ - ١٣٤؛ البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ١، صص ١٤٩ - ١٥١.

٣١ . عادل اديب، دور ائمه اهل البيت (عليهم السلام) في الحياة الاسلاميه، ص ٧.

٣٢ . Americana، 1918، XIV، p 708.

٣٣ . فلوتن، تاريخ شيعه يا علل سقوط بنى اميه، ص ٧٧.





المصادر والمراجع: القرآن الكريم

- * ابن تغرى، جمال الدين يوسف؛
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،
مصر- قاهرة، ١٣٩٢هـ
- * ابن شهر آشوب، محمد بن على؛
مناقب آل أبى طالب، نجف الأشرف،
مكتبة الحيدرية، ١٣٧٦هـ
- * ابو الحسن على بن عيسى الإربلى؛
كشف الغمة في معرفة الأئمة،
الإربلى، بهاء الدين على بن عيسى؛
كشف الغمة في معرفة الأئمة، بيروت،
دار الأضواء، ١٤٠٣هـ-اسد حيدر، الامام
الصادق (عليه السلام) والمذاهب الاربعه
- * الأميني، عبد الحسين؛ الغدير في
الكتاب والسنة والأدب، المطبعة الحيدرية،
طهران - إيران، ط ٢، ١٣٧٢هـ
- * البحراني، سيد هاشم؛ البرهان
في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي،
بيروتلبنان، ١٤٢٧هـ
- * التستري، قاموس الرجال
- * التستري، نور الله؛ إحقاق الحق
وإزهاق الباطل، مكتبة آية الله العظمى
المرعشي، قم - إيران، ط ١، د.ت
- * جعفریان، رسول؛ حیات فکری و
سیاسی امامان شیعه، قم انتشارات
انصاریان، ط ٣
- * الجندي، عبد الحليم؛ الامام جعفر
الصادق (عليه السلام)، القاهرة، دارالمعارف
- * الحلي، الحسن بن يوسف بن
المطهر؛ مناهج اليقين في أصول الدين، دار
الأسوة، طهران - إيران، ط ١، ١٤١٥هـ
- * الخزاز الرازي، كفاية الأثر في النص
على الأئمة الإثنى عشر (عليهم السلام)، قم، نشر
بيدار، ١٤٠١هـ.
- * الخوئي، السيد ابوالقاسم، معجم
رجال الحديث و تفصيل طبقات الرواة،
بيروت، مركز نشر الثقافة الاسلامية في
العالم، ١٤١٣هـ
- * دونالدسون، دوايت؛ مذهب شيعة،
ترجمة عباس احمدوند، قم، پژوهشگاه
علوم وفرهنگ اسلامي، ١٣٩٥ ش
- * الذهبي شمس الدين؛ تاريخ الإسلام،
بيروت، دارالكتب العربي، ١٤٠٩ هـ-
١٩٨٩م
- * الذهبي، شمس الدين؛ سير اعلام
النبلاء؛ بيروت، مؤسسه الرسالة،
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م
- * رحمتي، محمدكاظم؛ محمدرضا
ناجي؛ مقالته زيد بن علي، دانشنامه
جهان اسلام، تهران، مؤسسه فرهنگي
هنري كتاب مرجع، ١٣٩٦ ش
- * الزركلي، زين الدين خير الله؛ الأعلام،
بيروت، دارالعلم الملايين، ١٨٩٠م
- * زرگری نژاد، غلامحسين؛ تاريخ
تحليلی اسلام از بعثت تا غيبت، تهران،
انتشارات سمت، چ ٨، ١٣٩٧ ش
- * السبحاني، جعفر؛ الإلهيات على هدى
الكتاب والسنة والعقل، قم - إيران:
مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، ١٤١٧هـ
- * الصدوق، محمد بن علي؛ كمال الدين
وتمام النعمة، إسلاميه، طهران إيران، ط ٢،
١٣٩٥هـ
- * صفري فروشاني، نعمت الله؛ نقش

تقیه در استنباط، قم، بوستان کتاب، ۱۳۸۱ش،

* الطوسی، محمد بن حسن، رجال الطوسی، قم، مؤسسه النشر الاسلامی، ۱۳۷۳ش

* عادل، أدیب؛ دور أئمه أهل البيت (عليه السلام) فی الحياة الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ۱۴۰۸هـ.

* العاملى، جعفر مرتضى؛ میزان الحق شبهات و ردود، المركز الإسلامی للدراسات، ۲۰۱۰م

* العاملى، محمد بن حسن الحر؛ وسائل الشيعة، قم، مؤسسه آل البيت لإحياء التراث، ۱۴۱۴هـ

* فلوتن، فان، تاريخ شيعة يا علل سقوط بني اميه، ترجمة مرتضى هاشمى، تهران، انتشارات اقبال، ۱۳۲۵ش

* الكشى، محمد بن عمر؛ اختيار معرفة الرجال، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ۱۴۰۴هـ

* الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح: علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، ط ۴، ۱۴۰۷هـ

* المجلسي، محمد باقر؛ بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ۱۴۰۳هـ.

* مظفر، محمد حسين؛ الإمام الصادق (عليه السلام)، قم، مؤسسه النشر الاسلامی، ۱۴۲۱هـ الموافق بن أحمد المكي؛ مناقب أبي حنيفة، بيروت، دارالكتب العربي، ۱۴۰۱هـ - ۱۹۸۱م

* النجاشي، أحمد بن علي، رجال

النجاشي، قم، مؤسسه النشر الاسلامی، ۱۳۶۵ش

* هالم، هاينس، تشيع، ترجمه محمد تقى اكبرى، نشر اديان، قم، ۱۳

* هاليستر، جان نورمن، تشيع در هند، ترجمه آرميدخت مشايخ فريدنى، مركز نشر دانشگاهي، تهران.

* المصادر اللاتينية

* Algar، Hamid. (2012). Jafar al-Sadeq (And Sufism). in: Encyclopedia Iranica، On-line

* Buckley، Ronald Paul (2021). Jafar al-Sadiq، in: Encyclopedia of Quran، Online

* De Smet، Daniel (2012). Jafar al-Sadeq (Esoteric Sciences). in: Encyclopedia Iranica، Online

* Gleave، Robert. (2012). Jafar al-Sadeq (Life and Teachings). in: Encyclopedia Iranica، Online

* Hodgson، Marshal Goodwin. (1991). Djasfar al-Sadik، in: Encyclopedia of Islam New Edition، Brill، London

* Zettersteen، Karl Vilhelm. (1913). Djafar، in: Encyclopedia of Islam First Edition، Brill، London



موقع القرآن الكريم في جغرافيا (مجالات) الفكر الإسلامي عند الإمام الصادق عليه السلام نماذج ومحطات

أ.د. الشيخ حميد البغدادي

أستاذ البحث الخارج في الحوزة العلمية

مقدمة

الأئمة الأطهار عليهم السلام هم عدل القرآن الكريم وهم الثقل الآخر الذي أوصى به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الأمة الإسلامية عند رحيله^(١).

فهم الأمناء على الدين، وهم أسوة المؤمنين، وحياتهم تبيان عملي للشرعية الغراء، كان سلوكهم تطبيقاً كاملاً للقرآن الكريم، فهم القرآن الناطق، نزل القرآن على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وبينه لهم، فهم أقدر الناس على فهمه والأنس به، ومراجعة سريعة لحياتهم وسيرتهم عليه السلام توضح موقع القرآن الكريم وأهميته في حياتهم.

وشخصية الإمام الصادق عليه السلام وهو الإمام السادس من أئمة أهل البيت عليه السلام ومكانته تثير اهتمامات الباحثين والدارسين؛ لأهميتها العالية والكبيرة في التاريخ الإسلامي، وعند جميع المذاهب الإسلامية وعند الطائفة الحقة بشكل خاص، ولأنّ العصر الذي عاش فيه كان مجالاً لصراعات مدارس متعارضة خفيت بسببها الكثير من الحقائق، فتحتاج الى من يجلو عنها الشوائب ويبرز الحقيقة ناصعة، فأخذت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام زمام المبادرة، متحدية سلطة بني أمية في الشام لنشر تعاليم آل البيت عليه السلام مهتمة ببناء العقول، وتنشئة الأجيال، وتأسيس صروح من الثقافة والفكر والوعي، وقد ابتعد الإمام الصادق عليه السلام

عن الصراع السياسي المكشوف إلى بناء المجتمع والأمة الإسلامية في المجالات العلمية والفكرية والعقائدية والأخلاقية، ليضمن سلامة الخط الإسلامي على المدى البعيد، بعيداً عن الانحراف عن جادة الصواب والدين الحق، بالرغم من استمرار الانحرافات السياسية الفكرية في أوساط المجتمع الإسلامي^(٢).
اهتم الإمام الصادق عليه السلام ببناء الجماعة الصالحة، وتربية العلماء في مختلف مجالات المعرفة، ولا سيما علماء الشريعة والفقهاء الذين يضمنون للأمة الإسلامية طريق الحق في مسيرتها على المدى البعيد.

مكانة القرآن الكريم في حديث الإمام الصادق عليه السلام:

وكان اهتمام الإمام الصادق عليه السلام بالقرآن وفهمه والعمل به؛ لأنه المصدر الأساس للمسلم في عقيدته وفكره وفقهه، واعتبار القرآن الكريم مصدراً أساسياً يدحض دعوى من افترى تهمة تحريف القرآن ونسبها إلى المذهب الحق، ويرد هذه الدعوى أيضاً إجماع علماء الإمامية على أن القرآن غير محرّف، وحديث أئمة أهل البيت عليه السلام واضح في أن القرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الكتاب الوحيد من بين الكتب السماوية التي أنزلها الله، والذي تكفل بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وكانت مساحة روايات الإمام الصادق عليه السلام والتي تتسع بسعة جغرافيا الفكر الإسلامي، ونعني بها مختلف نواحي الاهتمام الثقافي الإسلامي ومجالاته المتعددة.

سنستعرض على عجالة لمحات من سيرة الإمام الصادق عليه السلام والقرآن الكريم، وليس المقصود استقصاء جميع الروايات، أو أحاديثه عليه السلام بهذا الصدد، وإنما كان المقصود:

- ١- ذكر عناوين تكون مجالاً للباحث والدارس والمهتم بالشأن القرآني.
- ٢- بيان سعة اهتمام الأئمة عليهم السلام بهذا الكتاب الرباني الخالد، وأن حياتهم كانت تعبّر عن سلوكهم القرآني العملي.
- الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في سطور أبوه: الإمام محمد الباقر عليه السلام.
- أمه: أم فروة (فاطمة) بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ^(٣).
- ولادته: ولد في المدينة يوم الجمعة، أو الاثنين، عند طلوع الفجر في السابع عشر من ربيع الأول، يوم ميلاد جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله سنة ٨٠ هـ أو ٨٣ هـ ^(٤).
- صفته: ربعة ^(٥)، أبيض الوجه، أزهر له لمعان كأنّه السراج، أسود الشعر، جعده ^(٦) أشم الأنف قد انحسر الشعر عن جبينه فبدا مزهراً، وعلى خده خال أسود ^(٧).
- أشهر كناه: أبو عبد الله
- أشهر ألقابه: الصادق؛ لأنّه لم يعرف عنه الكذب.
- أشهر زوجاته: حميدة بنت صاعد المغربي البربرية (أم الإمام الكاظم عليه السلام)، فاطمة بنت الحسين بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
- أولاده: إسماعيل، عبد الله، موسى الكاظم، إسحاق، محمد الديباج، العباس، علي ^(٨).
- بناته: أم فروة، أسماء، فاطمة ^(٩).
- تلاميذه: أخذ عنه العلم والحديث آلاف الرجال.
- أشهر أصحابه: مؤمن الطاق، أبان بن تغلب، إسحاق بن عمّار الصيرفيّ، بريد بن معاوية العجلي، أبو حمزة الثمالي، حريز بن عبد الله السجستاني، حمران بن أعين الشيبانيّ، زرارة بن أعين الشيبانيّ، صفوان

بن مهران الجمال الأسدي الكوفي، محمد بن مسلم، ليث بن البخاري المرادي.. وغيرهم.

ملوك عصره: من بني أمية: هشام بن عبد الملك، يزيد بن عبد الملك الملقب بالناقص، إبراهيم بن الوليد، مروان بن محمد الملقب بالحمار. من بني العباس: السفاح، المنصور^(١٠).

مدة إمامته: أربع وثلاثون سنة^(١١).

وفاته: في الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ١٤٨ هـ، متأثراً بسم المنصور العباسي^(١٢).

قبره: في البقيع مع أبيه الإمام الباقر، وجده الإمام زين العابدين، وعمه الإمام الحسن سبط، (صلوات الله عليهم أجمعين)^(١٣).

عمره: هو أكبر الأئمة عليه السلام سنّاً، فعمره الشريف على رواية: ٦٨ سنة، وعلى أخرى: ٦٥ سنة، أقام مع جده الإمام زين العابدين عليه السلام اثنتي عشرة سنة، وبعده مع والده الإمام محمد الباقر عليه السلام تسع عشرة سنة، وبعده في إمامته وخلافته أربعاً وثلاثين سنة^(١٤).

موقع القرآن الكريم في جغرافيا (مجالات) الفكر الإسلامي عند الإمام الصادق عليه السلام، نماذج ومحطات الأنس بالقرآن روي عنه عليه السلام أنه قال: (وطلبت الأنس، فوجدته في قراءة القرآن)^(١٥).

وعنه عليه السلام أيضاً:

(القرآن عهدُ الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية)^(١٦).

تلاوة القرآن

تظهر أهمية تلاوة القرآن في روايات الإمام الصادق عليه السلام من خلال أحاديث كثيرة، منها:

قال ﷺ: (عليكم بتلاوة القرآن؛ فإن درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة قيل لقارئ القرآن: اقرأ وارق. فكلما قرأ آية يرقى درجة) (١٧).

وقال ﷺ كذلك وهو يؤكد على أهمية التلاوة في المصحف بالذات بالنظر اليه بشكل مباشر:

(من قرأ القرآن في المصحف مُتَّعَ بصره وخُفِّفَ عن والديه وإن كانا كافرين) (١٨).

وفي جواب من سأل: بقوله: جعلت فداك، إني أحفظ القرآن عن ظهر قلب، فأقرأه عن ظهر قلبي أفضل، أو أنظر في المصحف، قال، فقال لي: (لا، بل اقرأه وانظر في المصحف، فهو أفضل.. أما علمت أن النظر في المصحف عبادة) (١٩).

وقال الإمام الصادق ﷺ أيضاً:

(من شُدَّ عليه في القرآن كان له أجران، ومن يُسَّرَ له كان مع الأولين) (٢٠).
وقال ﷺ:

(إن القرآن زاجر وأمر يأمر بالجنة ويزجر عن النار) (٢١).

وقال ﷺ:

(القرآن غني لا غنى دونه ولا فقر بعده) (٢٢).

وعن أبي عبد الله ﷺ، عن أبيه قال:

(إني ليعجبني أن يكون في البيت مصحف يطرد الله عز وجل به الشياطين) (٢٣).

فوجود المصحف في البيت يبرز الاهتمام به، ويسهل تلاوته، ويجعل البركة في البيت.



وعنه عليه السلام:

(قال ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن، فيكتب له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات، ويمحى عنه عشر سيئات) ^(٢٤).

وفي هذه الرواية تأكيد منه على حث التاجر وهو مثال الرجل المشغول على أخذ حظه من تلاوة كتاب الله، وأن لا يجعل الانشغال والتعب مانعاً من تلاوة الكتاب الكريم، والاستفادة منه.
وعنه عليه السلام أيضاً:

(ثلاثة تشكو إلى الله العزيز الجليل .. مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه) ^(٢٥).
وروي عنه عليه السلام أنه قال: (من قرأ «والسماوات البروج» في فرائضه، فإنها سورة النبيّ كان محشره وموقفه مع النبيين والمرسلين والصالحين) ^(٢٦).

كيفية تلاوة القرآن

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(إنّ القرآن نزل بالحزن، فاقرؤوه بالحزن) ^(٢٧).

حق تلاوة القرآن

وقال عليه السلام بخصوص حق تلاوة الآيات القرآنية الشريفة:

(فانظر كيف تقرأ كتاب ربك، ومنشور ولايتك، وكيف تجيب أوامره ونواهيه، وكيف تمثل حدوده، فإنّ كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فرتله ترتيلاً، وقف عند وعده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده) ^(٢٨).

وهنا يؤكد ﷺ عصمة القرآن وعدم تسرب التحريف إليه، وأن يقرأه المؤمن بتفكر وتمهل وتمعن، ويدقق في معانيه كي ينتفع به ويحقق أهدافه، ويمثل لأوامره، وينتهي عن نواهيه، وهي القراءة الواعية.

حفظ القرآن (حمل القرآن)

وتعبّر الروايات عن الحافظ للقرآن الكريم بالحامل للقرآن أيضاً. وقد ركّز ﷺ على أهمية حفظ القرآن الكريم وما للحافظ للقرآن الكريم، والعامل به من الأجر والمنزلة العظيمة والمقام العظيم، ونبيه إلى أن الحفظ ليس استظهار ألفاظ القرآن فحسب، بل هو بالإضافة إلى حفظ الفكرة، والخطّ والأفق، والأهم من ذلك العمل به أيضاً، حيث ورد عنه ﷺ أنه قال: (الحافظ للقرآن، العامل به، مع السَّفَرَةِ الكرام البِرّة) ^(٢٩)، أي مع الملائكة، وما أكرمها من منزلة.

وقد ورد عنه ﷺ أنه قال:

(قال رسول الله ﷺ: إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالتَّخَشُّعِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ حَامِلُ الْقُرْآنِ، وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ لِحَامِلِ الْقُرْآنِ)، ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

(يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله، ولا تعزّز به فيذلّك الله، يا حامل القرآن تزّين به لله يزيّنك الله به، ولا تزّين به للناس فيشينك الله به، من ختم القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه، ولكنه لا يوحى إليه، ومن جمع القرآن فنوره لا يجهل مع من يجهل عليه، ولا يغضب فيمن يغضب عليه، ولا يحّد فيمن يحّد، ولكنه يعفو ويصفح، ويغفر ويحلم لتعظيم القرآن، ومَن أوتي القرآن فظنَّ أنَّ أحداً من الناس أوتي أفضل ممَّا أوتي فقد عظم ما حقّر الله، وحقّر ما عظم الله) ^(٣٠).

وأكد الرسول الأكرم ﷺ هنا على ضرورة التواضع وأنّ المنزلة العظيمة لحافظ القرآن لا ينبغي أن تدعوه الى الغرور، وأن يكون همه القرب الى الله سبحانه، وأن يتحمل من الآخرين خطأهم لحرمة ومكانة القرآن الكريم.

تعلم القرآن

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام):

(يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَمُوتَ حَتَّى يَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، أَوْ يَكُونَ فِي تَعَلُّمِهِ) (٣١).

غضاضة القرآن

رُوي عن الإمام الرضا ﷺ أنّ رجلاً سأل الإمام الصادق ﷺ، فقال له: ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدراسة إلا غضاضة (تجدداً)؟ فقال ﷺ: (لأنّ الله لم ينزله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غصّ إلى يوم القيامة) (٣٢).

وتعتبر هذه الميزة في القرآن الكريم من ملامح إعجازه، فالإنسان كلّما قرأه يشعر أنّه جديد، بل هو كذلك في كل زمان ومكان، وتفيد الرواية أيضاً عالمية الخطاب القرآني، وأنّه لجميع الأمم وجميع الأزمنة.

القرآن تبيان كل شيء

وقال (عليه السلام):

(إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تَبْيَاناً كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى وَاللَّهِ مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ، حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ عَبْدٌ يَقُولُ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي الْقُرْآنِ، إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِيهِ) (٣٣).

وفي حديث آخر:

(ثُمَّ يَنْتَهِي (أي: القرآن) حَتَّى يَقِفَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَارْتِفَاعِ مَكَانِي، لِأَكْرَمَنِ الْيَوْمِ مِنْ أَكْرَمِكَ، وَلَأَهْيَنَنَّ مِنْ أَهَانَكَ) (٣٤).

إنَّ الله أنزل القرآن ليهدي الإنسان إلى الطريق الصالح، ويعطيه كلَّ ما يحتاجه، ويقدم له الحلول في كلِّ ما يواجهه من قضايا ومشاكل، حتى إنَّ الإنسان لا يستطيع أن يقول لو أنزل الله في هذا القرآن شيئاً من هذا أو ذاك لكان أفضل؛ لأنَّ الله بيّن في كتابه كلَّ شيء، وليس المراد من (كلَّ شيء) علوم الطبيعة أو الكيمياء والفيزياء أو الاكتشافات العلميّة؛ لأنَّ دور القرآن دور الهداية إلى سواء السبيل والجادة الوسطى، وإن كان يشير في بعض لمحاته إلى بعض أسرار الخليقة وقوانين الحياة الطبيعيّة.

ويشير ﷺ إلى هذا المعنى، في حديث آخر بقوله:

(ما من أمرٍ يختلف فيه اثنان؛ إلّا وله أصلٌ في كتاب الله، ولكن لا تبلغه عقول الرجال) (٣٥).

أي: أنَّ القرآن قد بيّنه بشكل تفصيلي ومباشر، أو من خلال القاعدة التي يركز عليها هذا الأمر أو ذاك، والوصول إلى هذه المرحلة من فهم القرآن تحتاج إلى مزيد من الفكر والعمق، ففهم القرآن الكريم، يحتاج إلى ثقافة واسعة وعميقة بحيث يرتقي بعقله، ويتحسن وجدانه، وتتأصل فطرته، وتجود قريحته للوصول إلى القاعدة التي يركّزها القرآن الكريم، لتكون منطلقاً إلى معرفة هذا الفرع أو ذاك.

وقد جاء في الرواية عنه ﷺ مؤيداً لذلك:

(قَدْ وَلَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَعْلَمُ كِتَابَ اللَّهِ وَفِيهِ بَدْءُ الْخَلْقِ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَفِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ وَخَبَرُ الْأَرْضِ وَخَبَرُ الْجَنَّةِ وَخَبَرُ النَّارِ وَخَبَرُ مَا كَانَ وَخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ أَعْلَمُ ذَلِكَ كَمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ) (٣٦).

وحديثه ﷺ عن الولادة الأعم الشاملة للولادة نسباً وروحياً ومعنوياً، وأنَّ علمه ﷺ بالقرآن الكريم إنّما كان من اتصاله بالنبى ﷺ، فهو امتداد المعرفة والعقل والتراث الذي انفتح الأئمة المعصومون ﷺ من خلاله على جدّهم رسول الله ﷺ.

القرآن منار الهدى

وقال ﷺ أيضاً:

(إنَّ هذا القرآن فيه منار الهدى مصابيح الدجى، فليُجَلِّ جالٍ بصره، ويفتح للضياء نظره فإنَّ التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور) (٣٧).

فالقرآن نور من الله سبحانه يهدي به الناس إلى سواء السبيل، ويهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُلَ السلام، وفي القرآن مصابيح الدجى، فليجُلِّ جالٍ بصره ويحاول أن ينظر فيه ويفتح للضياء نظره أي: النظر الداخلي، وهو النور الذي ينظر به العقل والقلب، فإنَّ التفكير حياة قلب البصير؛ لأنَّ الإنسان الذي يُبصر بنور الله في عقله يعرف حقائق الأشياء، فالإنسان الذي يتحرَّك في ظلمات الجهل والتخلُّف والعادات المنحرفة والتقاليد الضالة والأفكار الخاطئة، لا يصل إلى الحقِّ، ولكن عندما يجعل القرآن الكريم منطلق فكره ومساره ينظر من خلاله إلى الحياة ومواقع المعرفة، فهو يسير في نور يكشف له كلَّ هذه الظلمات وينقذه من الضلال، وقد ركَّز القرآن الكريم على أهمية التفكير بقوله عزَّ وجلَّ:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وعنه ﷺ:

(إذا مررت بآية فيها ذكر الجنة... فاسأل الله الجنة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار... فتعوذ بالله من النار) (٣٨).

وهذه القراءة الحقيقية والواعية التي تفهم القرآن وتستلهم منه للارتقاء إلى درجات أعلى.

القرآن أمان عند الفتن حجة على الحقّ

وعن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه عليه السلام قال:

(قال رسول الله ﷺ: إذا التبت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفع، وماحل مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائب، مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جلال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينبج من عطف، ويتخلص من نشب، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التبرّص)^(٣٩).

وقد أشير إلى أهمية معرفة القرآن الكريم والالتزام به، وما يحمله من علوم ومعارف فيها منار وهدى من الضلال، وهو النور الذي يهدي الناس إلى سواء السبيل ويخرجهم من حيرة الضلالة، وهو يدعو إلى التفكّر. ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

(قال رسول الله ﷺ: إنّ على كلّ حق حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه)^(٤٠).

فالقرآن الكريم هو القاعدة^(٤١)، والذي يعرف به الحقّ الذي جاء به الرسول الأكرم ﷺ، والإيمان بالله يقتضي اتّباع كتاب الله، والإيمان برسوله يقتضي إتباع سنّة النبي الكريم ﷺ، وليس عند أهل البيت عليه السلام أي شيء خارج ما قاله الله سبحانه وتعالى في كتابه، أو بيّنه رسول الله ﷺ في سنّته، لذا يقول الإمام الصادق عليه السلام: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي الحسين،

وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين،
وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله (٤٢).

أصناف الناس إزاء القرآن

روى أبان بن تغلب عنه عليه السلام أنه قال: (الناس أربعة) فقلت: جعلت فداك وما هم؟ فقال:

(رجل أوتي الإيمان ولم يؤت القرآن (٤٣)، ورجل أوتي القرآن ولم يؤت الإيمان (٤٤)، ورجل أوتي القرآن وأوتي الإيمان، ورجل لم يؤت القرآن ولا الإيمان). قال: قلت: جعلت فداك فسر لي حالهم؟ فقال:

(أما الذي أوتي الإيمان ولم يؤت القرآن فمثله كمثل الثمرة طعمها حلو ولا ريح لها، وأما الذي أوتي القرآن ولم يؤت الإيمان فمثله كمثل الأس ريحها طيب وطعمها مر، وأما من أوتي القرآن والإيمان، فمثله كمثل الأترجة (٤٥) ريحها طيب وطعمها طيب، وأما الذي لم يؤت الإيمان ولا القرآن فمثله كمثل الخنظلة طعمها مر ولا ريحة لها) (٤٦).

ويفهم من الحديث أن المكلف ينبغي أن يختار من هذه الأصناف ما يليق به ويحبه عليه المعصوم، وهو أن يكون عارفاً بالقرآن حق معرفته والإيمان الحقيقي والعميق، فهما الركيزة للعمل الصالح.

الدعاء قبل قراءة القرآن الكريم

لا شك في أهمية الدعاء في حياة المؤمن، قال الله سبحانه وتعالى :
[قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ...]
(الإسراء: ١١٠)

وقال الإمام الصادق (عليه السلام):

(أكثر من الدعاء، فإنه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء) (٤٧).

وقال (عليه السلام):

(عليك بالدعاء فإن فيه شفاء من كل داء) (٤٨).

ولتكن عند المؤمن: النية الصادقة في الدعاء و طهارة القلب اللسان وطهارة البدن واللباس.

وحسن النية بالله وعدم الشك به، والخلو عن الذنوب المبعدة من الله والحابسة للدعاء.

وروي عنه (عليه السلام) عندما يأخذ المصحف، وقبل قراءة القرآن الكريم أنه يقول:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا كِتَابُكَ الْمُنَزَّلُ مِنْ عِنْدِكَ عَلَى رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَلَامُكَ النَّاطِقُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكَ، جَعَلْتَهُ هَادِيًا مِنْكَ إِلَى خَلْقِكَ وَحَبْلًا مُتَّصِلًا فِيهَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِبَادِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي نَشَرْتُ عَهْدَكَ وَكِتَابَكَ، اللَّهُمَّ فَاجْعَلْ نَظْرِي فِيهِ عِبَادَةً، وَ قِرَاءَتِي فِيهِ فِكْرًا، وَ فِكْرِي فِيهِ اِعْتِبَارًا، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ اتَّعَظَ بِبَيَانِ مَوَاعِظِكَ فِيهِ وَاجْتَنَبَ مَعَاصِيكَ، وَ لَا تَطْبَعُ عِنْدَ قِرَاءَتِي عَلَى سَمْعِي، وَ لَا تَجْعَلَ عَلَى بَصَرِي غِشَاوَةً، وَ لَا تَجْعَلَ قِرَاءَتِي قِرَاءَةً لَا تَدْبُرُ فِيهَا، بَلْ اجْعَلْنِي أَتَدَبَّرُ آيَاتِهِ وَ أَحْكَامَهُ، آخِذًا بِشَرَائِعِ دِينِكَ، وَ لَا تَجْعَلَ نَظْرِي فِيهِ غَفْلَةً وَ لَا قِرَاءَتِي هَذَرًا، إِنَّكَ أَنْتَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ) (٤٩).



الدعاء بعد قراءة القرآن الكريم

عنه عليه السلام:

(اللَّهُمَّ إِنِّي قَرَأْتُ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ كِتَابِكَ، الَّذِي أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِكَ، فَלَكَ الْحَمْدُ رَبَّنَا، وَلَكَ الشُّكْرُ وَالْمِنَّةُ عَلَى مَا قَدَّرْتَ وَوَفَّقْتَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي بِمَنْ يَحِلُّ حَلَالَكَ، وَيَحْرَمُ حَرَامَكَ، وَيُجَنِّبُ مَعَاصِيكَ، وَيُؤْمِنُ بِمُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَاجْعَلْهُ لِي شِفَاءً وَرَحْمَةً، وَحِرْزاً وَذُخْرًا.

اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لِي أُنْسًا فِي قَبْرِي، وَأُنْسًا فِي حَشْرِي، وَأُنْسًا فِي نَشْرِي، وَاجْعَلْهُ لِي بَرَكَةً بِكُلِّ آيَةٍ قَرَأْتُهَا، وَارْفَعْ لِي بِكُلِّ حَرْفٍ دَرَجَةً فِي أَعْلَى عِلِّيْنَ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ) ^(٥٠).

وعنه عليه السلام أيضاً:

(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَصَفِيكَ وَنَجِيِّكَ وَذَلِيلِكَ، وَالدَّاعِي إِلَى سَبِيلِكَ، وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيِّكَ وَخَلِيفَتِكَ مِنْ بَعْدِ رَسُولِكَ، وَعَلَى أَوْصِيَائِهِمَا الْمُسْتَحْفَظِينَ دِينَكَ الْمُسْتَوْدَعِينَ حَقَّكَ، وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ السَّلَامَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ) ^(٥١).

وروي أنه عليه السلام كان يدعو عند قراءة كتاب الله عز وجل:

(اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْمُتَوَحِّدُ بِالْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ الْمُتَيْنِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْمُتَعَالِي بِالْعِزِّ وَالْكَبْرِيَاءِ وَفَوْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْمُكَتْفَى بِعِلْمِكَ، وَالْمُحْتَاجُ إِلَيْكَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ... اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ تَخَلُّفِهِ فِي قُلُوبِنَا وَتَوَسُّدِهِ عِنْدَ رِقَادِنَا وَنَبْذِهِ وَرَاءَ ظَهْرِنَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ قَسَاوَةِ قُلُوبِنَا لِمَا بِهِ وَعَظَّتْنَا... اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا شَافِعاً يَوْمَ الْلِقَاءِ وَسَلاَحاً يَوْمَ الْارْتِقَاءِ وَحَجِيجاً يَوْمَ الْقِضَاءِ وَنُوراً يَوْمَ الظَّلَامِ...

اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا بَرَهَانًا عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَائِكَةِ يَجْمَعُ فِيهِ أَهْلُ الْأَرْضِ وَأَهْلُ
السَّمَاءِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ وَعِيشَ السَّعْدَاءِ وَمِرَافِقَةَ الْأَنْبِيَاءِ. إِنَّكَ
سَمِيعُ الدَّعَاءِ (٥٢).

الدعاء في حفظ القرآن

ومن الدعاء في حفظ القرآن، روي عنه عليه السلام:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَلَمْ يَسْأَلِ الْعِبَادُ مِثْلَكَ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَ
رَسُولِكَ وَإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ وَصَفِيِّكَ وَمُوسَى كَلِيمِكَ وَنَحِيَّكَ وَعِيسَى
كَلِمَتِكَ وَرُوحَكَ، وَأَسْأَلُكَ بِصُحْفِ إِبْرَاهِيمَ وَتُورَةِ مُوسَى وَزَبُورِ دَاوُدَ
وَإِنْجِيلِ عِيسَى وَقُرْآنِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَبِكُلِّ وَحْيٍ أَوْحَيْتَهُ وَ
قَضَاءٍ أَمْضَيْتَهُ وَحَقِّ قَضَيْتَهُ وَغَنِيِّ أَغْنَيْتَهُ وَضَالِّ هَدَيْتَهُ وَسَائِلِ أَعْطَيْتَهُ...
وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ وَبِاسْمِكَ الَّذِي اسْتَقَرَّ بِهِ عَرْشُكَ، وَ
بِاسْمِكَ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْفَرْدِ الْوَتَرِ الْمُتَعَالِ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْكَانَ كُلَّهَا الطَّاهِرِ
الطُّهْرِ الْمُبَارَكِ الْمُقَدَّسِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ نُورِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ وَكِتَابِكَ الْمُنَزَّلِ بِالْحَقِّ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّاتِ وَنُورِكَ النَّامِ وَ
بِعَظَمَتِكَ وَأَرْكَانِكَ (٥٣) - (٥٤).



الختامة

ونذكر هنا النتائج التالية:

- ١- الأئمة الأطهار عليهم السلام هم عدل القرآن الكريم وهم الثقل الآخر الذي أوصى به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.
- ٢- كان للإمام الصادق عليه السلام مكانة عالية عند جميع المذهب الإسلامية وعند الطائفة الحقة بشكل خاص.
- ٣- كان للإمام دور خاص ومتميز في الاهتمام بالقرآن والحث على تلاوته وفهمه والعمل به.



الهوامش:

- ١ - قال ابن كثير مع تعصبه في تفسيره: وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإني لم يفترقا حتى يردا على الحوض). ابن كثير، تفسير ابن كثير، ٤: ١٢٢. وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات. الهيثمي، مجمع الزوائد، ١: ١٧٠. وحكم بصحته ابن حجر المكي في كتابه الذي ألفه ردّاً على الشيعة قائلًا: (روى هذا الحديث ثلاثون صحابياً، وأنّ كثيراً من طرقه صحيح وحسن). ابن حجر، الصواعق المحرقة: ١٢٢.
- ٢ - ولأهمية الدور الذي قام به الامام الصادق أطلق على مذهب أهل البيت ﷺ اسم المذهب الجعفري حيث سنحت الفرصة للإمام الصادق ﷺ في نشر عقائده وفقه أهل البيت ﷺ بصورة كبيرة بما لم تتح لغيره من الأئمة، ويعود السبب إلى تزامن إمامته مع نهاية الدولة الأموية وسقوطها، وقيام الدولة العباسية.
- ٣ - المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، ٤٧: ١.
- ٤ - المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، ٤٧: ١ و٢.
- ٥ - أي ليس بالطويل ولا بالقصير.
- ٦ - الجعد من الشعر ما اجتمع وتقبّض وتعدّد والتوى، وعكسه استرسل.
- ٧ - المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، ٤٧: ٩.
- ٨ - ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٣: ٤٠٠.
- ٩ - المصدر نفسه.
- ١٠ - الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر ﷺ، ٢: ٢٢٥.
- ١١ - المصدر نفسه.
- ١٢ - ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٣: ٣٩٩.
- ١٣ - المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، ٤٧: ٦.
- ١٤ - راجع: المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، ٤٧: ٦.
- ١٥ - الميرزا النوري، مستدرک الوسائل، ١٢: ١٧٣ - ١٧٤.
- ١٦ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٤٤٦.
- ١٧ - الشيخ الصدوق، الأمل، ٤٤١.
- ١٨ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٦١٣.
- ١٩ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٤٤٦.
- ٢٠ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٤٤٤.
- ٢١ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٦٠١.

- ٢٢ - الشعيري، جامع الأخبار: ٤٠، الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ١: ١٥.
- ٢٣ - الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال: ١٠٣.
- ٢٤ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٦١١.
- ٢٥ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٦١٣.
- ٢٦ - الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، ثواب الأعمال: ١٢٢.
- ٢٧ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٦١٤.
- ٢٨ - مصباح الشريعة المنسوب للامام الصادق: ٢٩.
- ٢٩ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٦٣٠.
- ٣٠ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٦٠٤.
- ٣١ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٤٤٤.
- ٣٢ - المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، ٨٩: ١٥.
- ٣٣ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١: ٥٩.
- ٣٤ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٦٠٢.
- ٣٥ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١: ٦٠.
- ٣٦ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١: ٦١.
- ٣٧ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٤: ٤٠٠.
- ٣٨ - المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، ٩: ٢١١.
- ٣٩ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٥٩٩.
- ٤٠ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١: ٦٩.
- ٤١ - خصوصاً، أنه قد روي عن الرسول s انه قال: (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابُ). الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١: ٦٢.
- ٤٢ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١: ٥٣.
- ٤٣ - عقيدته صحيحة، لكنّه لا يملك المعرفة القرآنية.
- ٤٤ - فهو عالم بدون عقيدة صحيحة وراسخة.
- ٤٥ - وهي ثمرة من جنس الليمون ناعمة الورق. ويقال له بالفارسية: (ترنج).
- ٤٦ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٦٠٥.
- ٤٧ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٤٧٠.
- ٤٨ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٤٧٠.
- ٤٩ - ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال، ١: ٢٣٢.
- ٥٠ - المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، ٨٩: ٢٠٧-٢٠٨.

- ٥١ - المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، ٩٢: ٢٠٨.
- ٥٢ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٥٧٣.
- ٥٣ - أي أركان العرش، أو أركان الخلق أي السماوات والأرضين وغيرهما، وهو إمّا كناية عن عظمة الاسم تشبيهاً للمعقول بالمحسوس أو المراد أنّه يملأ آثاره الأركان وتحيط بجميع الخلق، والله أعلم.
- ٥٤ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢: ٥٧٦.



المصادر والمراجع القرآن الكريم -أ-

-ح-

- * ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت لبنان.
- * ابن حجر، أحمد بن محمد الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- * ابن طاووس، علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ)، إقبال الأعمال (الإقبال بالأعمال الحسنة)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي ١٤١٨ هـ، قم إيران.
- * ابن شهر آشوب، محمد بن علي السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ)، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف العراق.
- * الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، قم إيران.
- * الحسيني، هاشم معروف (١٩١٩-١٩٨٤م)، سيرة الأئمة الاثني عشر، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف العراق.
- ش-
- * الشعيري، محمد بن محمد (ق ٦)، جامع الأخبار، الطبعة الأولى، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف العراق.
- ص-
- * الإمام الصادق (عليه السلام) (المنسوب للإمام الصادق)، مصباح الشريعة، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان.
- * الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١هـ)، ثواب الأعمال، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ، دار الشريف الرضي للنشر، قم إيران.
- * الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١هـ)، الأمالي، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، تحقيق ونشر: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، طهران إيران.

- b -

* الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)، تفسير مجمع البيان، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

- ۵ -

كـ

* الكليني، محمد بن يعقوب بن
إسحاق الرازي (ت ۳۲۸ / ۳۲۹
هـ)، الكافي، تصحيح وتعليق: علي
أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ۱۳۸۹
هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران -
إيران.

- م -

* الميرزا النوري، حسين الطبرسي
(١٢٤٥-١٣٢٠ هـ)، مستدرک
الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق
ونشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء
التراث، قم إيران.

التعاليم الإسلامية في بناء الشخصية الإنسانية دراسة في المنهج التربوي عند الإمام الصادق عليه السلام

الشيخ حميد فليح الكلابي
جامعة النجف الدينية

تمهيد

أزمات العصر كثيرة وكبيرة ولا يختلف على ذلك اثنان، وقد يقع الاختلاف في جوهر هذه الأزمات وأسبابها، فبعض قد يظن أن جوهر أزمة العصر في نظامها الاقتصادي، فيبدأ بالبحث عن منشأ الأزمة والعوامل المسببة لها، ثم يضع العلاج الذي يعتقد بأنه الحل الأمثل لهذه الأزمة، وبعض يظن أن أزمة العصر في طبيعة النظام العالمي، وهكذا يبدأ بالتنظير إلى دراسة المناشئ والأسباب ثم يحاول المعالجة، وبعض قد يظن أن سبب الأزمة ليس النظام الاقتصادي ولا في النظامي العالمي، والمشكلة الرئيسية في أزمة العصر هي في طبيعة العلاقات الدولية السائدة، وآخر يظن غير ذلك وهكذا تتعدد الآراء، ثم مع مرور الوقت نجد أن الأزمات والمشاكل في زيادة ولم ينفع معها جميع الدراسات وطرق المعالجة نعم، قد تشكل هذه الأزمات وجهاً من وجوه الأزمة العالمية، ولكن في حقيقة الأمر أن جميع هذه الأسباب ترجع إلى أصل جذري وجامع كلي في الأزمات ألا وهو فشل المدارس الفكرية والنظريات الدراسية والفلسفية في بناء الشخصية الإنسانية ودراستها دراسة صحيحة بلحاظ أبعادها الرئيسية المرتبطة بالبعد الطيني والبعد الروحي ومحاولة خلق حالة التوازن بين حاجاته المادية

بسم الله الرحمن الرحيم



الجمهورية الإسلامية الإيرانية

والمعنوية وتفعيل الطاقات والقدرات الكامنة في بعده الروحي وكذلك الميول النفسية من أجل بناء شخصيته الحقيقية الكامنة وراء البعد الطيني الظاهري، فأنَّ أغلب ما طرح وي طرح في المدارس الفكرية لا يتجاوز الحدود الحيوانية في ذات الإنسان، وقامت بإلغاء وتجريد الإنسان من القابليات المعنوية، ولقد حرص أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من خلال توجيهاتهم إلى أتباعهم إلى بناء الشخصية الإنسانية الرسالية في بعدها العقلي والنفسي والسلوكي وعدم التفريق بين هذه الأبعاد الرئيسية الموجودة في شخصية كل أفراد، على عكس أصحاب النظريات التي حاولت دراسة السلوك الإنساني بعيداً عن الأبعاد الأخرى، ولم تلتفت إلى أنَّ السلوك الإنساني هو أحد الأبعاد الذي يُعد مظهراً وتجلياً يكشف عن البنية التحتية لشخصية الإنسان الحقيقة الغيبية والمتمثلة بالبعد الفكري والنفسي، ومن أراد بناء هذه الشخصية عليه الالتفات إلى هذا التركيب الثلاثي في الشخصية وعدم الفصل بينهما من أجل خلق الشخصية المتوازنة، أمّا دراسة المفاهيم السلوكية المعقدة بمعزل عن بقية التركيب الثلاثي فهي دراسة أحادية لا تعبر عن دراسة واقعية تبحث عن حاجة الفرد في امتلاك الذات المتوازنة، وفي هذا الدراسة سنجد كيف أسس أهل البيت (عليهم السلام) مع تسليط الضوء على أحاديث الإمام الصادق (عليه السلام) كما هو مبين في عنوان هذه الدراسة - منهجاً متكاملأً مستنداً إلى اللوحة الخماسية لأصول الدين الإسلامي الثلاثة المتفق عليها (التوحيد، النبوة، المعاد). إضافة إلى أصلي (العدل، الإمامة) الخاصة بأتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) يجمع فيه هذه الأبعاد الثلاثة (العقلي، النفسي، السلوكي) وكيفية ارتباطها بمنظومات الإسلام الرئيسية الثلاث: (العقائدية، الأحكام الشرعية، الأخلاق والآداب).

إلى هنا يتلخص لدينا :

- ١- اللوحة الخماسية المتكونة من أصول الدين الثلاثة إضافة إلى أصول الإيمان وهي : (التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد).
 - ٢- أبعاد الشخصية الإنسانية وهي : (البعد العقلي، البعد النفسي، البعد السلوكي).
 - ٣- التعاليم الإسلامية وهي : (المنظومة العقائدية، منظومة الأحكام الشرعية، منظومة الأخلاق والآداب).
- وسيكون الحديث عن كيفية ارتباطها مع بعضها من أجل الوصول إلى التكامل في الشخصية الإنسانية الرسالية الحاملة للأمانة الإلهية والتي تعمل بوظيفتها على الأرض، وهي الخلافة لله التي استحق بسببها التفضيل على بقية الموجودات والتي هي أيضاً منشأ التكريم الإلهي لبني آدم.

العقيدة (أصول الدين) وأثرها على البعد الفكري :

الأساس والمحرك في حركة الإنسان هو الوعي العقائدي، وهذا يرتبط بالبعد العقلي - الفكري - في شخصية الإنسان، وهذا ما حرص عليه الإمام الصادق عليه السلام في منهجه التربوي لبناء شخصية الإنسان، فقد ورد عنه تبعاً إلى القرآن الكريم التأكيد على البعد العقلي في بناء الذات، يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا الباب : (أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً)^١ (اعرفوا العقل وجنوده والجهل وجنوده تهتدوا)^٢. وفي هذه الأحاديث إشارة واضحة على أهمية هذا البعد - العقلي - في بناء شخصية الإنسان، بل إنّما به امتاز الإنسان على بقية الموجودات، وبسببه تمّ تسخير الموجودات له، وبه يتكامل الإنسان، وبه يصلح الإنسان المجتمع، وما حصل ويحصل من الفساد في عالم الدنيا إلا بسبب العمل من غير علم، فقد ورد عن الإمام



الصادق عليه السلام: (من عمل على غير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه)^٣ بل من سار من دون عقل وبصيرة فإنه يتعد عن الصراط المستقيم الذي يواظب المؤمن في كل فرض من صلاته الدعاء بالهداية له (اهدنا الصراط المستقيم)^٤ وبهذا الصدد يقول الإمام الصادق عليه السلام: (العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق لا يزيده سرعة السير إلا بعداً)^٥. وأساس العقل هو البناء العقائدي، ومن هنا جاء تأكيد الثقلين^٦ على التوحيد وبناء المؤمن عقائدياً ابتداءً من المبدأ المتمثل في اللوحة الخماسية لأصول الدين والإيمان بالتوحيد مروراً بالعدل والنبوة والإمامة وانتهاءً بالمعاد.

هكذا كان شعار الأنبياء، فقد ورد عن خاتمهم أنه قال: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)^٧. فالتقسيم الثلاثي الموجود في كل شخصية (العقلي، النفسي، السلوكي) يلتقي مع التقسيم الثلاثي التعاليم الإسلامية (العقيدة، الأحكام الشرعية، الأخلاق والآداب). ويرتبط البعد الفكري بالعقيدة ارتباطاً وثيقاً، ولهذا نجد سبب استهداف العقيدة من الطغاة على مر العصور، لأنَّ الإنسان إذا تخلَّى عن عقيدته فكأنَّها فقد الدافع والمحرك للتكامل وبنفس الوقت فقد سيطر الطواغيت واطمأنوا على كرسيهم، بل إلى الآن نجد أنَّ أغلب الإشكالات المطروحة وخصوصاً في شبكات التواصل الاجتماعي أنَّها تستهدف عقيدة الشباب من خلال التلاعب بعقولهم، وقد أكَّد الإمام الصادق عليه السلام وحثَّ الشباب على العلم والمعرفة، فقد روي عنه أنَّه قال: (لست أحبُّ أن أرى الشاب منكم إلا غادياً في حالين: إمَّا عالماً أو متعلِّماً، فإن لم يفعل فرط، فإن فرط ضيَّع، فإن ضيَّع أثم، وإن أثم سكن النار والذي بعث محمداً بالحق)^٨.

الأحكام الشرعية وأثرها على البعد النفسي:

بعد الحديث عن البعد العقلي في شخصية الإنسان وبيان أهميته وبه حصل التمايز والتفاضل عن بقية الموجودات وأثر العقيدة على الفكر يأتي دور الحديث عن البعد النفسي في شخصية الإنسان وأثر الأحكام الشرعية عليها، فأن المفاهيم العقلية مهما تجذرت في شخصية الإنسان ومهما كان الوعي العقائدي فليس كافياً في الوصول إلى كمال الشخصية الإنسانية بل هو بحاجة إلى إطار معنوي يضمن للإنسان التحرك نحو العمل الخارجيمعنى آخر لا يوجد ضمان عملي لتجسيد القيم والمبادئ بدون الحاجة إلى البعد النفسي لما يتضمن من الأحاسيس والمشاعر والعواطف التي تشكّل الضمان من أجل تجسيد العقيدة في الخارج وانعكاسها على السلوك، وقد أشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى أهمية هذا البعد النفسي في كثير من الأحاديث فقد روي عنه (عليه السلام) أنه قال: (شيعتنا الرحماء بينهم الذين إذا خلوا ذكروا الله) ^٩. وقال الصادق (عليه السلام): (القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله) ^{١٠}. وعنه (عليه السلام) قال: إن من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله عز وجل ^{١١}. فأن منهج، أهل البيت (عليهم السلام) يجعل من البعد النفسي المرتبط بالعواطف والمشاعر وطناً للحب والانشداد إلى الله سبحانه وتعالى، بحيث تظهر هذه المشاعر على سيماء المؤمنين، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن شيعة علي صلوات الله عليه كانوا كانوا خمص البطون، ذبل الشفاه، وأهل رأفة، وعلم، وحلم، يعرفون بالرهبانية، فأعينوا على ما أنتم عليه، بالورع والاجتهاد) ^{١٢}.

نعم، هناك ارتباط وأثر كبير مترتب على الجانب العبادي في تكامل شخصية المؤمن، فإن العبادات المختلفة التي أمر بها الشارع المقدس لها آثار متفاوتة بحيث عندما ندقق فيها لا نجد عبادتين متشابهتين وهذا

يدل على حكمة الباري عز وجلّ باعتباره أحكم الحاكمين فإنَّ الغرض من منظومة الأحكام الشرعية (فروع الدين) ليست الحركات الظاهرية الخارجية، بل هناك آثار مترتبة عليها يحرص المشرع ويحثُّ المكلف للوصول إليها، لأنَّ فيها سرُّ التكامل، فنلاحظ هيئة الصلاة تختلف عن الصوم، وهكذا عن بقية العبادات الأخرى مثل الحج والخمس والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وغيرها، وهذا الاختلاف إنّما جاء لحكمة؛ لأنَّه يلاحظ المشرّع في تشريعه الغرض والغاية بحيث يصل الإنسان العامل بهذه الأحكام إلى ارتقاء وتكامل في شخصيته، فالصلاة تكمل شيئاً من شخصيته ثمَّ يأتي الصيام فيكمل شيئاً آخر غيرهِ وهكذا بالنسبة للأحكام الشرعية الأخرى فكلُّ فرع من هذه الأحكام يكمل شيئاً في شخصية الإنسان وبالتالي مجموع الأحكام الشرعية وأثرها يؤدي إلى التكامل في الشخصية الإنسانية هذا بعد أن تكامل في بعده العقلي من خلال الإيمان بأصول الدين، ولا شك أنَّ هذه المسيرة العقلية والنفسية التكاملية التي تبدأ بأصول الدين مروراً بالفروع تتوقف هذه المسيرة من المبدأ (التوحيد) إلى المنتهى (المعاد) على (النبوة) كعنوان للقيادة في هذه الحركة في كل صغيرة وكبيرة، وبما أنَّ الأنبياء مشمولون بقانون الموت كونهم من البشر وضرورة استمرار هذه المسيرة التكاملية مع ضرورة وجود القيادة الإلهية، هنا يأتي دور (الإمامة) كعنوان آخر للقيادة يمارس وظيفته بعد (النبوة) . وإن هذه المسيرة تمرُّ من خلال قيمة (العدل) للوصول إلى الغرض، فإنَّ العدل قيمة توحيدية لتنزيه الذات الإلهية عن كلِّ ظلم، وهذا لا يتحقّق إلّا من خلال الرجوع إلى عنواني القيادة (النبوة، الامامة) وكذلك تحقيق العدل مع الذات الإنسانية وذلك من خلال التوازن بين حاجات البدن والروح في الشخصية، وكذلك ضرورة

(العدل) في حركة الإنسان في المجتمع من خلال التوازن بعدم تقديم المصلحة الشخصية (الأنا) على الحاجات العامة التي فيها مصلحة المجتمع من هنا يتبين دور اللوحة الخماسية لأصول الدين والإيمان في بناء الشخصية الإنسانية وارتباطها مع منظومة الأحكام الشرعية (فروع الدين) وأثرها أعني (الأصول والفروع) على البعد (العقلي والنفسي) في تكامل الشخصية الإنسانية.

المعايير السلوكية في بناء الشخصية

يُعد السلوك الإنساني أحد نتائج البعدين الأساسيين في شخصية الإنسان اللذين تمّ الحديث عنهما سابقاً وهما (البعد العقلي والنفسي) فإنّ هذين البعدين يشكلان البنية التحتية لشخصية الإنسان في مظهر السلوك الخارجي، فكل مظهر خارجي يصدر من الإنسان يُسمّى (السلوك)، وهذا السلوك هو نتاج التفاعل الذي حصل بين المنظومة العقائدية ومنظومة الأحكام الشرعية فمن أراد دراسة السلوك الإنساني لا بدّ من دراسة البعد العقلي والنفسي أولاً فلا يمكن إصلاح السلوك الإنساني إلّا من خلال تصحيح الفكر والنفس، أمّا دراسة السلوك بمعزل عن هذه الأبعاد فهي دراسة غير تامة ولا تكشف عن حقيقة الشخصية ولا يتمّ الإجابة فيها عن الإشكالات التي تتعلّق بالسلوك، لذا إنّ التفسير الواقعي للسلوك في أحاديث أهل البيت (عليه السلام) لم تعزل السلوك عن البعد العقلي والنفسي كما سنلاحظ من أحاديث الإمام الصادق (عليه السلام) في هذا المجال.

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: (إذا أردت أن تعرف أصحابي فانظر إلى من اشتدّ ورعه، وخاف خالقه، ورجا ثوابه، وإذا رأيت هؤلاء فهؤلاء أصحابي ^{١٣} . وقال (عليه السلام) : (كذب من زعم أنّه من شيعتنا وهو

متمسك بعروة غيرنا)^{١٤}. فنلاحظ كيف الإمام الصادق عليه السلام يربط البعد السلوكي بالبعد العقلي والنفسي ويجعله وحدةً تركيبية لا يمكن أن تتجزأ في المظهر الخارجي، فإن من يدعي الولاء والانتماء إلى أهل البيت عليه السلام لا بد أن يتمسكوا بالعقيدة الحقّة، وإن يأخذوا أحكامهم عن طريق القيادة الإلهية المتمثلة بالعترة الطاهرة، وضرورة توطين النفس على المحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة ويحجّون البيت الحرام ويصومون شهر رمضان ويوالون أهل البيت عليه السلام ويتبرؤون من أعدائهم .

الصراع الذاتي في شخصية الإنسان

تكامل الشخصية الإنسانية وتسافلها نابع من الصراع الذاتي بين الهوى والعقل، والمؤمن هو من يسعى جاهداً للاستجابة لنداء أهل البيت عليه السلام وذلك من خلال مخالفة الهوى، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (إِنَّمَا شِيعَةُ جَعْفَرٍ مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرَّجُهُ، وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ، وَعَمِلَ لِحَالِقِهِ، وَرَجَا ثَوَابَهُ، وَخَافَ عِقَابَهُ . فَإِذَا رَأَيْتَ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ)^{١٥} . كما يهتمّ المؤمن بسلوكه مع الآخرين بعد بناء الشخصية على مستوى الذات، فإن التواصل مع المؤمنين يعكس سلوكاً متوازناً صحياً عقلياً ونفسياً فإن المؤمن لا يستغني عن أخيه المؤمن، وقد أكّد الإمام الصادق عليه السلام على هذه العلاقة والتواصل، بل أصبحت شرطاً في تكامل الشخصية المؤمنة التي تُحسب على أهل البيت عليه السلام فمن جملة الأحاديث التي وردت عنه عليه السلام:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ بَنُو أَبٍ وَأُمٍّ، وَإِذَا ضَرَبَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ عِرْقٌ سَهَرٌ لَهُ الْآخَرُونَ)^{١٦}

وعنه عليه السلام: (المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشه، ولا يعده عدة فيخلفه)^{١٧}

وعنه عليه السلام: (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة) ^{١٨}
وعنه عليه السلام: (لكل شيء شيء يستريح إليه، وإنَّ المؤمن يستريح إلى أخيه المؤمن كما يستريح الطير إلى شكله) ^{١٩}.

إنَّ هذه الأحاديث تؤكد نوع العلاقة بين المؤمنين، ومدى الارتباط العقائدي بينهم وانعكاسه على البعد النفسي، والذي يظهر جلياً في البعد السلوكي في تصرّفاتهم فأثَّه بنسف كلّ الحواجز المادية والاعتبارات الوهمية الزائلة بحيث يجعل الإمام الصادق عليه السلام أنَّ من أسرار تكامل الذات هو التواصل وقضاء حوائج المؤمنين، فيقول عليه السلام: (لقضاء حاجة امرئ مؤمن أحبَّ إلى [الله] من عشرين حجّة كلّ حجّة ينفق فيها صاحبها مائة ألف) ^{٢٠}.
فأنَّ المؤمن لا يبلغ التكامل إذا لم تكن له روحية الرحمة والايثار بحيث يتعدى الذات وتتسع الى كلّ الناس فيصبح سنداً لإخوته المؤمنين بل يتعدى دائرة الإيمان لتصل الى كلّ الناس، وفي هذا الشأن يقول الإمام الصادق عليه السلام:
(أنَّ أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه) ^{٢١}.

ومن جملة المفاهيم السلوكية في الشخصية المؤمنة المتكاملة هو مقارعة الظلم والظالمين والصبر في ساحات الصراع الذاتي والخارجي؛ فإنَّ المؤمن يعتصم بحبل الله، بالتالي يقاطع أعداء الله عقائدياً ونفسياً، فتنعكس هذه المقاطعة على سلوكه ثمَّ تتجلى في حياته ومجتمع مظاهر العدل، وتعبير الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: (إنَّما شيعتنا من لا يهر هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل الناس بكفّه وإن مات جوعاً) ^{٢٢}. إضافة إلى أنَّ طبيعة المهمّة التي أنيطت بالمؤمن في هذه الحياة تجعله يتعرّض إلى عدّة ابتلاءات وطبيعة هذا الابتلاء هو عنصر من عناصر التكامل والرقى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُزَكَّوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. سورة العنكبوت الآية ٢.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ سورة البقرة الآية ٢١٤.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ وَلِيَّهَ فِي الدُّنْيَا غُرَضاً لِعُدُوهِ) ٢٣.

وعنه (عليه السلام): (أَنَّ فِي كِتَابِ عَلِيِّ (عليه السلام): أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً النَّبِيُّونَ، ثُمَّ الْوَصِيُّونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلِأَمْثَلٍ، وَإِنَّمَا يَبْتَلِي الْمُؤْمِنَ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِ الْحَسَنَةِ، فَمَنْ صَحَّ دِينُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَجْعَلِ الدُّنْيَا ثَوَاباً لِلْمُؤْمِنِ، وَلَا عِقَاباً لِلْكَافِرِ، وَمَنْ سَخَفَ دِينَهُ وَضَعَفَ عَمَلَهُ قَلَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ أَسْرَعَ إِلَى الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ مِنَ الْمَطَرِ إِلَى قَرَارِ الْأَرْضِ) ٢٤.

خصائص منهج الإمام الصادق (عليه السلام) في بناء الشخصية

عندما نتابع منهج أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الشخصية الإنسانية الرسالية ولا سيما في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) نجد هنالك تفاوتاً بين منهجية بناء وترقية الإنسان عنده (عليه السلام)، وبين المدارس الفكرية الأخرى التي تبحث أسباب الأزمات العالمية هنا وهناك، وتضع معالجات، يظهر أن هذه المعالجات زادت من المشاكل مع مرور الوقت، وقد أشرنا في بداية هذا البحث المختصر أن الأزمة العالمية الحالية هي فشل المدارس الفكرية في بناء الشخصية الإنسانية، أمّا منهج الإمام الصادق (عليه السلام) فقد اختصّ بمجموعة من الخصائص المهمة التي ينبغي التمسك بها لمن أراد أحداث التغيير في سلوكه وبناء شخصيته بناءً يدخل فيه السرور على أهل البيت (عليهم السلام) ويرى أثره في حياته الذاتية وانعكاسه على علاقاته الاجتماعية ومن أهم هذه الخصائص:



الوسطية والتوازن: إنَّ منهج الإمام عليه السلام يوازن بين حاجات الإنسان البدنية والروحية كما أنَّه يوازن بين حاجات الإنسان الفردية وحاجات المجتمع وهذا المنهج تفتقده كلُّ المدارس الفكرية التي تجعل من ذات الإنسان محوراً في حركته بحيث يتوقع حول ذاته ولا يرى إلا نفسه والسعي من أجل إشباعها، أمّا هنا في منهج الإمام الصادق عليه السلام فإنَّ مظهر الوسطية والتوازن يتجلى واضحاً بحيث يترقى عن التأكيد على الماديات والذي يأتي هذا الترقى من الفهم العقائدي الصحيح للحياة الدنيا من أنَّها مرحلة تكاملية وليست غايةً، فإنَّ الاعتقاد بأنَّها ليست هدفاً بل محطة تكامل فيها إلى الحياة الحقيقية يجعل من المؤمن يتنازل للآخرين ويضحّي من أجلهم طلباً للتكامل ولمرضاة الله، بمعنى آخر أنَّه يقوم بعملية تأجيل اللذة الفانية وبانتظار اللذة الباقية وذلك من خلال الثبات على الصراط المستقيم وعدم الانحراف يميناً أو شمالاً، وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام في قوله لفضيل بن يسار: (يا فضيل بن يسار إنَّ الناس أخذوا يميناً وشمالاً وإنَّا وشيعتنا هدينا الصراط المستقيم)^{٢٥}.

١- الواقعية بلحاظ الشخصية: إنَّ المنهج الصادقي ناظر إلى التركيبة البشرية في بعدها العقلي والنفسي، كما يلاحظ الحاجات المادية والمعنوية التي يسعى الإنسان إلى إشباعها مثل الطعام والشراب والجنس التي حرص الإمام الصادق عليه السلام في هذا المنهج إلى إشباعها في نطاق العقل دون إفراط أو تفريط، نعم، أنَّ هذا المنهج لا يخلو من صعوبة لما تميل إليه النفس عادة من الركون إلى الراحة والتمتّع، ولكن المؤمن المراقب لنفسه، الصادق في حركته إلى التكامل، المعتقد بالغيب والأنبياء والمرسلين والمعاد والحساب والثواب وأنَّه في هذه الدنيا في صراع مستمرٍّ مع الشيطان في سيره نحو التكامل، يعلم يقيناً أنَّ السماء قد رسمت الطريق ووضعَت المعالجات

الجزرية رغم كل الانتكاسات التي قد تواجه هذه الرحلة التي حقيقتها البلاء والتمحيص ليبقى من هو أصدق اصبر في ساحة الجهاد، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (المؤمن: مؤمنان فمؤمن صدق بعهد الله ووفى بشرطه وذلك قول الله عز وجل: « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فذلك الذي لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، وذلك ممن يشفع ولا يشفع له ومؤمن كخامة الزرع، تعوج أحياناً وتقوم أحياناً، فذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة وذلك ممن يشفع له ولا يشفع) ٢٦.

٢- التحرر الداخلي أساس بناء الشخصية:

أغلب المدارس الفكرية والنظريات المطروحة في العلوم الإنسانية عند البحث عن سعادة الإنسان تؤكد على ضرورة توفير الحاجات المادية، بينما ركزت التعاليم الإسلامية في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) على أن أساس بناء الشخصية الإنسانية الرسالية هو التحرر الداخلي، بمعنى أن تتحرر النفس الإنسانية من قيود الهوى والشهوات، وهو ما يصطلح عليه في روايات أهل البيت (عليهم السلام) بالجهاد الأكبر، فمن أراد الحرية الحقيقية من كل القيود والأغلال على مستوى النفس والمجتمع عليه أن يتبدأ بالتحرر الداخلي الذي يعد الأساس والخطوة الأولى في تربية وبناء الذات التي تسعى نحو السعادة الحقيقية، وهذا ما أكد عليه هذا المنهج تبعاً للقرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ٢٧.



الخاتمة:

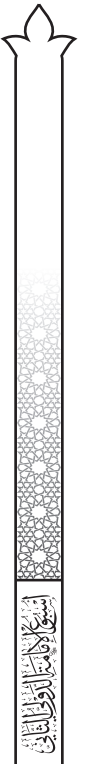
كلّ البشرية تسعى إلى تحقيق التغيير في سلوكياتها نحو الأفضل من أجل الوصول إلى السعادة والحياة الطيّبة، ولكن يقع الاختلاف في اختيار الطريق المؤدّي إلى تلك السعادة، أغلب النظريات المطروحة تبدأ البحث في المشاكل من أجل وضع الحلول المناسبة لمعالجتها، هنا تتعدد النظريات، فمنهم من يقول الأسباب عالمية، ومنهم من يذهب إلى الأسباب الاقتصادية وهكذا، في مدرسة أهل البيت (عليه السلام) أساس التغيير لمن أراد السير باتجاه التكامل عليه أن يبدأ الخطوة الأولى من داخل نفسه فقد يحتاج تغييراً في فكره وتصحيح عقيدته بما حوله، وقد يحتاج تغييراً في نفسه لخلل في عدم وضع عواطفه ومشاعره في محلها، هذا التغيير الداخلي ينعكس على سلوكه الخارجي، وهذه الخطوة الأولى، ثمّ يتحرك من المبدأ بعد معرفته أن المبدأ هو (التوحيد) وهو الأصل الأوّل من أصول الدين، وينطلق من المبدأ إلى المنتهى (المعاد) الذي هو الأصل الخامس في لوحة أصول الدين والإيمان، ويجب أن يكون هذا الإنطلاق بإشراف قيمة (العدل) الذي هو الأصل الثاني، ومجموع حركته من المبدأ إلى المنتهى حتّى تكون بالعدل لا بدّ أن يرجع في كلّ حركته وسكناته إلى (النوبة والإمامة) وهما عنوانان للقيادة الإلهية، فنلاحظ أنّ هذه اللوحة الخماسية لأصول الدين والإيمان هي التي تشكّل البناء الأساسي في حركة المؤمن في منهج الإمام الصادق (عليه السلام) من أجل الوصول إلى التكامل في الشخصية وإلى السعادة الحقيقية التي تسعى إليها البشرية .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم ممّن يعمل بوظيفته من أجل الوصول إلى التكامل والسعادة الحقيقية.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين .

الهوامش:

- ١- الكافي - الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٣.
- ٢- الكافي - الشيخ الكليني - ج ١، ص ٢١.
- ٣- الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٤٤.
- ٤- سورة الفاتحة، الآية ٦.
- ٥- الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٤٣.
- ٦- حديث الثقلين هو حديث نبوي صحيح عند المسلمين.
- ٧- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٨ - الصفحة ٢٠٢.
- ٨- الأمل للطوسي: ص ٣٠٣، ص ٦٠٤.
- ٩- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ١٨٦.
- ١٠- جامع الأخبار، ص ٢٨.
- ١١- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ١٢٥.
- ١٢- صفات الشيعة - الشيخ الصدوق - الصفحة ١٠.
- ١٣- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٢٣٦.
- ١٤- صفات الشيعة - الشيخ الصدوق - الصفحة ٣.
- ١٥- صفات الشيعة - الشيخ الصدوق - الصفحة ١١.
- ١٦- الكافي: ٢ / ١٦٥ / ١ وص ١٦٦ / ٣.
- ١٧- نفس المصدر.
- ١٨- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ١٦٦.
- ١٩- بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٣٤.
- ٢٠- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ١٩٣.
- ٢١- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٢٠٨.
- ٢٢- الغيبة (للنعماني)، الجزء ١، الصفحة ٣٠٢.
- ٢٣- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢، الصفحة ٢٥٠.
- ٢٤- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢، ص ٢٥٩.
- ٢٥- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٢٤٦.
- ٢٦- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢، ص ٢٤٨.
- ٢٧- سورة الرعد، الآية ١٣.



الشيخ محمد باقر المجلسي

المصادر والمراجع:

- * القرآن الكريم.
- * الأُمالي للشيخ أبي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الطُّوسِيِّ (٣٨٥هـ - ٤٦٠هـ، الناشر: دار الثقافة.
- * الكافي - للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٨ / ٣٢٩ هـ)، صحَّحه وعلق عليه الشيخ علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.
- * بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي الثاني (١٠٣٧ هـ - ١١١١ هـ).
- * صفات الشيعة، محمد بن علي بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق: (٣٠٦ هـ - ٣٨١ هـ). الناشر: المطبعة الحيدرية .
- * الغيبة، مُحَمَّد بن إبراهيم بن جعفر النُّعماني، تُوفِّي عام ٣٦٠هـ، المطبعة: مهر - قم، الناشر: فارس حسون كريم .
- هـ)، الطباعة: مؤسسة دار الكتب الإسلامية، الناشر: مؤسسة دار الإحياء والوفاء.
- * جامع الأخبار، محمد بن علي بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق: (٣٠٦ هـ - ٣٨١ هـ) الناشر: المطبعة الحيدرية .
- * صفات الشيعة، محمد بن علي بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق: (٣٠٦ هـ - ٣٨١ هـ) .
- * الغيبة، مُحَمَّد بن إبراهيم بن جعفر النُّعماني، تُوفِّي عام ٣٦٠هـ، المطبعة: مهر - قم، الناشر: فارس حسون كريم .

مرويات الدعاء عن الامام الصادق عليه السلام دراسة وفق المناهج النقدية

م . د. قحطان جاري عليوي
جامعة الكوفة/ كلية الاداب

ملخص

استهدف هذا البحث الدعاء المروي عن الامام الصادق عليه السلام لما يمتلك من ضرورة قصوى وملحة في حياة المؤمن، وقد بحثت اثر الدعاء على عناصر النقد الرئيسة، وتعرضت للمذاهب النقدية الحديثة محلاً بعض نماذج الدعاء للأمام الصادق عليه السلام على ضوء المذاهب النقدية؛ فوجدتها مادة غنية باللغة والافكار والعاطفة تصلح للدراسة والتحليل وفق هذه المذاهب. كلمات مفتاحية (مرويات، الصادق، الدعاء، النقد، الانتاجية، الانزياح، الافكار، العاطفة، المناهج، التأريخية، الاجتماعية)



Abstract

This research targeted the supplication narrated on the authority of Imam al-Sadiq (peace be upon him) for what someone who needs money possesses in the investor. I examined the effect of the supplication on the main elements of criticism, and I successfully addressed this approach, analyzing some examples of the supplication of al-Sadiq, peace be upon him, in the light of monetary doctrines



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
أبي القاسم محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين ... وبعد
نظراً الى ما يحوي تراث الامام الصادق عليه السلام من مادة غزيرة بالفكر
والمحتوى جعلت مروياته مقصداً لهذه الدراسة، متناولاً الدعاء في
أبعاده المهمة مركزاً على الجوانب المعرفية والنقدية للدعاء عند الامام
الصادق عليه السلام. قال عليه السلام: ((الدعاء يردُّ القضاء، بعدما أبرم إبراماً،
فاكثروا من الدعاء، فانه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا
ينال ما عند الله عز وجل إلا بالدعاء، وإنه ليس باب يكثر قرعه ألا
يوشك أن يفتح لصاحبه))^(١).

سار البحث هيكلية منتظمة ابتدأت في بيان مفهوم الدعاء وفضله
وآدابه ومضانه وآثاره في توجيه سلوك الفرد والمجتمع ونماذج من أدعية
الامام عند بعض المواقف وهذا يمثل المبحث الاول، درست في المبحث
الثاني أثر دعاء الامام الصادق عليه السلام في بناء العناصر النقدية كاللغة والافكار
والعاطفة والانزياح والاسلوب وغيرها وفي المبحث الثالث تعرضت لدعاء
الامام عليه السلام على ضوء المدارس النقدية الحديثة، فبعد أن ذكرت موجزاً عن
هذه المدارس شرعت في تحليل نماذج من أدعية الامام الصادق عليه السلام وفق
منظار هذه المدارس، ومن ثم ختمتها بأهم النتائج المتحصلة في هذه
الدراسة. وبهذا تكون هيكلية البحث مبنية على مقدمة وثلاث مباحث
وخاتمة، معتمداً على أهم المصادر الحديثة مثل أصول الكافي للكليني
ووسائل الشيعة للحر العاملي، والمعجمية كالصالح للجوهري وتاج
العروس للزبيدي ولسان العرب لابن منظور، والسيرة واللغة والأدب
والنقد وغيرها من المصادر والمراجع.



وفي الختام نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطانا ويلهمنا لما فيه الخير والنجاح خدمة لطريق الحق وجادة العدل والانصاف، ناظرين له بعين الخوف والرجاء عارفين من ندعو وكيف ندعو، انه سميع مجيب الدعاء قال (عليه السلام): ((احفظ أدب الدعاء، وانظر من تدعو، وكيف تدعو، ولماذا تدعو؟ وحقق عظمة الله وكبريائه، وعاین بقلبك علمه بما في ضميرك، واطلاعه على سرّك، وما تكون فيه من الحق والباطل، واعرف طرق نجاتك وهلاكك، كي لا تدعو الله بشيء منه هلاكك، وأنت تظن أن فيه نجاتك، قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ((٢)) (٣) .

المبحث الاول : الامام الصادق (عليه السلام) والدعاء

أولاً : الامام الصادق (عليه السلام)

هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر. ولد في المدينة سنة ثلاثة وثمانون للهجرة، وهو خليفة أبيه ووصيه والقائم بالامامة من بعده، وكان من أنبه أولاده (عليه السلام) ذكراً وإعلاهم شأنًا، جليل القدر في الخاصة والعامة، وقد سارت الركبان بما نُقلت عنه من العلوم، وانتشر ذكره في البلدان^(٤). ينقل عن عمرو بن المقدم قال : كنت اذا نظرتُ الى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين . قد رأيته واقفاً عند الجمرة يقول : سلوني، سلوني^(٥).

كان مجلسه مفتوحاً للعامة والخاصة، تقصده الناس من مختلف الاقطار يستفتونه في مسائل الحلال والحرام وتأويل القرآن الكريم، وفصل الخطاب وكل واحدٍ منهم يخرج بجوابٍ مقنع لمسألته^(٦). وسمع أبو حنيفة حينما سُئل:

من أفقه من رأيت ؟ قال ما رأيت أحد أفقه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور الحيرة، بعث الي فقال : يا أبا حنيفة، إنَّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد عليه السلام، فهيء له من مسائلك الصعاب . فهيات له أربعين مسألة . ثم أتيت أبا جعفر، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت بهما، دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر، فسلمت وأذن لي، فجلست . ثم التفت الى جعفر، فقال : يا أبا عبدالله، تعرف هذا ؟ قال : نعم . هذا أبو حنيفة . ثم أتبعها : قد أتانا . ثم قال : يا أبا حنيفة، هات من مسائلك نسأل أبا عبدالله فابتدأت أسألهم فكان يقول : في المسألة : أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، وربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرج منها مسألة . ثم قال أبو حنيفة : أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس ؟! ^(٧) . عاش مع جده زين العابدين عليه السلام ثلاثة عشرة سنة، ومع امامة أبيه الباقر عليه السلام عشرين سنة، ومنفرداً بامامته ثلاث وثلاثون سنة ^(٨) . توفي بالمدينة سنة ١٤٨ هـ، ودفن في البقيع الى جنب عمه الامام الحسن وجده زين العابدين ووالده الباقر عليه السلام ^(٩) .

ثانياً : مفهوم الدعاء

الدعاء لغةً : هو النداء مع ذكر المدعو أو السؤال والاستغاثة، والدعاء الى الشيء الحث على قصده ^(١٠) . و(دعو) وحروفها الثلاثة الدال والعين والواو تمثل أصلاً واحداً، ومعناها ما يصدره الشخص من صوتٍ وكلام يميل به الأشياء له ^(١١) . واذا دعوت قوماً الى طعام فتحت الدال فتقول كنا في دعوة، أما في الانتساب فتكسر الدال فتقول فلان دعوة في النسب، وعندما تصيح بشخصٍ وتستدعيه تقول : دعوتُ فلاناً ^(١٢) . ويقال في

الرغبة الى الله دعاء، والدعوة على الغير البدء في الدعاء، والتداعي على الآخر التجمع عليه، ومن يصرخ الخيل في الحروب يسمى داعية^(١٣). ويطلق على النبي ﷺ داعي الامة الى توحيد الله وطاعته، أما المؤذن فيطلق عليه داعي الله. والذي يدعو الناس الى الهدى أو الضلالة يسمى الداعي وتجمع دعاة، ويقال رجل داعية يؤتى بالتاء للمبالغة، وهو من يدعو الى البدعة أو الضلالة، وما يترك في الضرع من اللبن يسمى داعية اللبن لأنه يدعو ما بعده من اللبن للنزول. والتداعي بحسب ما تضاف اليه، فاذا قلت تداعت الابل أي تحطمت مهزولة، أما قولك تداعي الثوب إذا خلق أي أصبح بالياً، وإذا تصدعت جوانب الدار قلت: تداعت الدار، وعندما يكثر البرق والرعد في السحاب تقول: تداعي السحاب^(١٤).

اصطلاحاً: ويقصد به طلب الشخص الداني مرتبةً لفعل من العالي مرتبةً على وجه الخضوع والتذلل والاستكانة^(١٥). وتجمع صيغة الدعاء في التوحيد والثناء على الله سبحانه وتعالى، ومن قال يا الله ويا رب ويا رحمن لطلب العفو والرحمة والحظ كقول العبد اللهم ارزقني مالاً وولداً وغيرها هذه تسمى دعاءً^(١٦). إذاً هو نوع من السؤال يطلب به الأدنى تحقيق الفعل من الأعلى^(١٧).

ثالثاً: فضل الدعاء وأهميته عند الإمام الصادق عليه السلام

للدعاء أهمية كبرى في حياة الانسان المؤمن، سواء كان في الجانب العبادي او في الايمان بقضاء الله وقدره وهذا نجده في الاحاديث المروية عن الامام الصادق عليه السلام وعلى النحو الاتي :

١ - يمثل الدعاء سلاحاً يشهره بوجه الاعداء، وسبباً في جلب الرزق، فقد ورد عن النبي الاكرم ﷺ: ((ألا أدلكم على سلاح يُنجيكم من أعدائكم ويدر أرزاقكم؟ قالوا: بلى. قال تدعون ربكم بالليل والنهار؛ فإن سلاح المؤمن الدعاء))^(١٨). اذ يتصدر الدعاء باداة العرض (ألا) ليحث وينبه على دور الدعاء في اعطاء القوة في مواجهة العدو وسبباً في جلب الرزق.

٢ - إنَّ الدعاء بمنظار الشريعة بحد ذاته يعتبر عبادة يتعبد به المؤمن الى خالقه عز وجل، فقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام: ((إنَّ الدعاء هو العبادة التي قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾))^{(١٩)-(٢٠)}.

٣ - الدعاء يرد القضاء المبروم، ويمثل أيضاً مفتاح الرحمة بأجمعها وبه نجاح الحاجات، ففي رواية عن الامام الصادق عليه السلام: ((الدعاء يرد القضاء وقد ابرم ابراماً، فأكثر من الدعاء، فانه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله عز وجل إلا بالدعاء...))^(٢١).

٤ - يعتبر الدعاء من أفضل القربات الى الله سبحانه وتعالى، فقد ورد عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: ((عليكم بالدعاء فإنكم لا تقرّبون بمثله))^(٢٢). فقد بين الصادق عليه السلام أنَّ الدعاء هو إحد أهم الوسائل للوصول الى مقام القرب منه سبحانه وتعالى.

٥ - الدعاء يشفي من الأمراض، فقد كان الامام الصادق عليه السلام يوصي أحد أصحابه ((عليك بالدعاء فإنه شفاء من كل داء))^(٢٣). فالشفاء بحاجة الى أرضية مهينة بالانشراح والطمأنينة والأمل وهذا ما يوفره الدعاء للمريض.

رابعاً : آداب الدعاء عند الإمام الصادق (عليه السلام)

هناك جملة من الامور التي ينبغي مراعاتها عند الاقدام على الدعاء، فمن هذه الامور التي ينبغي مراعاتها :

١- حضور القلب، فينبغي عند الدعاء أن يكون القلب حاضراً ويتم ذلك بطرد كل ما يشغله من امر الدنيا ويتعد عن الافكار والتصورات التي تجعل القلب في حالة سهو وتلهيه عن مقصده ومبتغاه، فهذه الامور تبعد الدعاء عن الاستجابة، وهذا ما سمع من أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): ((إن الله عز وجل لا يستجيب دعاءً بظهر قلبٍ ساهٍ، فإذا دعوت فاقبل بقلبك ثم استيقن الاجابة)) (٢٤).

٢- الاحاح في الدعاء وذلك بالإكثار منه وتكراره، وهذه شيء يحبه الله سبحانه وتعالى من عبده، وإن كان مذموماً أن يلح الانسان في حاجته الى البشر، فقد ذكر الامام الصادق (عليه السلام) هذه الخصلة بقوله ((إن الله عز وجل كره إلحاح الناس بعضهم على بعضٍ في المسألة وأحب ذلك لنفسه، إن الله عز وجل يحبُّ أن يُسأل ويُطلب ما عنده)) (٢٥).

٣- تسمية الحاجة وهي من الامور المجبذة في الدعاء، وإن كانت لا تخفى حوائج العباد عن الله، فما روي عن الامام الصادق (عليه السلام) يشبث هذه الدعوى : ((إن الله تبارك وتعالى، يعلم ما يريد العبد إذا دعاه، ولكنه يحب أن تبث إليه الحوائج، فإذا دعوت فسم حاجتك)) (٢٦).

٤- افتتاح الدعاء بالتمجيد والحمد و التسييح والتهيل والثناء على الله سبحانه وتعالى والصلاة على محمد واله، قال الامام الصادق (عليه السلام): ((إذا أردت أن تدعو فمجد الله عز وجل واحمده، وسبحه وهله، واثن عليه، وصل على النبي واله ثم سل تعطه)) (٢٧). فالذكر والصلاة على محمد وال محمد، يعطيان فرصة كبيرة لاستجابة الدعاء، قال الامام

الصادق عليه السلام: ((لا يزال الدعاء محجوباً عن السماء حتى يصلى على محمدٍ
وال محمد عليه السلام))^(٢٨). ومن عبارات التمجيد: ((يا من هو أقرب الي
من جبل الوريد، يا فعلاً لما يريد، يا من يحول بين المرء وقلبه، يا من
هو بالمنظر الأعلى، يا من هو ليس كمثله شيء))^(٢٩).

٥- الاعمام في الدعاء بذكر اخوانه من المؤمنين فهو من أسباب استجابة
الدعاء، ((إذا دعا أحد فليعم فإنه أوجب للدعاء ومن قدم أربعين رجلاً
من إخوانه قبل أن يدعو لنفسه استجيب له فيهم وفي نفسه))^(٣٠).

خامساً: ظرف الدعاء في منظار الإمام الصادق عليه السلام

للدعاء أزمان وأمكنة لاستجابته تختلف عن غيرها وتسمى مظنة
الدعاء، يمكن قراءتها في ثنايا أدعية النبي وأهل بيته عليه السلام:

١- فمن مظان اجابة الدعاء ما يرتبط ببعض الظواهر الطبيعية
كهبوب الرياح والزوال وسقوط المطر، واخرى تتعلق بمتهى الاخلاص
عند اصابة الشهيد وبدء خروج دمائه الزكية فهي سبباً لاستجابة الدعاء،
قال الامام الصادق عليه السلام: ((اطلبوا الدعاء في أربع ساعات: عند هبوب
الرياحوزوال الاقياء، ونزول القطر وأول قطرة من دم القتل المؤمن، فان
أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء))^(٣١). وكذلك الطهارة والابتداء
بالبسمة وقراءة القرآن والاقرار بالذنب^(٣٢).

٢- وقت السحر، فهو من مظان الدعاء المجربة، والتي أوصى
بها النبي وأهل بيته عليه السلام، فعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وآله: ((خير وقتٍ دعوتم الله عزَّ وجلَّ فيه الاسحار، وتلا هذه
الآية في قول يعقوب عليه السلام: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾^(٣٣)، قال
آخرهم الى السحر))^(٣٤).



٣- ما يرتبط ببعض الأفعال الحسنة والازمنة والامكنة كالتصدق وشتم الطيب والدعاء في المسجد عند زوال الشمس، فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): ((كان أبي إذا طلب الحاجة طلبها عند زوال الشمس، فإذا أراد ذلك قدم شيئاً فتصدق به وشتم شيئاً من طيبٍ وراح الى المسجد ودعا في حاجته بما شاء الله)) (٣٥).

٤- تكرار قول يا الله ويارب يعجل ويحقق اجابة دعاء المؤمن، فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): ((من قال: «يا الله يا الله» عشر مرات قيل له: لييك، ما حاجتك؟)) (٣٦). وعنه (عليه السلام): ((من قال عشر مرات: «يارب يارب» قيل له: لييك، ما حاجتك؟)) (٣٧).

٥- الدعاء للاخوان بظهور الغيب يجعل الدعاء محقق الاجابة، فيجلب الرزق ويدفع البلاء، وهذا ما أكدته الامام الصادق (عليه السلام): ((دعاء المسلم لأخيه بظهور الغيب يسوق الى الداعي الرزق، ويصرف عنه البلاء، وتقول له الملائكة: لك مثلاه)) (٣٨).

٦- الدعاء في دبر الصلاة، فهو من الظروف الزمنية المفضلة في الشريعة وموصى بها لمن يطلب تحصيل ثمرات الدعاء، فقد ورد عن مولانا الصادق (عليه السلام): ((إنَّ الله تبارك وتعالى فرض الصلوات في أفضل الساعات، فعليكم بالدعاء في أدبار الصلوات...)) (٣٩).

٧- الاجتماع في الدعاء، وهذا ما يجعل الدعاء محقق التحصيل، وقد كان الامام الصادق يحث على الاجتماع في الدعاء، فعنه (عليه السلام): ((ما اجتمع أربعة رهط قط على أمر واحد فدعو الله عز وجل إلا تفرقوا عن اجابة)) (٤٠).

٨- جعل النبي وأهل بيته (عليهم السلام) وسيلة الى الله يسهل وصول الداعي الى مبتغاه، فعن أبي داود الرقي قال: ((إني كنت أسمع أبا عبد الله (عليه السلام) أكثر ما يلح به في الدعاء على الله بحق الخمسة، يعني رسول الله، وأمير المؤمنين، وفاطم، والحسن، والحسين (عليهم السلام)) (٤١).

أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلموني عن الحضور، يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع، ومن عينيك الدموع، وادعني في ظلم الليل فإنك تجدني قريباً مجيئاً^(٤٤).

٤- من لوازم الدعاء المستجاب يجعل صاحب الرزق يطلبه من موارد الحلال، مبتعداً عن مواطن الحرمة والشبهة في كسب الرزق، فاللقمة الحرام تسلب التوفيق وتخبس الدعاء عن الاجابة، قال الامام الصادق عليه السلام: ((من سره أن تستجاب دعوته فليطيب مكسبه))^(٤٥).

٥- الحث على الوحدة والجماعة ونبذ التفرق والشتات فهناك جملة من الروايات الواردة تحث المؤمنين على التجمع والوحدة عندما يدعون ربهم، قال الامام الصادق عليه السلام: ((ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عزَّ وجلَّ في أمرٍ الا استجاب لهم ...))^(٤٦).

٦- ومن اثار الدعاء على سلوك الفرد أنه يجعل صاحبه ذليلاً متواضعاً مبتعداً عن الكبرياء والتجبر اللذين يتصف بهما عز اسمه، قال الصادق عليه السلام: ((إن الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى: اذا وقف بين يدي فقف وقف الذليل الفقير))^(٤٧).

٧- الاهتمام بالآخرين من خلال ذكرهم بالدعاء وبذلك تنتشر المودة ويعم الامان ويقل الرياء لأن الدعاء بظهر الغيب مخفي عن قصد بالدعاء ويكون سبباً لنيل الشفاعة في الآخرة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات الا رد الله عليه مثل الذي دعا لهم به من كل مؤمن ومؤمنة مضى من أول الدهر أو هوات الى يوم القيامة، وان العبد ليؤمر به الى النار يوم القيامة فيسحب، فيقول المؤمن والمؤمنات: يا رب، هذا الذي كان يدعو لنا فشفعنا فيه، فيشفعهم الله عزَّ وجلَّ فيه فينجو))^(٤٨).



سابعاً : نماذج من لجوء الامام الصادق (عليه السلام) الى الدعاء

كانت حياة الامام الصادق (عليه السلام) مليئة بالإيمان والتقوى والعبادة، فقد كان كثير الصلاة و الذكر والدعاء الذي أخذ مساحة واسعة في حياته، فهو يلجأ الى الدعاء في الخطوب والملمات التي تقع عليه وعلى مواليه، ومن هذه المواقف التي، عندما قتل داود بن علي المعلى بن خنيس وأخذ مال الامام (عليه السلام) قال ابو عبدالله (عليه السلام): ((لأدعون الله على من قتل مولاي وأخذ مالي، فقال له داود بن علي : إنك لتهددني بدعائك أن أبا عبدالله (عليه السلام) لم يزل ليلته راكعاً وساجداً فلما كان في السحر سمعته يقول وهو ساجد «اللهم اني أسألك بقوتك القوية وبجلالك الشديد الذي كل خلقك له ذليل أن تصلي على محمد وأهل بيته وأن تأخذ الساعة الساعة» فما رفع رأسه حتى سمعنا الصيحة في دار داود بن علي)) (٤٩).

المبحث الثاني : أثر الدعاء في بناء العناصر النقدية

يتكون النص الأدبي من مجموعة من العناصر الأدبية التي تؤلف العمل الأدبي وبها يصبح النص يقع ضمن الحقول الأدبية وتضفي عليه مسحة جمالية ومن هذه العناصر هي اللغة والخيال والعاطفة والافكار والاسلوب وغيرها، ولا شك إن نصوص الادعية المروية عن الامام الصادق (عليه السلام) غزيرة بعناصر الأدب المذكورة ولندرس بعضها :

أولاً : الدعاء واللغة

لم تعد اللغة في نظر العلماء في العصر الحديث مجرد أصوات للتعبير عن مقاصد المتكلمين، أو هي الفاظاً لقوالب جاهزة وجامدة، بل أصبحت تمثل هوية الشعوب ووعاءً يحوي ثقافة المتحدثين، وأداة طيبة لتفكيرهم،

ووسيلة التعبير عن آراءهم، وهي الحلقة الأهم في التفاهم والتواصل بين أبناء النوع الانساني^(٥٠).

وللغة من المرونة بحيث تكون طيعة وقابلة للتشكيل، والتجزئة حتى أصبحت دوال تصب فيها الأفكار مبتغاها، إنَّ السلاسل اللفظية تحتوي على كيانات لغوية يتم فهمها بواسطة عملية القطع من تلك السلاسل اللفظية ومقارنتها بغيرها ليتسنى تحديدها بشكل دقيق، وهذه المقابلة تتم داخل النسق نفسه^(٥١). لقد أصبحت اللغة بحسب رأي دي سوسير عبارة عن مخزون جماعي يشترك فيه أبناء المجتمع اللساني والتحقيق والانجاز الفعلي لهذا المخزون يمثل الكلام^(٥٢).. وقد فرق دي سوسير بينها وبين الكلام، فاللغة عنده تمثل نظاماً داخلياً فقط بينما الكلام يمثل نظاماً داخلياً وخارجياً، واللغة قواعد متواضعة ومركزة في الذهن البشري يتم بواسطتها انجاز وممارسة ملكة اللسان، أما اللسان فيقوم بفعل وعمل لنظام اللغة، ومن الملاحظات التي سجلها دي سوسير للتفريق بين اللغة والكلام إنَّ المجتمع يكسب الدماغ البشري قدرة تنسيقية وتواضعية تقوم باخضاع اللغة لها، أما الكلام فيمكن التحكم به بواسطة العوامل النفسية والفيزيائية التي يمتلكها الفرد، والتي تقوم باخضاع الكلام بتلك الآليات إيجاباً أو سلباً^(٥٣).

هناك عوامل عديدة أثرت على اللغة وحافظت على فصاحتها، ومن هذه العوامل وأهمها هو القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الفصيح، وما دامت الدراسة تتحدث عن مرويات الامام الصادق عليه السلام فسأقتصر عليها، فمن جملة مروياته في الدعاء والذي سأدرسه ضمن الحقول النقدية :



١- الإنتاجية : وهي سمة بارزة عند الناطقين بها، فلما كان الكلام يقوم على ركيزتين هما استعمال المتكلم وهي ركيزة جزئية ووضع اللغة السابق وهي الركيزة كلية، فهذه الحالة تمكن الناطقين من انشاء تراكيب جديدة غير مسموعة . وقد أولت بعض المدارس الحديثة بالإنتاجية وفسرت اللغة بانها مجموعة من الجمل غير المحدودة^(٥٤) . فمن ظواهر الانتاجية في أدعية الامام الصادق (عليه السلام): ((وهب لي يا الهي لحظة من لحظاتك تكشف بها عني جميع ما به ابتليتني وترد بها علي ما هو أحسن عاداتك عندي، فقد ضعفت قوتي وقلت حيلتي وانقطع من خلقك رجائي ولم يبق إلا رجائك وتوكلي عليك وقدرتك علي...))^(٥٥) . نلاحظ عند قوله (عليه السلام) (ضعفت، قلت) لحوق تاء التأنيث الفعل الماضي، فلا يمكن استبدال التاء بضمير اخر مثل (النون والتاء والهاء)، وبفعل اجتماع الوحدات الصرفية «المورفيات» والصوتية الصغيرة «الفونيمات» مع القواعد النحوية تنتج جمل وكلمات وعبارات جديدة متكاثرة وغير محددة، ويمكن أيضاً تفسير بعض جوانب الابداع في اللغة بأنها يتم من خلال تكرار القواعد النحوية^(٥٦) . فقد ارتكزت نقاط الابداع والانتاج في تكرار بعض الصيغ الفعلية كتكرار صيغة الفعل المضارع (تكشف، ترد) وصيغة الفعل الماضي (ضعفت، قلت، انقطع) نجد في نص مجموعة من القواعد الاجبارية التي ليس للمتحدث أن يأتي بديل عنها لا يصلح ما يقصد بنفس الدقة المبتغاة وهذا ما يعرف بالقواعد الاجبارية بحسب رأي تشومسكي، وهذا ما قصده بالقواعد التطابقية أو المطابقة بين الأجزاء الرئيسة في الجملة كالتطابق بين الفعل والفاعل^(٥٧) مما يعطي النص غزارة في الانتاج، وكثافة في الدلالة اللغوية.

٢- التقابل اللغوي : عرفوا المقابلة ((أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، بما يقابل ذلك على الترتيب))^(٥٨) . يمثل التقابل اللغوي سمة بارزة على صفة الأشياء المادية والمعنوية تبرز على سطح الأشياء وتكمن فيها، فتظهر على شكل أواصر ولها علاقات دلالية، فتسمى أواصر كونية إذا كان التقابل بين الحركة والسكون، أما إذا كان التقابل بين الذكورة والانوثة فتسمى اجتماعي، وتمثل علاقة مسافة إذا وقع التقابل بين الطول والقصر^(٥٩) . وعند دراسة أحد الأدعية المروية عن الإمام الصادق عليه السلام للوقوف على ظاهرة التقابل اللغوي نجده مثلاً في دعائه عليه السلام: ((أنا عاجزٌ، وأنت قدير، وأنا صغير وأنت كبير، وأنا ضعيف وأنت قوي، وأنا فقير وأنت غني، إذا أوحشتني الغربة، أنسي ذكرك))^(٦٠) . ثمت متقابلات في النص لبيان حال المخلوق العاجز امام الخالق القادر الذي لا يعجزه شيء، فالتحدث على معرفة تامة مع من يخاطب والى من يشكو حاله وهذا ظاهر من السياق الكلامي، فيكون التقابل اللغوي في محله، وقد صدر معظم المتقابلات التي تعود للمتكلم بـ (أنا) والتي تعود للمخاطب بـ (أنت) تمييزاً بين حالتين بين عاجزٍ وقدرة (عاجز) و(قدرة) و(صغير) و(كبير) و(ضعيف) و(قوي)، و(فقير) و(غني) .

ومن أدعية الإمام الصادق عليه السلام المشحونة بالألفاظ المتقابلة دعاؤه : ((أسألك اللهم الهدى من الضلالة والبصيرة من العمى والرشد من الغواية ... وأسألك القوة في طاعتك والضعف عن معصيتك ... أو من يعود عليّ إن أقصيتني أو من ينفعني عفوه إن عاقبتني أو من أمل عطايه إن حرمتني أو من يملك كرامتي إن أهنتني أو من يضرني هوانه إن أكرمتني))^(٦١) . علامات الخضوع والاستكانة ظاهرة في النص من خلال الاعتراف من قبل المتكلم، فالضعف والفقر والخضوع قد أطبق بالمتحدث من جميع الجهات في قبال من

يخاطبه الذي لا يعجزه شيء، فهو الهادي والمُبصر والقوي والراحم والنافع والمكرم، لذا جاء التقابل في أكثر من موضع، ومنها (الهدى والضلالة) و(البصيرة والعمى) و(القوة والضعف) و(الرشد والغواية) و(الطاعة والمعصية) و(عفوهِ وعاقبتني) و(عطاياه وحرمتني) و(كرامتي وأهنتني) و(هوانه وأكرمتني). إنَّ تزامن التأثيرات المتضادة هو الذي يمكن النفس من رسم صورة لمفهوم التضاد، والذي يوقظ هذا الاحساس من سباته ويجعله متنبهاً مرجعه الى اختلاف بين شعورين غريزي احدهما ينجح في استثمار نظام الادراك الموجود في الوعي والاخر يستقر في اللاوعي.^(٦٢)

لقد منح هذا التقابل اللغوي النص تماسكاً قوياً بسبب مد خيوط أنسجة التقابل وتغلغلها في أعماقه حتى أصبحت أجزاؤه يشد بعضها البعض كأنها قطعة نثرية واحدة.

٣- الانزياح: تعددت مسميات هذا المصطلح عند المختصين، فمنهم من سماه العدول وآخر الانحراف وثالث كسر النمط ومنهم من أطلق عليه الانتهاك: (٦٣).

الانزياح لغة: عند تتبع مادة الانزياح اللغوية نجدها تعود الى أصل هو الزاي والألف والحاء، وقد عرفوا الاذاحة: هي التنحية والدفع عن الموضع وتشمل الجذب في عجلة^(٦٤).

اصطلاحاً. وبأخصر تعاريفه: هو خروج عن المؤلف أو المعتاد من خلال استعمال المتكلم مفردات وتراكيب ذات قيمة تمكن اللغة من الافلات من النظام التقليدي^(٦٥).

ومن دعائه عليه السلام والذي بصنف في الالفاظ التي انحرفت عن معناها الاصيل: ((أي ربّاه أي سيّداه أي أملاه أي عماده أي كهفاه أي حصناه أي حرزاه أي فخراه بك آمنْتُ ولك أسلمْتُ وعليك توكلْتُ وبابك

قرعتُ وبفنائك نزلتُ وبحبلك اعتصمتُ ... وخذ بناصية من أخافهُ
وتسميه باسمه وذلل لي صعبهُ وسهل لي قيادهُ وردَّ عني نافرة قلبه)) (٦٦).
تخرج بعض الفاظ النص عن معناها المألوف التي كان يألفها المتلقي، إذ
يجعل الداعي الأمل والرجاء بالله سبحانه وتعالى عماداً يتكأ إليه فحرف
مقصده عن المدلول الرئيسي وهو السند والقوة وجعل من كلمة الكهف
دلالة للجوء لما تحمل من معنى يشير الى هذا النحو، وتحيد لفظة الحبل
عن معناها المباشر وإن كانت تشير الى القوة والثبات، فالحبل يقصد بها
الشريعة والدين والهدى ومن يعتصم بهذه المدايل يتحصل على القوة
والرباط التي يوفرها المدلول المباشر للفظه الحبل، كما انحرف لفظ (ذل
لي صعبه) وهي تستعمل في أحيان كثيرة في الأرض الوعرة التي يشق على
من سلكها أو زرعها فيعاني من طريقة التعامل معها فوظفت في من كان
ينصب العداوة له ومما زاد في عدول اللفظة عن مقامها الاصيل جعل
ناصية لذلك الشخص حتى أصبح مشخصاً ومجسداً، فخلع عليه صفات
الجواد الجامح (وسهل لي قياده) وتتوغل ظاهرة الانزياح عند قوله ﷺ (وردَّ
عني نافرة قلبه)، فالقلب ليس له نافرة بل قصد هنا المشاكسة والخصومة
والتي تدفع بالشخص أن يتعد ويحقد ويحمل الكراهة للآخرين، وهذا
الانحراف شبيه بتغير الايقاع في القصيدة التي تجعل فيه حياة واحساساً،
فقدرة المنشئ على تغيير النمط دلالة على قدرته وابداعه، فالبقاء على رتبة
ونمط واحد يؤدي الى موت الاحساس داخل النص. (٦٧)

ومن أدعية الامام الصادق ﷺ التي انزاحت الكلمات عن مداليلها
المباشرة وبدرجة عالية ((واسالك باسمك الذي فتقت به رتق عقيم
غواشي جفون حديق عيون قلوب الناظرين فلا اله الا انت)) (٦٨). حيث
جعل لقلوب الناظرين عيوناً، وقد جعل لهذه العيون جفوناً محيطة بها

وأضفى عليها صفات الخصب والنماء المجعولة للرحم بعد أن كانت قطعة ملتصقة ملتحمة جرداء ليس فيها نبت ولا زرع . لم يكن الانحراف انحرافاً موضعياً يؤثر على نسبة ضئيلة في النص تقرأ من خلال السياق، ومثاله الانحراف الذي تحدثه الاستعارة، لذا كان الانحراف شاملاً وبقوة وعلى درجة عالية جداً القت في ضلالها على النص بأكمله^(٦٩).

ثانياً : الدعاء والأفكار

الأفكار: وتمثل احد اهم الركائز التي يركز عليها النص الأدبي، ويتولد هذا العنصر عندما يقوم الأديب بشرح وتفسير مظاهر الطبيعة وما فيها من حياة بما في ذلك الانسان، فلا ينظر الى شيء من مظاهر الحياة والكون الا وفسره وفق رؤيته لها، وكلما كانت الأفكار متنوعة وعميقة كشف عن مدى تفكير الأديب المبدع وعمق تفكيره، والعكس يكشف عن ضحالة الأفكار وسطحياتها . ينظر: حنفي، د. راضي فوزي، كلية التربية - جامعة الحدود الشمالية، مقالة على الانترنت . فما يرشح من ذهن المبدع من أفكار ومعاني هي الأدب بحد ذاتها، والأديب المبدع هو يصوغ هذه الأفكار والمعاني التي تعبر عما يدور في ذهنه وما يجول في قلبه من مشاعر وأحاسيس يختار لها ألفاظاً موحية ومعبرة تلقي بظلالها على نفس المتلقي فتحدث له وفرة من السعادة ودرجة من الارتياح، وهذا يعطي فرصة كبيرة للمستمتعين بجماليات اللغة وبيانها الساحر^(٧٠) . وعند دراسة أحد النصوص الصادقية في هذا الباب كقوله لبيك عند قراءة القرآن نجده خصباً بالأفكار الابداعية: ((اللهم واشفنا من النوم باليسير وأيقضنا في ساعة الليل من رقاد الراقيدين ونبهنا عند الاحايين التي يُستجاب فيها الدعاء من سنة الوسنانين، اللهم اجعل لقلوبنا ذكاءً عند عجائبه التي لاتنقضي ولذاذة

عند ترديده وعبرة عند ترجيعه ونفعاً بيناً عند استفهامه^(٧١). هناك مجموعة من الافكار التي تناثرت داخل النص الأدبي تكشف عن السريرة المنطوية عليها نفس المبدع، وقد مثلت هذه الافكار في نفس الوقت منظومة تربوية عالية القيمة، يفهم من كلماته أن السهر الذي هو ضد الرقاد لا يعطي نفس النتيجة والشعور بالنسبة للأفراد ايجاباً وسلباً، فالنوم الذي يمثل حاجة بيولوجية ملحة ليس دائماً علاجاً ناجعاً لتعب الانسان وشفاءً لدائه، فتارةً يكفي منه اليسير للشفاء والكثرة منه تتحول الى ضرر قد يكون بليغاً جداً، واخرى يطلب المقابل منه وهو اليقظة في ساعات من الليل للخلوة بمعشوقه الابدي عندما تهب نسائم الحرية فوق رؤوس المستيقظين الذين تركوا الرقاد وصفوا اقدامهم يرتلون أجزاء القرآن ومكثرين من الذكر والتسبيح والاستغفار وغيرهم غاط بالنوم العميق، وقد عرفوا الساعة التي يكون فيها الشفاء، فلعلها تكون ساعة الاجابة وتحقيق المنى فهي من مظان الاجابة، ومن أفكار النص الواردة أن قراءة القرآن لا ينحصر تأثيرها في علاج العلل التي تصيب الفرد سواء كانت عللاً نفسية أم بدنية بل تعمل على شحن القلوب بوهج من النشاط الملهب تجعله نبهاً لالتقاط عجائب آيات، وترفح صاحبه الى درجة من الاستمتاع عند ترديد آياته وموعظة كلما رجعت حنجرتة صوت كلماته وكلما استفهم آيات القرآن الكريم حصل على نفع وفير. إن اللغة التي وردت في النص قد كانت سبباً مباشراً في شحنه بالأفكار التي تصب في قاموس العبادة والذكر. لقد جمع النص أهم معايير التفكير النقدي من وضوح الفكرة وصحتها ودقتها والربط بين مفردات النص وجمله وعمق محتواه والسعة والمنطقية في عرض الافكار^(٧٢). وتستمر أفكار النص السابق بالورود والتراحم: ((اللهم إنا نعوذ بك من تخلفه في قلوبنا وتوسده عند رقادنا

ونبذه وراء ظهورنا ونعوذُ بك من قساوة قلوبنا لما فيه من وعظتنا، اللهم
 انفعنا بما صرّفت فيه من الآيات وذكرنا بما ضربت فيه من المثالات وكفر
 عنا بتأويله السيئات وضاعف لنا به جزاءً في الحسنات وارفعنا به ثواباً في
 الدرجات ولقنا به البشري بعد المات^(٧٣))) فالتائج السلبية المتمثلة بعم
 الجوى من تلاوة القرآن الكريم وتدبره كانت في معرض كلمات الامام
 الصادق عليه السلام، لأن ورود هذه المفردات (تخلفه، توسده، نبذه، قساوة)
 تترتب عليها نتائج حتمية غير مرغوب فيها وتطرد وتفسد الثمرة المرجوة
 من قراءة المصحف الشريف، لذا تعوذ الامام عليه السلام من تلك النتائج
 لاجئاً الى الله سبحانه وتعالى في سبيل عدم حصول هذه النتائج السلبية.
 لقد جمع النص أهم مكونات التفكير النقدي، كالوجدانية المتمثلة بتجنب
 التحيز الشخصي والتفسير الذاتي للعمل الذكري في تلاوة القرآن الكريم،
 وتقديم الحقيقة وقصدها وان كان على حساب المنفعة الشخصية، وعدم
 التمرکز على ذاتية الافكار وتقبل مشاعر الآخرين، ومن هذه المكونات
 النقدية تحديد المشكلة المتمثلة بمرض النفوس واعتلال القلوب التي
 تظل سقيمة ما دام لا يتجاوز تلاوة القرآن الكريم حدود لسانها وهذا
 يحتاج الى تفكير ينبع من عقل مستقل غير متأثر بالآخرين القاصرين على
 ظواهر الأشياء، وهذا يفترق الى تفكير يقوم على الاستنتاج والجدل والمنطق
 السليم، والمكون الثالث للفكر النقدي يدعى بالمكونات السلوكية، والتي
 تجعل من صاحبها متأنياً في اصدار الأحكام حتى تتوفر معلومات كافية
 للقضية التي يحكم عليها، فتكون المعلومات الجديدة المحققة مصدقة
 للأحكام الصادرة^(٧٤).

ثالثاً: الدعاء والعاطفة

العاطفة الأدبية: تمثل العاطفة بشكل عام حالة من الشعور بالاحساس باللذة أو الألم عند رؤية هذه المثيرات ماثلة أمام الفرد، تنبع من مثيرات واقعية في الخارج، فعاطفة الانشراح تثار عند رؤية اللون الأحمر مثلاً، والشعور العاطفي يقابل حالات التعقل التي يركز عليها العقل^(٧٥). فالعاطفة الأدبية من المكونات الرئيسة للنص الأدبي، ولها شهرة وصيت ذائعان في الدراسات الأدبية التي تعنى بالانفعال، ولها أنواع منها عواطف شخصية تتعلق بالحب والكره والخوف ويستبعد جمهور من النقاد هذا النوع من العاطفة من دائرة العواطف الأدبية، ويتبعها النوع الثاني من العواطف هي العواطف الاليمية، يأتي بها الاديب ليثير مكامن الام القراء ويكدر صفوة أيامهم، ضارباً على أوتار الوجد من حسد وسخط وبأس وظلم وغيرها والتي تقوم باثارة العواطف الاليمه وتهيجها، أما العاطفة الأدبية النبيلة فتعمل على تصوير الالام بأحسن الصور التي تثير الشفقة وتجسد العطف الانساني فيكون خصباً وفيراً لكل معاني الانسانية، فتحفز متلقي النص على التعاطف والاسراع بمد يد العون والشفقة والاحسان للآخرين، والادق في تصنيف العواطف الأدبية هي تلك العاطفة التي تكسب النص قوة بحيث يصبح خالداً زائراً بالحياة كلما تقادمت عليه الايام، وقد يذهب البعض الى أن العاطفة الأدبية تولد من رحم المشاركة الشعورية في الحياة^(٧٦). ومن أمثلة الدعاء المروية عن الامام الصادق عليه السلام والتي يشم منه القارئ رائحة العاطفة: ((اللهم صل على محمدٍ وال محمد واذا صرتُ الى دار البلى، ونسيني أهل الدنيا، ولم يكن لي زائرٌ ولا ذاكِرٌ، فكن أنت يا سيدي ومؤنسي وذاكري، والناظرُ اليَّ والراحم لي، والغافر لذنبي والصافح عن خطيئاتي، والمنور لحفرتي والساتر لي، برحمتك يا ارحم الراحمين، انك أنت الغفور الرحيم))^(٧٧).



تقرأ من خلال كلمات النص شخصية المنشئ المنكسرة وهو يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى مردد وبصوت رفيع وخائف ومتواضع وراج عندما يتذكر مصيره بعد الموت، وما ينتظره في بيته الجديد داخل القبر، بيت الوحشة والغربة والمسكنة، فينسى بعد فترة من الزمن عندما ينشغل أهله الذين أودعوه بحفرته بشؤونهم، فليس هناك مؤنس ولا خل سواه سبحانه وتعالى . تكررت الفاظ العاطفة في سطور الدعاء بغزارة منها بنفس المادة (الراحم، برحمتك، الراحمين، الرحيم) وأخرى بألفاظ تصب في حقول الاستعطاف والاسترحام (مؤنسي، ذاكري، الناظر، الغافر، الصافح، المنور، الساتر، الغفور) . وتعاضدت هذه الألفاظ وأعطت مشهداً مشحوناً بالعاطفة يتناسب مع الحالة التي يمر بها الإنسان الذي أصبح بعد موته لا يملك حولاً ولا قوة، فليس له ملجأ ولا كهدف إلا الله سبحانه وتعالى . وما جعل النص ذا تأثير فعال جداً على مسامع متلقيه هو صدق عواطفه وعدم تصنعها، فعندما يبث الامام الصادق (عليه السلام) كلماته تجدد عواطفه منبعثة من نفس صادقة غير مصطنعة ولا مزيفة قد خرجت من أعماق منظوية على المبدأ والعقيدة، كما أن توفر عامل قوي من عوامل الأدب النقدي والذي شحن النص بمثيرات التفاعل وهو قوة العاطفة، لذا أثار النص المنقول عنه (عليه السلام) شعور المتلقي وبعث فيه شعوراً قوياً يحیی فيه قوة الاحساس وأصاب نفسه باليقظة والانتعاش وقد احیی قلبه ووسع آفاق نظره، وما دام تأثير الدعاء مستمراً في نفوس قارئيه على مختلف الأزمنة، فهذا يدل على ثبات العاطفة الموجودة في ثنایا النص واستمرارها، فهي ليست عاطفة آتية تضعف وتتلاشى بمرور الزمن، ولم تكن العاطفة الموجودة في النص المروي عن الامام الصادق (عليه السلام) تسير على وتيرة واحدة وضيق افقها، بل هي عاطفة متنوعة وواسعة المجال، فهي قادرة على تهييج العواطف المختلفة لدى المتلقي، كما يمكن وصف العاطفة التي أثارها النص بسموها وعلو كعبها مما أعطى

النص جمالاً وروعة، وبهذا تتحقق مقاييس العاطفة التي وضعها النقاد لقياس عاطفة النص الأدبي^(٧٨).

المبحث الثالث : دعاء الامام الصادق عليه السلام بمنظور المناهج النقدية أولاً : التعريف بالمناهج النقدية

لا شك ان الانسان ونتيجة لما يمتلك من مواهب ومؤهلات أعطته القدرة على التمييز بين ما يراه أمامه، فيشخص ما هو حسن وجميل عما هو قبيح وتافه، وكذلك يناقش الآراء ويميز ما بين قوتها وضعفها، وهذا ينبع عن المقومات التي جبل عليها من ذكاء وفطنة والقدرة على الفهم والتفهم ونقل التجارب الى الآخرين، فهذا كله مكنه أن يصبح ناقداً بطبعه^(٧٩).

ونتيجة للظروف التي مرت بها الحضارة الانسانية في العصور المتأخرة والتي عصفت بمساحات واسعة من الحياة فأحدثت تغيرات مفاجئة في شتى مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأدبية والسياسية وغيرها، ومع تغير مظاهر الحياة تطورت الاسس والنظم القائمة عليها، فسار الأدب متطوراً في فلك الحياة حاله حال بقية المظاهر الاخرى وظهرت معه مذاهب نقدية فسرت الأدب شعراً ونثراً وفق الرؤية الخاصة بكل مذهب، فمن المذاهب النقدية التي برزت في تلك الفترة التاريخية والاجتماعية والنفسية والسيمائية والتفكيكية والنسوية والثقافية وغيرها . ومن تلك المذاهب التي نستعرضها :

١- المنهج التاريخي : هو منهج يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التاريخ الأدبي لأمة ما، ومجموع الآراء التي قيلت في أديب ما أو في فن من الفنون^(٨٠). يسلط المذهب التاريخي الضوء على الظروف السياسية الاجتماعية والاقتصادية



الموجودة في العصر الذي عاش فيه الأديب، اذ يعمل الأديب على استجلاء خفايا الأدب واستخراج كوامنه وإظهار خفايا بواسطة تلك الظروف التي يتخذ منها الة ووسيلة تساعد على ذلك العمل، فالعوامل المؤثرة في الأدب تمثل الهدف الذي يقصده المذهب التاريخي^(٨١). يستهدف النقد التاريخي المبدع والبيئة التي عاش فيها، والعصر الذي نشأ فيه، ويدرس الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية المؤثرة في شخصية الأديب وفي نتاجه الأدبي أو الفني^(٨٢). ونظراً لارتباط المنهج التاريخي بنقطة ارتكازية في التطور الاساسي للفكر الانساني، ونظراً لانتقاله عبر مراحل العصور الوسطى وصولاً الى العصر الحديث، لذا أصبح المنهج التاريخي على رأس المناهج النقدية في العصر الحديث^(٨٣).

تحليل دعاء الامام الصادق عليه السلام وفق المذهب التاريخي

فمن النصوص المروية عن الامام الصادق عليه السلام والتي كان للظروف الحرجة في عصره أثر في صدورها: ((حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْمُزْبُونِينَ حَسْبِيَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، حَسْبِيَ الرَّازِقُ مِنَ الْمَرْزُوقِينَ، وَحَسْبِيَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، حَسْبِيَ مَنْ هُوَ حَسْبِي، حَسْبِيَ مَنْ لَمْ يَزَلْ حَسْبِي، حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ))^(٨٤). فالحاجة الملحة للدعاء تكشف عن جسامته الاحاح وخطورة الموقف الذي وقع فيه الامام عليه السلام، ولمعرفة ابعاد المشهد لابد من دراسة الظروف المحيطة بمنشئ النص ومزاجه وبيئته، ونعرف درجة تجاوب منشأ النص وتفاعله مع الجماعة^(٨٥). وبالتالي نصل الى نتيجة مقارنة للصواب عند استعمال المنهج التاريخي، ويعزز ذلك الموقف ظرف الدعاء عند ارسال المنصور العباسي على الامام عليه السلام واضمار الشر له^(٨٦). فالامكانات التاريخية التي نستشفها من أحداث النص تعطينا متعة عن أدب تلك المرحلة، وتجعله يقع على قيمة ذلك النص ويحس بوجود الانسان

الذي يمثل أحد أهم خيط في نسيج التاريخ، وهذا يمثل أحد الاصوات التي تنبه وتوقظ في المتلقي الرغبة في جس نبض الاعمال الأدبية من مختلف الجهات، حتى تصبح رؤية النص أكثر وضوحاً، وأبهى جمالاً، وهنا تتضح مهمة المنهج التاريخي المتمثلة بالحكم على ظرف النص ومغزاه^(٨٧). وكذلك دعاء ((أنت الله لا إله إلا أنت مبدئ الخلق ومعيدهم، وأنت الله لا إله إلا أنت خالق الخلق ورازقهم، وأنت الله لا إله إلا أنت القابض الباسط، وأنت الله لا إله إلا أنت مدبر الأمور، وباعث من في القبور، وأنت وارث الأرض ومن عليها أسألك باسمك المخزون المكنون الحي القيوم، وأنت الله لا إله إلا أنت عالم السر وأخفى، أسألك باسمك الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت وأسألك بحق محمد وأهل بيته وبحقهم الذي أوجبته على نفسك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تقضي لي حاجتي الساعة الساعة، يا سامع الدعاء، يا سيده يا مولاه يا غياثه، أسئلك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تعجل خلاص هذه المرأة، يا مقلب القلوب والابصار يا سميع الدعاء «قال : ثم خر ساجدا لا اسمع منه إلا النفس، ثم رفع رأسه فقال: قم فقد أطلقت المرأة»^(٨٨). وعند القراءة التأملية في مفردات النص (خالق الخلق، رازقهم، القابض الباسط، مدبر الامور، باعث ..) يعطينا تصوراً وافياً عن ولادة النص بجماله وقيمته، كما نرى كيف انقلبت القيم التي يؤمن بها المنشئ الى حدث واقعي يراه المتلقي ماثلاً أمامه بجماله وتاريخه المتساويين^(٨٩). ومن خلال النبذة المتصاعدة داخل النص والتي تبدأ بتوحيد الله سبحانه وتعالى مروراً بصفاته، والاستغاثة به والعلائق الموجودة بين كلمات النص وما ينتج عن التشابك في مضامينها، تعطي تصوراً عن الظروف الحرجة التي أنشأت الدعاء، وما يدعم تلك الدعوى أن دعاء

الامام عليه السلام لم يكن موجهاً لنفسه ليدفع عنها شراً أو يجلب لها خيراً، بل هو دعاء فزع به لاحدى مواليه التي قبضت عليها السلطة الجائرة عندما عثرت ولعنت ظالمي فاطمة الزهراء عليها السلام. وللناقد من خلال عاطفة النص ومزاجه أن يستجلي الظروف المحيطة به، وما اختفى وراء الحروف من من حوادث ووقائع بفعل الزمن الذي ولد فيه النص، فمن خلال هذه العوامل يمكنه قراءة المعنى والكشف عن الدلالات، وهذا الفهم الذي يتحصله القارئ يمثل جزء من العملية النقدية التي تكشف أسرار جمالية النص^(٩٠).

٢- المنهج الاجتماعي : هو أحد المناهج النقدية المهمة التي ظهرت في العصر الحديث، والتي تقوم بدراسة النصوص الأدبية على ضوء تبادل التأثير بين الاديب والمجتمع، وقد ولد في أحضان المنهج التأريخي، واسهمت نظرية الانعكاس التي طورتها الواقعية الماركسية في بروز هذا المذهب النقدي^(٩١). ونظرية الانعكاس تقول بتبادل التأثير بين النص الأدبي والواقع الاجتماعي، فكل تغير في الأدب ينعكس على المجتمع وكل تغير يحصل للمجتمع يعود على الأدب، فالأدب مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي. ويمثل النقد الاجتماعي أحد الركائز الرئيسة للنقد السياقي، ويقوم بدراسة الأدب من الخارج، إذ يقوم المنهج الاجتماعي بربط الأدب بالمجتمع، فالمظاهر السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية يعكسها الأدب بقوة، وهي ليست علاقة من جانب واحد بل هي علاقة جدلية وتأثيرية متبادلة بين المجتمع والأدب^(٩٢). يمكن القول ان منطلقات المذهب الاجتماعي وشعاره (الفن للمجتمع) جاء كردة فعل على رأي المثالية التي ذهبت إلى أن الفن لا يولد الا للفن، حتى أصبح للأدب رسالة يعرف بها وللفن وظيفة يعنون بها، فصارت الشعارات

المرفوعة، الفن الهادف ورسالة الأدب واخرى مشابهة^(٩٣). هناك غاية ووسيلة تتحدان في منظار النقد الاجتماعي، وتتمثلان في قارئ النص، فتتاج الاديب لا يكون لنفسه بل هو للمجتمع، إذ تشكل النظرية التي ترى أنَّ الأدب هو ظاهرة اجتماعية أحدى أهم المرتكزات الرئيسية التي ينطلق منها النقد الاجتماعي^(٩٤).

تحليل دعاء الامام الصادق عليه السلام وفق المنهج الاجتماعي

من النماذج المروية عن الامام الصادق عليه السلام الناظرة الى القضايا الاجتماعية: روي أنَّ حماد بن عيسى سأل الصادق عليه السلام أن يدعو له ليرزقه الله ما يحج به كثيراً، وأن يرزقه ضياعاً حسنةً وداراً حسناً، وزوجةً من أهل البيوتاتِ صالحة، وأولاداً أبراراً فقال الصادق عليه السلام: ((اللهم أرزق حماد بن عيسى ما يحجُّ به خمسين حجةً، وأرزقه ضياعاً، وداراً حسناً، وزوجةً صالحةً من قومٍ كرام، وأولاداً أبراراً))^(٩٥). في النص قضايا إجتماعية ملحة تصب في روافد الجماعة والمصلحة العامة، فالحج وإن كان عبادة وشعيرة دينية، لكنها تتجاوز الفردية المحدودة وتتعدى الأطر الضيقة التي يعيشها الفرد، فالحج من أكبر التجمعات البشرية التي يلتقي فيها المسلمون على صعيدٍ واحد وبموقفٍ واحد وصوتٍ واحد ولباسٍ واحد. ومن قضايا في النص حث قوي على اعلاء شأن كلمة الجماعة وتجاوز الفردية التي تنزوي في أطر ضيقة محدودة، ومن مقومات الجماعة التي تنطلق من الفرد هي الحصول على مقومات العيش الوفير المتمثلة بالضياع وقد وردت بصيغة الجمع للدلالة على الغنى الذي يغمر ريعه الأهل والأحبة المؤمنين، ويشمل دعاء الإمام الصادق عليه السلام الدار والزوجة الصالحة ذات الحسب الكريم الذي يجعل خيوط العلاقة تمتد بعيداً وتوطد أواصر العلاقة

خصوصاً إذا رُزقَ منها أولاداً بررة، ومن هنا تتضح مسؤولية منشىء النص التي تظهر بقدرته على دفع المتلقي لقراءة كلماته بتمعن وتدبر، واعطاء تجربته حتى يشاركه فيها أبناء مجتمعه، وبصفة جماعية وهذا هو الاستهلاك الحقيقي في قراءة النص حتى يثبت وجوده^(٩٦). حتى تتمكن من الافلات من القيود التي كبلتها وجعلتها عاجزة تتكل على اسباب غير مباشرة لتحصيل مبتغاها فالحث على النضال والأخذ بالاسباب المباشرة هي من تجعل صاحبه يعيش في كيان الجماعة متفاعلاً وحاضراً ومؤثراً. إن جوهر النص المذكور يشير الى أنَّ ((الكاتب يشترك مع أفراد طبقته الاجتماعية، والتجربة التي يُعبر عنها يشاركه فيها أفراد آخرون، ومحتوى عمله ينهض على ملاحظة التصرف الانساني، والعمل نفسه ينعكس في ضمير القراء الاجتماعي، وسيكون ممثلاً لنوعه))^(٩٧).



الختامة

وفي نهاية المطاف لا بد من وقفة توضيحية عند أهم قطاف ونتائج البحث :

١- للدعاء أهمية بالغة في حياة الانسان في كلتا النشأتين الدنيوية والاخرية، ولا بد للباحث من مراعاة جملة من الضوابط التي تؤهله لكي يصبح دعاؤه مستجاباً.

٢- كانت مرويات الدعاء المنقولة عن الامام الصادق (عليه السلام) ثرية بالمادة ذات المحتوى الغزير الذي يغني الباحث ويدفعه للتأمل فيها والتقاط نفائسها .

٣- من جملة النتائج الضرورية والمهمة في البحث أن الادعية المروية عن الامام الصادق (عليه السلام) تصلح للدراسة والتحليل وفق العصور الأدبية المختلفة؛ لأنها قصدت البعد الانساني الذي لا يغيره تعاقب الازمنة والدهور.

٤- تعامل البحث بحذر مع المناهج النقدية وخصوصاً الاجتماعية التي نشأت وفق رؤية ماركسية والتي تؤمن بأن المادة والاقتصاد سبب مباشر في تطور الأدب ونقده .

٥- إن العناصر الرئيسة في النصوص المدروسة في النصوص المروية من لغة وأفكار وعاطفة استوفت معايير النصوص الأدبية العالية .

الهوامش:

- ١- الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي: ٢ / ٤٦٣ .
- ٢- سورة الإسراء: آية ١١ .
- ٣- المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ٩٠ / ٣٢٢ .
- ٤- ينظر: المفيد، الارشاد: ٢ / ١٧٩ .
- ٥- شمس الدين محمد بن أحمد، الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦ / ٢٥٥ .
- ٦- ينظر: المسعودي، علي بن الحسين، اثبات الوصية: ١٩٦ .
- ٧- شمس الدين محمد بن أحمد، الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦ / ٢٥٧ - ٢٥٨ .
- ٨- المسعودي، علي بن الحسين، اثبات الوصية: ٢٠١ .
- ٩- ينظر: المفيد، محمد بن محمد، الارشاد: ٢ / ١٨٠ .
- ١٠- ينظر: الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات: ١٧٧ مادة [دعا] .
- ١١- ينظر: ابن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٣٣٧ مادة [دعو] .
- ١٢- ينظر: الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ٣٧٣ مادة [دعو] .
- ١٣- ينظر: الفيروز ابادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط: ٥٤٨ مادة [دعو] .
- ١٤- ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ١٤ / ٢٥٧٢٥٩ مادة [دعا] .
- ١٥- ينظر: الحلي، ابن فهد، عدة الداعي: ٩ .
- ١٦- ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ١٤ / ٢٥٧ مادة [دعا] .
- ١٧- ينظر: عبد المنعم، د. محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات الفقهية: ٢ / ٨١ .
- ١٨- الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي: ٢ / ٤٦١ .
- ١٩- سورة غافر: الآية ٦٠ .
- ٢٠- الحر العاملي: وسائل الشيعة: ٧ / ٢٤ الحديث: ٨٦٠٢ .
- ٢١- الوسائل: ٧ / ٢٦ - ٢٧ الحديث: ٨٦١٣ .
- ٢٢- الوسائل: ٧ / ٣٠ الحديث: ٨٦٧٢ .
- ٢٣- الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي: ٢ / ٤٦٣ .
- ٢٤- الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي: ٢ / ٤٦٦ .
- ٢٥- الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي: ٢ / ٤٦٨ .
- ٢٦- الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي: ٢ / ٤٦٨ - ٤٦٩ .
- ٢٧- المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ٩٠ / ٣١٣ .
- ٢٨- المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ٩٠ / ٣١٢ .
- ٢٩- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ٢ / ٤٧٦ .

- ٣٠-المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ٩٠ / ٣١٣ .
- ٣١-الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي: ٢ / ٤٦٩ .
- ٣٢-ينظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ٩٠ / ٣١٠-٣١٥ .
- ٣٣-سورة يوسف: الآية: ٩٨ .
- ٣٤-الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي: ٢ / ٤٧٠ .
- ٣٥-الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي: ٢ / ٤٧٠ .
- ٣٦-الحر العاملي: وسائل الشيعة: ٧ / ٨٥ .
- ٣٧-الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي: ٢ / ٤٧٠ .
- ٣٨-الحر العاملي: وسائل الشيعة: ٧ / ١١٢ .
- ٣٩-الحر العاملي: وسائل الشيعة: ٧ / ١١٠ .
- ٤٠-الحر العاملي: وسائل الشيعة: ٧ / ١٠٤ .
- ٤١-الحر العاملي: وسائل الشيعة: ٧ / ٩٧-٩٨ .
- ٤٢-البحراني، الشيخ يوسف، الحقائق الناضرة: ١٨ / ٤ .
- ٤٣-الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي: ٢ / ٤٨١ .
- ٤٤-الحر العاملي، محمد بن الحسن، الوسائل: ٧ / ٧٨ .
- ٤٥-الحر العاملي، محمد بن الحسن، الوسائل: ٧ / ٨٤ .
- ٤٦-الحر العاملي، محمد بن الحسن، الوسائل: ٧ / ١٠٣ .
- ٤٧-المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ٩٠ / ٣١٣ .
- ٤٨-الحر العاملي، محمد بن الحسن، الوسائل: ٧ / ١١٤ .
- ٤٩-الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ٢ / ٥٠٣ .
- ٥٠-ينظر: المحنة، التفكير الناقد: ٧٥ .
- ٥١-الصويان، د. سعد العبد الله، مجلة الدراسات اللغوية، مج ٣، ع ٢، ربيع الاخر-جمادى الاخر، ١٤٢٢هـ / يوليو-سبتمبر، ٢٠٠١م: ١٣٠ .
- ٥٢-ينظر: الغزالي، عبد القادر، اللسانيات ونظرية التواصل: ٣٥ .
- ٥٣-ينظر: قوباع، ساجية، وتيفرين، نصيرة، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها: ٢١ .
- ٥٤-ينظر: يونس علي، محمد محمد، مدخل الى اللسانيات: ٣٣-٣٤ .
- ٥٥-الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي: ٢ / ٥٤٨ - ٥٤٩ .
- ٥٦-ينظر: ليونز، جون، نظرية تشومسكي اللغوية: ٩٨ .
- ٥٧-ينظر: الرجوبي، د. محمد سالم، النحو التوليدي عند تشومسكي التطور وعناصر

٨٢- ينظر: السمري، إبراهيم عبد العزيز، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين : ٢٤ .

٨٣- ينظر: فضل، د. صلاح، مناهج النقد المعاصر: ٢٤ .

٨٤- المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ٤٧ / ١٦٣ .

٨٥- ينظر: قطب، سيد، النقد: ١٧١ .

٨٦- ينظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ٤٧ / ١٦٢ - ١٦٣ .

٨٧- ينظر: إمبرت، إنريك أندرسون، مناهج النقد الأدبي: ١١٧ .

٨٨- المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ٩٧ / ٤٤٢ .

٨٩- ينظر: إمبرت، إنريك أندرسون، مناهج النقد الأدبي: ١٠٩ .

٩٠- ينظر: طاهر، علي جواد، مقدمة في النقد الأدبي، ٣٩٨ - ٣٩٩ .

٩١- ينظر: فضل، د. صلاح، مناهج النقد الأدبي: ٤٤ - ٤٥ .

٩٢- ينظر: نور الهدى، حلاب، المنهج الاجتماعي في النقد نشأته وخصائصه، مجلة مركز دراسات الكوفة: ٢٥٩ .

٩٣- ينظر: هويدي، د. صالح، المناهج النقدية الحديثة، أسئلة ومقاربات: ١٠٢ .

٩٤- ينظر: هويدي، د. صالح، المناهج النقدية الحديثة: ١٠١ .

٩٥- المجلسي، بحار الأنوار: ٤٧ / ١١٦ .

٩٦- ينظر: ملحم، د. إبراهيم أحمد، تحليل النص الأدبي ثلاثة مداخل نقدية: ٧٧ .

٩٧- إمبرت، إنريك أندرسون، مناهج النقد الأدبي: ١٢٠ .



المصادر والمراجع القرآن الكريم

- * - ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ)، جمال الاسبوع، دار المرتضى، بيروت - لبنان، ط ١، ١٢٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- * - ابن فارس، ابو الحسن أحمد (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- * - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ)، دار صادر بيروت - لبنان، (د. ت).
- * - إمبرت، إنريك، أندرسون، مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- * - بالي، بثينة، وبن النية، منى، العدول التركيبي في قصيدة الحماسة والعنكبوت لتميم البرغوثي، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن بشير الابراهيمية، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م.
- * - البحراني، الشيخ يوسف (ت ١١٨٦هـ)، الخدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، تحقيق: محمد تقى الايرواني، دار الاضواء، بيروت - لبنان، (د. ت).
- * - التفازاني، سعد الدين (ت ٧٩٢هـ)، المطول شرح تلخيص المفتاح، ستارة، ط ١، ١٣٨٧هـ.
- * - الجنابي، د. أحمد نصيف، ظاهرة التقابل في علم الدلالة، كلية الاداب - الجامعة المستنصرية، (د. ت).
- * - الجوهرى، أبو نصر إسماعيل (ت ٣٩٨هـ)، تحقيق د. محمد محمد تامر، الصحاح تاج الغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- * - الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة ال البيت ﷺ لاحياء التراث، الوفاء، قم المقدسة، ط ٤، ١٤٣٨هـ.
- * - الحلي، ابن فهد (ت ٨٤١هـ)، عدة الداعي ونجاح الساعي، تحقيق: أحمد الموحي القمي، مكتبة وجداني، قم.
- * - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- * - الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- * - الرجوي، د. محمد سالم، النحو التوليدي عند تشومسكي التطور وعناصر التحول، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، مج ٢، ع ٨، ٢٠١٧م.

* - السمرى، ابراهيم عبد العزيز، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الافاق العربية، القاهرة، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .
* - الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٠، ١٩٩٤م .

* - الشرباصي، نادر ابراهيم، التلقي النقدي المنهجي «التاريخي» وعمق القراءة في شعر نزار قباني، مجلة كلية الاداب - جامعة بورسعيد، ١١ع، ٢٠١٨م .

* - الصويان، د. سعد العبد الله، مجلة الدراسات اللغوية، مج ٣، ع ٢، ربيع الاخر - جمادى الاخر، ١٤٢٢هـ / يوليو - سبتمبر، ٢٠٠١م .

* - طاهر، د. علي جواد، مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م .

* - عبد المنعم، د. محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، (د . ت) .

* - عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٨٤م .

* - علي، د. محمد محمد يونس، مدخل الى اللسانيات، دار الكتب الوطنية، بنغازي - ليبيا، ط ١، ٢٠٠٤م .

* - الغذامي، عبدالله محمد، الخطيئة والتكفير من النبوية الى التشرقية

نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط ٦، ٢٠٠٦م .

* - الغزالي، عبد القادر، اللسانيات ونظرية التواصل، دارالحوار، سورية - اللاذقية، ط ١، ٢٠٠٣م .

* - غيلاني، كريمة، التفكير الناقد لدى طلبة الجامعة في ضوء بعض المتغيرات، بحث ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، ٢٠١٧م .

* - فضل، د. صلاح، علم الاسلوب مبادئ واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

* - فضل، د. صلاح، مناهج النقد المعاصر، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

* - الفيروز آبادي، محمد الدين محمد (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

* - القرشي، باقر شريف، الصحيفة الصادقية احدى حلقات الامام الصادق عليه السلام، دار الكتاب الاسلامي، قم - ايران، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

* - قطب، سيد النقد الأدبي اصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ط ٨، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

* - قوباع، ساجية، وتيفرين، نصيرة الدراسة اللغوية عند فرديناند

دي سوسير، مذكرة لنيل شهادة
الليسانس في اللغة العربية وآدابها،
الجزائر، ٢٠١٣م - ٢٠١٤م .

* - الكفعمي، الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي (ت ٩٠٠هـ)، البلد الامين والدرع الحصين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

* - الكليني، محمد بن يعقوب
(ت ۳۲۹هـ)، اصول الكافي، دار
لا سوة للطباعة والنشر، ايران، ط ۴،
۱۴۲۴هـ .

* - كوين، جون، اللغة العليا النظرية الشعرية، ترجمة درويش، د. أحمد، المجلس الاعلى للثقافة، ١٩٩٥م .

* - ليونز، جون، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة خليل، د. حلمي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط ١، ١٩٨٥م.

* -المجلسي، محمد باقر(ت١١١هـ)، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط٣، (د. ت).

* - المحنة، د. علي كاظم، التفكير الناقد والقدرة اللغوية، رؤية جديدة في طرائق التدريس، دار الرضوان، عمان، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م .

* - المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)،
إثبات الوصية للإمام علي بن أبي
طالب عليه السلام، دار الاضواء، بيروت، ط ٢،

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ م .

* - المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد النعمان (ت ٤١٣هـ)، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة الالبیت (ع)، لاهياء التراث، مؤسسة ال البيت (ع)، لاهياء التراث، بيروت- لبنان، ط ٢، ٢٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

* - مفيدة، د. زكور محمد، انعكاسات معالجة محتوى النصوص الأدبية على بعض مهارات التفكير الابداعي، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، ٢٠٢١ م .

* - ملحم، د. إبراهيم أحمد، تحليل النص الأدبي ثلاثة مداخل نقدية، عالم الكتي، إربد - الأردن، ط ١، ٢٠١٦م .

* -نور الهدى، حلاب، المنهج الاجتماعي
في النقد نشأته وخصائصه، مجلة
مركز دراسات الكوفة، ع ٣٨،
٢٠١٥ م .

* - هويدي، د. صالح، المناهج النقدية
الحديثة، دار نينوى، سورية - دمشق،
ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

* - وغيلسي، د. يوسف، مناهج النقد الأدبي، جسور، الجزائر، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

* - ويس، أحمد محمد، الانزياح وتعدد المصطلح، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج ٢٥، ٣٦، مارس، ١٩٩٧ م.

م. د. جعفر جمعة زبون علي
جامعة الكوفة / قسم اللغة العربية

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الأشرف من الأولين
والآخرين سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.
أما بعد: منذ خلق الإنسان وحتى الآن، كيف استطاع أن يدبر أموره؟
وكيف استطاع أن يفكر؟ وأن يفعل الأعمال الفردية والجماعية؟ وأن يُوصل
ما يدور في خلدته من الأفكار والطلبات وغيرها إلى غيره؟ فسبحان الذي
فطره ليتدبر أموره وألزمه العقل ليفكر فيه، وله الحمد كل الحمد أن خلق
فسوى وقدر فهدى.

ما فتى الإنسان وهو يتفكر ويبحث عن اللغة ونشأتها، فظهرت
الدراسات حول اللغة من السابقين والمحدثين ومن الذين يدرسونها
بشكل خاص من العلماء والطلبة الذين أرادوا أن يقفوا وقفة علمية حول
نشأة اللغة وكيف تم تطورها واختلاف الألسن وغيرها من المباحث التي
تضمن في مباحث اللغة، وفي مراحل الحياة العلمية والأدبية تم تعليم
اللغة مع الرجوع إلى نشأتها وأصلها بشكل موجز، فكل قوم يدرسون
لغتهم الخاصة به مع السؤال عن الأصل والمنشأ فالإجابة عما سألوا بأن
أجدادكم قالوا هكذا... وهذا مما لا شك فيه ضعيف الحجة، لذلك

ظهرت نظريات عديدة حول نشأة اللغة وتطورها، وفي هذا البحث المتواضع نصب النظر على ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (١٤٨هـ) في كتاب توحيد المفضل عن اللغة والأصوات والكتابة والحركة والذوق واللمس والشم والعقل والأعضاء والجوارح التي تستخدم بها والأوساط الناقلة لها، وهو أسبق الذين كتبوا في اللغة وله مفاهيم لا يمكن تجاوزها في الكينونة اللغوية، مع الدعم الكبير بالأدلة القرآنية المباركة وغيرها من المصادر والمراجع. ففي هذا البحث المتواضع وفي المبحث الأول سنتناول التعريفات ونثبت سند الكتاب إلى الإمام الصادق عليه السلام، وفي المبحث الثاني العقل، وفي المبحث الثالث عن أصل اللغة ونشأتها وفي المبحث الرابع عن مكوناتها وفائدتها وفي المبحث الخامس عن الأعضاء والحواس وفقدانها والوسائط الناقلة، وبعد الغوص في متن هذا البحث البسيط سيرى القارئ ما هي عظمة الله في خلق الإنسان، وما هو دور الإمام جعفر الصادق عليه السلام في العلم بصورة عامة واللغة بصورة خاصة، وما أنار به قلوبنا وعقولنا، فله الحمد في ما أنعم علينا من آلائه التي لا تعد ولا تحصى وله الحمد أن من علينا تعلم القراءة والكتابة و﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق آية ٤-٥) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (سورة الرحمن آية ٣-٤).



المبحث الأول

التعريف ببعض المصطلحات

سأورد تحت هذا المبحث بعض المصطلحات التي يجب تعريفها ومن ثم نعرّج إلى متن البحث وهي:

الإمام الصادق عليه السلام؛ الفضل بن عمر الجعفي الكوفي؛ كتاب توحيد الفضل وسنده.

التعريف الأول:

- الإمام الصادق عليه السلام: غني عن التعريف لدى أغلب الطوائف والمذاهب الإسلامية والعربية وحتى الغربية، ولكن حتى يعرفه من يجهله سأورد بعض ما كتب عنه بصورة مجملة: - أسمه عليه السلام: هو الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو السادس من الأئمة الاثني عشر.

- ولادته عليه السلام: ولد الإمام الصادق عليه السلام بالمدينة يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين من الهجرة.

- محل ولادته عليه السلام: المدينة المنورة / الأبواء.

- أمه عليه السلام: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

- كنيته عليه السلام: أبو عبد الله، وأبو إسماعيل.

- ألقابه عليه السلام: الصادق الصّابر الفاضل الطّاهر الكامل، المنجي، وغيرها.

من حياته عليه السلام: عاش الإمام الصادق مع جده وأبيه قسماً من حياته الشريفة فأقام مع جده اثنتي عشرة سنة ومع أبيه أربعاً وثلاثين سنة، وكانت فترة إمامته عليه السلام أربع وثلاثين سنة، عاصر الإمام بعض الخلافات الأموية والعباسية منها؛ خلافة إبراهيم بن الوليد الأموي ومروان الحمار، وبعد قتل مروان جاءت الدولة العباسية على رأسها أبو العباس السفاح

ومن ثم أخوه أبو جعفر المنصور الذي دس السم إلى الإمام عليه السلام فقتله مسموماً وسيرد لاحقاً ذكر من عاصره من الولاة.

- زوجاته عليه السلام فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين عليه السلام، وباقي زوجاته عليه السلام لأمهات ولد.

- أولاده عليه السلام: - إسماعيل - عبد الله - موسى الكاظم عليه السلام.
- إسحاق. ٥- محمد - العباس - علي - أم فروة - أسماء. - فاطمة.
نقش خاتمه عليه السلام: الله وليي وعصمتي من خلقه، وقيل غير ذلك.
- مدة عمره عليه السلام: (٦٥) سنة.

- حكام عصره عليه السلام:

أ- الأمويون: وهم - هشام بن عبد الملك - إبراهيم بن الوليد. ٣- مروان الحمار.

ب- العباسيون: وهم - أبو العباس السفاح - أبو جعفر المنصور الدوانيقي.

- مكان شهادته عليه السلام: المدينة المنورة، استشهد الإمام الصادق عليه السلام في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة سمه المنصور فقتله، دفن في مقبرة البقيع مع أبيه الإمام محمد الباقر وجده الإمام علي بن الحسين السجاد والإمام الحسن بن علي عليه السلام.

- كما يمكن العودة والرجوع للعديد من المصادر والمراجع التي تذكر الإمام جعفر الصادق عليه السلام^(١) وسأورد بعضاً منها :

(١) الارشاد للشيخ المفيد.

(٢) تاريخ القرمانى للقرمانى.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي.

(٤) أمالي الصدوق للشيخ الصدوق.

- (٥) أصول الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني.
- (٦) الإمام الصادق لعبد الحليم الجندي.
- (٧) سيرة الأئمة الاثني عشر لهاشم معروف الحسني.
- (٨) نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية للدكتور أحمد محمود صبحي.
- (٩) الكلم الطيب في الأصول والفروع للسيد حسين الموسوي الهندي.
- (١٠) مختصر التحفة الاثني عشرية للالوسي.
- (١١) الإمام جعفر الصادق عليه السلام رمز الحضارة الاسلامية للشيخ محمد أمين الأميني.
- (١٢) الإمام الصادق عليه السلام للسيد مهدي آية الله اللهمي.
- (١٣) المواقع الشيعة على الانترنت ومنها مركز أهل البيت العالمي وصوت الشيعة والأربعة عشر معصوم الخ.
- (١٤) وكل تراجم الأئمة وسيرهم عليه السلام.
- ويوجد كل ما ذكر عن الإمام الصادق من أقوال العلماء في شأنه عليه السلام وحياته ووفاته وكناه وأولاده وغيرها كثير، أما أنا فأوردت هذا القليل الأقل للتعريف به صلوات الله وسلامه عليه، ولمن يريد التبحر عن الإمام الصادق عليه السلام فيمكنه أن يرجع إلى الكتب وأنا كليّ إيمان مطلق بأن الإمام الصادق عليه السلام لا يحويه أحد من المثقفين والعلماء بين وجهي بعض الصفحات أو كتاب واحد فهو كآبائه وأجداده من نبع واحد (ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ) (آل عمران) (٣٤).

التعريف الثاني:

- المفضل بن عمر الجعفي:

- اسمه ونسبه هو أبو محمد وقيل أبو عبد الله المفضل بن عمر الجعفي الكوفي.
ولادته عليه السلام: ولد المفضل بن عمر الجعفي في أواخر القرن الأول الهجري بمدينة الكوفة.

مكانته العلمية: كان «ممن روى صريح النص بالإمامة من أبي عبد الله الصادق عليه السلام على ابنه أبي الحسن موسى عليه السلام من شيوخ أصحاب أبي عبد الله وخاصة وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين - رضوان الله عليهم»^(٢)، ويُعدّ من الرواة الثّقة الكبار وكانت له منزلة عظيمة عندهما عليهما السلام، كما كان ينوب عنهما في استلام الحقوق الشرعية وصرفها في مواردها، وجاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال للمفضل بن عمر: لو رأيت نزاعاً محتدماً بين اثنين من شيعتنا حول قضية مالية فاصرف عليها من مالنا الذي عندك وافصم النزاع بينهما^(٣).

- مكانته عند الأئمة عليهم السلام: جاء في مستدرك وسائل الشيعة للعلامة التوري في (المجلد ٣ ص ٥٦٤ وكذلك في كتاب الاختصاص تأليف الشيخ المفيد عليه السلام)، أنه دخل المفضل مرة على الإمام الصادق عليه السلام فلما بصر به تسم في وجهه وقال: إلي إلي يا مفضل فوربي إني لأحبك وأحب من يحبك يا مفضل لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما أختلف اثنان فقال له المفضل يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله لقد حسبت أن أكون قد نزلت فوق منزلتي، فأجابه الإمام الصادق عليه السلام بل أنزلت المنزلة التي أنزلك الله بها^(٤)، وجاء في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام يقول فيها: إنَّ المفضل هو أنيسي وصاحبني وأنا أشعر بالرّاحة عنده^(٥). أقوال العلماء والمحققين في حق المفضل رحمه الله:

قال الشيخ المفيد في إرشاده:

فممن روى صريح النص بالإمامة عن أبي عبد الله عن ابنه أبي الحسن موسى عليه السلام من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصته وبطانته وثقة الفقهاء الصالحين رحمهم الله هو المفضل بن عمر الجعفي، وعده الشيخ إبراهيم الكفعمي من البوابين ومرادهم من الباب باب الإمام في العلوم والأسرار.

وقال السيد المحقق صدر الدين العاملي من نظر في حديث المفضل المشهور عن الصادق عليه السلام علم بأن الخطاب البليغ والمعاني العجيبة والألفاظ الغريبة لا يخاطب الإمام عليه السلام بها إلا رجلاً عظيماً كثير العلم ذكي الحس أهلاً لتحمل الأسرار الرفيعة والدقائق البديعة، والرجل عندي من عظيم الشأن وجلالة القدر بمكان^(٦).

وذكر الشيخ الطوسي رحمته الله شيخ الطائفة في كتابه (الغيبة): أن المفضل من قوام الأئمة وكان محموداً عندهم محبوباً لديهم، ثم أنه كان من وكلائهم الذين مضوا على مناهجهم. كما أن الفيض بن المختار قال للإمام الصادق عليه السلام إني لأجلس في حلقات أصحابنا بالكوفة، فما أكاد أشك لاختلافهم في حديثهم حتى أرجع إلى المفضل فيقضي من ذلك على ما تستريح إليه نفسي، ويطمئن إليه قلبي، قال الإمام عليه السلام: أجل هو كما ذكرت يا فيض^(٧).

مؤلفاته ومروياته وما أملي عليه رحمته الله: نذكر منها ما يلي^(٨):

١- توحيد المفضل وهو كتاب فيه ما أملاه عليه الإمام جعفر الصادق عليه السلام ورواه عنه وفيه بحوث توحيدية وكانت شهرته بهذا الكتاب إلا أن عائدية الكتاب للإمام الصادق عليه السلام.

٢- الوصية وهو كتاب فيه مجموعة من الأخبار جمعها عن الإمام الصادق عليه السلام في شؤون المسلمين وحياتهم وطلباتهم، وأحداث المستقبل، وأسرار العالم السفلي والعلوي.

٣- اليوم والليلة وهو كتاب يذكر فيه ما رواه عن الأئمة عليهم السلام بخصوص النوافل والأدعية.

٤- علل الشرائع وهو كتاب يشرح الأحكام الشرعية، والفوائد والمنافع المترتبة عليها.

٥- الاهليجية وهو كتاب منسوب للإمام جعفر الصادق عليه السلام برواية الفضل بن عمر.

- وفاته عليه السلام توفي الفضل بن عمر عليه السلام بعد أن ناهز عمره الشريف ثمانين عاماً، ولما نعي الفضل عند الإمام الرضا عليه السلام قال: (لقد نال الفضل الروح والراحة) ^(٩).

التعريف الثالث :

كتاب توحيد الفضل سنده وسبب إملائه:

هو أحد الكتب التي جمعها الفضل بن عمر الجعفي عن الإمام الصادق عليه السلام، ذكر الكتاب من قبل فطاحل العلماء والمؤلفين منهم النجاشي ت (٤٥٠ هـ) واسماه بكتاب فكر لتكرار قول الإمام فكرياً مفضل، وذكره ابن طاووس ت (٦٦٤ هـ) في كتابه الأمان من أخطار الأسفار والأزمان وكتابته الآخر كشف المحجة، كما ذكره العلامة المجلسي الأول الشيخ محمد تقى ت (١٠٧٠ هـ) في شرحه لكتاب المشيخة، وذكره العلامة المجلسي الثاني محمد باقر بن الشيخ محمد تقى ت (١١١١ هـ) في كتابه (بحار الأنوار)، كما ذكره غيرهم من العلماء في سائر كتبهم ورسائلهم. وقد طبع مراراً وكرر طبعه تكراراً في أكثر البلدان الإسلامية، وفي الأزمنة المتتابعة المتتالية مثل طبعة مصر على الحجر وفي مطبعة الجوانب واستنبول وطهران والهند وبغداد والنجف الأشرف وغيرها، هذا عدا المخطوطات الكثيرة المحفوظة في أغلب المكتبات العامة والخاصة. كما عمد جمع من

الفضلاء وطالبي النفع العام إلى شرحه وترجمته: فمن شراحه الشيخ فخر الدين الرّكستاني المستبصر الماوراء النّهرى نزيل قم عام ١٠٦٥ هـ، كذلك المولى باقر بن المولى اسماعيل الواعظ الكجوري الطّهراني ت (١٣١٣ هـ)، وقد ذكره أخوه العلامة الشّيخ محمد في كتابه (زبدة المآثر) المطبوع في آخر كتاب (الخصائص الفاطمية) كما أنّ الشّرح كبير مرتب على ثلاثين مجلداً يقرب من عشرين ألف بيت.

ومن مترجميه الشّيخ فخر الدين المذكور أعلاه، والمولى الصّالح بن محمد باقر القزويني الرّوغني ت (١٠٨٠ هـ)، والعلامة المجلسي الثاني وهناك من نظمه بالفارسية كالشّيخ اسماعيل بن الحاج حسين التّبريزي نزيل طوس المتخلص في شعره (بتائب) بألفي بيت^(١٠). وقام بشرحه والتعليق عليه الكثير من العلماء الأفاضل منهم الدّكتور محمد الخليلي الذي قام بإثبات عقلي بأنّ صحة نسبة الكتاب إلى المفضل عن الإمام الصّادق عليه السلام وليس كما ادعى أحد النّاشرين أنّ الكتاب منسوب إلى الجاحظ، كما قام بشرح الكتاب على أربعة أجزاء، كما قام بالتعليق والتّقديم له الشّيخ الكبير كاظم المظفر، ذلك عدا من اختصره وأوضحه أو علق عليه تقريباً له إلى الأذهان وإرشاداً به للتّائهيّن وتنبهها للغافلين.

أمّا بالنسبة لصحة نسبة كتاب (توحيد المفضل) إلى الإمام الصّادق عليه السلام. قد ذكر بعض أهل التّحقيق في علم الرّجال مثل الشّيخ علي الشّاهرودي (أنّ حجية الخبر وقاطعيته متوقفة على الوثوق به، ولا يحصل الوثوق إلا بالمراجعة إلى أحوال الرّاوي، أو متن الرواية، مثل رواية توحيد المفضل، وزيارة الجامعة الكبيرة، وأمثالهما، فإنّ متن الرواية يوجب الوثوق بصدوره عن المعصوم)^(١١).

ويمكن العودة إلى صحة سند كتاب توحيد الامام الصادق عليه السلام إلى هذه المقالة المكثفة حقاً للاستاذ الدكتور (محمد كاظم رحمتي / ترجمة د. نظيرة غلاب) إذ تناول الموضوع من جوانبه أجمع ولم يبق ثغرة واحدة^(١٢). إنَّ من الأمور الواضحة التي لا شك فيها أنَّ الله تعالى إنَّما أرسل الرّسل وأنزل عليهم كتبه ليس إلا لإرشاد هذا الإنسان الجاهل إلى ما يقوم أوده ويصلح شأنه في حياته الدنيوية والأخروية لأنَّه لم يزل ولا يزال محتاجاً في كل عصر وفي كل أدوار حياته إلى مرشد عالم بما يلزم الفرد والمجتمع، وإلى مصلح عارف بما يحتاجون من الصّوريات الحيوية في عصرهم لذلك ترى كل نبي أو رسول يأتي بالمعجزة المناسبة لمدارك أهل عصره والموافقة لمعرفتهم حسب تدرج العقول والأحلام، فلا غرابة إذن إذا ما حكم العقل بأنَّ الواجب عليه تعالى من باب اللّطف أن ينصب في كل زمان رجلاً عالماً يرشد النّاس نحو واجبه ويهديهم إلى صالحهم ويكلمهم على مقدار ما يفهمون ونحن بدورنا نعتقد بأنَّ رسول الله ﷺ كان يقول وهو الصادق الأمين: أنا مدينة العلم وعلي بابها، كما قال ﷺ: إني خلف فيكم الثقلين كتاب وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، ومعنى هذا أنَّ العترة وهم علي وأبناؤه لا غيرهم قرناء القرآن وعدل كتاب الله، ولما كان الكتاب فيه تبيان كل شيء كان قرناؤه مثله، قد أحصوا كل شيء علماً ولم تخف عليهم صغيرة ولا كبيرة من المعارف والعلوم بل وكل ما يحتاج الإنسان في جميع أدواره لأنَّهم قد أخذوا العلم عن مدينة العلم ومن بابها، واستقوه من ينبوعه وورثوه عن جدهم عن جبرائيل عن الباري تعالى، ولو كان علمهم مكتسباً لما جعلهم الرّسول عدلاً للكتاب.

وسنعرض ما قاله السيد أمير علي في كتابه مختصر تاريخ العرب: «ولا يفوتنا أن نشير إلى الذي تزعم تلك الحركة العلمية، هو حفيد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام المسمى بالإمام جعفر عليه السلام والملقب بالصادق، وهو رجل رحب أفق التفكير بعيد أغوار العقل ملم كل الإمام بعلوم عصره، ويعتبر في الواقع أول مؤسس للمدارس المشهورة في الإسلام إلى غير ذلك مما لا يسع هذا المختصر بيانه والإحاطة به على أن ما ذكرناه من اتصال الثقافة اليونانية وغيرها من أواخر العصر الجاهلي إلى أيام الأمويين ثم نهضتها في أيام المنصور العباسي، ثم بلوغها الأوج في عصر المأمون ليغنيانا عن إثبات ما عرف وانتشر من العلوم الحكيمة والفلسفية في أيام الإمام عليه السلام وإذا ثبت ذلك فأبي مانع من وجود أسماء يونانية أو غير يونانية في أي كتاب يؤلف في ذلك العصر؟ وأي دليل يكون ضمينا لاستبعاد صدور مثل كتاب توحيد المفضل عن إمام عليه السلام بمجرد ذكر الأسماء اليونانية فيه؟ وبأي مقياس ترجح نسبة الكتاب إلى الجاحظ دون غيره بمحض وجوده في عصر النهضة الكاملة. هذا ما لا يدركه إلا الراسخون في البحث والتنقيب»^(١٣).

سبب إملاء الكتاب على المفضل عليه السلام:

قال المفضل: فخرجت من المسجد محزوناً مفكراً فيما يلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها، فدخلت على مولاي الصادق عليه السلام فرأني منكسراً فقال: ما لك؟

فأخبرته بما سمعت من الدهريين وبما رددت عليهما. فقال: يا مفضل لألقين عليك من حكمة الباري جلّ وعلا وتقديس اسمه في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام، وكل ذي روح من الأنعام والنبات والشجرة المثمرة، وغير ذات، هنا نرى رأي المعاندين والملحدين في الإمام

الصَّادِق عليه السلام، كذلك نرى فضل وعلمية وخلق الإمام الصادق عليه السلام حتى لدى أصعب أعدائه مراساً ومن الدهريين الذين لا يؤمنون بالخالق ويقولون هو الدهر يحينا ويميتنا.

هذا هو مجمل ما كتب حول كتاب توحيد المفضل وما دار حوله من مترجمين وشارحين ومعلقين ومقدمين له لمكانته العالية والمنزلته العلمية، وما يحويه من أسرار الخلق وأسرار بعض الأمور التي كانت لولاه نجهلها ليومنا هذا، كذلك وما يهمننا هو أثبات صحة نسبة الكتاب للإمام الصادق عليه السلام.

المبحث الثاني

اللغة لغة واصطلاحاً:

اللغة لغة: اللغة أصلها لغى، أو لغو وجمعها لغى مثل برة برئ ولغات أيضاً والنسبة إليها: لغوي ولا تقل لغوي^(١٤). اللغة اصطلاحاً يقول الإمام الصادق عليه السلام (١٤٨ هـ): «تأمل يا مفضل ما أنعم الله - تقدست أسماؤه - على الإنسان، من هذا المنطق الذي يعبر به عما في ضميره، وما يخطر بقلبه، ويتتجه فكره وبه يفهم عن غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة، التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً^(١٥). ويقول العالم الكبير ابن جنبي المتوفى (٣٩٢ هـ): اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم^(١٦). وقال الأسنوي في شرح منهاج الأصول: «اللغات عبارة عن الألفاظ الموضوعات للمعاني^(١٧)».

وأرى أنّ اللغة هي: كل ما يدركه العقل وتراه العين وتسمعه الأذن ويشمه الأنف ويتذوقه اللسان ويلمسه الجلد وينطقه الفم وما ينتج عن ذلك كلّ قيد أم لا فهو لغة.

واللغة تنقسم إلى صوت وكتابة وحركات فالصوت تختص به الأذن وجهاز النطق والكتابة والحركة تختص بها العين واليد والجلد والتذوق يختص به اللسان والشم يختص به الأنف واللمس يختص به الجلد والإدراك يختص به العقل.

إذن فاللغة هي كل ما تستشعره الحواس وما ينتجه العقل ويدركه، الآن سنستعرض الأقوال ونحللها كلاً على حدة ونرى ما فيها من دقة - ففي قول الإمام الصادق (عليه السلام) نرى أن تعريفه كان كاملاً بليغاً حين قال: المنطق الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه وينتجه فكره وبها يفهم عن غيره ما في نفسه ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم الممثلة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئاً، فيرى الإمام (عليه السلام) أن اللغة هي كل ما يصدر من الإنسان وكل ما يستلمه، سواء كانت صوتاً أم كتابة أم حركة أم غيرها فهي كل ما يستطيع الإنسان أن يعبر به عما في ضميره وقلبه وعقله.

- أما ما قاله ابن جني في اللغة نرى بأنه غير كامل إذ يقول: اللغة - أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فابن جني يقول بأن اللغة هي فقط أصوات يعبر بها كل كقوم عن أغراضهم أما قوله بأنها يعبر بها كل قوم عن أغراضهم فهو قول صحيح ولكن القول بأن اللغة هي أصوات، هذا فيه نوع من عدم التكامل وتضييق المعنى لمفهوم اللغة بالصوت فقط، في حين أن اللغة لا يحدها الصوت فقط، وهنا نورد آية من القرآن الكريم تثبت بأن اللغة ليست فقط أصوات وإنما هي كذلك رموز وغيرها، ففي سورة آل عمران الآية (٤١) ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ ففي هذه الآية قال زكريا رب اجعل لي آية فيقول سبحانه تقدس وعلا لزكريا آيتك هي أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا بالرمز فالرمز هو لغة يستدل منه ما يريد الإنسان، وكذلك عندما

نقرأ لابن مالك رحمه الله في ألفيته إذ يقول بأنّ الكلام هو اللفظ المفيد فكان الأجدر بابن جني أن يقول بأنّ الكلام هو الصّوت المفيد....
فكان تعريف ابن جني متأثراً من كونه إمّا أنّه لم يكن في زمانه قوم صم أو بكم مثلاً، أو أنّهم كانوا في زمانه لكنه لم يعرف بوجودهم أو أنّه لم يقرأ القرآن كما ذكر في الآية أعلاه، وهذه كلها افتراضات، ولكننا نقول بأننا لا نستطيع أن نحاكم القدماء بما لدينا من أدلة علمية عقلية ونقلية عن اللّغة في الوقت الحاضر وما حدث من التطور الكبير في اللّغة، ولكننا نريد أن نبين للقارئ الكريم بأنّ تعريف ابن جني للّغة غير كاف ولا واف.

- أما ما قاله الأسنوي في تعريف اللّغة نراه كذلك غير مستوفٍ التعريف إذ يقول: اللّغات: «عبارة عن الألفاظ الموضوعية للمعاني»، فالأسنوي حد اللّغة بالألفاظ فقط وليس كل الألفاظ وإنما الألفاظ الموضوعية لمعنى كما قال ابن مالك في الكلام بأنّه اللفظ المفيد، وهذا واضح للقارئ بأنّ الكلام إنّما هو جزء من اللّغة لأنّ اللّغة تحوي الكلام والكتابة واللمس والتذوق والشم وغيرها .. كما سيأتي.

- أما ما قاله الدكتور أحمد العزب حول اللّغة إذ يقول: اللّغة - أية لغة - ظاهرة إنسانية اجتماعية، نعرف بها الملامح المميزة لكل مجتمع في كل عصر من عصور التاريخ فيرى الأستاذ أحمد العزب بأنّ اللّغة ظاهرة سيكولوجية بحتة يستطيع من خلالها أن يميز الملامح لكل مجتمع نعم قد تكون اللّغة ظاهرة اجتماعية لكن علم الاجتماع لا يستطيع أن يحوي المفهوم العام للّغة، كما أنّ الصّلات والظواهر الاجتماعية هي من مهمة علم الأنثربولوجيا وهو العلم الذي يهتم بالإنسان وطبائعه ومجتمعه الخ... وبالرّغم من استحداث علم آخر هو علم اللّغة الأنثربولوجية ولكن هذا العلم لا يستطيع أن يحوي المفهوم العام للّغة، لأنّ هذا العلم ينظر للّغة

من صورة المجتمع لا غير، فاللغة عند أحمد العزب ظاهرة اجتماعية فقط، يميز بها ملامح المجتمع وهذا مما لاشك أنه غير تام لتعريف اللغة. - أما رأيي في اللغة جاء استلهاماً من الإمام الصادق عليه السلام بأن اللغة هي: كل ما يدركه العقل وتراه العين وتسمعه الأذن ويشمه الأنف ويتذوقه اللسان ويلمسه الجلد وينطقه الفم وما ينتج عن ذلك كله قيد أم لا فهو لغة.

المبحث الثالث

أصل اللغة ونشأتها :

عند حديث أغلب الباحثين عن موضوع أصل اللغة ونشأتها يقولون بأن هذا الموضوع قد أغلق لأن الوثائق والمخطوطات حوله ليست كافية، ولكنني أرى بأن العقل الإنساني يستطيع أن يفكر وأن يستنتج ما يفكره، فموضوع نشأة اللغة موضوع مهم جداً لكي نعرف جذور هذه اللغة أي لغة كانت حتى نتمكن من تفهم أصلها ونشأتها. فيقول الإمام الصادق عليه السلام حول هذا الموضوع: تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على الإنسان من هذا المنطق^(١٨)، ويقول عليه السلام: ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفطنة وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه^(١٩)، فإنه عليه السلام يقول ما أنعم الله على الإنسان أي أن اللغة هي نعمة من الله سبحانه للإنسان، وفي كلامه عليه السلام يقول بأن اللغة هي نعمة من الله والإنسان له فيها شيء من الحيلة والفطنة ولكنها كلها من عطية الله له ومن خلقه وطباعه، ويقول عليه السلام فيقال لمن ادعى ذلك أن الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة فإن الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل له في خلقه فإنه لو لم يكن له لسان مهياً للكلام وذهن يهتدي به للأمر لم يكن ليتكلم أبداً

ولو لم تكن له كف مهیئة وأصابع للكتابة لم يكن لیکتب أبداً واعتبر ذلك من البهائم التي لا کلام لها ولا كتابة فأصل ذلك فطرة الباري جلّ وعلا وما تفضل به على خلقه فمن شكر أثيب ومن كفر فإن الله غني عن العالمين، فالإمام الصادق عليه السلام يقول لو قالوا بأنّ الإنسان هو من وجد اللّغة وإن كان له من الحيلة والفتنة شيء فإنّ الذی يبلغ له ذلك من الفعل والحيلة إنّما هي عطية من الله لخلقه فلو أنّ الإنسان لو لم يكن له لسان مهياً للكلام ولو لم يكن له ذهن يهتدي به لم يكن ليتكلم أبداً وهنا إشارة واضحة بأنّ أصل اللّغة هو العقل والعضو سواء كان عضو الكلام أو السمع أو الشم أو الذوق أو اللمس، ويشير كذلك عليه السلام أنّ الإنسان لم تكن لديه كف وأصابع مهیئة للكتابة لم يكن لیکتب أبداً، واعتبر من البهائم التي لا کلام لها ولا كتابة، وإنّما أصل ذلك كله فطرة الباري جلّ وعلا وما له من الأفضال على خلقه ليرى من يشكر ويمجد، فأما كونها إلهامية لأنّ الله سبحانه خلق الإنسان كاملاً مكملًا كما يقول: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (سورة التين (آية ٤)) فسبحانه خلق الإنسان وخلق له كل ما يحتاجه إلى اللّغة ولم يعلمه اللّغة وغيرها .. فخلق له جهاز النطق وجهاز السمع الخ.. وأهمه كيف يستخدم هذه الأعضاء والأجهزة، فإلهام الإنسان كيفية عمل الأجهزة والأعضاء لإنتاج اللّغة هو هبة ونعمة من الله للإنسان حتى يستطيع أن يتواصل مع غيره، هذا في المقام الأول، أمّا في المقام الثاني فإنّ الله عليه السلام يقول: الكلام إنّما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجري بينهم^(٢٠). ويقول عليه السلام (الكتابة في الأمم إنّما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام)^(٢١)، فإنّ الله عليه السلام يرى أنّ الكلام والكتابة وكلاهما من اللّغة وإنّما اصطلح الناس عليها فيما بينهم، «أما سبب وضع اللّغة: فهو أنّ المعنى الكلّي إذا تكون في نفس الإنسان وأدرك أنّه يشمل أفراداً كثيرة مختلفة ولكنها من نوع واحد أو

جنس واحد، احتاج إلى خطوة أخرى للاستفادة من ذلك المعنى لأنّه لا يستطيع غالباً إحضاره عند الحاجة لذلك رأى أنّ يجعل له اسماً خاصاً يطلقه عليه ليعرفه به، ولا يحتاج إلى التّوقف في كل مرة ليسأل نفسه عن صفاته الدّاتية ومميزاته من غيره، بل إنّ إطلاق هذا الاسم الموضوع لهذا الشّيء أو هذا المعنى هو الذي يحفظه له من الضّياع ويسهل له استذكاره في أي وقت أراده، هذا مضافاً إلى أنّ الأفكار العامة قد توجز بوضع الاسم لها إيجازاً صريحاً مفهوماً^(٢٢).

أما كونها اصطلاحية لأنَّ الإنسان لم يبق هذه الأدوات التي وهبها الله له جامدة معطلة، كجهاز السَّمع والبصر والنَّطق، وإنما استخدمها واستطاع أن ينتج منها ما يريد، فاصطلح الإنسان على بعض المعايير اللُّغوية البسيطة التي في كل زمان وعصر تتطور المعايير اللُّغوية وتصبح أكبر وأكثر إلى أن أصبحت اللُّغة في أتم أوجهها من المعايير التي يستطيع كل إنسان في أي منطقة من العالم أن يتواصل مع غيره سواء عن طريق لغته أم غيرها، فالاصطلاح جاء من قبل الإنسان ولكن هذا الاصطلاح لم ولن يتم إلا بجهة من الخالق سبحانه فالإنسان كيف يستطيع أن يصطلح وأن يتواصل مع غيره دون أن يمتلك جهاز نطق وسمع وبصر وعقل، فالإلهام والاصطلاح أحدهما يتم الآخر.

وخلاصة القول في نشأة اللّغة بأن اللّغة إنما هي: (إلهامية - اصطلاحية).
فأرى بأن آدم عليه السلام لم يتعلم اللّغة من الله سبحانه وإنما تعلم الغريزة الموجودة في جسده من الأعضاء وأعمالها وكيفية استعمالها والإفادة منها في إنتاج اللّغة لأنّه يمتلك العقل الذّي به سيّثب الله وبه سيعاقب، ولأنّه لو تعلم اللّغة لكانت هذه اللّغة لغة إلهية مقدسة وما كان هناك اختلاف فيها وما تعددت وما اختلفت الألسن فيها لأنّها لغة إلهية وهذا محال لأننا لو قلنا لله لغة لحديناه سبحانه وهذا لا يصح بتاتاً.

المبحث الرابع

مكونات اللغة وفائدتها:

إنَّ اللغةَ مما سبق تتكون من عدة مكونات كما يقول الإمام الصادق (عليه السلام) إنها تتكون من:

١ - عقل (للانتاج والتفسير).

٢ - عضو أو حاسة (للتصدير والاستلام).

٣ - وسط ناقل بين الأعضاء والمحسوسات. (للايصال).

فيقول (عليه السلام): فإنه لو لم يكن له لسان مهياً للكلام وذهن يهتدي به للأمر لم يكن ليتكلم أبداً ولو لم تكن له كف مهية وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً، ويقول فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع، كان الرأس أسنى المواضع للحواس وهو بمنزلة الصّومعة لها فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم تكن فيها منفعة وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها أرب وكذلك سائر الحواس ثم هذا يرجع متكافياً فلو كان بصر ولم تكن الألوان لما كان للبصر معنى ولو كان سمع ولم تكن أصوات لم يكن للسمع موضع^(٢٣) ويقول (عليه السلام) وهو يخاطب الفضل بن عمر ويقول له: انظر كيف قدر سبحانه الحواس فجعل بعضها يلقي بعضاً فجعل لكل واحدة منها محسوساً يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه ووسط ينقله^(٢٤). فتوضيحاً لما مرّ أعلاه سأورد لكل مكون لغوي مثلاً واحداً كي يتسنى للقارئ أن يستوضح الأمر.

١ - جهاز النطق والسمع مثالهما الكلام الطّبيعي الذي يحدث بين أي شخصين، والسمع هو الناتج عن عملية الكلام وينتج الكلام عن طريق الفم ويُسمع عن طريق الأذن ووسطه الناقل الهواء وغيره.

- ٢- جهاززي البصر والكتابة مثالها الكتابة والقراءة فالقراءة تحدث بالعين والكتابة تحدث باليد والوسط الناقل هو الضوء.
- ٣- جهاز اللمس ومثاله لمس الأسطح المختلفة الناعمة والخشنة والاستدلال على ذلك من خلال الجلد والوسط الناقل الخلايا الحسية الموجودة في الجلد.
- ٤- جهاز الشم ومثاله شم جميع أنواع الروائح الزيتية والطيارة وغيرها كثير من الجيد والقيح وتحدث عن طريق الأنف ووسطه الناقل الهواء.
- ٥- جهاز الإدراك ومثاله المعلومات والإيعازات التي تصدر من العقل وتدخل إليه فعملية الكتابة تحتاج إيعاز إلى اليد بذلك، وكذلك القراءة فإنها تدخل المعلومات للعقل ويفسرها ويدركها إدراكاً كاملاً ويتعامل معها الإنسان حسب ما يدركه، ووسطه الناقل الأعصاب والخلايا العصبية. وكل الأجهزة والحواس إنما تنقل المعلومات الواردة للعقل عن طريق الأعصاب والخلايا العصبية وهذا واضح وجلي.

- فائدة اللغة:

يقول الامام الصادق عليه السلام: إِنَّ لِللَّغَةِ فائدة كبيرة جدا فاللغة هي التّواصل وهي الحياة وهي التي تسير بها كل الأمور الحياتية والتّعاملات وغيرها فيقول عليه السلام: إنّها يعبر بها عما في ضميره وما يخطر بقلبه وينتجه فكره وبه يفهم عن غيره ما في نفسه ولولا ذلك كان بمنزله البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئاً وكذلك الكتابة التي بها تقيّد أخبار الماضين للباقيين وأخبار الباقيين للآتين وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ولولاها لا نقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم ودرست العلوم وضاعت الآداب وعظم ما

يدخل على النَّاس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم وما روي لهم مما لا يسعهم جهله^(٢٥).

ففوائد اللّغة هي:

١ - يعبر بها الانسان عما في ضميره وما يخطر بقلبه ويتجّه فكره وبه يفهم عن غيره ما في نفسه.

٢ - تقيدها أخبار الماضي للباقيين عن طريق كتب السّير والتواريخ والحوادث.

٣ - بها تحلّد الكتب في العلوم والآداب وغيرها وتبقى للأجيال بواسطة الكتابة والكتب.

٤ - يحفظ بها الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب عن طريق الأوراق الشّرعية أو الرّسمية أو التّجارية أو دفاتر الدّيون مما عليه وما له من المعاملات....

٥ - لولاها لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم.

٦ - لولاها لدرست العلوم وضاعت الآداب بذهاب أربابها الذين كانوا يحملونها في الصّدر.

٧ - لولاها لعظم ما يدخل على النَّاس من الخلل في:

أ- أمورهم التي تجب أن تبقى وتحفظ ولا تنسى كمعاملات الشّراء أو القروض والشّراكات.

ب- في معاملاتهم السّياسية وغيرها.

ج- ما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم وما روي لهم مما لا يسعهم جهله، لولاها لبقى النَّاس جاهلين لأموال دينهم غير عارفين بأوامره السّماوية ونواهيها، إذ بدون اللّغة لم تدون الأحكام والأحاديث والأخبار، ولم تصل إلينا نوااميس الدّين والمذهب.

المبحث الخامس

الأعضاء والحواس والوسائط الناقلة:

الأعضاء والحواس:

هما من مكونات اللغة الأساسية كما تبين مسبقاً، وفي هذا الفصل سنقوم بتفصيل الأعضاء والحواس، معتمدين على قول الإمام الصادق (عليه السلام) في هذا الموضوع مبينين ما قاله حول موضوع الأعضاء والحواس. ففي قوله (عليه السلام): (أطل الفكر يا مفضل في الصوت^(٢٦) والكلام وتبيئة آلاته في الإنسان فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم ألا ترى أن من سقطت أسنانه لم يقم السين ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم فالحنجرة تشبه قصبة المزمار والرئة تشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح والعصلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزمار والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ صغيره ألحاناً غير أنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالآلة والتعريف فإن المزمار في الحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت^(٢٧) أي نوع من البلاغة الساحرة في هذا الكلام وأي نظرة متعالية الدقة والتشريح لجهاز الكلام والنطق فيصوره (عليه السلام) تصويراً دقيقاً ويقربه لجميع الأذهان حين يصفه كأنه المزمار الكبير، فيقول بأن الرئة هي المصدر الرئيس للكلام ويصفها بأنها تشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح لأن منها يأتي الهواء المرسل إلى الحنجرة ويصفها كالأنبوبة فخرج الصوت الذي فيها يتم بعملية الضغط على الأوتار الصوتية وتنغم هذه الأوتار المقاطع لتكون الحروف بعد ذلك يرسل النغم إلى الفم ويتم التعامل مع النغم حسب

الحاجة إلى اللَّفظ فمثلاً حرفي الباء والميم تتعامل الشِّفتين معها وهكذا. شبه عليه هذه الأعضاء الصَّوتية الكلامية تقريباً للذهن بالمزمار المعروف وهو عبارة عن قصبه مستطيلة ذات ثقب من جوانبها تنتهي من أسفلها بزق ينتفخ بنفخات الزَّامر وإذا ضغط هذا الزَّامر على الزَّق خرق الرِّيح إلى القصبه فيحصل بذلك ترجيع واهتزاز بواسطة اختلاف وضع أصابع العزف على تلك الثُّقوب المتفرقة في جوانب القصبه كما أنَّه يزداد ذلك الإهتزاز بتحريك أصابع الزَّامر على فم المزمار فتحدث من مجموع ذلك أنغام موسيقية منتظمة، فالحنجرة شبهها بالقصبه لطولها وتجويفها، والرَّئة بالزَّق المنفوخ حينما تنتفخ بهواء الشَّهيق والزَّفير وشبه العضلات التي في أطراف الرَّئة والتي يحصل بها القبض والبسط بالمنفاخ وهذا هو مصدر الصَّوت كما يعرفه عليه بأنَّه أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء^(٢٨).

وشبه الرَّئة بالأصابع من العازف الَّذي يضغط على الزَّق لإخراج ربحه، وهكذا شبه الشِّفتين والاسنان التي تقطع الصَّوت الانساني لتصوغه حروفاً وأنغاماً بأصابع الزَّامر من اليد الأخرى التي تلعب على فم المزمار لتجعل الرِّيح الخارج من فمه صغيراً وألحاناً. ثم لما كان عرف المنطق يقتضي أن يكون المشبه به أجلى وأعرف من المشبه، وههنا كان التَّشبيه بالعكس، فقد نبه الإمام عليه إلى ذلك بقوله غير أنَّه وإن كان مخرج الصَّوت يشبه المزمار بالدَّلالة والتَّعريف فإنَّ المزمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصَّوت إلخ فتأمل يا مفضل وفكر وأطل الفكر واعتبر بالصَّوت والكلام ومعرفة آلاته وأحكامها واتقانها وبداعة صنعها^(٢٩).

ويقول عليه في لسان المزمار أو لسان الموت والمنفذين اللذين هو عليهما من منفذ للهواء ومنفذ للطَّعام من جعل في الحلق منفذين أحدهما لمخرج الصَّوت وهو الحلقوم المتصل بالرَّئة والآخر منفذاً للغذاء وهو المريء

المتصل بالمعدة الموصل الغذاء إليها وجعل على الحلقوم طبقاً يمنع الطّعام أن يصل إلى الرّئة فيقتل^(٣٠).

وهنا يذكر الإمام عليه السلام فوائد الأعضاء إذ يقول : قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة الحروف وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أخرى فالخنجرة ليسلك فيها هذا النّسيم إلى الرّئة فتروح على الفؤاد بالنّفس الدّائم المتتابع الذي لو حبس شيئاً يسيراً هلك الإنسان وباللسان تذاق الطّعموم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها حلوها من مرها وحامضها من مرها ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك معونة على إساعة الطّعام والشراب والأسنان لمضغ الطّعام حتى يلين وتسهل إساعته وهي مع ذلك كالسّند للشّفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم واعتبر ذلك فإنّك ترى من سقطت أسنانه مسترخي الشّفة ومضطربها وبالشّفتين يترشف الشراب حتى يكون الذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقدر لا يشجّ ثجا فيغص به الشّارب أو ينكأ في الجوف ثم همى بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحهما الإنسان إذا شاء ويطبّقهما إذا شاء وفيما وصفنا من هذا بيان أنّ كل واحد من هذه الأعضاء يتصرف وينقسم إلى وجوه من المنافع كما تتصرف الأداة الواحدة في أعمال شتى وذلك كالفأس تستعمل في النّجارة والحفر وغيرهما من الأعمال^(٣١).

أي أن هنالك أعمال أخرى للأعضاء غير عملها الرّئيس فمثلاً الشّفاين تعمل عملين الأول ترتب نغم الحرف الخارج من الفم والثاني ترتشف السّوائل بشكل منتظم حتى لا يتأذى الفم من شدة حرارة السّائل أو برودته.

- فوائد الأعضاء ومآربها الأخرى:

١ - صنعة الكلام.

٢ - إقامة الحروف.

٣- الحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرئة فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذي لو حبس شيئاً يسيراً هلك الإنسان.

٤ - باللسان تذاق الطعم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها حلوها من مرها وحامضها من مرها ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها.

٥ - وفيه مع ذلك معونة على إساعة الطعام والشراب والأسنان المضغ الطعام حتى يلين وتسهل إساعته في الفم.

٦ - وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل بالشفتين يترشف الشراب حتى يكون الذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقد لا يتج ثجا فيغص به الشارب أو ينكأ في الجوف ثم همى بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحها الإنسان إذا شاء.

ويذكر الله في كلامه أدناه المسيطر على الحواس والأعضاء كلها وهو العقل الذي هو في الرأس إذ يقول: (فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواس وهو بمنزلة الصومعة لها فجعل الحواس خمسا تلقى خمسا لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات) (٣٢).

فقدان الأعضاء وما ينال الإنسان منه:

يقول الله في هذا الموضوع فكراً مفضل في من عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في أموره فإنه لا يعرف موضع قدميه ولا يبصر ما بين يديه فلا يفرق بين الألوان وبين المنظر الحسن والقبيح ولا يرى حفرة إن هجم عليها ولا عدوا إن أهوى إليه بسيف ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة حتى أنه لو نفذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى، وكذلك من عدم السمع يختل في أمور كثيرة فإنه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ويعدم لذة الأصوات واللحون المشجية والمطربة وتعظم المؤونة على الناس في محاورته حتى يتبرموا به ولا



يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم حتى يكون كالغائب وهو شاهد أو كالميت وهو حيّ، فأما من عدم العقل فإنه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيراً مما تهدي إليه البهائم أفلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل وسائر الخلال التي بها صلاح الإنسان والتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل يوافي خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئاً منها فلم كان كذلك إلا أنه خلق بعلم وتقدير، قال المفضل فقلت فلم صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله من ذلك مثل ما وصفته يا مولاي قال ﷺ ذلك للتأديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه كما يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رأيهم ويتصوب من تدبيرهم ثم إن للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت إن شكروا وأنابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها حتى أنهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يردوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب^(٣٣).

- فوائد فقد الأعضاء:

- ١ - للتأديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره.
- ٢ - الثواب الكبير الذي يناله الفاقد أو الذي نزلت به هذه البلايا إن شكروا وأنابوا.

النعمة على الإنسان في الحفظ والنسيان:

يقول ﷺ في هذا الجانب فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان فإنه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة ولا انقضت له حسرة ولا مات له حقد ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات ولا رجاء غفلة من سلطان ولا فترة من حاسد أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل له

في كل منهما ضرباً من المصلحة وما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجتمع على ما فيه الصّلاح والمنفعة^(٣٤).

ومن نعم الخالق على الإنسان هي نعمة الحفظ ونعمة النسيان وتلخص قوله ﷺ في فوائد للحفظ والنسيان وهي:

أما فوائد الحفظ فهي عكس فوائد النسيان بالطّبع العملية تكون عكسية وهذا كما جاء في قوله ﷺ الآتي: تأمل يا مفضل هذه القوى التي في النفس وموقعها من الإنسان أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك أفرأيت لو نقص الإنسان من هذه الخلال كالحفظ وحده كيف كانت تكون حاله وكم من خلل كان يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجاربه إذا لم يحفظ ما له وما عليه وما أخذه وما أعطى وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من أحسن إليه ممن أساء به وما نفعه مما ضره ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره ولا يعتقد ديناً ولا ينتفع بتجربة ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الإنسانية^(٣٥).

ومن الفوائد التي في الاعضاء ومن روائع خلق الله سبحانه قوله ﷺ: «لم صار داخل الأذن ملتويًا كهيأة اللّولب إلا ليترد فيه الصّوت حتى ينتهي إلى السّمع، وليكسر حمة الرّيح فلا ينكي في السّمع»^(٣٦).

فهنا نبّه ﷺ كيف خلق الله سبحانه داخل الاذن ملتويًا مثل اللّولب حتى يترد فيه الصّوت ويقلل الصّوت العالي وحتى لا يكون للريح تأثير على جهاز السّمع وعلى السّمع.

الوسائط الناقلة:

وسط الشيء ما بين طرفيه وهو منه^(٣٧) الوسائط الناقلة هي التي تكون بين طرفين معينين لتنتقل المعلومات أو غيرها بين هذين الطرفين وتكون منهما، فمثلاً الصوت يصدر من جهاز النطق لدى الإنسان وينتقل بالهواء حتى يصل إلى أذن الإنسان الآخر، فالهواء وسط ناقل للموجات الصوتية كذلك الضوء فهو ينقل للعين الألوان ومواقع الأشياء حتى تتمكن العين من مشاهدتها فلو كان الوسط مظلماً جداً لا تستطيع العين مشاهدة أي شيء لأنّ الضياء هو الوسط الناقل للألوان وحدود الأشياء.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام فانظر كيف قدر بعضها يلقي بعضاً فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا تتم الحواس إلا بها كمثال الضياء والهواء فإنه لو لم يكن ضياءً يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ولو لم يكن هواءً يؤدي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت فهل يخفي على من صح نظره وأعمل فكره إنّ مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقي بعضاً وتهيئة أشياء آخر بما تتم الحواس لا يكون إلا بعمل وتقدير من لطيف خبير^(٣٨). فالوسائط هي متعددة منها الضوء والهواء والمعادن وبعض السوائل وغيرها فالضياء ينقل الألوان وحدود الأشياء للعين والهواء يقوم بنقل الصوت إلى الأذن، وكذلك المعادن كما في سلك الهاتف أو الذبذبات الراديوية الناقلة.

- فوائد الهواء والسبب في كثرته:

وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الأنام من الدخان والبخار الذي يتحير فيه ويعجز عما يحول إلى السحاب وأولا أولا فقد تقدم من صفته ما فيه كفاية^(٣٩).

ويقول عليه السلام: أنبهك يا مفضل على الريح وما فيها ألت ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد أن يأتي على النفوس ويمرض الأصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويعفن البقول ويعقب الوباء في الأبدان والآفة في الغلات ففي هذا بيان أن هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق^(٤٠).

ويقول عليه السلام: أنبؤك عن الهواء بخلة أخرى فإن الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء والهواء يؤديه إلى المسامع والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه فكان يكرههم ويفدحهم وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به إلى أكثر مما يحتاج إليه في تجديد القرطاس لأن ما يلفظ من الكلام أكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيا يحمل الكلام ريشا يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحي فيعود جديدا نقيا ويحمل ما حمل أبدا بلا انقطاع وحسبك بهذا التيسيم المسمى هواء عبدة وما فيه من المصالح فإنه حياة هذه الأبدان والممسك لها من داخل بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه وفيه تطرد هذه الأصوات فيؤدي البعد البعيد وهو الحامل لهذه الأرواح ينقلها من موضع إلى موضع ألا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه ومنه هذه الريح الهابة فالريح تروح عن الأجسام

وتزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعم نفعه حتى يستكشف فيمطر
وتفضضه حتى يستخف فيتفشى وتلقح الشجر وتسير السفن وترخي
الأطعمة وتبرد الماء وتشب النار وتجفف الأشياء الندية وبالجملة إنها تحيي
كل ما في الأرض فلولا الريح لذوي النبات ولمت الحيوان وحمّت الأشياء
وفسدت^(٤١).

وهذا المبحث ننهي بحثنا المتواضع آمليين أن يكون على قدر من
الإنجاز لجلالة الإمام الصادق عليه السلام ولما حملنا من مسؤولية نيل شرف حمل
اسمه عليه السلام وأرجو أن أكون قد أهديت الإمام الصادق عليه السلام شيئاً يشفع لي به
يوم التلاق، راجياً من الله وداعيه أن يحفظ جميع العلماء والمراجع العظام،
و(لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة آية (٢٨٦)).

نتائج البحث:

- ١- الوقوف على أقوال الإمام الصادق عليه السلام في اللغة وهي اقدم من أقوال علماء علم اللغة.
 - ٢- اثبات صحة نسبة الكتاب إلى الإمام الصادق عليه السلام دون غيره بمساندة الدكتور محمد الخليلي في آرائه.
 - ٣- الوقوف على نشأة وأصل اللغة وتطورها حسب أقوال الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصدد.
 - ٤- الوقوف على المكونات اللغوية والوسائط الناقلة للغة حسب قول الإمام الصادق عليه السلام.
 - ٥ - الوقوف على فائدة اللغة وما ينطوي تحتها من فوائد جمّة حسب أقوال الإمام الصادق عليه السلام.
 - ٦- الوقوف على اختلاف الالسن واللغات واختلاف الكتابة حسب قول الإمام الصادق عليه السلام.
 - ٧- الوقوف على تعريف عام شامل للغة من قبل الإمام الصادق عليه السلام.
- أما سبب البحث الذي استنهضني فهو الرجوع المستمر والمتكرر والكثير إلى الغرب في جميع الأمور علماً بأننا نمتلك التراث العلمي الزاخر والوافر ولكننا نتجاهل الوقوف والإطلاع على تاريخنا الذي أفاد منه غيرنا ونحن جالسون نستمع إليهم.

الهوامش

- ١ - ينظر الاميني محمد أمين الإمام جعفر الصادق رمز الحضارة الإسلامية، مؤسسة التاريخ العربي، ط ١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢، ص ١١-١٢. كذلك ينظر: الهندي حسين الموسوي، الكلم الطيب في الأصول والفروع ايران ٢٠٢٢، سيرة الإمام الصادق s.
- ٢ - الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ - الصفحة ٢١٦.
- ٣ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٢٠٩.
- ٤ - الاختصاص - الشيخ المفيد - الصفحة ٢١٦.
- ٥ - ينظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق - ج ٢ - الصفحة ٤١.
- ٦ - ينظر: معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي، ج ١٩ / رقم الترجمة ١٢٦١٥، وموسوعة طبقات الفقهاء، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ج ٢ / ٥٦٦.
- ٧ - اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي - ج ١ - الصفحة ٣٤٧.
- ٨ - ذكرت مؤلفاته ومروياته في ترجمته في كتاب الإهليجية، الامام جعفر الصادق عليه السلام، برواية الفضل بن عمر، شرح وتعليق العلامة المجلسي، تح: الشيخ قيس العطار، منشورات دليل ما، ط ١، مكتبة العلامة المجلسي، ايران، قم ١٣٢٧هـ.
- ٩ - الخليلي، محمد، شرح كتاب توحيد الفضل العراق د.ت، ج ١، ص ١٥-١٦.
- ١٠ - ينظر الخليلي، محمد، شرح كتاب توحيد الفضل العراق، د.ت، ج ١، ص ٣ ص ٦، كذلك ينظر: رجال أبي علي ط ١ ايران، ص ٣٠٨، كذلك العلامة التوري، مستدرک الوسائل، دار الخلافة إيران طهران، مج ٣، ص ٥٦٢. وينظر المامقاني، تنقيح المقال، ط المرتضوية العراق النجف، د.ت، ج ٣، ص ٢٣٨. ينظر: الكشي، معرفة أحوال الرجال، ط المصطفوية، بمبي، ص ٢١١.
- ١١ - مستدرکات علم رجال الحديث ١: ٧.
- ١٢ - ينظر: المفصل - بن - عمر - وكتاب - التوحيد - المنسوب <https://nosos.net>.
- ١٣ - ينظر: أمير على مختصر تاريخ العرب الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٢١م، ص ١٢٥.
- ١٤ - محمد محيي الدين محمد السبكي، المختار من صحاح اللغة، دار الاستقامة، مصر، القاهرة، طه، د.ت باب لغاء ص: ٤٧٥، كذلك ينظر محمد بن ابي بكر الرازي مختار الصحاح، باب لغا.
- ١٥ - الإمام الصادق ع التوحيد الفضل المكتبة الحيدرية، النجف ط ٣، ١٩٦٩، ص ٧٩.
- ١٦ - ابن جني الخصائص، ج ١، ص ٣١ وانظر: (المزهر) للسيوطي، ج ١، ص ١، ص ١٦ وانظر: المعجم المحيط مجمع اللغة العربية، دار الدعوة استانبول - تركيا، ١٩٨٩، باب (لغا)، ج ٢، ص ٨٣١.

١٧- عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ص ٧.

١٨- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل، المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٨٠-٧٩

١٩- م. ن، ص: ٨٠.

٢٠- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٨٠

٢١- م. ن نفس الصفحة.

٢٢- الخليلي، محمد، شرح كتاب توحيد المفضل، د. ت. العراق، ج ١، ص ٢٥٧

٢٣- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٥٩

٢٤- م. ن نفس الصفحة.

٢٥- الإمام الصادق عليه السلام، توحيد المفضل، المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٢٥٤ - ٢٥٣

٢٦- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٦٣-٦٢

٢٧- الخليلي محمد شرح كتاب توحيد المفضل العراق، د. ت. ج ١، ص ١٦٣-١٦٢

٢٨- الخليلي محمد شرح كتاب توحيد المفضل العراق، د. ت. ج ١، ص ١٦٣-١٦٢

٢٩- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٦٦-٦٥

٣٠- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٦٤-٦٣

٣١- م. ن: ص ٥٩.

٣٢- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٥٩

٣٣- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٦١-٦٠

٣٤- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٧٨

٣٥- م. ن: ص ٧٨-٧٧

٣٦- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٧٨

٣٧- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٦٧

٣٨- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط دار الدعوة، تركيا، استانبول، ١٩٨٩، ج ٢، باب وسط، ص: ١٠٣١

٣٩- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٦٠-٥٩

٤٠- م. ن: ص ١٤٦-١٤٧

٤١- الإمام الصادق عليه السلام توحيد المفضل المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩، ص ١٤٠

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

المؤلفات:

- * جعفر السبحاني، موسوعة طبقات الفقهاء، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إيران، قم، ١٤١٨هـ.
- * ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط دار الدعوة، تركيا، استانبول، ١٩٨٩م.
- * ابن جني الخصائص، دار الكتب العلمية الطبعة: الثالثة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- * أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، مؤسسة الخوئي الاسلامية، ط ٥، ١٩٩٢.
- * الإمام جعفر الصادق عليه السلام التوحيد الفضل، المكتبة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٩.
- * الامام جعفر الصادق عليه السلام، الإلهيكية، برواية الفضل بن عمر، شرح وتعليق العلامة المجلسي، تح: الشيخ قيس العطار، منشورات دليل ما، ١ ط، مكتبة العلامة المجلسي، إيران، قم ١٣٢٧هـ.
- * أمير علي مختصر تاريخ العرب الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٢١م.
- * محمد أمين الأميني، الإمام جعفر الصادق رمز الحضارة الاسلامية، مؤسسة التاريخ العربي ط، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤ عبد الرحمن أيوب، تحليل عملية التكلم وبعض نتائجه التطبيقية مجلة عالم الفكر، الكويت مجلد ٢٠، عدد ٣، ١٩٨٩م.
- * جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- * حسين الموسوي الهندي الكلم الطب في الأصول والفروع، إيران ٢٠٢٢، سيرة الإمام الصادق عليه السلام.
- * حمد بن علي الاسترابادي رجال أبي علي، إيران طبعة ملا باقر الخوكناري سنة ١٨٨٥ م، ١٣٠٢ هـ.
- * الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام - تح: الشيخ حسين الأعلمي، د. ط، ١٩٨٤.
- * الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال - تح: مير داماد الاسترابادي، السيد مهدي الرجائي، د. ط، ١٤٠٤ هـ.
- * الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣ هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث دار المفيد، قم، ط ١، ١٤١٣ هـ.
- * الشيخ المفيد الاختصاص تح: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، ط ٢، ١٩٩٣.

* العلامة حسن النوري، مستدرك الوسائل، دار الخلافة إيران طهران، ١٣٢١ هـ.

* محمد بن عمر الكشي معرفة أحوال الرجال، ط المصطفوية، بمبي نشر دانشگاه مشهد ١٤٠٩ هـ.

* محمد أحمد العزب عن اللغة والأدب والنقد، المركز العربي للثقافة والفنون، بيروت، لبنان.

* محمد الخليلي، شرح كتاب توحيد المفضل، العراق، د.ت.

* محمد باقر المجلسي +، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط، المصححة، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

* محمد بن أبي بكر الرازي مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ

محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م

* محمد رضا المامقاني، تنقيح المقال، ط المرتضوية، العراق، النجف، د.ت.

* محمد محي الدين محمد السبكي، المختار من صحاح اللغة، دار الاستقامة، مصر، القاهرة طه، د.ت. المعجم المحيط مجمع اللغة العربية، دار الدعوة استانبول - تركيا، ١٩٨٩.

* ١- المواقع الإلكترونية
10665https:/// الشاملة.ws/book

* ٢- المفضل بن عمر وكتاب التوحيد المنسوب / https://nosos.net



الإمام الصادق عليه السلام في مرآة الآثار والفنون الإسلامية

أ.د. عبد الحميد عبد السلام أبو عليو

نائب مدير مُتحف عواصم مصر - العاصمة الإدارية الجديدة - مصر

الإمام الصادق عليه السلام في مرآة الآثار والفنون الإسلامية

تتناول هذه الورقة البحثية دراسة مستقلة لمكانة ومنزلة الإمام الصادق من منظور الآثار الإسلامية الباقية والمتمثلة في رؤية الفنون الإسلامية لهذه الشخصية ذات الآرث والخلفية الدينية والمكانة العالية في النفوس، وحتى تكتمل الصورة، فمن المعروف أن قضية دراسة الفنون الإسلامية في إطار ثقافة العصر الذي تنتمي إليه قضية مهمة، ومن هذا المنطلق تركز هذه الورقة البحثية على هذا التوجه الذي يفسر الفنون الإسلامية في إطار ثقافة العصر الذي أنتجت فيه، والأفكار المرتبطة به، والمتأمل للفن الإسلامي يلحظ أنه فن يختلف بشكل كبير عن كثير من الفنون الأخرى في الحضارات السابقة له، وأنه مرآة صادقة ناقلة لواقع الحياة المجتمعية بكل ما فيها من جوانب ثقافية وحضارية، وأن هذه الجوانب لا تزال تحتاج إلى الكثير من الجهد المضني لإبراز وإظهار تلك الحقائق المتعلقة بها. ومن تلك الجوانب التي تناولتها الفنون الإسلامية نماذج من التحف والقطع الأثرية التي اشتملت على أنماط ثقافية من حياة الإمام الصادق كان لها واقع مؤثر في حياة الفرد والمجتمع، تمثلت فيما ورد عنه من أدعية مباركة، أو من حرزه الشريف، أو ذكر اسمه على شواهد قبور

مصوره تيمناً وتباركاً به، أو ذكره الشريف ضمن الأئمة الاثنى عشرية ضمن قطع مستقلة كانت ترافق المسلمين في حياتهم واستخدموها كنوع من الحلي، أو أثناء خوض المعارك الحربية، أو تلك التي تشتمل على منتجات خاصة بالأطفال إما للتيمن بشخصه الشريف، أو للحماية ودرء المخاطر عن هؤلاء الأطفال، وختاماً ورود اسمه الشريف على نوعيه من المصاحف الشريفة عرفت بمصاحف الرول أو المصاحف المطوية ورد بها ذكر حجابيه الشريف.

وربما يكون من الغريب وجود قطع أثرية تمثل طوابع أو أختام اشتملت على اسمه الطاهر الشريف، وأخرى كانت تعلق في المنازل والمنشأ، ومنها ما جاء على هيئة كف اليد التي تدرء الأذى والحسد والمخاطر عمن يحملها.

جاءت هذه القطع الأثرية من بلدان مختلفة أهمها العراق وإيران ومصر، وعلى مواد فنية متعددة سواء من الفخار، أو من المعادن كالذهب والفضة والنحاس، أو من الحجر، لذا كان من الأهمية بمكان تناول هذا الموضوع المهم بدراسة مستقلة تكون مرآة صادقة عاكسة وناقلة للجوانب الثقافية في حياة المسلمين، وإبراز مدى حبهم والمكانة التي نالها ﷺ في قلوبهم وأثرها في حياة الفرد والمجتمع بشئ من التفصيل، وسيتم تناول هذا الموضوع من خلال دراسة وصفية لتلك المنتجات الفنية الإسلامية، وأخرى تحليلية تتناول تفسيراً علمياً لهذه التحف، ويمكن تناول ذلك على النحو التالي:



الدراسة الوصفية:

لوحة رقم (١)

التحفة: - طابع^٢.

المادة الخام: - النحاس.

طرق الصناعة والزخرفة: - الطرق - الحفر الغائر - الحز.

المقاييس: - الطول ٨, ١١ سم، العرض ٨, ٧ سم.

مكان الحفظ: - متحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

رقم السجل: - ١٥٣٧٥^٣.

التأريخ: - العصر الفاطمي القرن (٥ هـ / ١١ م).

مكان الصنع: - مصر.

حالة التحفة: - مرمم.

الوصف: -

طابع من النحاس مستطيل الشكل عليه كتابات كوفية^٤ معكوسة
لآيات قرآنية وعبارات وأسماء شيعية، جاءت الزخارف به على الوجه
شكل محراب له عموداي ذوا بدن مستطيل وقاعدة وتاج على هيئة مشكاه
يحملان بدورهما شكل عقد مدبب يحصر أسفله وحتى قاعدة العمودين
كتابات في ستة عشر سطراً، من بينها التوسل بالإمام جعفر الصادق وذلك
في السطر الخامس، بالإضافة لوجود الآية القرآنية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^٥.

٥ - السطر الخامس: «وجعفر بن محمد».

ويُحيط بالقطعة إطار به زخرفة تشبه المثلثات المتتالية وبداخل هذه
المثلثات خطوط والتي نجدها عند رسم العمودين على اليمين واليسار،

وكذلك على الحافة الخارجية للطابع، ولو دققنا النظر في هذه الزخرفة لوجدناها تمثل لفظ الجلالة (الله). لوحة رقم (١ / ب).

الغرض من الصناعة (البُعد الوظيفي): - طابع حجاب.

يعد هذا الطابع بما عليه من كتابات من الأحجبة الشيعية التي بها تقضى الحوائج، وتمنع الفقر، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجا ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت^٦، وروي عن الإمام أبي الحسن (الكاظم) عليه السلام أنه قال: لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد... وفاطمة من النساء^٧، وفي حديث آخر يكتب أسماء آل البيت، والأئمة، شريطة أن تسبق الكتابة بالبسملة^٨.

أيضاً الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ والتي لها خاصية عظيمة فمن كتبها فرج الله همه وكشف غمه، وما طلب حاجة إلا وقضى الله حاجته^٩.

أيضاً آية الكرسي فعن أبي إمامة الباهلي: أنه سمع علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: ما أرى رجلاً أدرك عقله الإسلام أو ولد في الإسلام يبيت ليلة سوادها - أى جميعها - حتى يقرأ هذه الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَا يَتَّوَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾. قال: لو تعلمون ما فيها ما تركتموها^{١٠}.

التأريخ:-

يُرجح تأريخ ونسبة هذه القطعة إلى مصر في العصر الفاطمي القرن (٥هـ / ١١م)، وذلك لنوع الخط، وتشابه النصوص المدونة على القطعة وكذلك الزخارف الأخرى كشكل المحراب القائم على عمودين قاعدته وتاجه على هيئة مشكاة وبين العديد من المحاريب الشيعية الصغيرة التي

تنسب إلى مصر في العصر الفاطمي القرن (٥٥هـ / ١١م) ^{١١}، وأيضاً محراب محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، برقم سجل (٤٨٠١) لم يسبق نشره، وآخر بنفس المتحف برقم سجل (٨٩٣٧) لم يسبق نشره أيضاً ^{١٢}، كذلك للإشارة التاريخية التي مفادها أن مصطلح «الأئمة الاثنا عشرية» لم يكن موجوداً قبل القرن ٤هـ / ١٠م، في كتب الشيعة أنفسهم ^{١٣}.

النشر:-

محمد عبد الرحمن فهمي، القوالب والطوابع الإسلامية من القرن الأول الهجري حتى نهاية العصر العثماني في ضوء مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة دراسة أثرية فنية، رسالة دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٠١-٢٠٤، لوحة ٨٠.

لوحة رقم (٢)

التحفة :- مصحف رول ^{١٤} المادة الخام:- ورق - جلد.

طرق الصناعة والزخرفة:- الضغط - التذهيب .

المقاييس:- الطول ١١ م .

مكان الحفظ:- مكتبة شستر بيتي .

رقم السجل:- IS ١٦٢٤ .

التأريخ:- (٧٦٣-٧٦٧هـ / ١٣٦٢-١٣٦٥م) ^{١٥}.

مكان الصنع:- مصر .

حالة التحفة:- جيدة .

الوصف:-

يعتبر هذا المصحف بما يحمله من زخارف متنوعه من أجمل وأندر المصاحف المملوكية، إذ بلغ الإهتمام بتذهيبه وتنميقه درجة كبيرة من

الإبداع، بدأ من العناية بتجليده، ثم افتتاحية المصحف والتصميم من الداخل، مروراً بالاعتناء بفواصل السور، وفواصل الآيات وتسجيل الأحزاب والأربع، وصولاً إلى خاتمة هذا المصحف الرائع والذي يشتمل على نص يخص الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، حيث جاء في صفحات المصحف الأخيرة ما نصه «حجاب جعفر» في سطر أفقي بخط الثلث بالمداد الأبيض على أرضية مذهبة، ثم يعقبها الحجاب داخل دائرة ونصه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتٍ﴾^{١٦} ثم يكتب الخطاط لفظة «الصادق» في سطر أفقي بخط الثلث بالمداد الأبيض على أرضية مذهبة ثم يستكمل باقي الحجاب في الدائرة ما نصه ﴿رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٥)﴾^{١٧} ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾^{١٨} «اللهم انى أعوذ بك بنور وعظمه طهارتك جلالك من كل افة ومن كل سوء وعاتقه ومن الليل والنهار الا طارق يطرق منك بخير يا رحمن الدنيا ورحيم المؤمنين والاخره فسيكفكهم الله وهو السميع العليم» وكتب في أسفل الشكل البيضاء العبارة التالية «رضي الله عنه» بخط الثلث بالمداد الأبيض على أرضية زرقاء تزدان بزخارف نباتية محورة ومذهبة.

جدير بالملاحظة هنا أن وجود تلك الأحراز داخل المصحف موضوع البحث يؤكد على استخدام المصحف كتميمة للحفظ والحماية لصاحبه من الحسد والسحر والمصائب، لذا قام الخطاط في نهايته بتسجيل حرز النبي والخلفاء الراشدين ثم حرز الحسن والحسين والإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

حالة التحفة:- التحفه بحالة جيدة.

الوصف:-

قرص مستدير من الفخار المطلي، جاءت الزخارف به على الوجه والظهر كما يلي:

زخارف الوجه:

تتألف زخارف الوجه من مساحة مركزية بداخلها شكل مفروكة^{٢١} عند كل ضلع من أضلاعها الأربعة كتابة بخط الثلث نصها «محمد علي حسن / محمد علي حسين / محمد علي حسن / محمد علي [حسين]» ويحيط بهذه المساحة شكل آخر مُستدير نُفذ بداخله كتابة لم يتبق منها سوى بعض الحروف في عدة مواضع من الدائرة، ويحيط بهذا الشكل إطار قوام الزخرفة فيه أشكال زجاجية مكونة من حُبيبات مُتماسكة، وفيما بين هذا الشكل نجد رسماً لزهرة ثمانية البتلات.

زخارف الظهر:

يُزخرف ظهر القطعة مساحة مركزية وسطى يُحيط بها إطار، ويتوسط الدائرة المركزية كتابات غير واضحة، وعلى أطراف هذه الدائرة من الداخل أنصاف أقواس مُتصلة بعضها ببعض وعددها اثنا عشر شكلاً نُفذ بداخلها أسماء أئمة الشيعة الاثني عشرية بواقع اسم بداخل كل شكل وذلك بخط الثلث ونصها كما يلي:-

« علي^{٢٢} / حسن^{٢٣} / حسين^{٢٤} / علي^{٢٥} / محمد^{٢٦} / جعفر^{٢٧} / موسى^{٢٨} /

علي^{٢٩} / محمد^{٣٠} / علي^{٣١} / حسن^{٣٢} / محمد^{٣٣} / ».

أما الإطار المحيط بالدائرة المركزية فيتشابه مع إطار وجه القطعة جملة وتفصيلاً.

جدير بالذكر أنه يوجد ثقب نافذ بسمك التحفة كان يستخدم للتعليق، بالإضافة إلى ذلك توجد زخرفة هندسية قوامها رسم لمعينات مُتصلة بعضها ببعض ومُنْفَذة بهيئة الحبيبات المتماسكة وبداخل كل مُعين رسم لزهرة نباتية متعددة البتلات، وكذلك في المنطقة الفاصلة بين كل مُعينين.

الغرض من الصناعة (البُعد الوظيفي):-

تميمة:

وذلك لما تحمله القطعة من أسماء شيعية كانت تستخدم كتائم للتبرك بها لمنع أي أذى يُصيب حاملها ولجلب المنافع وفقاً للمعتقدات عند الشيعة، ويؤكد ذلك المعنى خاتم من العقيق عليه نفس الأسماء الشيعية السابقة واستخدم هذا الخاتم كتعويذة^{٣٤}، وطابع حجاب يحمل نفس الأسماء الشيعية سالفة الذكر واستخدم لنفس الغرض السابق^{٣٥}، أيضاً استخدام وحدة المفروكة والتي كان لها استخدام سحري مُنذ القدم^{٣٦}. كذلك وجود الثقب النافذ بالقطعة يؤكد أن القطعة كانت تُستخدم للتعليق وكتيممة لنفس الغرض سابق الذكر.

التأريخ:

يُرجح نسبة هذه التحفة إلى إيران في القرن (١١هـ / ١٧م) وذلك لما ورد عليها من أسماء شيعية تمثل أسماء بعض أئمة الشيعة الاثني عشرية، وقد شاع في إيران في العصر الصفوي كتابة هذه الأسماء على تحفهم الفنية وعلى نقودهم بكثرة^{٣٧}، علماً بأن هذه الاسماء لم تُسجل على نقود أي دولة أخرى من دول العالم الإسلامي^{٣٨}.

النشر: نُشر لأول مرة.

لوحة رقم (٤)

نوع التحفة: قميص طفل^{٣٩}. المادة الخام: القطن - الكتان. طرق الصناعة والزخرفة: الساده ١/ ١٤٠، الطبع. المقاييس: الطول ٨٦ سم، العرض ٦٠ سم، عرض الصدر ٦٠ سم، اتساع الوسط ٥٥ سم، طول الكم ٣٠ سم، اتساع الكم ٢٥ سم، فتحة الرقبة ١٥ سم.

مكان الحفظ: مُتحف الفن الإسلامي بالقاهرة. رقم السجل: - ٤٠٢١. المصدر: مشتري من السيد محمد الدهان الدمشقي^{٤١}. التاريخ: القرن (١١-١٢هـ / ١٧-١٨م).

مكان الصنع: إيران. حالة التحفة: بها فقد وتآكل وتنسيل وتحتاج إلى ترميم.

المراجع: يُنشر لأول مرة

الوصف:

قميص^{٤٢} من الكتان يتكون من وجهين «دبل فيس Double Face» وكلاهما يتكون من وجه وظهر، يزيّن الأول زخارف نباتية نفذت بهيئة هندسية في الوجه والظهر، بينما يشتمل الآخر على زخارف وكتابات قرآنية ودعائية وتوسلية بالمداد الأسود والأحمر نفذت بهيئة أشكال نباتية وهندسية، ويلاحظ أنّ الكتابات بها بهتان ومحو في عدة أجزاء من القميص لا سيما الكتابات التي نُفذت بالمداد الأحمر، ويتميز القميص باكتماله حيث يحتوي على أكمام، ورقبة ومنطقة الصدر ومنطقة الخصر والرجلين، ويمكن تناول زخارف هذه التحفة على النحو التالي^{٤٣}:

القسم الأول القميص من الخارج:-

جاءت زخارف القميص من الوجه والظهر في هيئة فنية متناسقة حيث تشتمل على أشرطة رأسية متسعة تتبادل فيما بينها بالألوان الأصفر والأبيض والأحمر، ونفذت هذه الزخارف بهيئة معينات متصلة فيما بينها، نفذت أضلاع هذه المعينات بهيئة أفرع نباتية يخرج منها أوراق تنتهي في هيئة زهرة نباتية متفتحة، ويزين أشكال المعينات من الداخل فرع نباتي يخرج منه أوراق تنتهي بزهرة متفتحة، بينما يزين خارج هذه المعينات زخارف نباتية بسيطة، ويفصل بين هذه الأشرطة الرأسية المتسعة أشرطة أخرى رأسية صغيرة وضيقة نفذت باللون الأزرق ويزينها من الداخل فرع نباتي متصل يخرج منه أوراق وأزهار نباتية، وهذه الأشرطة محددة من الخارج باللون الأحمر.

أما الرقبة فجاءت زخارفها مميزة عن باقي أجزاء القميص الأخرى حيث يشغلها شريط يلتف حول الرقبة ويسير متجهًا إلى أسفل القميص، وهو محدد من الخارج بإطار من اللون الأحمر، ويزينه من الداخل زخارف نباتية قوامها أفرع نباتية يخرج منها أزهار تتبادل فيما بين اللون الأصفر والأحمر والأزرق مع ملاحظة أن الأزهار المنفذة باللون الأصفر أوراقها محده من الخارج باللون الأحمر.

كما يلفت النظر اشتغال طرفي الرقبة على خيط «حياصة» من شأنها إحكام ربط القميص عند اللبس وغلق منطقة الرقبة.

القسم الثاني القميص من الداخل:

أما الوجه الداخلي للقميص أو القميص من الداخل فهو يشتمل على زخارف يمكن تناولها على النحو التالي:

الشكل العام للقميص:

يشتمل القميص على زخارف متنوعة سواء في الوجه أو الظهر تميزت

بتقسيمات هندسية متشابهة جملة وتفصيلاً، ويلاحظ أن الوجه والظهر ينقسم كل منهما إلى قسمين قسم أيمن، وقسم أيسر، وكلاهما عبارة عن ثلاث مساحات، المساحة الأولى عبارة عن أربعة إطارات في هيئة بحور كتابية يفصلهما في الوسط زخارف عبارة عن أشكال شرافات تتبادل مع بعضها من حيث اللون ومن حيث المداد الذي يزين كتاباتها، وهذه المساحة (أي المساحة الأولى) تمتد فيها البحور الكتابية لتشكيل المساحة الثالثة بأشكال الإطارات نفسها سالفة الذكر، أما المساحة الثانية وهي التي تقع في منتصف المساحتين السابقتين فهي عبارة عن تقسيمات هندسية قوامها رسم مستطيل كبير ممتد من الكم وحتى أسفل القميص، وينقسم هذا المستطيل إلى مجموعة مستطيلات صغيرة يشغلها جميعاً أشكال هندسية متنوعة.

حرز إمام جعفر الصادق (عليه السلام) /.../ بسم الله الرحمن الرحيم يا من إذا استعذت/ به أعاذني وإذا استجرت به عند/ الشدائد أجارني/ وإذا استغثت به/ عند النوائب أغاثني/ /إليك المفزع وأنت الثقة وبك القوة/ فاقمع عني بسوء/ من أرادني وأغلب لي/ من كادني يا من قال إن /يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ/ لَكُمْ^{٤٤}/

في المساحة الخالية في منطقة رسم ما يشبه ساحة الصلاة ثم التوسل بلفظ الجلالة من أعلى من اليمين (يا آله) ومن اليسار (العالمين)، ومن أسفل من اليمين (يا خير) ومن اليسار (الناصرين).

ثم يبدأ النص الكتابي في المساحة الفاصلة فيما بين المستطيل الكبير والإطارات من الداخل ليكتمل النص الكتابي على النحو التالي: يا من نجى نوحاً من القوم الظالمين/ يا من نجا هوداً من القوم/ العادين يا من نجا محمد ﷺ من القوم الكافرين/ نجني من أعدائي وأعدائك/ بأسمائك يا رحمن يا رحيم/ لا سبيل لهم على من تعوذ/ بالقرآن واستجار

بالرحمن الرحيم الرحمن على العرش / استوى إن بطش / ربك لشديد
 (١٢) إنه هو يبدئ ويعيد (١٣) / وهو الغفور الودود (١٤) / ذو العرش
 المجيد (١٥) فعال / لما يريد (١٦) ٤٥ / فإن تولوا قل حسبي / الله لا إله إلا
 هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (١٢٩) ٤٦ / وصلى الله على محمد
 وآله الطيبين الطاهرين.

الوظيفة:

تعد هذه التحفة من التائم التي اتخذت للحفظ والحماية^{٤٧}، ولما نُفذ
 عليها من زخارف كتابية قرآنية ودُعائية تؤكد صفته التائمية بغية الحماية
 والحفظ، وخاصة للأطفال طبقاً لمقاييس التحفة والتي تتناسب مع الأطفال
 ولما ورد عليها من عبارة دعائية لحماية الطفل.

التأريخ:

يرجح تأريخ هذه التحفة ونسبتها إلى إيران في العصر الصفوي
 القرن (١١ - ١٢ هـ / ١٧ - ١٨ م) وذلك للتشابه بينه وبين العديد من
 القمصان التي وصلتنا من الفترة نفسها ومنها قميص محفوظ بمتحف
 الفن الإسلامي بالقاهرة^{٤٨}، وقميص آخر محفوظ بمجموعة ناصر خليلي
 بلندن^{٤٩}، وقميص آخر محفوظ Collection of Theron J. Damon
 بنيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية^{٥٠}.

النشر: - تُنشر لأول مرة.



لوحة رقم (٥)

التحفة :- دلالية^١.

المادة الخام :- فضة - عقيق.

طرق الصناعة والزخرفة :- الحفر الغائر.

المقاييس :- أقصى طول ٥, ٣، أقصى عرض ٥, ٥ سم.

مكان الحفظ :- متحف الفن الاسلامي.

رقم السجل :- ٣٩٢٩٢.

التأريخ :- القرن (١٢هـ / ١٨م).

مكان الصنع :- إيران.

حالة التحفة :- جيدة.

الوصف :-

دلالية من الفضة بيضاوية الشكل تنتهي الحافة الخارجية لها بشكل مفصص وبها ثقب نافذ مستدير للتعليق، وللدلالية فص من العقيق الأصفر مثبت بها وأقل بروزاً من الدلالية وله نفس شكلها، وتفقد هذه الدلالية سلسلة التعليق حيث كان لهذه الدلاية سلسلة التعليق يشهد على ذلك حلقه صغيرة على جانب الدلالية من الخلف، ويزين فص العقيق كتابات بخط نستعليق الفارسي عليها أسماء آل بيت النبي ﷺ، وبعض أسماء الأئمة الاثنى عشرية، ولفظ الجلاله، ويحيط بذلك إطار مُنفذ على فص العقيق عبارة عن جامعة مفصصة، ويمكن تناول الكتابات على النحو التالي :-

١- الله / محمد / علي / حسن / حسين / فاطمه / علي.

٢- محمد / جعفر / موسى / علي / محمد / علي / حسن / محمد /

المهدي. ويتناثر حول هذه الأسماء وفي أماكن متفرقة من القطعة وريادات متعددة البتلات.

الغرض من الصناعة (الوظيفة):-

تميمة.

تُعد هذه القطعة من التماثيل التي أُخذت لتيسير قضاء الحوائج، وزيادة الرزق، فمن كتب وعلق أسماء آل بيت النبي وأسماء أئمة الشيعة^{٥٢}، يُفرج الله همه ويقضي حاجته ويزيد رزقه^{٥٣}.

التأريخ:-

يُرجح نسبة وتأريخ هذه القطعة إلى إيران (القرن ١٢-١٣هـ / ١٨-١٩م)، وذلك للتشابه بين هذه القطعة من حيث نوع الخط وكذلك طريقة الصناعة وأسلوب الزخرفة، وبين قطعة من العقيق محفوظة بالمتحف البريطاني بلندن وتحمل تاريخ الصناعة (١١٣٣هـ / ١٧٢٠م)^{٥٤}، وأخرى من العقيق أيضاً وبنفس المتحف، نُفذ عليها تاريخ صناعتها بتاريخ ١٢٥١هـ / ١٨٣٤م^{٥٥} وقطعة ثالثة بنفس المتحف من العقيق أيضاً تحمل تاريخ ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م^{٥٦}، وقطعة رابعة من العقيق الأصفر محفوظة بمتحف Helicon Castle Museum^{٥٧}، وقطعة أخرى من العقيق الأصفر محفوظة بمتحف المتروبوليتان، ترجع إلى إيران وعليها تاريخ صناعتها سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م^{٥٨}.

النشر:- تُنشر لأول مرة.



لوحة رقم (٦)

التحفة: - كف يد^{٥٩}.

المادة الخام: - الفضة.

طرق الصناعة والزخرفة: - الطرق - الصب - اللحام - الحفر - الحز.

المقاييس: - الطول ٩, ٤٨ سم، العرض ٩, ٢٢ سم.

مكان الحفظ: - متحف المتربوليتان بنيويورك.

رقم السجل: - ٢, ٥٠٤, ١٩٨٤

التأريخ: - القرن (١٢هـ / ١٨م).

مكان الصنع: - إيران

حالة التحفة: - جيدة.

الوصف: -

كف معدنية صُنعت على هيئة كف يد بشرية في حالة الانبساط، ويبلغ عدد الأصابع فيها خمسة أصابع ركبت جميعها متباعدة غير ملتصقة، مع ملاحظة أن إصبع الوسطى مفقود، وتتميز القطعة بما تشتمل عليه من كتابات بخط نستعليق نفذت بطريقة الحفر الغائر، إذ حدد الفنان الكتابات ثم قام بحفرها وملئها بمادة النيللو السوداء، ويلاحظ أن التصميم الفني الشكل الدائري، إذ يحتل السطح ثلاثة إطارات دائرية الشكل، الإطار الخارجي يضم بداخله اثنتي عشرة دائرة كتب بداخل إحدى عشرة منها أسماء أحد عشر إماماً من الأئمة الاثنى عشر يمكن قراءتهم على التوالي باتجاه عكس عقارب الساعة على النحو التالي: حضرت علي مرتضى، حضرت حسن، حضرت حسين، حضرت زين العابدين، حضرت محمد باقر، حضرت جعفر صادق، حضرت موسى كاظم، حضرت موسى الرضا، حضرت علي نقى، حضرت محمد تقى، حضرت حسن عسكري،

وتركت الدائرة الأخيرة دون كتابات، واقتصرت زخرفتها على فروع وأوراق نباتية، ويحتل الإطار الثاني كتابة دائرية نصها «لي خمسة أظفي بها حر الوباء» (هـ) الحاطمة المصطفى والمرضى وابناها والفاطمة»، ويحتل الإطار الثالث الذي يمثل الدائرة الداخلية المركزية كتابة دعائية باسم الإمام الاثني عشري الأخير نصها «حضرت إمام مهدي (عليه السلام) آخر الزمان يا غفار».

ويشغل سطح الأصابع كتابة نصها أعلى الخنصر ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾^{٦٠}، وأعلى البنصر «نادِ علياً مظهر العجائب»، ومن المؤكد أن عبارة «تجده عوناً لك في كل النوائب» كانت تحتل سطح إصبع الوسطى المفقود، يلي ذلك أعلى السبابة «كل هم وغم سينجلي بنبتك يا محمد»، وأخيراً يشغل سطح الإبهام عبارة «بوليتك يا علي يا علي يا علي».

وتعد الأرضية النباتية للكتابات التي تغطي كامل سطح هذه القطعة الفنية من المميزات الواضحة للتصميم، إذ تتخذ هيئة فروع وأوراق نباتية ملتفة في دوائر قد تكبر أو تصغر أحياناً حسب المساحة المتاحة.

الغرض من الصناعة (البُعد الوظيفي): -

تميمة:

يعتبر كف اليد من أشهر التمايم التي تُستعمل للوقاية من شر عين الحاسد وهو عبارة عن كف فيها خمسة أصابع يُعتقد أنها تقوي حاملها من الحسد إذ تُستخدم لوقاية الإنسان والحيوانات والأشياء من أذى شر العين^{٦١}، وعندما يرفع المرء كفه في وجه العدو والحاسد لا تقاء شره له رمزيته المتعلقة باتقاء الحسد^{٦٢}، لأنها تستلقت نظر الحاسد فلا تؤذي من يحملها^{٦٣}، وكثيراً ما يقوم الناس برسمها على أبواب منازلهم^{٦٤}، أو يُعلقونها على صدور أبنائهم كتعويذة لدرء شر إصابة العين^{٦٥}.

النشر: حسام عويس طنطاوي، التحف الفنية الإسلامية المُشكلة على هيئة الكف في ضوء نماذج مختارة (دراسة في المغزى الوظيفي والمذهبي)، مجلة معهد الدراسات العليا للبردي والنقوش وفنون الترميم: أعمال المؤتمر الدولي الأول ٢٨-٣٠ مارس، ٢٠١٧م، ج٣، لوحة رقم ١، ص ١٧٤؛ <http://www.metmuseum.org/collections/search-the-collections/140010654?img=3>

لوحة رقم (٧)

التحفة:- طابع حجاب^{٦٦}.

المادة الخام:- النحاس - الخشب.

طرق الصناعة والزخرفة:- الطرق - الحفر الغائر.

المقاييس:- أقصى طول ١٧ سم، أقصى عرض ١٠ سم.

مكان الحفظ:- متحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

رقم السجل:- ١٥٤١٤^{٦٧}.

التاريخ: (١٢١٩هـ / ١٨٤١م).

مكان الصنع:- إيران

حالة التحفة:- التحفة بحالة جيدة.

الوصف:-

طابع من النحاس مفصص الشكل على هيئة ورقة نباتية به أربع عشرة دائرة، نُفذت عليه كتابات معكوسة بخط الثلث بالإضافة إلى رسوم أسماك ورسوم نباتية، يتوسط الطابع جامه مفصصة بداخلها شكل بخارية^{٦٨} يتوسطها كتابة بخط الثلث نصها «ما شاء الله لا قوة إلا بالله».

وللطابع من الخارج أربعة عشر دائرة يشغلها كتابات بخط الثلث تبدأ من الدائرة التي تلي المقبض ثم التي تليها عكس عقارب الساعة على النحو التالي:

- الدائرة الاولى « محمد سيد الأنبياء » الدائرة الثانية « ولعل شرف الأوصيا »

- الدائرة الثالثة « وبعز فاطمه الزهرا »^{٦٩} - الدائرة الرابعة « وبالحسن الصابر على البلا »

- الدائرة الخامسة « وبالحسن سيد شهدا » - الدائرة السادسة « وبعلى بن الحسين السجاد البكا »

- الدائرة السابعة « وبمحمد الباقر لعلوم الأشياء » - الدائرة الثامنة « وبجعفر الصادق في الأرض والسم »

- الدائرة التاسعة « وبموسى الكاظم غيظ الأعدا » - الدائرة العاشرة « وبعلى الرضا والباعد الأسى »

- الدائرة الحادية عشر « وبمحمد ذى الحق والنعم » - الدائرة الثانية عشر « وبمحمد وبعلى الضاربين البلا »

- الدائرة الثالثة عشر « ولحسن العسكرى ذو المجد والبناء » - الدائرة الرابعة عشر « وبالمهدى المنتظر^{٧٠} سيف للأوا ».

وتتميز هذه القطعة بتسجيل تاريخ الصناعة بالأرقام في الجزء الذي يعلو الدائرة الثامنة بصيغة « ١٢١٩ » وللطابع مقبض بهيئة ورقة نباتية ثلاثية يزينه زخارف كتابية بخط الثلث نصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم » يلى ذلك زخرفة لسنبلة القمح ثم يلي ذلك شكل ثلاثة سمكات أوسطهم أكبرهم حجماً.

أما ظهر الطابع فمن الخشب ويأخذ الشكل المفصص أيضاً، يتوسطة قطعة خشب مستطيلة الشكل تُستخدم في عملية الضغط، وكمقبض لتساعد الطابع في أداء وظيفته.

الغرض من الصناعة (البُعد الوظيفي): -

طابع لعمل حجاب:

تعتبر هذه القطعة من طوابع الأحجية الإسلامية ذات العبارات الدعائية، حيث يتوسطها عبارة «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» للحفاظ من الحسد وشر العين^{٧١} فالإنسان إذا خاف العين أن تصيبه أو تصيب عينه أحد فعليه أن يقول «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله»^{٧٢}.

أيضاً البسملة وأسماء أئمة الشيعة الاثني عشرية والتي إذا ما كتبت كانت نافعة لقضاء الحوائج^{٧٣}.

أيضاً أشكال الأسماء التي ترمز إلى مقاومه العين الشريرة كما أنها ترمز إلى الخصب والتكاثر والرغبة في زيادة النسل والإنجاب وزيادة الرزق^{٧٤}.

التاريخ: -

سُجل تاريخ القطعة في الجزء الذي يعلو الدائرة الثامنة من القطعة بالأرقام «١٢١٩».

النشر: - تُنشر لأول مرة.

لوحة رقم (٨)

التحفة: - شاهد قبر باسم (مهد عليا)^{٧٥}

المادة الخام: - مرمر

طرق الصناعة والزخرفة: - قطع حفر .

المقاييس: - الطول ١٩١ - العرض ١٠٧ .

مكان الحفظ: - متحف الروضة المقدسة بقم.

رقم السجل: - ٢٠٩٨ .

التأريخ: - (١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م).

مكان الصنع:- إيران.

حالة التحفة:- جيدة.

الوصف:- شاهد قبر من قطعة واحدة من رخام المرمر، له شكل مستطيل ينقسم سطحه على مساحة مركزية يحيط بها إطار خارجي، وبالمساحة المركزية قسمين العلوي مستطيل الشكل يتوسطه جامة بيضاوية يزيّن أطرافها البارزة أربعة تكوينات نباتية، تحمل نصوص كتابية فارسية على مهاد من الزخارف النباتية المورقة لروع وأوراق وأزهار تعلوها كتابة عربية نصها «هو الحي الذي لا يموت» ويشغل المساحة المحصورة بين الجامة البيضاوية والإطار الخارجي زخرفة للمكين مجنحين محلّقين بملامح أطفال وقد تعلقت يد كل منهما بفرع نباتي يمتد من الزخارف التي تشغل الأرضية، أما القسم السفلي من المساحة المركزية فيشغلها سبعة أسطر كتابية بكل سطر خرطوش بيضاوي ليكون المجموع أربعة عشر خرطوشاً سجل بداخلها أبيات من الشعر الفارسي نفذت بخط نستعليق، اشتملت هذه على اسم الأميرة ابنة الأمير قاسم قاجار زوجة محمد شاه ابنها ملك وزوجها ملك وجدها ملك، وتاريخ وفاتها ١٢٩٠ هـ.

أما الإطار الخارجي فبه دعاء وتوسل بالنبي وسيدنا علي وأئمة الشيعة وبسيدنا الإمام جعفر الصادق بما نصه «وبالصادق حقاً».

النشر: حسام عويس طنطاوي، شواهد القبور الإيرانية المصورة خلال العصر القاجاري، ص ١١٢.

ثانيًا الدراسة التحليلية

تتناول هذه الجزئية من البحث دراسة تحليلية للنصوص الكتابية الشيعية^{٧٦} الواردة بمجموعة القطع التي تناولتها الدراسة بشكل عام مع التركيز على الكتابات والنصوص الخاصة بالإمام الصادق (عليه السلام) للوقوف على مدى مكانته الشريفة من منظور الآثار والفنون الإسلامية.

- يا علي^{٧٧}:

من العبارات الشيعية الدعائية التي تفيد النداء^{٧٨} والنداء هنا للاستغاثة^{٧٩}، وأشار بعض علماء الشيعة أنها تعتبر حرزاً لنيل الغنى وعلو المناصب^{٨٠}، ولنيل المطالب وقضاء الحوائج^{٨١}، وتكتب كذلك لطلب النصر على الأعداء، حيث أورد الشيعة أن النبي ﷺ في يوم خيبر أعطي الراية لعلي وقال له: خُذ الراية وأمض بها، فجبريل معك، والنصر أمامك والرعب مبثوث في صدور القوم، واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم: أن الذي يدمر عليهم اسمه (إيليا) فإذا لقيتهم فقل: أنا علي فإنهم يُخذلون إن شاء الله^{٨٢}.

لذا يجد المتتبع في المصادر والمراجع الشيعية تضافر الكلمات على مشروعية النداء بـ «يا رسول الله» أو «يا محمد» أو «يا نبي الله» أو «يا علي» أو «يا حسين»... الخ، وهذا النداء بمثابة خطاب وزيارة وتوسل واستغاثة واستشفاع، وأنه من الأذكار الدينية الراجحة، ووسيلة لعبادة الله والتقرب إليه؛ لأن كل شيء يؤتى به في الصلاة لا بد أن يكون عبادة، والنتيجة أن التوجه بالنداء إلى النبي ﷺ والأئمة الراشدين (عليهم السلام) من وجهة نظرهم - عبادة لله^{٨٣}.

ومن فضائل الإمام علي ما روي عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص أنه قال لعبد الله بن عياش بن ربيعة: يا عم، لم كان ضغؤ الناس

إلى علي؟ قال يا ابن أخي: «أنَّ علياً كان له ما شئت من ضرر قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والصهر لرسول الله ﷺ والفقه في السنة، والنجدة في الحرب، والجلود بالماعون»^{٨٤}.

ومن ذلك أيضاً ما روي عن النبي ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية - أو قال: ليأخذن- غداً رجل يحب الله ورسوله ﷺ أو قال: يحبه الله ورسوله - يفتح الله عليه ... فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه»^{٨٥}، ولذا ارتبط اسم علي كرم الله وجهه بالاستغاثة وطلب النصر في الحروب.

- أسماء أهل بيت النبي ﷺ^{٨٦}، وأئمة الشيعة^{٨٧}.

تعتبر أسماء أهل بيت النبي ﷺ وكذلك أسماء أئمة الشيعة من أكثر الكتابات التي تحتل مكانه كبري^{٨٨}، وبها يتوسلون لقضاء الحوائج^{٨٩}. روى الشيعة أنَّ النبي ﷺ قال: «أنَّ الله تعالى حين خلق آدم، أراه أنوار محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين»، ثم أوحى إليه: «هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي ... فإذا كان لك إلى حاجه فبهؤلاء توسل»^{٩٠}.

وعن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه قال: سأل بحقّ محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ فتاب عليه^{٩١}.

وروي أيضاً عن النبي ﷺ أنَّه قال: نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجا ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجه فليسأل بنا أهل البيت^{٩٢}.

كما روي عن الإمام أبي الحسن (الكاظم) أنَّه قال: لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد... وفاطمة من النساء^{٩٣}.

وقد ورد عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: دخلت في صدر نهار على رسول الله ﷺ في مسجده فلم أر في المسجد أحداً من الناس إلا رسول الله ﷺ وعليه السلام، فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أوصني بوصية ينفعني الله بها فقال ﷺ: أني موصيك بوصيه فأحفظها فإنها جامعة لطرق الخير وسبله، فإنك إن حفظتها كان لك بها كفلان، يا أبا ذر: ... اعلم يا أبا ذر أن الله تعالى جعل أهل بيتي في أمتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن رغب عنها غرق ومثل باب حطه في بني إسرائيل من دخله كان آمناً، يا أبا ذر أحفظ ما أوصيك به تكن سعيداً في الدنيا والآخرة^{٩٤}.

كذلك من الأدعية المعتبرة عند الشيعة دعاء التوسل والذي جمع أسماء أهل بيت النبي ﷺ (علي وفاطمة والحسن والحسين)^{٩٥}، وكذلك حديث الكساء^{٩٦} فمن فضائله أن من يذكر هذه الأسماء فرج الله همه وكشف غمه، وما طلب طالب حاجه إلا وقضى الله حاجته^{٩٧}.

وورد عند الشيعة أنه من نظر إلى الشكل التالي فتحت له الأبواب المغلقة وأنه لن يكون محتاجاً لأحد وأن من نظر إلى الأسماء الشريفة في أول رؤيته للهِلال أنقضي عليه الشهر بخير وسلامه، والأسماء هي «علي، الحسن، الحسين، علي، محمد، جعفر، موسى، علي بن موسى، محمد بن علي، علي بن محمد، الحسن بن علي، محمد»^{٩٨}، وذكر علماء الشيعة أن هذه الأسماء مما يتوسل به لقضاء الحوائج والاستغاثة^{٩٩}، واستجابة الدعاء والفرج الشديد^{١٠٠}.



شكل (١) يوضح أسماء أهل بيت النبي ﷺ على دلالية من الفخار لوحة
(٣) وعلى دلالية من الفضة بفص من العقيق في لوحة (٥)

عمل الباحث



شكل (٢) يوضح أسماء أهل بيت النبي ﷺ على طابع من النحاس لوحة (٧)
عمل الباحث

دعاء الجوشن الصغير^{١١١}:

«ذكر لهذا الدعاء في الكتب المعتبرة عند الشيعة شرح أطول، وفضل أكثر، مما ذكر لدعاء الجوشن الكبير، فهو دعاء رفيع الشأن عظيم المنزلة دعا به الكاظم عليه السلام وقد هم موسى الهادي العباسي بقتله فرأى عليه السلام جده النبي صلى الله عليه وآله في المنام أخبره بأن الله تعالى سيقضي على عدوه^{١١٢}، ومن خواصه شفاء الأمراض، قال النبي صلى الله عليه وآله «يا علي قد عرفني جبرائيل من فضيلة هذا الدعاء ما لا أقدر أن أصفه ولا يحصيه إلا الله تعالى، يا علي علمه لأهلك وولدك وحثهم على الدعاء والتوسل إلى الله تعالى...^{١١٣}»، نُفذ هذا الدعاء بالتحفة لوحة (٤).

- أحرار أئمة آل البيت^{١١٤}:

ورد بالدراسة الوصفية بالتحفة لوحة (٤) مجموعة من الأحرار^{١١٥} الخاصة بالشيعة الاثنى عشرية^{١١٦} وهذه الأحرار والعوذات من دعا وتحرز بها أمن من الفقر والدين وكان ميسر الرزق، وتقضى حوائجه، وبها سر عظيم في شفاء الأمراض، كما أنها تُكتب لإبطال السحر والحسد وشر العين والحصانة من شر الأنس والجن^{١١٧}، ومن هذه الأحرار: حرز الإمام أبو جعفر الصادق (٨٣ - ١٤٨ / ٧٠٢ - ٧٦٥ م):

ابن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ولد بالمدينة يوم الجمعة أو الاثنين عند طلوع فجر ١٧ ربيع الأول وقيل غرة رجب سنة (٨٣ هـ / ٧٠٢ م)، توفي يوم الاثنين منتصف رجب سنة (١٤٨ هـ / ٧٦٥ م)، لقب بالصادق لصدقه^{١١٨}.

يبدأ الحرز ((بسم الله الرحمن الرحيم يا من إذا استعذت به أعاذني ... وينتهي فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ / اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩) ^{١١٩}، وقد تم تدوين هذا الحرز بالقطعة لوحة رقم (٤)

حجاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

هو حرز عظيم الشأن عظيم المنزلة ما قرأه أحد إلا حفظه وإن حكم عليه بالموت^{١١}، وهذا الحرز الشريف ورد بالقطعة لوحة (٢) والذي يبدأ « بسم الله الرحمن الرحيم الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ... وينتهي » ... فسيكفكم الله وهو السميع العليم».

التوسل بالإمام جعفر الصادق عليه السلام كما جاء بموضوع البحث:

التوسل: ومنها الوسائل أي الراغب إلى الله تعالى، وتوسل إليه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٥٧) ^{١١}، والتوسيل والتوسل واحد وفي حديث الأذان: اللهم آت محمدًا الوسيلة... هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، والمراد به في الحديث القرب من الله تعالى وقيل هي منزلة من منازل الجنة^{١٢}.

التوسل بالإمام جعفر الصادق عليه السلام لقضاء الحوائج:

كثيرًا ما يسعى الإنسان في البحث عن قضاء حوائجه مستخدمًا في سبيل ذلك التقرب من الله تعالى بمختلف الوسائل، ومن بين هذه الوسائل التقرب إلى الله بالتوسل بآل بيت النبي والأئمة الأطهار رضوان الله عليهم أجمعين، حيث نجد في القطعة رقم (١، ٦، ٧) يطلب أصحابها قضاء حوائجهم والمتمثلة في منع الحسد وشر العين، بينما في القطعة رقم (٢، ٤) التوسل به رضي الله عنه للحفظ والحماية من السحر والمصائب، وفي القطعة رقم (٣) للتبرك ومنع الأذى، بينما في القطعة رقم (٥) لقضاء الحوائج وزيادة الرزق وتفريج الهموم، بينما جاءت القطعة رقم (٨) بالتوسل إلى الله لطلب الرحمة والمغفرة والعفو ونيل رضوانه ودخول جنته.

الخاتمة والنتائج:

تناول البحث موضوع «الإمام الصادق عليه السلام» في مرآة الآثار والفنون الإسلامية، في محاولة لإبراز مكانته الشريفة في نفوس المسلمين من خلال بعض القطع الأثرية الإسلامية التي تضمنتها الدراسة، ومن خلال هذا البحث يمكن عرض النتائج التالية:

- تناولت الدراسة (٨) تحفة أثرية بالوصف والتحليل منها (٤) تحفة لم يسبق نشرها من قبل.
- تنوع قطع الدراسة من حيث المادة الخام ما بين فخار وفضة ونحاس وحجر -مرمر- ونسيج -كتان.
- جميع قطع الدراسة ورد بها اسم الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مع تنوع الغرض الوظيفي لها.
- قطع الدراسة تمثل جوانب مختلفة من حياة المسلمين في مختلف الأقطار الإسلامية مثل مصر وإيران والعراق، وغيرها، مع تنوع موضوع كل قطعة وهي مجرد نماذج فنية وليس الحصر.
- اشتمال بعض القطع على حرز الإمام الصادق وحجابه الشريف وتفسير الغرض والمهدف من كتابته.
- التأكيد على التوسل بالإمام جعفر الصادق وأئمة أهل البيت طلباً لتحقيق وقضاء الحوائج على تنوعها وتعددتها.
- تنوع القطع الفنية المشتملة على اسم الإمام الصادق عليه السلام ما بين طوابع لأحجية إسلامية، وتماثيل، ودلايات، وملابس، وشواهد قبور، للتأكيد على مكانته الشريفة بين مختلف أطياف المجتمع على تنوعها والغرض منها.

الهوامش

- ١ - د. عبد الحميد عبدالسلام محمد، نائب مدير مُتحف عواصم مصر - العاصمة الإدارية الجديدة - جمهورية مصر العربية.
- ٢ - من تصوير الباحث.
- ٣ - مشترى من هراي بك، ومسجل بالمتحف بتاريخ ٢/٦/١٩٤٥م، راجع سجلات متحف الفن الإسلامي بالقاهرة.
- ٤ - ربما كان تسجيل الكتابات بالخط الكوفي مقصوداً أنه ذكر أن للأحرف الكوفية خواص سحرية، للمزيد راجع: نادر محمود عبدالدايم، التأثيرات العقائدية في الفن العثماني، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٨.
- ٥ - قرآن كريم، سورة الأحزاب، آية ٣٣.
- ٦ - فاطمة علي الجعفر، الشفاء في حديث الكساء، مشكاة النور بالكويت، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٣٩، ٤٠.
- ٧ - محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء من المهدي إلى الالحاد، المطبعة العلمية بکربلاء، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٥٢.
- ٨ - محمد حسين مغنية، مجربات الإمامية في الشفاء بالقرآن والدعاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٤٠٢.
- ٩ - فاطمة علي الجعفر، الشفاء في حديث الكساء، ص ٢٦.
- ١٠ - محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببلنجان، ج ٢، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٣٤٢.
- ١١ - أحمد عبدالرازق أحمد، الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الحريري للطباعة، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص ٩٤، لوحة ٤٠.
- ١٢ - راجع سجلات متحف الفن الإسلامي بالقاهرة.
- ١٣ - للمزيد راجع: المسعودي، التنبيه والإشراف، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ١٩٨؛ ماهر سمير عبدالسميع السيد، النقوش الكتابية الشيعية على الفنون الإسلامية الإيرانية في العصر الصفوي دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة جنوب الوادي، ٢٠١٤م، ص ٣١.
- ١٤ - وهو أحد الأشكال غير التقليدية للمصحف الشريف، وهذه المصاحف تمتاز بسمات فريدة تتمثل في تصميمها وخطوطها وزخارفها، وأطلق عليها مصاحف الرول أو اللقافة وغيرها من المسميات، راجع: محمد عبدالعزيز مرزوق، المصحف الشريف دراسة أثرية تاريخية وفنية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، ١٩٨٥م، ص ٨٣؛ محمود

عبدالرحمن عبدالمنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٤٤٢.

١٥ - من عصر السلطان المملوكي الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون (٧٦٤-٧٧٨ هـ / ١٣٦٣-١٣٧٧ م)، والمصحف مدون على ورق مبطن بخيوط الحرير، ويضم ٥٩ صفحة ملتصقة ببعضها البعض من الأطراف، للمزيد راجع: شياء عبدالله إبراهيم، مصحف مطوي من العصر المملوكي محفوظ في مكتبة شستر بيتي مؤرخ بستي (٧٦٣-٧٦٧ هـ / ١٣٦٢-١٣٦٥ م) دراسة أثرية فنية، مجلة الاتحاد العام للناشرين العرب، مج ٢٥، عدد ١، سنة ٢٠٢٤م، ص ١٥٤.

١٦ - قرآن كريم، سورة الأنعام، آية رقم ١-٤.

١٧ - قرآن كريم، سورة الأنعام، آية رقم ٤-٥.

١٨ - قرآن كريم، سورة الأنعام، آية رقم ١١.

١٩ - من تصوير الباحث.

٢٠ - مخلف من مسجد الإمام الشافعي بالقاهرة، راجع: سجلات متحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

٢١ - المفروكة وحدة هندسية تشبه في شكلها حرف T في اللغات الأوروبية وقد شاع استخدامها في زخرفة الأبواب والنوافذ والدواليب الحائطية وكذلك في كراسي المقرئين، ويعد العصر العثماني العصر الذهبي لاستخدام هذه الوحدة الزخرفية، للمزيد راجع: ربيع حامد خليفة، فنون القاهرة في العهد العثماني، مكتبة زهراء الشرق، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ١٨٤. والمفروكة واحدة من أهم الحلول التي استخدمها المسلمون لوصل الأضلاع الأربعة المكونة لها، كما أنها تمثل أقوى ترابط ممكن بين أربعة أجزاء من احتلال أكبر مساحه ممكنه، وقيل أن للمفروكة علاقة بعلم الفلك والأبراج الفلكية عند المسلمين متمثلة في العلاقة بين المفردات الأربع المكونه لوحدة المفروكة، وبين الصفات الجوية الأربع: البرودة والسخونة والرطوبة والجفاف، وأستخدمت المفروكة في أغراض السحر في الحضارة المصرية القديمة واليونانية، وقدسها الهنود قبل ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد وأعتبروها نوعاً من السحر المضاد للشياطين، أما في الصين فكانت تعني عندهم الكمال والالاهائية والبركات الوفيرة، للمزيد راجع: ليلى أحمد علام، الفن الإسلامي وأهم الأشكال القائمة عليها، مهارات حرفية وفنية في التراث الوطني والفنون الإسلامية، أبحاث الدورة التدريبية الرابعة من ١٩ يونيو الى ١٢ يوليو، ٢٠٠٠م، مركز زايد للتراث والتاريخ بالإمارات العربية المتحدة، ص ١٢.

٢٢ - أبو الحسن علي بن أبي طالب (المرتضي) ولد سنة ٢٣ قبل الهجره واستشهد

سنة ٤٠ بعد الهجرة.

- ٢٣- أبو الحسن بن علي (الزكي) (٢-٥٥٠هـ).
- ٢٤- أبو عبدالله الحسين بن علي «سيد الشهداء» (٣-٦١هـ).
- ٢٥- أبو محمد علي بن الحسين «زين العابدين» (٣٨-٩٥هـ).
- ٢٦- أبو جعفر محمد علي «الباقر» (٥٧-١١٤هـ).
- ٢٧- أبو عبدالله جعفر بن محمد «الصادق» (٨٣-١٤٨هـ).
- ٢٨- أبو إبراهيم موسى بن جعفر (الكاظم) (١٢٨-١٨٣هـ).
- ٢٩- أبو الحسن علي بن موسى «الرضا» (١٤٨-٢٠٣هـ).
- ٣٠- أبو جعفر محمد «الجواد» (١٩٥-٢٢٠هـ).
- ٣١- أبو الحسن علي بن محمد «الهادي» (٢١٢-٢٥٤هـ).
- ٣٢- أبو محمد الحسن بن علي «العسكري» (٢٣٢-٢٦٠هـ).
- ٣٣- أبو القاسم محمد بن الحسن «المهدي» (٢٥٦هـ-....)، للمزيد راجع: أحمد محمد التركماني، تعريف بمذهب الشيعة الإمامية، جمعية عمال المطابع التعاونية، ط ١، ١٩٨٣م، ص ١١-١٢؛ السيد صادق الحسيني الشيرازي، المسائل الإسلامية، دار الأمين، ط ٥، ٢٠٠٣م، ص ٤٧. يرى الشيعة الأثنا عشرية أن أساء الأئمة وترتيبهم سُطر في لوح كان عند فاطمة رضي الله عنها أهداه لها والدها عليه الصلاة والسلام، للمزيد راجع: أحمد محمد أحمد جلي، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين «الخوارج والشيعة»، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ٣، ١٩٨٨م، ص ١٨٠. هذه الأساء أهمية كبرى ومنزلة عظيمة لدى الشيعة، لذا فقد حرصوا على تسجيلها على تحفهم وابداعاتهم الفنية، وقد سموها بالشيعة الأثني عشرية لإعتقادهم بإمامة أثني عشر إماماً بعد النبي صلي الله عليه وسلم، أولهم الإمام علي رضي الله عنه، وآخرهم الإمام محمد المهدي المعروف عند الشيعة بالمهدي المنتظر، وربما لم يكن هذا المصطلح معروفاً قبل القرن الرابع الهجري حتى في كتب الشيعة أنفسهم ولعل أول من ذكره من الشيعة السعودي، للمزيد راجع: السعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٩٨؛ ماهر سمير عبدالسميع السيد، النقوش الكتابية الشيعية، ص ٣١؛ لذا أصبح لفظ الأئمة الاثنا عشرية مرادفاً للشيعة؛ للمزيد راجع: سيد أمير علي، روح الاسلام، نقلة إلى العربية عمر الديراوي، دار العلم للملايين، ج ٢، ط ١، بيروت، دت، ص ٩٢.
- ٣٤- للمزيد راجع: ديريك جى كونتننت وآخرون، الخواتم والجواهر الإسلامية مجموعة بنيامين زوكر، دار فيليب ويلسون للنشر، ط ١، ١٩٨٧م، ص ١٣٥، لوحة ٨٥.
- ٣٥- محمد عبد الرحمن فهمي، القوالب والطوابع الإسلامية، ص ٢٠٤، لوحة ٨٣.

٣٦ - ليلي أحمد علام، الفن الإسلامي وأهم الأشكال القائم عليها، ص ١٢.

٣٧ - ماهر سمير عبدالسميع السيد، النقوش الكتابية الشيعية، ص ٢٠٩، ٢١٠.

٣٨ - عاطف منصور محمد رمضان، الكتابات غير القرآنية علي السكة الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، رسالة دكتوراه، كلية لآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٧١، ٢٧٢.

٣٩ - من تصوير الباحث.

٤٠ - طريقة السادة ١/١، وهي طريقة معروفة مُنذ زمن بعيد، للمزيد راجع:

Hooper, L., the Technique of Greek and Roman Weaving, BMC, Vol.18, No.95 (Feb., 1911), p.281.

وهي عبارة عن تقاطع خيوط السداء مع خيوط اللحمة تقاطعًا مُنتظمًا، وبزاوية ٩٠°، بحيث يؤدي إلى اختفاء خيوط السداء، وظهور خيوط اللحمة التي تليها، للمزيد راجع: Barber, E., Prehistoric Textile, Prineetion University, 1991, p.149; Mahadevan, M., Dictionary of Textile, Abhishek Publication. Chandigarh, 2003, p.140.

وهي من أبسط أنواع التراكيب النسجية حيث يحتاج التكرار الواحد منه إلى عدد قليل من الخيوط ٢ - خيط سداء + ٢ خيط لحمة يتعاشقان مع بعضهما مع بعض بالتبادل، للمزيد راجع: عصام ظاظا، وآخرون، النسيج اليدوي، دار اليازوري العلمية، عمان، ط ١، د ت، ص ٨٥: ٨٧.

٤١ - مُسجل بالمتحف بتاريخ ١٥/٦/١٩١٣م، ومُشترى بمبلغ ٢٠ جنيه مصري، راجع سجلات مُتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

٤٢ - يُعد هذا القميص من التحف النادرة في العالم ذلك لأنه يمكن ارتدائه من الوجهين «دبل فيس Double Face»، وهو من النماذج النادرة الفريدة من هذا النوع من القمصان.

٤٣ - حتى يتسنى لنا تناول هذا القميص بصورة واضحة سوف يُقسّم إلى قسمين، القسم الأول ونقصد به وصف القميص من الخارج، والقسم الثاني ونقصد به وصف القميص من الداخل.

٤٤ - قرآن كريم، سورة آل عمران، جزء من آية رقم ١٦٠.

٤٥ - قرآن كريم، سورة البروج، آية رقم ١٢: ١٦.

٤٦ - قرآن كريم، سورة التوبة، آية رقم ١٢٩.

٤٧ - للمزيد راجع:

Pope, A., A survey of Persian Art from Prehistoric Times to the Present, Vol.v1, London and New York, 1939, PL. 1106; Pope, A.,



;Masterpieces of Persian Art, New York, 1945, p.202

أحمد محمد توفيق الزيات، الأزياء الإيرانية في مدرسة التصوير الصغوية وعلى التحف التطبيقية دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٠م، لوحة ٤٧، ٥٠؛ متحف بلا حدود، أكتشف الفن الإسلامي في حوض المتوسط، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، دت، ص ٢٢٩؛

Maddison, F., and Smith, E., the Nasser D. Khalili Collection of Islamic Art, Science, Tools and Magic, Oxford, 1997, p.119 ; Khalili, N., the Timeline History of Islamic Art and Architecture, Worth Press, 2005, p. 153; Forkl, H., Kalter, J., die Gärten des Islam, Hansjorg Mayer, 1993, p.295; Irwin, R., Islamic Art, London, 1997, p.208; Epelboin, A., Cinq Tuniques Talismaniques Récentes en Provenance de Dakar (Sénégal), Coran et Talismans Textes et Pratiques Magiques en Milieu Musulman, Karthala, 2007, p. 155

٤٨ - أحمد محمد توفيق الزيات، الأزياء الإيرانية، ص ١٠٤؛ ماهر سمير عبد السميع السيد، النقوش الكتابية الشيعية، ص ٢٢٢.

٤٩ - Khalili, N., The Timeline History of Islamic Art, P.153

٥٠ - Pope, A., Masterpieces of Persian Art, p.202-

٥١ - من تصوير الباحث.

٥٢ - يرى الشيعة أن أقرب الوسائل إلى الله وأسمى السبل لنيل السعادة العظمي هم الذوات المقدسة من أهل بيت الرسالة والعصمة الذين لا يقبل الله عمل عامل ولا طاعة مطيع إلا بمودتهم والاستشفاع بهم والتوسل بولايتهم إليه سبحانه، ومن أهمته حاجة يريد نفعها، أو دهرته داهية يريد كف ضررها بمحمد وآله الطيبين الطاهرين، للمزيد راجع: محمد ضياء آبادي، المستغفرون بالأسحار، مؤسسة البعثة، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٧٣-٧٤.

٥٣ - محمد حسين مغنية، مجربات الإمامية، ص ٤٠٢.

٥٤ - Porter, V., Arabic and Persian Seals and Amulets in the British Museum, London, -2011, p. 101, pl.457.

٥٥ - Porter, V., Arabic and Persian, p. 106, pl.488.

٥٦ - Porter, V., Arabic and Persian, p. 105, pl.486.

٥٧ - Fodor, A., Sufism and Magic Amulets from the Islamic World,

Helicon Castle Museum, Keszthely, 2009, p.85 pl. 37

٥٨-<http://www.metmuseum.org/Collections/search-the-collections/٤٥٢٢٢٥>

٥٩-<http://www.metmuseum.org/collections/search-the-collections/140010654?img=3>

٦٠ - سورة الصف، الآية ١٣.

٦١ - أحمد آدم محمد، التائم والأحجية، مجلة الفنون الشعبية، عدد ١٦، وزارة الثقافة، القاهرة، مايو ١٩٧١م، ص ٥٤.

٦٢ - عصمت أحمد عوض، التعويذة والتائم في الحلي الشعبية بمصر، مجلة المأثورات الشعبية، مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، الدوحة، عدد ٤٩، يناير ١٩٩٨م، ص ٧٨.

٦٣ - هبه الله محمد فتحي حسن، الفنون الشعبية في مصر، ص ١٣٧؛ أحمد عبده خليل بغدادى، الرموز والمعتقدات عند الفنان الشعبي المصري كمصدر لابتكار تصميمات للمعلقات النسجية الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، ٢٠٠٢م، ص ٤٢.

٦٤ - لم يكتف بالرسوم فقط بل وجدت مطارق للأبواب مُشكلة على هيئة كف اليد، والغرض منها يهدف إلى دفع الضرر والشر وتيمية ضد الحسد وشر العين، للمزيد راجع: حسن الباشا، مطرقة الباب، القاهرة تاريخها فنونها آثارها، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٦١٥؛ حسام عويس طنطاوي، التحف الفنية الإسلامية المشكلة على هيئة الكف، ص ٢٣.

٦٥ - أكرم قانصو، التصوير الشعبي العربي، عالم المعرفة، الكويت، عدد ٢٠٣، نوفمبر ١٩٩٥م، ص ٨٩. كما لعب الكف دوراً هاماً في الكثير من الثقافات وذلك كونها تنقل الطاقة الروحية والبدنية وهذا ما جعل منها رمزاً للقوة الروحية والنشاط ورمزاً للحماية والحظ السعيد، وقد رسمها الناس على أبواب المنازل وعلقت على صدور النساء والأطفال كتعاويذ لدرء الشر وإصابة العين، للمزيد راجع: دعاء محمد السيد محمد، الفن الشعبي بين المحاكاة والإبداع، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، ٢٠٠٩م، ص ١٢٨.

٦٦ - من تصوير الباحث.

٦٧ - مشترى من هراى بك، ومسجل بالمتحف بتاريخ ٤/٦/١٩٤٥م، راجع سجلات متحف الفن الاسلامي بالقاهرة.



٦٨ - البخارية: عنصر من العناصر الزخرفية التي وجدت بكثرة على جلود المصاحف في العصر المملوكي والعثماني، راجع:

James, D., Qurans and Bindings From the Chester Beatty library .Afacsimile Exhibition, World of Islam Festival Trust,1980, P.128:134

ويقصد بالبخارية في مصطلح اهل الصنعة من الحرفيين وحدة زخرفية ذات شكل دائري غالبا تتصل بها من أعلى ومن اسفل حليتان متشابهتان كل منها عبارة عن ورقة نباتية ثلاثية، للمزيد راجع: راجع عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٠م، ص٣٣؛ علاء الدين محمود محمود محمد، القطع الفنية التطبيقية للمرأة في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١١م، ص١٨١.

٦٩ - الزهراء نعت خاص بالسيدة فاطمة بنت النبي ﷺ، وهو من الزهرة، للمزيد راجع: حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية بالقاهرة، ط١، ١٩٨٩م، ص٣١٣.

٧٠ - من الألقاب التي أطلقت علي الإمام محمد المهدي لقب المهدي المنتظر، وهو الإمام الثاني عشر من أئمة الشيعة، للمزيد راجع: حسن الباشا الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٧م، ص٥١١:٥١٤.

٧١ - محمد هادي النجفي، خزانة الأحرار، دار المتقين بالعراق، ط١، ٢٠٠٨م، ص٤٢١.

٧٢ - محمد حسين مغنية، مجربات الأمامية، ص ص ٢٠٠.

٧٣ - محمد حسين مغنية، مجربات الأمامية، ص ٤٠٢.

٧٤ - عصمت أحمد عوض، التعويذة والتائم والأحجية، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٩م، ص ٨٣.

٧٥ - هي السيدة ملك جهان خانم ابنة الأمي قاسم قاجار قونلو، وأمها بيكم جان خانم الأبنة الثانية لفتح علي شاه قاجار، ولدت سنة (١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م) وعندما بلغت ١٦ سنة تزوجت من محمد شاه ولي العهد آنذاك، وعندما تولى الحكم لقبت هي «مهد عليا» وانجبت منه ثلاث أولاد وبنتين، وتميزت بالذكاء الشديد واتقانها للغارسية والعربية وحبها للفنون والأدب والموسيقى والخط والكتابة، للمزيد راجع: حسام عويس طنطاوي، شواهد القبور الإيرانية المصورة خلال العصر القاجاري (١٢٠٩ - ١٣٤٤هـ / ١٧٩٤ - ١٩٢٥م) في ضوء مجموعة مختارة من متحف الروضة المقدسة بقم دراسة آثارية فنية، مجلة شدت، كلية الآثار، جامعة الفيوم، عدد ٣، ٢٠١٦م، ص ٨٣.

٧٦ - الشيعة في اللغة: قوم يتشيعون أي يهون أهواء قوم ويتابعونهم، وشيعة الرجل

أصحابه وأتباعه وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وأصنافهم شيع أي فرق، للمزيد راجع: الفراهيدي، كتاب العين، ج ٢، ص ٣٧٢. وقد غلب هذا الاسم على من يتوالي علماً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً فإذا قيل فلان من الشيعة عُرف أنه منهم، وقد قدم الشيعة علي بن أبي طالب على سائر أصحاب النبي ﷺ، للمزيد راجع: الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٩م، ص ٦٥؛ ابن منظور، لسان العرب، مج ٤، ج ٢٤، ص ٢٣٧٧؛ محمد السعيد جمال الدين، دولة الإسماعيلية في إيران، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩م، ص ١٢؛ محمود جابر، الشيعة الجذور والبذور، مركز الأبحاث العقائدية، إيران، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٦٢؛ إحسان إلهي ظهير، الشيعة والتشيع فرق وتاريخ، دار السلام، الرياض، ط ١٠، ١٩٩٥م، ص ١٣.

٧٧ - يرى الشيعة أن أدلة الشفاعة القرآنية للرسول وأهل بيته هي بنفسها مقتضية الحث على طلب الخوائج من النبي ﷺ وأهل بيته؛ لأن دأب المحتاجين على سؤال حوائجهم من الشفعاء والتوجه بطلبها إليهم، فإذا أريد من «يا محمد» و«يا علي» الاستغاثة، عندئذ يكون النداء متبوعاً بالذي يذكر بعد المنادى من الطلب والتوسل في قضاء الحاجات، أو بتقدير نستغيث بك «يا محمد» و«يا علي» للمزيد راجع: محمد السند البحراني، الإمامة الإلهية، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٢م، ص ١٦٧؛ حسام عويس طنطاوي، أثر الفكر الاثنى عشري على الفنون الإسلامية (كف العباس نموذجاً)، المؤتمر الدولي الأول للآثار الإسلامية في المشرق الإسلامي، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٨-١٢ ديسمبر ٢٠١٣م، ص ٢٧.

٧٨ - النداء: هو توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه لإصغاء وسماع ما يريد المتكلم، وأما تحديد القرب والبعد فمتروك للعرف الشائع سواء كانا حسيين أو معنويين، للمزيد راجع: عباس حسن، النحو الوافي، ج ٤، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ص ١، ٢.

٧٩ - للمزيد راجع: عباس حسن، النحو الوافي، ج ٣، القاهرة، دت، ص ٣.

٨٠ - محمد إبراهيم نصر الله بروجوردي، الف حرز وحرز مفيد مؤثر ومجرب، مكتبة الرضا، كربلاء، العراق، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٢٨١.

٨١ - محمد تقي المقدم، خزانة الأسرار في الختوم والأذكار بحار الفيض وروضة الجنات في الشفاء العاجل ونيل الحاجات، ترجمة علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ج ٢، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٢٩٨؛ محمد حسن صادق آل طعمه، خزائن آل محمد في الأدعية والأذكار والأوراد والختوم، دار الهدى للنشر، الرياض، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٢٢٨؛ محمد حسين مغنية، مجربات الإمامية، ص ٣٩١.

٨٢ - للمزيد راجع: محمد كاظم القزويني، الإمام علي من المهدي إلى اللحد، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣ م، ص ٨٢. وهذا الحديث لم يرد عند أهل السنة، للمزيد راجع: <http://www.sultan.org/h>

٨٣ - حسام عويس طنطاوي، أثر الفكر الاثنى عشري، ص ٢٧.

٨٤ - ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الجواد، ج ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ٩٦.

٨٥ - المكي، المناقب، تحقيق مالك المحمود، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ط ٢، ١٩٩٠ م، ص ١٦٨؛ مرتضى الحسيني الفيروز آبادي، فضائل الخمسة من الصحاح الستة وغيرها من الكتب المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، منشورات فيروز آبادي، إيران، ط ٤، ١٩٨٢ م، ص ١٨٢؛ محمد كاظم القزويني، الإمام علي، ص ٨١، ٨٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٠٢.

٨٦ - عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قالت فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام فقال: هؤلاء أهلي... راجع: المكي، المناقب، تحقيق مالك المحمود، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ط ٢، ١٩٩٠ م، ص ٦١؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٠٤؛ السبحاني، أهل البيت سماتهم وحقوقهم في القرآن الكريم، مؤسسة الإمام الصادق، إيران، ط ٢، ٢٠٠٤ م، ص ١٤.

٨٧ - أئمة الشيعة العديد من التعويذات التي اشتملت على أسماء الأئمة الإثني عشرية بالإضافة اسم محمد وعلي وفاطمة، وربما استخدموا أيضاً خمسة أسماء الأولي «محمد، علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، لا سيما في إيران، للمزيد راجع:

Kalus, L., Catalogue des cachets, bulles et talismans islamiques, Bibliotheque Nationale, 1981, p71

٨٨ - عن أسماء أئمة الشيعة وحياتهم وتاريخهم راجع: أحمد محمد التركماني، تعريف بمذهب الشيعة الإمامية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط ١، ١٩٨٣ م، ص ١١ - ١٢.

٨٩ - يري الشيعة أن أقرب الوسائل إلى الله وأسمى السبل لنيل السعادة العظمي هم الذوات المقدسة من أهل بيت الرسالة والعصمة الذين لا يقبل الله عمل عامل ولا طاعة مطيع إلا بمودتهم والاستشفاع بهم والتوسل بولايتهم إليه سبحانه، ومن أهمته حاجه يريد نفعها، أو دهته داهية يريد كف ضررها بمحمد وآله الطيبين الطاهرين، للمزيد راجع: محمد ضياء آبادي، المستغفرون بالأسحار، مؤسسة البعثة، إيران، ط ١، ١٩٩٢ م، ص ٧٣-٧٤.

٩٠ - الجويني، فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٧؛ محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، المطبعة العلمية، كربلاء، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٥٥٠.

٩١ - مرتضى الحسيني الفيروز آبادي، فضائل الخمسة، ص ٢٠٥. وفي رواية: أنه عندما أذنب آدم كان من جملة ما توسل به الكلمات التي تلقاها من الله تعالى وتاب بها عليه، كما جاء ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، إن آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء معظمة مكرمة، فسأل عنها فقيل له: هذه أسماء أجل الخلق منزلة عند الله تعالى والأسماء هي: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين: فتوسل آدم إلى ربه بهم في قبول توبته ورفع منزلته، ولذا أخذ الشيعة هذه الأسماء وسيلة يتوسلون بها إلى الله لقضاء حوائجهم، للمزيد راجع: محمد فاضل المسعودي، الأسرار الفاطمية، قم المقدسة، إيران، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٣١. ورد هذا الحديث عند أهل السنة، وهو حديث موضوع، راجع: ابن تيمية، مختصر منهاج السنة النبوية، اختصره عبد الله الغنيان، دار الصديق، صنعاء، ط ٢، ٢٠٠٥م، ص ٣٨٨؛ الذهبي، ترتيب الموضوعات، تعليق كمال بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م، ص ١٣٣.

٩٢ - الجويني، فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٧؛ فاطمة علي الجعفر، الشفاء في حديث الكساء، ص ٣٩، ٤٠.

٩٣ - محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء، ص ٥٢. وذكر الذهبي، والشوكاني في الأحاديث الموضوعة «لا يدخل الفقر بيتاً فيه إسمي» راجع: الذهبي، ترتيب الموضوعات، ص ٣٢؛ الشوكاني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٤٧١.

٩٤ - الحر، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، قدم له شهاب الدين المرعشي النجفي، ج ٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٣٠٢، ٣١٠، ٣١٢؛ محمد الحسيني الشيرازي، السيرة الفواحة، لجنة سيد الشهداء الخيرية، الكويت، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص ٩٣، ٩٤.

٩٥ - مكتبة الألفين، المنتخب الحسيني في الأدعية والزيارات، شركة مكتبة الألفين للنشر، إيران، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ١٢٠.

٩٦ - مكتبة الألفين، المنتخب الحسيني، ص ١٨٩. وحديث الكساء هو حديث روي عن السيدة عائشة قالت: «خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط (كساء من صوف أو كتان يؤتز به) مرحل (ضرب من دروب اليمن) من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»، للمزيد راجع:

الحر، إثبات الهداة، ج ٢، ص ٣٠٤؛ ابن تيمية، مختصر منهاج السنة النبوية، ص ٢٣٤؛ فاطمة علي الجعفر، الشفاء في حديث الكساء، ص ١٩. وارتبطت هذه الآية المباركة بهذا الحديث - حديث الكساء - ولهذه الآية خاصية عظيمة فمن كتبها فرج الله همه وكشف غمه، وما طلب حاجه إلا وقضى الله حاجته، للمزيد راجع: فاطمة علي الجعفر، الشفاء في حديث الكساء، ص ٢٦. ويعتبر الشيعة حديث الكساء من الأحاديث النورانية الذي عبر عن مدي ارتباط أهل البيت عليهم السلام بالسماء، فهو مرسوم رباني قلده الله تبارك وتعالى لنبيه الشريف - محمد صلى الله عليه وآله - ولآله الطيبين الطاهرين، للمزيد عن حديث الكساء راجع: المكّي، المناقب، ص ٦١؛ محمد فاضل المسعودي، الأسرار الفاطمية، ص ١٨٥.

٩٧ - محمد فاضل المسعودي، الأسرار الفاطمية، ص ١٨٤.

٩٨ - محمد حسن صادق آل طعمه، خزائن آل محمد، ص ٦٧.

٩٩ - محمد حسين مغنية، مجربات الإمامية، ص ٤٠٢.

١٠٠ - محمد حسن صادق آل طعمه، خزائن آل محمد، ص ١١٢.

١٠١ - للمزيد عن هذا الدعاء راجع: محسن الأمين الحسيني العاملي، مفتاح الجنات، ص ٢٠٢. ورد هذا الدعاء كاملاً بالتحفة (١١٩)، وهو دعاء طويل يمكن الرجوع إليه في الدراسة الوصفية ص ٤٠٠.

١٠٢ - عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص ١٢٩.

١٠٣ - العباس الحسيني الكاشاني، كتاب مصابيح الجنان، ص ١٢٥.

١٠٤ - عن هذه الأحراز راجع: محسن الأمين الحسيني العاملي، مفتاح الجنات، ص ١٧٠: ١٧٤.

١٠٥ - الحرز: الموضع الحصين. يُقال: هذا حرزٌ حريزٌ. والحرز: ما أحرزك من موضعٍ وغيره. تقول: هو في حرزٍ لا يؤصل إليه، ويسمى التعويدُ حرزاً. وأحرزتُ من كذاً وحَرَزْتُ أي تَوَقَّيْتُه، راجع: ابن منظور، لسان العرب، مج ٢، ج ٩، ص ٨٣٢. وفي اصطلاح المعوذتين - من يكتبون التعاويذ - ما يكتب ويحامي حامله من الخطر والمرض كما يزعمون، إذ يعتقد حامل الحرز أنه يتحصن به من كل مكروه، ويدفع عن نفسه كل سوء، راجع: إبراهيم كامل أحمد، حرز تاج الملك الأندزون امتزاج الحكاية الشعبية بالاعتقاد في الحرز، مجلة الفنون الشعبية، عدد ٣٤، ٣٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ديسمبر ١٩٩١م، ص ٥٢. ويقال هذا (حرز حريز) ويسمى (حرزاً) واحترز من كذا وتحرز أي توقاه، والحرز أيضاً كلمة تطلق على الأحجبة وغيرها، للاحتراز من الجن والحسد، راجع: أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد، ص ١٦٦.

١٠٦ - من أكثر الفرق الشيعية الاثنا عشرية وهم القائلون بإمامة الأئمة الاثنى عشر بدءاً بعلي بن أبي طالب، وانتهاءً بالإمام المهدي، وهم يمثلون أكثرية الفرق الشيعية،

ومنتشرون في شرق العالم وغربه، وحوزتهم العلمية في العراق وإيران وسوريا، والشيعة قاطبة يمثلون نصف المسلمين في العالم، للمزيد راجع: السفاريني، كتاب لوامع الأنوار البهية، ج ١، ص ٨٥، ٨٦؛ عبد الرسول الموسوعي، الشيعة في التاريخ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٧٤. أما الإسماعيلية فهي تشترك مع الاثني عشرية في مفهوم الأئمة المنحدرين من ابنة الرسول ﷺ فاطمة الزهراء ولكن الإسماعيليون انشقوا عن جمهور الشيعة الاثني عشرية عند الإمام السادس «جعفر الصادق» ومن سيخلفه من أبنائه فجنح الإسماعيليون مع ابن جعفر الصادق الأكبر «إسماعيل» بينما تبني الاثنا عشريون ابنه الأصغر «موسي الكاظم»، للمزيد راجع: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس الأديان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٤٠٩. وسمي الشيعة الأئمة الاثني عشرية بهذا الاسم لقولهم باتباع الاثني عشر إماماً، للمزيد راجع: السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ص ٨٥، ٨٦. ويعتقد الشيعة أن من توسل إلى الله تعالى بأحد الأئمة المعصومين عندهم، وبزيارة أضرحتهم ومقاماتهم وترديد بعض الأدعية التي تجعل دعاؤهم مقبول تلبي مطالبهم، للمزيد راجع: سميرة عبد الله عيسى البدوي، الجوانب الفكرية والمذهبية في شعر نظيري النيسابوري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٤م، ص ٥٠. ويعتقد الأئمة الشيعة الاثني عشرية أن الإمام المهدي غاب عن الانظار وسيظهر في آخر الزمان ويملك الأرض، ويُعيد الشريعة، ويملاً الأرض عدلاً وينظم القواعد والقوانين، للمزيد راجع:

Blair, S., An Amulet from Afsharid Iran, JWAM, Vol. 59, New York, 2001, p.89

- ١٠٧ - محمد هادي النجفي، خزانة الأحراز، دار المتقين، العراق، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٢٢: ٦٧.
- ١٠٨ - راجع: محسن الأمين، أعيان الشيعة، مج ١، ص ٦٥٩.
- ١٠٩ - قرآن كريم، سورة التوبة، آية رقم ١٢٩. ابن طاووس، مهج الدعوات، ص ٣٥٧-٣٥٨؛ محسن الأمين الحسيني العاملي، مفتاح الجنات، ص ١٧٣؛ عبد الله بن محمد الزاهد، أكسير الدعوات، مكتبة الفقيه، الكويت، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ٣٧٠.
- ١١٠ - عبد الله بن محمد الزاهد، أكسير الدعوات، ص ٣٨٧.
- ١١١ - قرآن كريم، سورة الإسراء، آية رقم ٥٧.
- ١١٢ - ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ج ٥٣، ص ٤٨٣٧، ٤٨٣٨.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: - المصادر المراجع العربية

* إبراهيم كامل أحمد، حرز تاج الملك
الأندزون امتزاج الحكاية الشعبية
بالاعتقاد في الحرز، مجلة الفنون الشعبية،
عدد ٣٤، ٣٥، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة، ديسمبر ١٩٩١م.

* إحسان إلهي ظهير، الشيعة والتشيع فرق
وتاريخ، دار السلام، الرياض، ط ١٠،
١٩٩٥.

* أحمد آدم محمد، التمايم والأحجية، مجلة
الفنون الشعبية، عدد ١٦، وزارة الثقافة،
القاهرة، مايو ١٩٧١م.

* أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٥٣م.

* أحمد عبدالرازق أحمد، الفنون الإسلامية
حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الحريري
للطباعة، ط ٢، ٢٠٠٦.

* أحمد عبده خليل بغدادي، الرموز
والمعتقدات عند الفنان الشعبي المصري
كمصدر لابتكار تصميمات للمعلقات
النسجية الحديثة، رسالة ماجستير غير
منشورة، كلية الفنون التطبيقية، جامعة
حلوان، ٢٠٠٢م

* أحمد محمد أحمد جلي، دراسة عن الفرق
وتاريخ المسلمين «الخوارج والشيعة»،
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات
الإسلامية، ط ٣، ١٩٨٨ م.

* أحمد محمد التركماني، تعريف بمذهب الشيعة الامامية، جمعية عمال المطابع التعاونية، ط ١، ١٩٨٣م.

* أحمد محمد التركماني، تعريف بمذهب الشيعة الإمامية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط ١، ١٩٨٣م.

* أحمد محمد توفيق الزيات، الأزياء الإيرانية في مدرسة التصوير الصفوية وعلى التحف التطبيقية دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٠م.

* الأشعري، مقالات الإسلاميين
واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي
الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة
المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٩م.

* أكرم فانصو، التصوير الشعبي العربي،
عالم المعرفة، الكويت، عدد ٢٠٣،
نوفمبر ١٩٩٥م.

* ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، أسدُ الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الجواد، ٨ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

* أبو منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، وآخرون، ٦ مجلدات، دار المعارف، القاهرة، دت.

* الحر، محمد بن الحسن بن علي بن الحسين
الحر العاملي (١١٠٤هـ / ١٦٩٢م)
إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات،
قدم له شهاب الدين المرعشي النجفي،
مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١،
٢٠٠٤.

* حسام عويس طنطاوي، أثر الفكر الاثنى
عشري على الفنون الإسلامية (كف
العباس نموذجًا)، المؤتمر الدولي الأول
للآثار الإسلامية في المشرق الإسلامي،
كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٨-١٢
ديسمبر ٢٠١٣م.

* حسام عويس طنطاوي، التحف الفنية
الإسلامية المشكلة على هيئة الكف في
ضوء نماذج مختارة (دراسة في المغزى
الوظيفي والمذهبي)، مجلة معهد
الدراسات العليا للبردي والنقوش
وفنون الترميم: اعمال المؤتمر الدولي
الأول ٢٨-٣٠، ج٣، مارس، ٢٠١٧م.

* حسام عويس طنطاوي، شواهد
القبور الإيرانية المصورة خلال العصر
القاجاري (١٢٠٩ - ١٣٤٤هـ /
١٧٩٤ - ١٩٢٥م) في ضوء مجموعة
مختارة من متحف الروضة المقدسة بقم
دراسة أثرية فنية، مجلة شدت، كلية
الآثار، جامعة الفيوم، عدد ٣، ٢٠١٦م.

* حسن الباشا الألقاب الإسلامية في
التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة
المصرية، ط١، ١٩٥٧م.

* حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في
التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية
بالقاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

* حسن الباشا، مطرقة الباب، القاهرة
تاريخها فنونها آثارها، مؤسسة الأهرام،
القاهرة، ١٩٧٠م.

* دعاء محمد السيد محمد، الفن الشعبي بين
المحاكاة والإبداع، رسالة دكتوراه غير
منشورة، كلية الفنون التطبيقية، جامعة
حلوان، ٢٠٠٩م.

* ديريك جى كوننت وآخرون، الخواتم
والجواهر الإسلامية مجموعة بنيامين
زوكر، دار فيليب ويلسون للنشر، ط١،
١٩٨٧م.

* ربيع حامد خليفة، فنون القاهرة في العهد
العثماني، مكتبة زهراء الشرق، ط٢،
٢٠٠١م.

* سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث،
أطلس الأديان، مكتبة العبيكان،
الرياض، ط١، ٢٠٠٧م.

* السبحاني، جعفر السبحاني التبريزي)
١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م)، أهل البيت
سماتهم وحقوقهم في القرآن الكريم،
مؤسسة الإمام الصادق، إيران، ط٢،
٢٠٠٤م.

* السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم بن
سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي (ت
١١٨٨هـ / ١٧٧٤م)، كتاب لوايع
الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية
لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة



- المرضية، مؤسسة الخلفين ومكتبتها، دمشق، ط١، ١٩٨١م.
- * سميرة عبد الله عيسى البدوي، الجوانب الفكرية والمذهبية في شعر نظيري النيسابوري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٤م.
- * سيد أمير علي، روح الاسلام، نقلة إلى العربية عمر الديراوي، دار العلم للملايين، ج٢، ط١، بيروت، دت.
- * السيد صادق الحُسَيني الشيرازي، المسائل الإسلامية، دار الأمين، ط٥، ٢٠٠٣م.
- * الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الصنعاني (١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- * شيباء عبد الله إبراهيم، مصحف مطوي من العصر المملوكي محفوظ في مكتبة شستر بيتي مؤرخ بستتي (٧٦٣- ٧٦٧هـ / ١٣٦٢- ١٣٦٥م) دراسة أثرية فنية، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب، مج ٢٥، عدد ١، سنة ٢٠٢٤م.
- * عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٠م.
- * عاطف منصور محمد رمضان، الكتابات غير القرآنية على السكة الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، رسالة دكتوراه، كلية لآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.
- * عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، دار المعارف، القاهرة، ط٣، دت.
- * عصام ظاظا، وآخرون، النسيج البدوي، دار اليازوري العلمية، عمان، ط١، دت.
- * عصمت أحمد عوض، التعويذة والتائم في الحلي الشعبية بمصر، مجلة المآثورات الشعبية، مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، الدوحة، عدد ٤٩، يناير ١٩٩٨م.
- * علاء الدين عبدالعال عبدالحميد، النقوش الكتابية الكوفية علي العماثر الإسلامية من بداية العصر الأيوبي وحتى نهاية العصر العثماني (٥٦٧ - ١٢٢٠هـ) / (١١٧١ - ١٨٠٥م) دراسة آثارية فنية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة سوهاج، ٢٠١٠م.
- * علاء الدين محمود محمود محمد، القطع الفنية التطبيقية للمرأة في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١١م.
- * فاطمة علي الجعفر، الشفاء في حديث الكساء، مشكاة النور بالكويت، ط١، ٢٠١٠م.
- * ليل أحمد علام، الفن الإسلامي وأهم الأشكال القائم عليها، مهارات حرفية وفنية في التراث الوطني والفنون الإسلامية، الأبحاث التي أُلقيت في

الدورة التدريبية الرابعة من ١٩ يونيو إلى ١٢ يوليو، ٢٠٠٠م، مركز زايد للتراث والتاريخ بالإمارات العربية المتحدة.

* ليلي أحمد علام، الفن الإسلامي وأهم الأشكال القائم عليها، مهارات حرفية وفنية في التراث الوطني والفنون الإسلامية، الأبحاث التي ألفت في الدورة التدريبية الرابعة من ١٩ يونيو إلى ١٢ يوليو، ٢٠٠٠م، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبوظبي، ٢٠٠٠م.

* ماهر سمير عبد السميع السيد، النقوش الكتابية الشيعية على الفنون الإسلامية الإيرانية في العصر الصفوي دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة جنوب الوادي، ٢٠١٤م.

* متحف بلا حدود، أكتشف الفن الإسلامي في حوض المتوسط، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، دت.

* محسن الأمين الحسيني العاملي، مفتاح الجنات، ص ١٧٣؛ عبدالله بن محمد الزاهد، أكسير الدعوات، مكتبة الفقيه، الكويت، ط ٢، ٢٠٠١م.

* محمد إبراهيم نصر الله بروجوردي، ألف حرز وحرز مفيد مؤثر ومجرب، مكتبة الرضا، كربلاء، العراق، ط ١، ١٩٩٥م.

* محمد الحسيني الشيرازي، السيرة الفواحة، لجنة سيد الشهداء الخيرية، الكويت، ط ٢، ٢٠٠٦م.

* محمد السعيد جمال الدين، دولة الإسماعيلية في إيران، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩م.

* محمد تقي المقدم، خزانة الأسرار في الختوم والأذكار بحار الفيض وروضة الجنات في الشفاء العاجل ونيل الحاجات، ترجمة علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ج ٢، ط ١، ٢٠٠٢م.

* محمد حسن صادق آل طعمه، خزائن آل محمد في الأدعية والأذكار والأوراد والختوم، دار الهدى للنشر، الرياض، ط ١، ٢٠٠٥م.

* محمد حسن صادق آل طعمه، خزائن آل محمد في الأدعية والأذكار والأوراد والختوم، دار الهدى للنشر، الرياض، ط ١، ٢٠٠٥م.

* محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ج ٢، ط ١، ١٩٩٧م.

* محمد حسين مغنية، مجربات الإمامية في الشفاء بالقرآن والدعاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

* محمد ضياء آبادي، المستغفرون بالأسحار، مؤسسة البعثة، إيران، ط ١، ١٩٩٢م.

* محمد عبدالرحمن فهمي، القوالب والطابع الإسلامية من القرن الأول الهجري حتى نهاية العصر العثماني



- في ضوء مجموعه متحف الفن الاسلامى بالقاهرة دراسة آثاره فنية، رساله دكتوراه، كليه الآثار، جامعه القاهرة، ٢٠٠٠م.
- * محمد عبدالعزيز مرزوق، المصحف الشريف دراسة أثرية تاريخية وفنية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٠، ١٩٨٥م.
- * محمد فاضل المسعودي، الأسرار الفاطمية، قم المقدسة، إيران، ١٠، ١٩٩٧م.
- * محمد كاظم القزويني، الإمام علي من المهد إلى اللحد، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ٢، ١٩٩٣م.
- * محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، المطبعة العلمية، كربلاء، ١٠، ١٩٩٣م.
- * محمد هادي النجفي، خزانة الأحراز، دار المتقين بالعراق، ١٠، ٢٠٠٨م.
- * محمود جابر، الشيعة الجذور والبذور، مركز الأبحاث العقائدية، إيران، ١٠، ٢٠٠٨م.
- * محمود عبدالرحمن عبدالمنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، ١٠، ١٩٩٩م.
- * مرتضى الحسيني الفيروز آبادي، فضائل الخمسة من الصحاح الستة وغيرها من الكتب المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، منشورات فيروزآبادي، إيران، ٤، ١٩٨٢م.
- * المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ١٠٥٤م)، التنبيه والإشراف، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٨م.
- * المكّي، الموفق بن أحمد بن محمد المكّي الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ / ١١٧٢م)، المناقب، تحقيق مالك المحمود، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ٢، ١٩٩٠م.
- * نادر محمود عبدالدايم، التأثيرات العقائدية في الفن العثماني، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م.
- * هبه الله محمد فتحي حسن، الفنون الشعبية في مصر الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٣م.

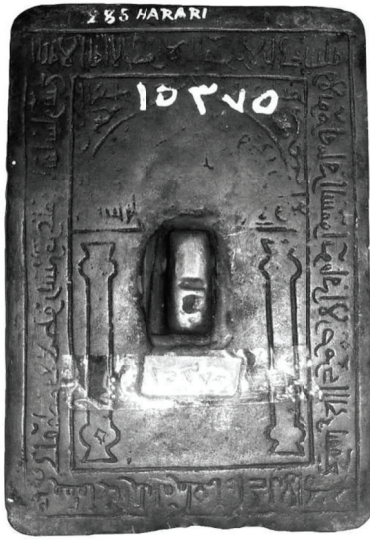
ثالثاً المراجع الأجنبية:

- * James, D., Qurans and Bindings From the Chester Beatty library Afacsimile Exhibition, World of Islam Festival Trust, 1980.
- * Kalus, L., Catalogue des cachets, bulles et talismans islamiques, Bibliotheque Nationale, 1981
- * Khalili, N., the Timeline History of Islamic Art and Architecture, Worth Press, 2005.
- * Maddison, F., and Smith, E., the Nasser D. Khalili Collection of Islamic Art, Science, Tools and Magic, Oxford, 1997.
- * Pope, A., A survey of Persian Art from Prehistoric Times to the Present, Vol.v1, London and New York, 1939, PL. 1106; Pope, A., Masterpieces of Persian Art, New York, 1945.
- * Porter, V., Arabic and Persian Seals and Amulets in the British Museum, London, -2011.
- * Barber, E., Prehistoric Textile, Prineetion University, 1991, p.149; Mahadevan, M., Dictionary of Textile, Abhishek Publication Chandigarh, 2003.
- * Blair, S., An Amulet from Afsharid Iran, JWAM, Vol. 59, New York, 2001.
- * Epelboin, A., Cinq Tuniques Talismaniques Récentes en Provenance de Dakar (Sénégal), Coran et Talismans Textes et Pratiques Magiques en Milieu Musulman, Karthala, 2007.
- * Fodor, A., Sufism and Magic Amulets from the Islamic World, Helicon Castle Museum, Keszthely, 2009.
- * Forkl, H., Kalter, J., die Gärten des Islam, Hansjorg Mayer, 1993.
- * Hooper, L., the Technique of Greek and Roman Weaving, BMC, Vol.18, No.95 (Feb., 1911).
- * Irwin, R., Islamic Art, London, 1997.

❖ رابعاً : شبكة الإنترنت:
<http://www.metmuseum.org/Collections/search-the-collections/452225->
[-http://www.metmuseum.org/collections/search-the-collections/140010654?img=3](http://www.metmuseum.org/collections/search-the-collections/140010654?img=3)

* S. Flury: Die Ornamente der Hakim und Ashar Moschee, Materialien zur Geschichte der alteren Kunst des Islam, Heidelberg, 1912.





لوحة ١



صفحات المصحف من الداخل



المصحف الرول أو المطوي



حجاب الإمام جعفر الصادق



صفحات المصحف من الداخل

لوحة ٢

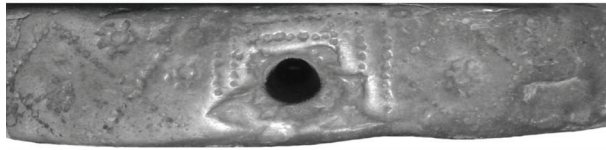


الظهر



الوجه

لوحة ٣



الثقب النافذ بسمك القطعة



القميص من الداخل



القميص من الخارج

لوحة ٤





لوحة ٥

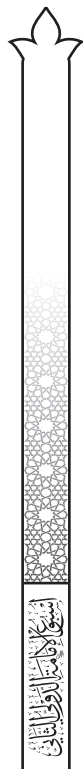


لوحة ٦





لوحة ٧



السَّعْدُ وَالْأَمْنُ وَالْإِيمَانُ وَالْجَنَّةُ



وبالصادق حقا

لوحة ٨

شواهد من أحاديث الإمام الصادق عليه السلام وآثارها في التنمية البشرية المستدامة

أ.د. عمار جاسم مسلم

جامعة البصرة / كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة

الملخص:

إن التنمية البشرية المستدامة تحتاج مجموعة من العوامل والمقدمات من إدارات الدول والمؤسسات لكي تحقق أهدافها بحفظ الطاقات البشرية والموارد الطبيعية، ومن تلك العوامل لا بدّ من الرعاية الصحية لكوادرها جميعاً، وتحسين المؤسسات التعليمية وتطوير كفاءة التدريس باستخدام الطرق التدريسية والأدوات فضلاً عن المناهج الدراسية التي يجب أن تتماشى مع فلسفة القيم الأخلاقية والعلمية، وهذا يتطلب تشجيع التنمية الاقتصادية من خلال إيجاد الفرص للعاملين والمستثمرين بشكل متكافئ؛ ممّا يتطلب إيجاد اقتصاد أخلاقي يراقبه قضاء عادل يحفظ فيه الحقوق والكرامات مع توفير أجواء المحاورة والتخلص من لغة الكراهية، وهذا يضيف الطاقات الإيجابية؛ ممّا تتوافر فرص التنمية البشرية المستدامة وحفظ الموارد وتعظيمها على الرغم من أنّ ذلك غير كاف أمام توزيع الثروات وعوائدها بشكل عادل وحفظ الموارد للأجيال القادمة .





Abstract

Evidence from the hadiths of Imam al-Sadiq, peace be upon him, and their effects on sustainable human development

Researcher: Prof. Dr. Ammar Jassim Muslim

Sustainable human development requires a set of factors and introductions by the administrations of countries and institutions in order to achieve its goals by preserving human energies and natural resources. Among these factors, there must be health care for all its cadres, improving educational institutions, and developing the efficiency of teachers using teaching methods and tools, as well as the curricula that must be in line with With the philosophy of moral and scientific values, this requires encouraging economic development by creating equal opportunities for workers and investors, which requires creating a moral economy monitored by a fair judiciary that preserves rights and dignity By providing an atmosphere of dialogue and eliminating the language of hatred, this adds positive energies, creating opportunities for sustainable human development and preserving and maximizing resources, although this is not sufficient in the face of distributing wealth and its returns fairly and preserving resources for future generations.

التعريف بالبحث

أولاً: المقدمة وأهمية البحث:

إنَّ الله سبحانه وتعالى قد خلق الكون ومنه الأرض التي وضع فيها من الموارد الطبيعية وسخرها لكي يتمكّن الإنسان من العيش فيها والتي تسهم في البناء والتقدّم الإنساني والحضاري فضلاً عن رفع مستوى معيشتهم من خلال توظيفها بالطريقة الصحيحة التي تؤدي إلى النهوض بالاقتصاد، وهذا جزء من المصطلح الذي يطلق عليه الاستدامة وهو كيفية إبقاء الأنظمة الحيوية متنوعة ومنتجة مع مرور الوقت، والتنمية البشرية المستدامة هي السعي إلى إيجاد المناخ الطبيعي للإنسان في البيئة من خلال توفير الرعاية الصحية والتعليمية وتعليم المهارات من أجل توفير فرص العيش ومحاربة الفقر من خلال السعي إلى حفظ حقوق الإنسان وتطبيق مبدأ المساواة؛ فهي توفر الفرصة للحياة الكريمة مع السعي إلى تعظيم الموارد للأجيال القادمة دون التسبب في ضياعها وتبديدها .

إنَّ تحقيق السلامة الصحية للفرد والمجتمع ينعكس على السلامة الجسدية وامتلاك مستوى من الصفات البدنية وتقليل أسباب الإصابات المرضية وما يلحق بها من صرف على القطاع الصحي وهو جزء من الهدر للطاقات البشرية والأموال، فإنَّ التمتع بمستوى عالٍ من اللياقة البدنية يوفر قدرة الأفراد على التكيف مع المحيط الخارجي بأداء مهامه وقدرته على الإنتاج والعطاء والتعلم بفرص متكافئة، سوف يوقظ العمليات العقلية من خلال تنشيط وظائف الدماغ، وعندها يخلق الوعي بالحفاظ على البيئة ومواردها وتنميتها ممّا يضمن استمرارها إلى الأجيال، ويحفظ الموارد المالية وموارد الطاقة من التلف من خلال العمل باستخدام التخطيط العلمي. كما يعتمد ذلك على مستوى الإدارات ومدى فهمها للمسؤولية وكيفية قدرتها على التخطيط في السياسة المالية.



إن كفاءة المنظومة الصحية في البلدان تعد معياراً أساسياً للمحافظة على سلامة الأفراد وتكيفهم مع البيئة المحيطة ودليلاً على تقدّم تلك البلدان، وإنّ سلامة الأفراد صحياً تتمثل بالكفاءة الوظيفية لأجهزتهم، فضلاً عن تنمية القدرات الوقائية والمناعية لمنع الإصابات التي تسبب العجز والتوقف عن أداء مهامهم وأعمالهم وفقدان قدراتهم البدنية وضعف قواهم الذي ينعكس على وظائف الدماغ أي العمليات العقلية، وإن كثيراً من الإصابات العقلية والأمراض النفسية تنعكس سلباً على الجانب البدني والعكس صحيح .

ومن هنا يرى الباحث أنّ هناك علاقة ذات معنوية عالية بين السلامة الصحية والمستوى البدني والعمليات العقلية، وهذا بطبيعة الحال يعد من شروط تحقيق التنمية البشرية المستدامة، وإنّ الاهتمام في الاستدامة من الدول المتقدمة ليس بالحفاظ على الموارد وتعظيمها فقط، بل إلى إعداد الإنسان وتنميته بطريقة يكون منها جزءاً من القرار والقانون ولا يحتاج إلى رقابة في طريقة تعامله مع الموارد، والعكس في ذلك سوف يؤدي إلى تفشي الفقر والبطالة والجهل التي تسبب في انتشار الأحقاد والكرهية ومن ثمّ الجريمة.

ومن هنا تكمن أهميّة البحث والحاجة، فبالرغم من حداثة مصطلح (الاستدامة) ولكن هناك الكثير من الاحاديث الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) تشير في مضامينها إلى الشروط التي تحقق التنمية البشرية المستدامة

ودورها في بناء الإنسان والحفاظ عليه وفي طريقة استغلال وتوظيف الموارد البيئية والمحافظة عليها وتعظيمها.

ثانياً: مشكلة البحث:

إنَّ الجسم البشري الذي يصفه العلماء بمظهره الخارجي المدهش ووسطه الداخلي في غاية التعقيد وإن كلاً منهما يدلُّ على الآخر، فإن البنية الجسدية والبناء العضلي المتناسق يعكس السلامة والكفاءة الوظيفية للأجهزة الحيوية، ومنها الدور الكبير للجهاز العصبي الذي يعد المنظم لحركات وسلوك وقرارات الإنسان من خلال وظائف الدماغ المتمثلة بالعمليات الذهنية وتحكّمه بالجهاز الهرموني والمستقبلات الحسية، وإن هذا التطور قادم من الإخلال في البيئة الداخلية والتي تسبب التغيرات في البناء الكيميائي والفيزيائي الذي يعظم موارد الطاقة في الخلايا الجسمية والأعضاء، وعندها يكتسب التكيف، ومن أجل تحقيق التنمية البشرية المستدامة يجب توفير بعض الأسس وتقديم الاستعدادات لنضمن الاستدامة، وإن كثيراً من أبناء مجتمعاتنا العربية متعلق بحضارة الغرب وما تطلّقه من خلال الفضائيات والمصادر العلمية وبرمجيات التواصل في كثير من المواضيع ومنها الاستدامة وكأنها حقيقة غائبة عن الحضارة الإسلامية المتمثلة في السنة النبوية والأئمة الأطهار (عليهم السلام)، ومن هنا تكمن مشكلة البحث والحاجة لوجود فئة كبيرة لتمتلك الدراية والوعي عن موضوع الاستدامة وأهميتها والفهم لتوظيف الموارد الطبيعية في حياتهم العملية المهنية لكونهم مزارعين أو تجاراً أو صناعيين أو مدراء لمؤسسات معينة تحتوي على مجموعة من الأفراد يسعون فيها إلى تغيير واقعهم برفع مستواهم المعيشي وأن يتمتعوا بحياة كريمة مرفّهة لهم ولأجيالهم بسبب سوء الإدارات والتخطيط والذي يؤول الى تبدّد الموارد وضياعها، والجانب الآخر هو بيان بعض الاحاديث الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) التي توجه التنمية البشرية المستدامة من خلال الحث على توفير الرعاية الصحية

والتعليمية وتعزيز العلاقات الاجتماعية وإعطاء الفرص المتكافئة والمساواة بين أبناء الوطن الواحد من خلال احترام القضاء، فضلاً عن وضع المسؤولية بأيدي أناس قادرين على الإدارة والتخطيط في رعاية الإنسان وعلى قدرتهم في اتخاذ القرارات الصائبة في كيفية التعامل لتوظيف الموارد وتعظيمها من دون استنزافها بطريقة غير سليمة وحرمان الأجيال منها من خلال ترجمة وتطبيق أحاديث وروايات الإمام الصادق على التنمية الصحية والبدنية والعقلية بطريق يمكن لنا أن نسلط نافذة من الضوء على ذلك الإرث العلمي والتربوي والإنساني للإمام الصادق (عليه السلام) في مجال التنمية البشرية المستدامة.

ثالثاً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يأتي:

- ١- بيان الأحاديث الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية للإمام الصادق (عليه السلام).
- ٢- نشر الثقافة الإسلامية برؤية الإمام الصادق (عليه السلام) في التنمية البشرية المستدامة.
- ٣- توضيح العوامل والأسس التي تساعد على التنمية البشرية المستدامة.

المبحث الأول: محاربة الجهل ونشر الوعي العلمي :

المحور الأول: رعاية التعليم :

إن النداء الأول من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ في سورة العلق^١ كان يحثه على تعليم الأمة لأنها تعد السبيل إلى المعرفة واكتساب الوعي وإدراك الزمان وما يدور حولهم؛ فهو عملية تحصين من تلوث المحيط بالأفكار المنحرفة التي تبعد الإنسان عن هويته وحضارته وتجرده من إنسانيته وهو ما نعيشه اليوم من هجمة بالأفكار المنحرفة كالمثلية والمساواة غير الشرعية والحرية الشاذة... فالتعلم يعد المضاد البيولوجي بوجه تلك التحديات، والمراد في التعلم هو فهم الحقائق والاطلاع على التجارب الحديثة للشعوب وتطوير المناهج الدراسية بشكل يتوافق مع حاجة السوق والمجتمع والتطور الحادث. فضلاً عن أن التعليم يؤدي دوراً كبيراً في تحول المجتمعات إلى أكثر استدامة من الناحية البيئية، وأن الاستدامة تستمد أهميتها من التعليم من خلال رفع الكفاءة الوظيفية للعمليات العقلية، التي تسهم في اتخاذ القرارات الصائبة والتي تتناغم مع البيئة الخارجية والمحافظة على مواردها وتعظيمها. وهو يتحقق من إعادة صياغة المناهج الدراسية وعلى عموم المراحل على وفق حاجة الزمن الذي نعيشه، وتنمية وتطوير المهارات والمفاهيم والأدوات التي يمكن أن تستخدم في خفض أو إيقاف الممارسات غير المستدامة. وبما أن زمان الإمام الصادق عليه السلام شهد الكثير من الأفكار المنحرفة والصراعات الفكرية؛ ولذا كانت له جهود استثنائية لمواجهة تلك الأفكار من خلال الحث على التحصين بالتعلم وقد ورد عنه عليه السلام الكثير من الوصايا؛ إذ يقول: «عالم أفضل من ألف عابد وألف زاهد»^٢، وعنه عليه السلام في الحث على التعلم لا سيما للشباب الذين يعدون ركيزة البناء والنهوض التي تعتمد عليها الأمم بقوله: «لست أحب أن أرى الشاب منكم إلا غادياً في حالين:

إما عالماً أو متعلماً، فإن لم يفعل فرط، فإن فرط ضيع، فإن ضيع أثم، وإن أثم سكن النار والذي بعث محمداً بالحق...»^٣، وعنه عليه السلام: «ليت الشياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام»^٤. يرى الباحث إن الوصية الأولى أوضحت الحب للشباب وهم إما يعلم أو يتعلم لدور الشباب الكبير في المجتمع، وفي الوصية الثانية استخدام القوة من أجل التعليم؛ لأن الجهل يسبب ضياع العقيدة والأخلاق ويفشي الجهل والبطالة والجريمة، أي ضياع الدين، وضياع الدور الرسالي للإنسان في الحياة فضلاً عن تبديد الموارد وفقدانها حاضراً ومستقبلاً بسبب سوء التعامل مع الموارد لتفشي الجهل؛ عندها يمكن أن ندرك أهمية التعلم الذي نادى به الله نبيه عليه السلام في التنمية البشرية ودورها في تحقيق الاستدامة.

المحور الثاني: القدرات العقلية:

إن الله سبحانه وتعالى كرّم الإنسان عن باقي المخلوقات بتكريمه بالعقل، وهو سبب التكليف ومن خلاله يمكن معرفة الله وتمييز الحق عن الباطل، بل يكون الحساب على قدرة العقل؛ فهو مركز الإدراك والتصور والتفكير والقرار... فإن سلوك الإنسان يبنى على أساس القدرات العقلية. وإن أغلب الشعوب والمجتمعات التي تكون غارقة في مستنقع الجهل والتخلف والشعوذة هي نتاج من تبعية فوضى فكرية وانحطاط وضياع أخلاقي وحضاري لأسباب عديدة، منها مخزون لمعتقدات موروثة خاطئة وأفكار متناقلة من حضارات مزيفة، وعدم وجود فكر قادر على فهم الحاضر والمستقبل والتخطيط بطريقة للنهوض من ركام التخلف فضلاً عن انتشار الأمية وانعدام الكفاءات العلمية، ولذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إذا أراد الله أن يزيل من عبد نعمة كان أول ما يغير منه عقله»^٥، وعليه يعدّ العقل سر نجاح ونهوض الفرد والمجتمعات وأساس التعامل مع

البيئة ومواردها . فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «لا غنى أخصب من العقل، ولا فقر أحط من الحمق»^٦ وعنه (عليه السلام): «دعامة الإنسان العقل، ومن العقل الفطنة والفهم والحفظ والعلم، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذكياً فظناً فهماً، وبالعقل يكمل وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره»^٧ وإن المحافظة على الإنسان ورفع قدراته العقلية من خلال التعلم ومحاربة الجهل يعدّ أحد موارد التنمية المستدامة بالمحافظة على مصادر الطاقة والذي يتطلب التفكير والتخطيط وصياغة المناهج من أجل تحقيق الأهداف واتخاذ القرارات السليمة، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «أصل العقل الفكر، وثمرته السلامة»^٨ وعنه (عليه السلام): «تفكر ساعة خير من قيام ليلة»^٩ فإن أصل العبودية التفكير وإن أصل السلامة الصحية والنهوض من مستنقع الجهل هو التفكير، ولذا يعدّ أساس التنمية البشرية المستدامة .

المبحث الثاني : الرعاية الصحية:

المحور الأول: الصحة البدنية :

إن البسطة بالجسم وامتلاك القوة والضخامة الجسدية من الأمور المستحسنة، والتي يتمناها الكثير من الناس ولا سيما الرياضيين، وهي تدل على ما في باطن الجسم من تكيفات في الأجهزة الحيوية المختلفة وعندها يكون الإنسان أكثر نشاطاً وأقدر على أداء واجباته، كما ينعكس ذلك على ارتفاع القدرة المناعية والوقاية من الإصابات المرضية فضلاً عن ارتفاع مستوى هرمونات المزاج كالدوبامين والسيروتونين التي تمنح مشاعر إيجابية، وهي تنعكس على العلاقات الاجتماعية واتخاذ القرارات والعمليات والوظائف العقلية؛ وبهذا تعدّ التنشئة والاهتمام بالجسد وسلامته جزءاً من التنمية البشرية المستدامة ؛ وهذا يتطلب عدم الإسراف



في التغذية التي تسبب البدانة، وهي خط الشروع للعديد من الأمراض، منها الزمنة وهو ينسحب على القدرات العقلية، ولذا ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «ليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة لشيئين هما قسوة القلب، وهيجان الشهوة»^{١١} فإن الإفراط في تناول الغذاء يبعد الإنسان عن التفكير وطلب العلم، بل يزيد من الشهوة كما يقول الإمام (عليه السلام)، وهذا سوف يؤثر على اضطراب وضعف القوة العقلية، لذا يساعد أداء التمرين الرياضي على تعزيز الصحة العقلية من خلال زيادة كفاءة الأجهزة الوظيفية والسلامة الصحية والبدنية وأداء مهارات العمل التي تحافظ على الاستدامة البشرية.

المحور الثاني : السلامة الصحية :

الإنسان يعدّ الغاية والهدف في أي نشاط تسعى له إدارات الدول؛ فالمحافظة على الموارد البشرية واحدة من أهم مرتكزاتها من خلال الاهتمام بالرعاية الصحية المتمثلة بكوادرها الطبية والأيدي العاملة الساندة لها، وتوفر التقنيات الحديثة والعلاجات عالية التأثير، وهي تعد إحدى مؤشرات تقدم الدول وجزءاً من تقييمها، وكما تعكس إنسانية الدولة ورعايتها لشعبها، فضلاً عن الفهم الصحيح لاستثمار الطاقات البشرية من خلال العناية بصحتهم وتقليل الهدر البشري والمالي من خلال الوقاية والعلاجات، وبالمقابل إن الجهل وضعف الخدمات الصحية والتلوث البيئي في الغذاء والهواء والماء وطرق التخلص من النفايات هي فرصة لفتح الباب أمام انتشار الأمراض والإصابات والأوبئة وانحراف المجتمع ليؤمن بطرق وأساليب غير صحيحة للعلاج والتي تصل إلى الشعوذة .

وروي عن الإمام الصادق جملة من المواعظ والوصايا التي تعدّ منهجاً للوقاية من الإصابات المرضية؛ تبدأ بنظافة المنزل والتخلص من النفايات؛ لأنها أحد أسباب مواقع تكاثر البكتريا والفيروسات التي تكون سبباً للأمراض، فيقول عليه السلام: «اَكْنُسُوا أَفْنِيَتَكُمْ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ»^{١١} وعنه عليه السلام: «غَسْلُ الْإِنَاءِ وَكَسْحُ الْفِنَاءِ، مَجْلَبَةٌ لِلرِّزْقِ»^{١٢}، ويحث على نظافة الأطعمة التي نتناولها بغسلها وغسل اليدين؛ لأن وصول الأغذية الملوثة إلى داخل الجسم تسبب الأمراض الخطرة؛ إذ كل يد تحمل أكثر من ١٠ ملايين من البكتريا الخطرة على الجسم فقد روي عنه عليه السلام: «مَنْ غَسَلَ يَدَهُ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ بُورِكَ لَهُ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَعَاشَ مَا عَاشَ فِي سَعَةٍ، وَعُوفِيَ مِنْ بَلَوَى فِي جَسَدِهِ»^{١٣}، كما شرع الإمام الصادق عليه السلام أسس التصدي للمرض والوقاية منه بقوله: «أَرْبَعٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ: التَّطَيُّبُ، وَالتَّنْظِيفُ بِالْمَوْسَى، وَحُلُّ الْجَسَدِ بِالنُّورَةِ، وَكَثْرَةُ الطَّرِيقَةِ»^{١٤}، وعلى الرغم من أهمية الرعاية الصحية التي لا يمكن الاستغناء عنها، ولكن يبقى الأمر بيد الإنسان في تحديد سلامته الصحية وفقاً لما قاله الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ طَيْبَ نَفْسِكَ، وَبَيْنَ لَكَ الدَّاءَ، وَعَرَفْتَ آيَةَ الصَّحَةِ، وَدَلَلْتَ عَلَى الدَّوَاءِ، فَانْظُرْ كَيْفَ قِيَامِكَ عَلَى نَفْسِكَ»^{١٥}، يرى الباحث أن أساس التنمية البشرية تبدأ من الرعاية الصحيّة وكيفية كسب الوعي الصحيّ لأفراد المجتمع، فهي الخطوة الأولى في سلّم التنمية البشرية المستدامة، التي تبنى عليها باقي القواعد الأخرى.

المبحث الثالث: القيم الأخلاقية والصحة النفسية :

المحور الأول: السلام المجتمعي

إن ارتفاع خطاب الكراهية والأحقاد يورث الاقتتال، وربما يكون داخلياً أو خارجياً، وإن الصراعات والحروب تحدث لأسباب متعددة، ولكن عندما تبدأ لا يمكن لها أن تنجح إلى السلام لوجود دول تعيش على قتل الأبرياء، وإن نتائج وآثار تلك الحروب هي كثرة منها الفقر والبطالة وتفشي العدائية والظلم والجهل وتوقف أغلب المؤسسات لاسيما الخدمية وقطاع التعليم واضطراب قطاع الرعاية الصحية وانخفاض التجارة ونزوح السكان وتهجيرهم وتوجيه الأموال نحو إدامة عجلة الحرب؛ فيتم استنزاف الموارد البشرية وموارد الطاقة بكل جوانبها، وهو سبب تمزق الدول وهلاكها وضياع كوادرها البشرية وطاقتها العلمية ومواردها. فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^{١٦} فإن ضياع الدول في الصراعات والحروب، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إياكم والخصومة، فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن»^{١٧} فيستعين الإمام عليه السلام بالوراثة، أي انتقال الكراهية والأحقاد والصراعات والاقتتال كما تتوارث الصفات من الآباء إلى الأبناء.

بالمقابل، الحفاظ على السلام ورعايته والدفاع عنه والتضحية من أجله يحتاج إلى إنعاش المؤسسات الخدمية وقطاع التعليم ومحاربة الأمية والاهتمام بالزراعة والتجارة أي إبقاء حركة العمل والحفاظ على تنمية الموارد، فضلاً عن نموّ المشاعر الإيجابية والألفة والتسامح والعفو واحترام حقوق الإنسان؛ فهذه العوامل تكون سبباً في إشاعة السلم وتنمية الاستدامة. لذا حث الإمام الصادق على إشاعة السلام وفك النزاعات والاختلافات بقوله: «صدقة يحبها الله: إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم

إذا تباعدوا»^{١٨}، وعنه عليه السلام: «للمفضل -: إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي». فإن إصلاح ذات البين وحل الاختلافات لمنع تطورها وتوارث الأحقاد بين الأطراف وصولاً إلى القتل الذي نهى عنه الدين الإسلامي إلا بالحق، فيقول الإمام الصادق عليه السلام: «من قتل نفسه متمداً فهو في نار جهنم خالداً فيها»^{١٩}. ويرى الباحث أن الاختلافات والخصومات ربما تطور، وتكون شرارة للاقتتال الذي يدوم سنين وينقل من جيل إلى آخر وهذا ما حدث في كثير من الحروب التي راح ضحيتها الآلاف من الموارد البشرية وضياع مقدرات البلد وطاقاته.

المحور الثاني: الاجتماعي والأخلاقي :

الأخلاق هي مجموعة من القيم الحسنة كالعفو والإخلاص والصدق والإيثار، وهي تحدد سلوك الإنسان في التعامل مع الآخرين بحفظ حقوقهم والمساواة بينهم وحفظ حرياتهم وكرامتهم، فهي عنوان ووزن الإنسان والمجتمعات، ودعت لها جميع الأديان السماوية والمصلحون والعقلاء، وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها»^{٢٠} وعلى الرغم من أن الرسول الكريم يحمل العديد من المعجزات الإلهية لكنه أظهر أهم ما يحمله إلى المجتمعات هو الأخلاق لكونه سبب استمرارها وبقائها ونهوضها، وقد ورد عن الإمام الصادق في تعريف الأخلاق: «تُلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببشرٍ حسن»، وعنه عليه السلام: «من حسن بره أهل بيته زيد في رزقه»^{٢١}، فإن التعظيم للموارد والمحافظة ليس في التخطيط فقط بل يرتبط بصلة الرحم والبر والأخلاق الحسنة، وإن الأخلاق مصاحبة جميع المعاملات الاقتصادية والتجارية والاجتماعية والسياسية والقانونية والعسكرية، وورد عن الإمام الصادق:

«إن البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»^{٢٢}. بالمقابل إن ضياع الموارد وتفتيت المؤسسات وفشل التخطيط ربما يكون من سوء الأخلاق؛ فإن انتشار الفساد والسحاق والسحت والرشوة والزنا وانتشار المثلية هي سبب في ضياع الطاقات البشرية والموارد من خلال الزلازل والبراكين والكوارث الطبيعية التي تبدد ما تم بناؤه في لحظات، وهذا ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا فشا الزنا ظهرت الزلازل»^{٢٣}، وعنه (عليه السلام): «الذنوب التي تجبس الرزق، الزنا»^{٢٤}، وإن تعظيم الموارد يعد أحد أسسه المحور الأخلاقي، وهذا ما ورد عن الإمام الصادق بقوله: «حسن الخلق يزيد في الرزق»^{٢٥} في حين صاحب الخلق الذميم يعيش في ضيق، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «من ساء خلقه ضاق رزقه»^{٢٦}، فإن التنمية البشرية المستدامة تعتمد وترتبط بالقواعد الأخلاقية التي يجب فيها توظيف جميع الموارد البشرية على هذا الكوكب بشكل متوازن ومن خلال الحوار على الرغم من اختلاف الأهداف التي لا تعارض القواعد الأخلاقية والتعامل بوعي مع كل موارد الطبيعة التي أوجدها الله من أجل الإنسان والذي يجب عليه تحمل مسؤولية تعظيم هذه الموارد وعدم استنزافها بطريقة سلبية.

المحور الثالث : المشاعر الإيجابية في العمل :

إن المشاعر التي تنتاب الإنسان لها تأثير كبير في القرارات التي يتبناها؛ لذا يجب خلق مناخ مناسب بعيد عن الفوضى والضغط النفسي من اختيار الأماكن والعلاقات ومرافقة الآخرين، فهم يمكن أن يستنزفوا طاقتنا الإيجابية أو يضيفوا لنا طاقة إيجابية فإن جميع الظروف المحيطة بنا يمكن أن تؤثر على صحتنا العقلية والبدنية ومنها المناخ والطبيعة المحيطة التي تؤثر في مستوى الطاقة لدينا إما سلباً أو إيجاباً، فإن العواطف السلبية يصفها

الإمام الصادق عليه السلام بأنها أساس الأمراض والأسقام، أي هدر الطاقات بقوله: «الأحزان أسقام القلوب، كما أن الأمراض أسقام الأبدان»^{٢٧} وعن أمير المؤمنين يوضح أن ما يعاني منه العالم في دراساته في سبب الهرم فيبين نصف حدوثه بقوله عليه السلام: «الهم نصف الهرم»^{٢٨}، فإن تلك الهموم والأحزان تسبب العديد من النشاطات الكيميائية والهرمونات التي تسبب الهدر بالطاقة وتقليل المناعة ومنها ارتفاع تركيز هرمون الكورتيزول. كما أن رؤية الدين الإسلامي في تنمية الطاقات البشرية وتعظيم الموارد لا تتم من خلال الطمع والحرص والبخل، بل السعي في قضاء حوائج الناس فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ألا وإن أحب المؤمنين إلى الله، من أعان المؤمن الفقير من الفقر في دنياه ومعاشه، ومن أعان ونفع ودفع المكروه عن المؤمنين»^{٢٩} وعنه عليه السلام: «من أحب الأعمال إلى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمن: إشباع جوعته، أو تنفيس كربته، أو قضاء دينه»^{٣٠}، فإن خلاصة الأمر أن الإنسان يمكن أن يوظف المحيط الخارجي من خلال قدراته بشكل لا يؤثر عليه سلباً من خلال انتقاء الأصدقاء وانتقاء المنبّهات واختيار أماكن العمل والتعامل مع الظواهر، وبالتالي رفع الطاقة الإيجابية والمشاعر والحب تؤثر بشكل إيجابي في القرارات، وإن الطابع الاجتماعي هو جزء من التنمية المستدامة بالحفاظ على الموارد البشرية وصحتها وكيفية ترابط علاقتها الاجتماعية.

المبحث الرابع : السلطة القضائية :

المحور الأول : العدل في القضاء :

ومع تنامي اهتمام الدول بحقوق الإنسان في التنمية المستدامة وهو يتطلب الاستغلال والتوظيف الأمثل للموارد والإمكانيات والتوزيع العادل للثروات، وهذا يتطلب أن يحدّد بمجموعة من القوانين التي يصوغها مجالس القضاء العادل وبرقابة مستمرة من أجل الإصلاح. وإن التنمية الاقتصادية وزيادة عمليات الاستثمار بحاجة إلى مواكبة قضاء عادل من أجل حماية المستثمرين كما يضمن عدم الظلم وتوفير الأمن وحفظ الحرية والمساواة، ومن مهام القضاء أن يخلق المناخ المناسب لتنمية الموارد والحفاظ عليها من خلال تحريك عجلة الاقتصاد والتجارة والاستثمار والتخلص من الانتهازية والمتطفلين الذين يلوثون عمليات الاستثمار والتنمية الاقتصادية والنهوض بالمجتمعات ؛ لذا ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في أهمية العدل على استمرار الحياة وتنمية مواردها بقوله: «العدل أحلى من الماء يصيبه الظمان»^{٣١}، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «ما عمرت البلدان بمثل العدل»^{٣٢}، وإن مراقبة القضاء لإدارات الدولة ومتابعتها ولا سيما في القضاء على الفساد ومنها الرشوة هي جزء من استمرار إنعاش الاقتصاد وحمايته ولذا حدّد الإمام الصادق (عليه السلام) موقع المرتشين بخروجهم من رحمة الله بقوله: «الرشا في الحكم هو الكفر بالله»^{٣٣} ووصف تلك الأموال بالسحت بقوله (عليه السلام): «من أكل السحت الرشوة في الحكم»^{٣٤}؛ ومّا تقدم يعلم أن التنمية البشرية المستدامة لا تنهض إلا بوجود قضاء عادل أخلاقي من أجل أن يزدهر وأن ينمو؛ ولهذا كان ما ورد عن الإمام (عليه السلام) بالحث على محاربة الفساد والرشوة من خلال القضاء العادل الذي يوفر الحرية والمساواة للعاملين في مجال التنمية الاقتصادية والاستثمار .

المحور الثاني: الاقتصاد الأخلاقي :

الاقتصاد يعني لغوياً التدبير أو التوسط بين الإسراف والتقتير، وعرفه الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله : «الاقتصاد نصف المؤونة»^{٣٥} وعنه (عليه السلام) : «ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر»^{٣٦}. كما يعرف الاقتصاد بأنه العلم الذي يدرس الكيفية التي تمكن الأمة من الحصول على الثروة ووسائل تنميتها، وإن التنمية الاقتصادية المراد منها رفع المستوى المعيشي والتحرر من العبودية والاضطهاد. وتُقاس التنمية الاقتصادية بمؤشر التنمية الإنسانية والتي تتمثل بانخفاض نسبة البطالة والفقر وقلّة انتشار الأمراض والأوبئة وزيادة مستوى الرعاية الصحية وانخفاض معدل الجريمة والرشوة والفساد وتقدم قطاع التعليم والنقل والخدمات. فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : «إن من بقاء المسلمين وبقاء الإسلام أن تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق، ويصنع [فيها] المعروف، فإن من فناء الإسلام وفناء المسلمين أن تصير الأموال في أيدي من لا يعرف فيها الحق، ولا يصنع فيها المعروف»^{٣٧}، وهي إشارة إلى أن الفساد الإداري والرشوة وعدم المراقبة والسيطرة على الأموال والقرار إن كان بيد من هو ليس بحفيظ ولا أمين سوف يسبب ضياع الثروات وتبدها؛ وهذا سوف ينعكس على المجتمع والأسر بارتفاع الجهل والبطالة واحتكار المواد والسلع وارتفاع الأسعار، لذا ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) : «غلاء السعر يسئ الخلق، ويذهب الأمانة، ويضجر المرء المسلم»^{٣٨}، وإن أهمية علم الاقتصاد لا يتوقف عند بناء الدولة وتعاملاتها، بل يتأثر به الأفراد حيث تساعدهم على إدارة شؤونهم بميزانية تتناسب مع احتياجات أسرهم ويجعلهم يتبنون رؤية إيجابية في استخدام الموارد وتنميتها بطريقة تتوافق مع إمكانياته فضلاً عن التنبؤ المستقبلي لما يواجهه من أزمات مستقبلية، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) : «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من

يعوله»^{٣٩}. وفي عالمنا المعاصر انتشار مصطلح «الاقتصاد الأخلاقي» الذي يشير إلى أن القيم والسلوك الأخلاقية والعادات والتقاليد الاجتماعية تؤثر في التعاملات الاقتصادية، فإنه يحتاج إلى الإخلاص والصدق والعفو والوفاء بالميثاق والعهود، فالأخلاق الحميدة تسهم في زيادة كفاءة الاقتصاد وتعظيم الموارد وعدالة توزيع الثروات وعدم استنزاف الموارد وتدمير البيئة، لذا لا يمكن النهوض بالاقتصاد دون اصطحاب القيم الأخلاقية في التعاملات الاقتصادية؛ فإنكل ما يمر به العالم من تغيرات سلبية في كل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والصحية والسياسية.... هي ناتجة للفوضى الأخلاقية واختلال الجانب الأخلاقي، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «كل حكرة تضر بالناس وتغلي السعر عليهم فلا خير فيها»^{٤٠}، وعنه عليه السلام: «شر الرجال التجار الخونة»^{٤١}، ولذا حارب الإسلام البخل وعدّه مفتاح كل شر؛ فإن آثاره تسبب تجميد الأموال وقطع القيم الاجتماعية وصلة الرحم والصدقات والعمل بالمعروف؛ فقد ورد عن رسول الله ﷺ الطيبين الطاهرين: «إن الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم»^{٤٢} وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن البخيل من كسب مالاً من غير حله، وأنفقه في غير حقه»^{٤٣}.

المبحث الثالث : الخاتمة

أولاً : الاستنتاجات :

أهم ما استنتجه الباحث ما يأتي :

- ١- إن الإرث الإسلامي والسنة النبوية والأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تتناغم مع كل زمان ومكان ومع جميع المجتمعات التي تسعى إلى القيم السامية والنبيلة ولتحقيق النهوض والتحرر باعتماد رواياتهم منهجاً للتنمية البشرية المستدامة .
- ٢- إن الاقتصاد الرأسمالي والاشتراكي تعدّ المعاملة الربوية إحدى أركانه الأساسية في التنمية الاقتصادية وأساس التنمية البشرية المستدامة، في حين الاقتصاد الإسلامي يرفضها ويعتمد في التنمية البشرية المستدامة على الصدقات والخمس والزكاة والتكافل الاجتماعي؛ أي التعايش والجانب الأخلاقي جزء من دائرة تنمية الاقتصاد والحفاظ على تنمية الموارد .
- ٣- محاربة الفقر والأمية ورعاية المؤسسات التعليمية وتحديد فلسفة التدريس ومناهجها التي تنمي مكارم الأخلاق هي أساس التعايش الذي يحقق التنمية البشرية المستدامة.
- ٤- التوعية من خلال الاطلاع على تجارب الشعوب ترفع القدرات العقلية وتطوير التفكير وتكسب الوعي وهو أساس القدرة على التخطيط وتحديد الأهداف للتنمية البشرية المستدامة.
- ٥- التأكيد على إعداد الكوادر الطبية والتقنيات الحديثة لتحقيق السلامة الصحية ورفع القدرات البدنية فإنها تحفظ ديمومة الطاقة البشرية لمدة أطول والحفاظ عليها من الهدر.
- ٦- اختيار الإدارات بشكل يحقق التعايش والسلم المجتمعي من خلال حفظ كرامة الإنسان والتعامل مع الأطياف المختلفة لأبناء المجتمع بشكل متساوٍ هو الذي يحقق التنمية البشرية المستدامة ويعظم مواردها.
- ٧- إن التنمية الاقتصادية مرتبطة بالاقتصاد الأخلاقي لتحقيق أهداف التنمية البشرية المستدامة.

٨-التأكيد على اختيار رجالات القضاء ممن يتصفون بالعدل؛ فإنه سوف يوفر الفرص المتكافئة للجميع ويحفظ عمليات الاستثمار من التلاعب وظلم المستثمرين فضلاً عن حفظ حقوق البلد وتنمية موارده وحقوق أجياله.

٩-الاختيار السليم للبيئة لممارسة العمل واختيار الأصحاب من أجل التزود بالطاقة الإيجابية وعدم استنزافها وهو ينعكس على نوع العمل والقرارات وتعد المشاعر جزءاً من القرارات.

ثانياً: التوصيات: أهم ما يوصي به الباحث:

١-يجب اعداد مناهج دراسية وفقاً للمراحل الدراسية لبيان أهمية الأحاديث الواردة لأهل البيت عليه السلام في تعزيز مكارم الأخلاق وكيفية تدبير سياسة الجسم وتوظيف البيئة المحيطة للتنمية البشرية المستدامة .

٢-تطبيق الاقتصاد الإسلامي المرتبط بالأخلاق بالتعاملات التجارية فهي المنهاج الذي يحقق الاستدامة البشرية المستدامة.

٣-التأكيد على مكافحة الأمية في عموم البلد وخلق المناخ المناسب للتعليم.

٤-اقامة الدورات وتنظيم الورش للشباب لتعليمهم المهارات التي تسمح لهم بممارسة المهن والحد من البطالة التي تعد وسيلة لرفع المستوى المعيشي لهم .

٥-التأكيد على سلامة الثروة المائية والبرية والهواء من التلوث من خلال استخدام الطاقة النظيفة .

٦-الرقابة الكبيرة على المؤسسات التعليمية ولاسيما التي تمنح الشهادات العليا ووضع الضوابط لاختيار الأكفاء لدورهم المستقبلي في تسنم المناصب الإدارية وأثرهم على التنمية البشرية المستدامة.

٧-اختيار الكفاءات في إدارة دفة القضاء لتحقيق العدالة فهي السبيل إلى حفظ كرامة الإنسان وتمتعه بحياة كريمة .

٨-إن تعظيم الموارد لا يعد الغاية، بل وسيلة لاستمرار حفظ كرامة الإنسان بحياة كريمة؛ فإن تعظيم الموارد غير كافٍ بل يجب أن يصاحبها التوزيع العادل للعائدات على أبناء المجتمع.

الهوامش:

- ١- القرآن الكريم : سورة العلق: آية ١.
- ٢- تحف العقول: الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني . مؤسسة الأعلمي - بيروت سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ص ٣٦٤
- ٣- أمالي : الشيخ الطوسي : تحقيق مؤسسة البعثة، دار الثقافة - قم، ط ١ : ٣٠٣ / ٦٠٤. سنة ١٤١٤.
- ٤- الحق المبين - الفيض الكاشاني : تحقيق مير جلال الدين الحسيني، دار نشر سازمان چاپ دانشگاه-الصفحة ٢.
- ٥- الاختصاص : الشيخ المفيد، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي . الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٤.
- ٦- الكافي : لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، تحقيق : علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ . ق. ١ / ٢٩ ذيل ح ٣٤
- ٧- بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار (عليه السلام) : العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار أحياء التراث - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ . ق. ١، ج ١، ص ٩٠
- ٨- غرر الحكم ودرر الكلم : عبد الواحد الأمدي التميمي، التحقيق : مير سيد جلال الدين المحدث، جامعة طهران، الطبعة الثالثة ١٣٦٠ هـ . ق. ٩٤٥٨، ٣٠٩٣، ٣٠٩٨.
- ٩- بحار الانوار: مصدر سبق ذكره، ٧١ / ٣٢٤ / ١٦.
- ١٠- مصباح الشريعة: المنسوب إلى الإمام الصادق، نشر مكتبة الصدوق : الطبعة الثالثة، ١٣٦٦ هـ . ش، ص ٢٣٢٩
- ١١- الكافي: مصدر سبق ذكره، ٦: ٥٣١ / ٨.
- ١٢- الخصال: بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٣ هجرية، قم / إيران. ج ١ ص ٢٨.
- ١٣- مكارم الاخلاق : لأبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الاولى ١٤١٤ هـ . ق. ، الصفحة ١٣٩.
- ١٤- مكارم الأخلاق : المصدر السابق : ٦٧-٦٩
- ١٥- شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ١٠ - الصفحة ٢٠٦.
- ١٦- كنز العمال: علاء الدين حسام الدين الهندي والمشهور بالمتقي الهندي. الناشر بيت الأفكار . سنة ٢٠٠٥، صفحة، ٨٩٥، ٩٢٠، ٣١٧٥٤.
- ١٧- الكافي - الشيخ الكليني - مصدر سبق ذكره، ج ٢ - الصفحة ٣٠١
- ١٨- الكافي : الشيخ الكليني: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٩

- ١٩- وسائل الشيعة: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، تحقيق: مؤسسة آل البيت b لإحياء التراث، قم، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، ١٤١٤ هـ، ج ٢٩، ص ٢٤
- ٢٠- البحار: مصدر سبق ذكره، ١٦ / ٢٨٧ / ١٤٢.
- ٢١- البحار: مصدر سبق ذكره - ٦٩ / ٤٠٨ / ١١٧ و ٧٤ / ٨١ / ٨٤ و ٧١ / ٣٩٦ / ٧٧ و ٧٧ / ٢٨٧ / ١.
- ٢٢- بحار الأنوار: مصدر سبق ذكره، ٧٧ / ١٧٢ / ٨.
- ٢٣- الخصال: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ١: ٩٢٥٣٥. سنة ٣٥٤ هجرية ج ١ ص ١٦٥.
- ٢٤- بحار الأنوار: مصدر سبق ذكره، صفحة ٣٧٤.
- ٢٥- البحار: مصدر سبق ذكره، ٧١ / ٣٩٦ / ٧٧.
- ٢٦- غرر الحكم: عبد الواحد الأمدي، مصدر سبق ذكره، ٩١٩٢، ٩١٨٧، ٨٠٢٣، ١٦٠٤.
- ٢٧- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٢ - الصفحة ٢٨٠.
- ٢٨- شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ. ق، الحكمة ١٤٣.
- ٢٩- تحف العقول: ابن شعبة الحراني مصدر سبق ذكره، صفحة ٣٧٦.
- ٣٠- الكافي: مصدر سبق ذكره، ٢ / ١٩٢ / ١٦ و ص ١٨٨ / ٢.
- ٣١- الكافي: مصدر سبق ذكره، ٢ / ١٤٦ / ١١ و صفحة ١٤٧ / ١٥.
- ٣٢- غرر الحكم: مصدر سبق ذكره ٧٧٤، ٢٢٢٣، ٢٢٥٣، ٥٥٩٢.
- ٣٣- الكافي: مصدر سبق ذكره ٧ / ٤٠٩ / ٢.
- ٣٤- تفسير العياشي المؤلف: محمد بن مسعود العياشي الجزء: ١.
- ٣٥- غرر الحكم: مصدر سبق ذكره، ٥٦٥.
- ٣٦- ميزان الحكمة - محمد الريشهري: مصدر سبق ذكره، ج ٣ - الصفحة ٢٥٥٧.
- ٣٧- الكافي: مصدر سبق ذكره، ٤ / ٢٥ / ١ و صفحة ١٦٤ / ٦.
- ٣٨- الكافي: ٤ / ٢٥ / ١ و صفحة ١٦٤ / ٦.
- ٣٩- <https://shamela.ws/book/8/43>
- ٤٠- دعائم الإسلام المؤلف: القاضي النعمان المغربي الجزء: ١ الوفاة: ٣٦٣.
- ٤١- البحار: مصدر سبق ذكره، ١٠٣ / ١٠٣ / ٥٥.
- ٤٢- الكافي: مصدر سبق ذكره، ٢ / ٢٦١ / ٦.
- ٤٣- البحار: مصدر سبق ذكره، ٧٨ / ٣١ / ٩٩.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

* أمالي: الشيخ الطوسي: تحقيق مؤسسة البعثة، دار الثقافة - قم، ط ١: ٣٠٣ / ٦٠٤. سنة ١٤١٤

* الاختصاص: الشيخ المفيد، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي. الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٤

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار^{عليه السلام}: العلامة محمد باقر بن محمد تقى المجلسي، دار أحياء التراث - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ. ق.

* تحف العقول: الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني. مؤسسة الأعلمي - بيروت سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

* تفسيرات علمية للرسالة الذهبية للإمام الرضا^{عليه السلام} في التغذية والثقافة الصحية: عمار جاسم. الرافد للمطبوعات بغداد سنة ٢٠١٧

* تفسير العياشي المؤلف: محمد بن مسعود العياشي الجزء: ١.

* دعائم الإسلام المؤلف: القاضي النعمان المغربي الجزء: ١ الوفاة: ٣٦٣

* الحق المبين - الفيض الكاشاني: تحقيق مير جلال الدين الحسيني، دار نشر سازمان چاپ دانشگاه - الصفحة ٢.

* الخصال: ابن بابويه القمي المعروف

بالشيخ الصدوق، الطبعة الأولى،

سنة: ١٤٠٣ هجرية، قم / إيران.

* غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد

الأمدي التميمي، التحقيق: مير

سيد جلال الدين المحدث، جامعة

طهران، الطبعة الثالثة ١٣٦٠ هـ. ق.

* شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد

المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد،

دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة

الثانية ١٣٨٥ هـ. ق.

* شرح أصول الكافي - مولى محمد

صالح المازندراني - ج ١٠ - الصفحة

٢٠٦.

* كنز العمال: علاء الدين حسام الدين

الهندي والمشهور بالمتقي الهندي.

الناشر بيت الافكار. سنة ٢٠٠٥

* الكافي: لأبي جعفر محمد بن يعقوب

بن إسحاق الكليني الرازي، تحقيق

: على أكبر الغفاري، دار الكتب

الاسلامية - طهران، الطبعة الثالثة

١٣٨٨ هـ. ق.

* مكارم الأخلاق: لأبي نصر الحسن

بن الفضل الطبرسي، تحقيق: علاء

آل جعفر، مؤسسة النشر الإسلامي

- قم، الطبعة الاولى ١٤١٤ هـ. ق.

* مستدرک الوسائل: الميرزا حسين

بن محمد تقى النوري الطبرسي.

مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، في

مدينة قم. سنة ١٤٠٨ هجرية

- * ميزان الحكمة: محمد الريشهري . دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع قم ١٤٢٢.
- * موسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام): الشيخ هادي النجفي، سنة ١٤٢٣ - ٢٠٠٢ م.
- * مصباح الشريعة: المنسوب إلى الإمام الصادق، نشر مكتبة الصدوق: الطبعة الثالثة، ١٣٦٦ هـ . ش.
- * وسائل الشيعة : الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ١٤١٤ هـ، ج ٢٩ .
- * المصادر العلمية العربية والأجنبية :
- * أحمد محمد بدح وأحمد سليمان مزاهرة وزين حسن بدران: الثقافة الصحية، ط ١. دار المسيرة للنشر. سنة ٢٠١٥
- * صباح ناصر العلوجي : علم وظائف الأعضاء. دار الفكر للنشر والتوزيع. سنة ٢٠١٤.
- * غايتون وهول: ترجمة صادق الهلالي، المرجع في الفيزيولوجيا الطبية. منظمة الصحة العالمية، سنة ١٩٩٧
- * كاثرين آسري وربورت بلومين وآخرون: الجينات والتعلم . مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة سنة ٢٠١٧
- * ماهر حسن محمود : الطب البديل العلاج بالماء قديماً وحديثاً، دار الندى سنة ٢٠١٥
- * محسن حسن عداي وفؤاد شمعون حنا: علم الفلسفة، الجزء الأول، دار الكتب، الموصل، سنة ١٩٨٧.
- * منى خليل عبد القادر : التغذية العلاجية، أستاذة التغذية . جامعة حلوان. الطبعة ٣. القاهرة مجموعة النيل سنة ٢٠٠٤
- * ويليام هوارد هاي : عصر الصحة الحديث ١٩٣٣
- * <https://shamela.ws/book/8/43>

الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وتأصيل التخصص العلمي في مدرسته الرائدة

الشيخ اركان حسين التميمي

كلية الإمام الخاضع (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

ملخص البحث:

من الواضح أنّ التقدم العلمي والتقني الذي شهدته الإنسانية في العقود أو القرون الأخيرة أفرز حاجة ملحة إلى نشوء التخصصات العلمية الدقيقة في معظم المجالات، لصعوبة الإحاطة بتفاصيل كل مجال علمي وجزئياته في ظل عدم التخصص، إذ لم تعد عمومية المعرفة في المجالات العلمية تؤدي أكلها المرجوة.

وإذا كان بروز التخصص العلمي في العصر الحديث يعد من السمات العلمية الواضحة، ومن مميزات ما وصلت إليه المسيرة العلمية، حيث يقدم التخصص الإجابات عن الإشكاليات في مجاله بكل دقة، فإن فكرة التخصص العلمي لم تكن بغائبة في تاريخنا الإسلامي، ففي مدرسة الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) يلحظ المتتبع ما زخرت به هذه المدرسة العظيمة من وجود للتخصص العلمي وتخطيط ورعاية له، يظهر ذلك جلياً في تقسيم الطلاب وتوزيعهم حسب تخصصات أبداعوا فيها أيما إبداع. إن مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) لم تتميز من حيث طلابها بالكم والنوع فحسب، بل تميزت بتنوع التخصصات العلمية، فقد كان آلاف التلاميذ يتوافدون على الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام) لينتهلوا من علومه ومعارفه

الربانية، وكانوا بطبيعة الحال يتفاوتون من حيث القابليات والميولات العلمية والتوجهات المعرفية، وكان هذا مورد تشخيص الإمام عليه السلام واهتمامه، وبغية الانتفاع من مواهبهم ورغباتهم الخاصة انتهج الإمام الصادق عليه السلام في مشروعه العلمي الرسالي توزيعهم على اختصاصات مختلفة في العلوم الإنسانية، بل وحتى العلوم التجريبية، وأثمرت جهوده التأصيلية الكبيرة في بلورة الاختصاصات ورعاية المتخصصين، بأن أبدع هؤلاء المتخصصون في الحقول العلمية، وتميّز كل واحد منهم في مجاله، وتميّزت الحقول الاختصاصية وبان فيها الإثراء الفكري المعرفي.

من هنا وددتُ تسليط الضوء في هذا البحث على هذه الظاهرة في مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهي ظاهرة التخصص العلمي، مستعرضاً أهمية التوزيع العلمي حسب الاختصاصات، وتركيز الإمام عليه السلام على بلورة التخصص العلمي عند تلامذته وتأصيله، مع استعراض نماذج من هؤلاء الذي عكسوا هذه الظاهرة العلمية الرائدة، والجهود الصادقية الكبيرة.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد بمحمد وآله الأئمة.

كلمات مفتاحية: الإمام الصادق عليه السلام، تأصيل، التخصص العلمي، الاختصاص، المدرسة

Abstract:

It is clear that the scientific and technical progress that humanity has witnessed in recent decades or centuries has created an urgent need for the emergence of precise scientific specializations in most fields, due to the difficulty of understanding the details and details of each scientific field in light of the lack of specialization, as the generality of knowledge in scientific fields no longer yields the desired results.

If the emergence of scientific specialization in the modern era is considered one of the clear scientific features, and one of the advantages of what the scientific process has reached, as specialization provides answers to the problems in its field with complete accuracy, then the idea of scientific specialization was not absent in our Islamic history, in the school of Imam Jaafar bin Muhammad. Al-Sadiq (peace be upon him). Anyone who follows this great school will notice the abundance of scientific specialization, planning and care for it. This is clearly evident in the division of students and their distribution according to specializations in which they excelled extremely creatively.

The school of Imam al-Sadiq (peace be upon him) was not only distinguished by the quantity and quality of its students, but it was also distinguished by the diversity of scientific specializations. Thousands of students flocked to Imam Jaafar bin Muhammad (peace be upon him) to learn from his sciences and knowledge, and they naturally varied in terms of abilities and inclinations. Scientific and cognitive orientations, and this was the source of the Imamss (peace be upon him) diagnosis and interest, and in order to benefit from their special talents and desires, Imam al-Sadiq (peace be upon him) adopted, in his scientific missionary project, their distribution among different specializations in the



human sciences, and even the experimental sciences, and his great fundamental efforts in Crystallizing specializations and nurturing specialists, such that these specialists are creative in their scientific fields of specialization, and each one of them excels in his field, and the specialized fields are distinguished and contain intellectual wealth of knowledge.

Hence, I wanted to shed light in this research on this phenomenon in the school of Imam Jaafar al-Sadiq (peace be upon him), which is the phenomenon of scientific specialization, reviewing the importance of scientific distribution according to specializations, and the Imamss focus (peace be upon him) on crystallizing scientific specialization among his students and consolidating it, while reviewing models Of those who reflected this pioneering scientific phenomenon and great sincere efforts.

We ask God Almighty to bless Muhammad and his family with glory

Keywords: Imam al-Sadiq (peace be upon him), rooting, scientific specialization, specialty, school



تمهيد:

أوصى الإمام الباقر (عليه السلام) ولده الإمام الصادق (عليه السلام) لما حضرته الوفاة، وفي آخر لحظات حياته الشريفة: «يا جعفر، أوصيك بأصحابي خيراً، فقال له: جعلت فداك، والله لأدعنهم والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحداً».

وهذا يعني أنّ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قد وضع نصب عينيه خطّةً وهدفاً في تعليم تلامذته وتربيتهم، وقد قام الإمام الصادق (عليه السلام) بهذه المهمة الكبيرة خير قيام، واستطاع تخريج جيلٍ من العلماء في المجالات العلمية المختلفة، وقد تميزت مدرسته بالكم والكيف، فمن ناحية الكم نجد أنّ ما عدّه علماء الرجال من أصحابه (عليه السلام) من الكثرة بمكان يجعلنا نقول بأريحية تامّة أنّه أكثر الأئمة (عليهم السلام) تلامذة، وهي ليست كثرة عدد فحسب، وليست كثرة غشاء، بل كثرة علماء متميزين في علومٍ شتى.

ومن ميزات المدرسة الصادقية وهي ميزات كثيرة بلا شكالتخصّص العلميّ، إذ ورّع الإمام (عليه السلام) تلامذته على العلوم المختلفة، من فقه، وكلام، وتفسير القرآن، ومناظرة، وتاريخ، وصولاً إلى العلوم التجريبية أمثال: الكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والفلك والنجوم، وغير ذلك.

وهذه الرواية تبين لنا بوضوح هذا المنهج الذي اعتمده الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

«عن هشام بن سالم قال: كنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) جماعة من أصحابه، فورد رجل من أهل الشام فاستأذن فأذن له، فلما دخل سلم فأمره أبو عبد الله (عليه السلام) بالجلوس».

ثم قال له: ما حاجتك أيها الرجل؟ قال بلغني أنك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت إليك لأناظرك فقال أبو عبد الله (عليه السلام) في ماذا؟ قال: في القرآن وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفع فقال أبو عبد الله (عليه السلام): يا حمران، دونك الرجل.



فقال الرجل: إنما أريدك أنت لا حمران، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن غلبت حمران فقد غلبتني، فأقبل الشامي يسأل حمران حتى ضجر وملّ وعرض وحمران يجيبه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كيف رأيت يا شامي؟! قال: رأيت حذرًا ما سألته عن شيء إلا أجابني فيه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمران سل الشامي، فما تركه يكشر^(١)، فقال الشامي: رأيت يا أبا عبد الله أناظرك في العربية، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام فقال: يا أبان بن تغلب، ناظره، فناظره فما ترك الشامي يكشر، قال: أريد أن أناظرك في الفقه فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا زرارَةَ ناظره فما ترك الشامي يكشر. قال: أريد أن أناظرك في الكلام، فقال: يا مؤمن الطاق ناظره فناظره فسجل الكلام بينهما، ثم تكلم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به .

فقال: أريد أن أناظرك في الاستطاعة فقال للطيار: كلمه فيها، قال: فكلمه فما ترك يكشر، فقال أريد أناظرك في التوحيد، فقال لهشام بن سالم: كلمه فسجل الكلام بينهما ثم خصمه هشام، فقال أريد أن أتكلم في الإمامة، فقال لهشام بن الحكم: كلمه يا أبا الحكم، فكلمه، ما تركه يرم ولا يحلي ولا يمر، قال: فبقي يضحك أبو عبد الله عليه السلام حتى بدت نواجده . فقال الشامي: كأنك أردت أن تخبرني أنّ في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟

قال: هو ذلك، ثم قال: يا أخا أهل الشام أما حمران فحرفك فحرت له فغلبك بلسانه، وسألك عن حرف من الحق فلم تعرفه، وأما أبان بن تغلب فمغث حقًا بباطل فغلبك. وأما زرارَةَ فقاسك فغلب قياسه قياسك، وأما الطيار فكان كالطير يقع ويقوم وأنت كالطير المقصوص [لا نهوض لك]، وأما هشام بن سالم قام حبارى يقع ويطير، وأما هشام بن الحكم فتكلم بالحق فما سوغك بريقك، يا أخا أهل الشام، إن الله أخذ ضغنًا من الحق وضغنًا من الباطل فمغثهما ثم أخرجهما إلى الناس، ثم

بعث أنبياء يفرقون بينهما، فعرّفها الأنبياء والأوصياء، فبعث الله الأنبياء ليفرقوا ذلك، وجعل الأنبياء قبل الأوصياء ليعلم الناس من فضل الله ومن يختص، ولو كان الحق على حدة، والباطل على حدة، كل واحد منهما قائم بشأنه، ما احتاج الناس إلى نبي ولا وصي، ولكن الله خلطهما وجعل يفرقهما الأنبياء والأئمة عليهم السلام من عباده .

فقال الشامي: قد أفلح من جالسك فقال أبو عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجالسه جبرائيل وميكائيل وإسرافيل يصعد إلى السماء فيأتيه الخبر من عند الجبار، فإن كان ذلك كذلك فهو كذلك، فقال الشامي: اجعلني من شيعتك وعلمني، فقال أبو عبد الله عليه السلام لهشام: علمه فيني أحبُّ أن يكون تلميذاً لك .

قال علي بن منصور وأبو مالك الخضرمي: رأينا الشامي عند هشام بعد موت أبي عبد الله عليه السلام ويأتي الشامي بهدايا أهل الشام وهشام يرده هدايا أهل العراق، قال علي بن منصور: وكان الشامي ذكي القلب.^(٢) ومن هذه الرواية يتبين لنا أمور:

أولاً: تنوّع التخصصات العلميّة في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام.

ثانياً: وجود متخصصين بارعين في العلوم المختلفة، فكان الإمام عليه السلام يقدّم في كل علمٍ متخصصاً فيه، بثقةٍ كاملةٍ بتمكّنه في اختصاصه.

ثالثاً: غزارة علم المتخصصين، وإتقانهم لتخصصاتهم، حتى أنّ الإمام عليه السلام كان يعدّهم ممثلين عن علمه بكل جدارة، فقال: « إن غلبت حمران فقد غلبتني ».

رابعاً: قدرتهم على المناظرة في تخصصاتهم، فلا يدعون للخصم فرصة للتغلب، إذ سرعان ما يقرّ لهم المناظر بالحقاقة والغلبة.

خامساً: الإشراف المباشر للإمام الصادق عليه السلام على تلامذته ومناظراتهم.

سادساً: وجود التخصصات الدقيقة، وتفرع التخصصات إلى تخصصات أدق، فقد رأينا أن علم الكلام وهو تخصص علمي بنفسه فيه تخصصات دقيقة، فالطيار متخصص في الاستطاعة، وهشام بن سالم متخصص في التوحيد، وهشام بن الحكم متخصص في الإمامة.

سابعاً: السرور الكبير الذي غمر الإمام الصادق عليه السلام بأداء تلامذته العلمي، كما يسر الوالد بتفوق أولاده، فنراه عليه السلام يضحك حتى تبدو نواجذه. ثامناً: قيام الإمام الصادق عليه السلام بتقييم مناظرة كل واحد من أصحابه بموضوعية وحيادية تامة، وعرف الشامي نقاط القوة عندهم، ونقاط الضعف عنده.

تاسعاً: عين الإمام عليه السلام أستاذاً للشامي الذي طلب من الإمام عليه السلام الالتحاق بمدرسته، إذ عين له هشام بن الحكم، وهو من أبرز تلامذته، وفي هذا دليل أيضاً على استقبال مدرسة الإمام الصادق عليه السلام المتعلمين من المذاهب الأخرى، وعدم الاقتصار على الشيعة.

عاشراً: إخلاص المتمنين لهذه المدرسة، والمتحقين بها، وهذا يدل على ما لمسوه من فائدة علمية ومكتسبات معنوية، ولذا رأينا الشامي عند هشام بعد موت أبي عبد الله عليه السلام ويأتي الشامي بهدايا أهل الشام وهشام يرده هدايا أهل العراق.

والآن نتابع التخصصات العلمية وأبرز أسمائها من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام، وسنعمد إلى تقسيم الاختصاصات وتبويبها في مبحثين، هما:

المبحث الأول: التخصص في العلوم الإنسانية

نتابع في هذا المبحث التخصصات في العلوم الإنسانية في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، ومن كان بارعاً متخصصاً فيها، وسنشاهد كيف أعد الإمام عليه السلام العلماء المختصين في العلوم المختلفة، حتى صار كل

واحدٍ منهم عَلَمًا في مجاله، يُشار إليه بالبنان، ويُرجع إليه في مسائل العلم الذي اختصَّ به.

أولاً: تفسير القرآن الكريم:

وأبرز من اختصَّ بتفسير القرآن الكريم وعلومه حمَّرانُ بنُ أعين، وحمَّران بن أعين الشيباني بالولاء الكوفي، التابعي، من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليه السلام).

قال السيد الخوئي رحمته الله بعد أن أورد روايات في مدح حمَّران: «وهذه الروايات وإن كانت أكثرها ضعيفة السند إلا أنَّ في المعبرة منها كفاية في إثبات جلالة حمَّران، وقد تقدم في ترجمة أويس القرني حديث أسباط بن سالم عن أبي الحسن موسى عليه السلام، أنَّ حمَّران بن أعين، من حوارى محمد بن علي، وجعفر بن محمد».

وقال السيد بحر العلوم في رجاله (الفوائد الرجالية) في ترجمة آل أعين: «قال أبو غالب الزراري في رسالته: وكان حمَّران من أكابر مشايخ الشيعة المفضلين الذين لا يُشكَّ فيهم، وكان أحد حملة القرآن، ومن يُعدُّ ويُذكر اسمه في كتب القراء»^(٣).

وذكره أبو غالب في الرسالة: «وقيل كما في تاريخ الكوفة: كان حمَّران أحد شيوخ الأقرء في الكوفة، والإمام في القراءة، أخذ عنه الحفاظ وشيوخ القراءة مثل حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة، وأئمة القراءة»^(٤).

ثانياً: الفقه

تخصّص مجموعة من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام في الفقه، في طليعتهم زرارة بن أعين، الذي جعله للمناظرة في الفقه، وأبان بن تغلب كذلك الذي جعله للفقه، وأمرهما وزرارة أن يجلسا في المسجد ليفتيا الناس. كذلك برز في التخصّص في هذا الحقل محمد بن مسلم، وجميل بن دراج، ويزيد بن معاوية، وإسحاق بن عمّار، وعبدالله الحلبي، وأبو بصير. وأبرز المتخصّصين في الفقه من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام زرارة بن أعين الشيباني [المتوفى: ١٥٠هـ]، وهو عبد ربه أبو الحسن زرارة بن أعين بن سنسن الشيباني بالولاء. وفيه قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «رحم الله زرارة بن أعين، لولا زرارة بن أعين، لولا زرارة ونظرائه لاندروست أحاديث أبي عليه السلام»^(٥)

ويكفي في الدلالة على تخصّصه في الفقه، والبراعة في المناظرة به، تقديم الإمام الصادق عليه السلام له مناظراً الشامي في مسائل الفقه، عندما قال الشامي: «أريد أن أناظرك في الفقه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا زرارة، ناظره. فناظره، فما ترك الشامي يكشر».

وقد وصفه ابن النديم في الفهرست بـ «أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفةً بالكلام والتشيع»^(٦)، وعلّق الجلالى على ذلك قائلاً: «وإنما شهرته في الفقه، وليس في فقه الشيعة بابٌ إلّا ولزرارة فيه حديث»^(٧). فزرارة قد جمع الفضل كلّ، ولكن شهرته في الفقه غلبت على فضائله الأخرى، ومن غاص في بحر الفقه عرف ما لهذا الرجل من حديث، حتّى لتكاد لا تجد باباً من أبواب الفقه إلّا وله فيه حديث أو أحاديث، وهو أحد الستة الأول أصحاب أبي جعفر عليه السلام الذين أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنهم، والإقرار لهم بالفقه، ولا غرو لو عدّ زرارة أفقهم.

وقال النجاشي: «وكان قارئاً فقيهاً متكليماً شاعراً أديباً، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين، صادقاً فيما يرويه».

قال أبو غالب في الرسالة: «وروى أنّ زرارة كان وسيماً جسيماً أبيض، فكان يخرج إلى الجمعة وعلى رأسه برنس اسود، وبين عينيه سجادة، وفي يده عصا، فيقوم له الناس سباطين، ينظرون إليه لحسن هيئته، فربما رجع من طريقه».

وكان خصماً، جدلاً، لا يقوم أحدٌ لحجّته الا أنّ العبادة أشغلته عن الكلام، والمتكلمون من الشيعة تلاميذه^(٨).

ثالثاً: الكلام والمناظرات

تخصّص في علم الكلام والمناظرة ومباحث الإمامة جماعةٌ من تلامذة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، وهم هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، ومؤمن الطاق (محمد بن النعمان) الأحول، ومحمد بن عبد الله الطيار، وقيس الماهر، وغيرهم، فبرز هشام بن الحكم في المناظرة في الإمامة والعقائد، وكان الإمام الصادق (عليه السلام) مسروراً بمناظراته، مع زعيم المعتزلة عمرو بن عبيد حيث تغلب عليه هشام، وبعد أن قصها هشام للإمام (عليه السلام) قال له الإمام: «يا هشام من علمك هذا؟ قال: يا بن رسول الله جرى على لساني.. قال الإمام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى».

ومن الأمثلة على تربية الإمام الصادق (عليه السلام) لهؤلاء الثلاثة، وتنشئتهم في هذا التخصص المهم، وهي كثيرة، ولكن سنختار منها نماذج لنرى فيها كيف يربي الإمام (عليه السلام) تلميذه، وكيف يتابعه في مناظراته:

١- «عن هشام بن الحكم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام بمنى عن خمسمائة حرف من الكلام، فأقبلت أقول: يقولون كذا وكذا، قال: فيقول لي: «قل كذا». فقلت: هذا الحلال والحرام، والقرآن أعلم أنك صاحبه وأعلم الناس به، فهذا الكلام من أين؟ فقال: «يحتج الله على خلقه بحجة لا يكون عنده كلما يحتاجون إليه»^(٩).

٢- «كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم: حمران بن أعين، ومؤمن الطاق، وهشام بن سالم، والطيار، وجماعة من أصحابه فيهم: هشام بن الحكم وهو شاب، فقال أبو عبد الله يا هشام قال: لبيك يا بن رسول الله، قال: ألا تخبرني كيف صنعت بعمر بن عبيد وكيف سألته؟ قال هشام: جعلت فداك يا بن رسول الله انى أجلك واستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أمرتكم بشيء فافعلوه. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلسه في مسجد البصرة، وعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة، فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمر بن عبيد وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف، وشملة مرتد بها، والناس يسألونه، فاستفرجْتُ الناس، فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتني، ثم قلت: أيها العالم، أنا رجل غريب تأذن لي فأسألك عن مسألة؟ فقال نعم، قلت له: أولك عين؟ قال: يا بنى أي شيء هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هكذا مسألتني. فقال: يا بنى سل، وإن كانت مسألتك حمقاء. قلت: أجبنني فيها، قال لي: سل، فقلت: ألك عين؟ فقال: نعم، قلت: فما ترى بها؟ قال: الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم الرائحة، قلت: فلك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: ألك قلب؟ قال:



نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أُمَيِّزُ به كُلَّ ما ورد على هذه الجوارح، قلت: أليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا، قلت: وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بني، الجوارح إذا شَكَتْ في شيء شَمَّتْهُ أو رَأَتْهُ أو ذاقته رَدَّتْهُ إلى القلب، فَيَتَقَيَّنُ اليَقينَ وَيَبْطُلُ الشَّكُّ، قلت: وإنَّما أقام الله القلب لشكَّ الجوارح، قال: نعم، قلت: فلا بُدَّ من القلب وإلَّا لم يستيقن الجوارح، قال: نعم، قلت: يا أبا مروان، إنَّ الله لم يترك جوارحك حتَّى جعل لها إماماً، يَصَحِّحُ لها الصَّحيحَ وَيَتَقَيَّنُ لها ما شَكَتْ فيه، وَيَتْرَكُ هذا الخلق كُلَّهُم في حيرتهم وشكِّهم واختلافاتهم لا يقيم لهم إماماً يردُّون إليه شكِّهم وحيرتهم، وَيُقيم لك إماماً لجوارحك تَرُدُّ إليه حيرتك وشكَّك، فسكت ولم يقل لي شيئاً، ثُمَّ التفت إليَّ ثُمَّ قال: أنت هشام؟ قلت: لا، فقال: أجالسته؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قلت من أهل الكوفة، فقال: أنت إذن هو، ثُمَّ ضَمَّنِي إليه وأَجْلَسَنِي وأَقْعَدَنِي في مجلسه وما نطق حتَّى قمت، فضحك أبو عبد الله ﷺ فقال: يا هشام من علِّمك هذا؟ قلت: يا ابن رسول الله جرى على لساني، فقال: يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى^(١٠).

وهكذا رأينا أن الإمام ﷺ اعتنى بهشام بن الحكم، وعلمه، وأعدّه إعداداً يؤهله أن يكونَ متخصصاً في علم الكلام، ودعم هذا الإعداد بمتابعة مناظراته الكلامية، وبتشجيعه والثناء عليه.

وهكذا نرى جهود الإمام الصادق ﷺ مع مؤمن الطاق:

٣- عن إسماعيل بن عبد الخالق، قال: كنت عند أبي عبد الله ﷺ ليلاً فدخل عليه الأحول فدخل به من التذلل والاستكانة أمر عظيم، فقال له أبو عبد الله ﷺ ما لك؟ وجعل يكلمه حتى سكن، ثم قال له: بما تخاصم الناس؟ قال: فأخبره بما يخاصم الناس، ولم أحفظ منه ذلك، فقال أبو عبد الله ﷺ خاصمهم بكذا وكذا^(١١).

٤- عن أبي خالد الكابلي، قال: رأيت أبا جعفر صاحب الطاق وهو قاعد في الروضة، قد قطع أهل المدينة أزراره، وهو دائب يجيبهم ويسألونه، فدنوت منه، فقلت: إن أبا عبد الله ينهانا عن الكلام، فقال: أمرك أن تقول لي؟ فقلت: لا والله، ولكن أمرني أن لا أكلم أحداً، قال: فاذهب وأطعهُ فيما أمرك، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بقصة صاحب الطاق، وما قلتُ له، وقوله لي: اذهب فأطعهُ فيما أمرك، فتبسّم أبو عبد الله عليه السلام، وقال: «يا أبا خالد إن صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض، وأنت إن قصّوك لن تطير - كناية عن غلبة القوم له»^(١٢).

رابعاً: اللغة وعلم النحو

برع في هذا العلم مجموعة أبرزهم حمزان بن أعين، وقد تقدّم تميّزه في علوم القرآن والقراءة، وذكر أيضاً تميّزه في علم النحو وبراعته به، «وقال الشيخ في الفهرست في ترجمة زرارة: «ولزرارة اخوة جماعة، منهم حمزان - وكان نحويّاً»^(١٣).

وممن عُرفوا في الحقل اللغوي أبان بن تغلب، «وكان قارئاً من وجوه القراء، فقيهاً، لغويّاً، سمع من العرب وحكى عنهم»^(١٤)، وقد ضمّ أبان معرفته باللغة إلى علوم أخرى برع بها، في ذلك قال عنه النجاشي: «وكان أبان مقدماً في كل فن من العلم في القرآن والفقه والحديث والأدب واللغة والنحو، وله كتب: منها تفسير غريب القرآن وكتاب الفضائل»^(١٥).

خامساً: التأريخ

يشار في هذا العلم إلى أبان بن عثمان الأحمر البجلي، ويستفاد هذا من عبارات المترجمين له، فقد قال النجاشي: «أبان بن عثمان الأحمر البجلي مولاهم، أصله كوفي، كان يسكنها تارة والبصرة تارة وقد أخذ عنه أهلها: أبو عبيدة معمر بن المثنى وأبو عبد الله محمد بن سلام وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليه السلام، له كتاب حسن كبير يجمع المبتدأ والمغازي والوفاة والرّدة.»^(١٦)

سادساً: التخصص الدقيق في علم الكلام (التوحيد)

تخصص في حكمة الوجود المفضل بن عمر الذي أملى عليه الإمام الصادق عليه السلام كتابه الشهير المعروف بـ (توحيد المفضل).

قال الشيخ محمد الحسين المظفر: «إنّ للصادق عليه السلام فصولاً جمّة في التدليل على وجوده ووحدانيته تعالى، منها توحيد المفضل، وهو الدروس التي ألّفها على المفضل بن عمر الجعفي الكوفي، أحد أصحابه الذين جمعوا بين العلم والعمل، ورسالته المسماة بالاهليلجة، المروية عن المفضل أيضاً، غير أن التوحيد أخذه منه شفاهاً، والرسالة رواها مكاتبةً، وهاتان الرسالتان وإن كانتا مقطوعتي السند غير أنّ البيان يفصح لك عن صدق النسبة»^(١٧).

المبحث الثاني: التخصص في العلوم التجريبية

كما كان التخصص العلمي في العلوم الإنسانية واضحاً بيننا فالتخصص في العلوم التجريبية واضح متجلاً، ومن النماذج في ذلك:

أولاً: الكيمياء:

تخصص في الكيمياء جابر بن حيان الكوفي أو (أبو الكيمياء في العالم) كما يطلق عليه الغربيون، وقد ذكره ابن النديم في الفهرست، وقال إنه من تلاميذ الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ونسب إليه حوالي مائة وخمسين كتاباً معظمها في الكيمياء والصناعة وخواص الأشياء، وقال عنه ابن خلكان في ترجمة الإمام الصادق عليه السلام: «وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالاته وفضله أشهر من أن يذكر وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق عليه السلام وهي خمسمائة رسالة»^(١٨).

قال عنه جرجي زيدان كما نقل ذلك السيد أبو القاسم الخوئي (ره) في معجم رجاله، «قال جرجي زيدان في مجلة الهلال على ما حكى عنه: «أنه من تلامذة الصادق عليه السلام، وإن أعجب شيء عثرت عليه في أمر الرجل أن الأوروبيين اهتموا بأمره أكثر من المسلمين والعرب، وكتبوا فيه وفي مصنفاته تفاصيل، وقالوا إنه أول من وضع أساس الشيمي الجديد وكتبه في مكاتبتهم كثيرة، وهو حجة الشرقي على الغربي إلى أبد الدهر»^(١٩)

وقد وجدت تشكيكات في تلمذة جابر عند الإمام الصادق عليه السلام، بل في نسبة المؤلفات الكثيرة إليه، بل وصل المشككون إلى أصل وجود جابر بن حيان فادعى بعضهم إلى أن شخصية جابر ليست حقيقية!!

وأورد ذلك ابن النديم، ورد هذا القول، قائلاً: «وأنا أقول : إن رجلاً فاضلاً يجلس ويتعب، فيصنف كتاباً يحتوي على ألفي ورقة، يتعب قريحته وفكره بإخراجه، ويتعب يده وجسمه بنسخة، ثم ينحله لغيره، أما موجوداً أو معدوماً، ضرب من الجهل، وإن ذلك لا يستمر على أحد، ولا يدخل تحته من تحلى ساعة واحدة بالعلم . وأي فائدة في هذا أو أي عائدة؟. والرجل له حقيقة، وأمره أظهر وأشهر، وتصانيفه أعظم وأكثر، ولهذا الرجل كتب في مذاهب الشيعة أنا أوردها في مواضعها، وكتب في معاني شتى من العلوم قد ذكرتها في مواضعها من الكتاب . وقد قيل إن أصله من خراسان، والرازي يقول في كتبه المؤلف في الصنعة : قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان» (٢٠).

ثانياً: علم الطب

احتفظ لنا التاريخ بمناظرات للإمام الصادق (عليه السلام) ومحاوراته في مجال الطب، وفيها أذعن الأطباء لما طرحه الإمام (عليه السلام)، كحواره مع الطبيب الهندي في مجلس المنصور، وقد بين الإمام (عليه السلام)، جسم الإنسان ووظائفه، حتى قال له الطبيب الهندي: من أين لك هذا العلم؟ فقال (عليه السلام): أخذته عن آبائي (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن جبرئيل (عليه السلام) عن رب العالمين جل جلاله الذي خلق الأجساد والأرواح، فقال الهندي: صدقت وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وعبد، وأنت أعلم أهل زمانك (٢١).

وكذلك في جوابه (عليه السلام) للنصراني الذي سأل عن تفصيل الجسم، فقال (عليه السلام): «إن الله تعالى خلق الإنسان على اثني عشر وصلاً، وعلى مائتين وستة وأربعين عظماً، وعلى ثلاثمائة وستين عرقاً» (٢٢).

وشرح (عليه السلام) للمفضل بن عمر طبيعة جسم الإنسان وتشريجه، وكيفية خلقه بهذا النحو، ووظائف أعضائه وجوارحه (الفسولوجيا)، وكيفية حصول



الدورة الدموية في الجسم ووظائفها. ثم تطرّق الإمام لطبّ الأطفال من خلال بيان بعض الحالات التي تصيب الأطفال وأسبابها وعلاجها. ثم بيّن له علم تشريح الحيوانات وأصنافها، ووظائف الحيوانات ومهامها، وفلسفة وجودها في هذه الحياة. وهذا الغوص في علم الأحياء قد سبق به الإمام عليه السلام العلوم الحديثة التي لا تزال تسعى لبيان وظائف الحيوانات وكيفية عيشها وحياتها، وتكاثرها، وأسباب وجودها، وكيفية تعايشها، وانتظام حياتها وبقائها. وكان من خاصّة تلامذة الإمام الصادق عليه السلام في علم الطبّ والعقيدة، وهو من علماء الشيعة، ومصنّفيهم، علمه عليه السلام بشكل مفصّل، وقد دوّن المفضل ذلك في كتابيه: كتاب التوحيد، وكتاب الأهليلة (الأهليجية)، وهما كتابان مهمّان في تأسيس علم الطبّ.

استفاد من الإمام عليه السلام الكثير من الأطباء؛ كأمثال ابن ماسويه، الذي قال للإمام عليه السلام عندما وصف له الطبائع: «فوالله، ما يحسن جالينوس أن يصف هذا الوصف»^(٢٣)، وطبيب المنصور العباسي، حيث علّمه عليه السلام التشريح وعلم الفسيولوجيا.

ولجابر بن حيان أيضاً الكثير من المؤلفات في علم الطب استفادها من الإمام الصادق عليه السلام.

ثالثاً: علم الفلك والنجوم:

برز مجموعة من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال الفلكي، منهم بياع السابري، سأله مولانا الصادق عليه السلام عن مسائل في النجوم فعجز عن الجواب، وسعد المولى اليماني الذي كان من أهل بيت ينظرون في النجوم، وسأله الإمام الصادق عليه السلام في النجوم فلم يستطع جواباً، وسفيان بن عمر، وعبد الرحمن بن سيابة، ومحمد بن أبي عمير، وعبد الملك بن أعين، وأبو خالد السجستاني^(٢٤).



وفي طليعة المتخصّصين بعلم النجوم هشام الخفّاف، الذي كان يحاور الإمام عليه السلام في هذا العلم، ويحدثنا الرواة عن دخوله ذات مرّة على الإمام عليه السلام، فسأله عن المنظومة الشمسيّة، وحركة الكرة الأرضيّة والكواكب، وغير ذلك، فعجز عن الجواب، فعلمه الإمام عليه السلام من دقائق هذا العلم وأسراره.

«عن هشام الخفّاف قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام: كيف بصرك بالنجوم؟ قال: قلت: ما خلفت بالعراق أبصر بالنجوم مني، فقال: كيف دوران الفلك عندكم؟ قال: فأخذت قلنسوتي عن رأسي فأدّرتها، قال: فقال: إن كان الامر على ما تقول فما بال بنات النعش والجدي والفرقدين لا يرون يدورون يوماً من الدهر في القبلة؟ قال: قلت: هذا والله شيء لا اعرفه، ولا سمعت أحداً من أهل الحساب يذكره، فقال لي: كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها؟ قال: قلت: هذا والله نجم ما سمعت به، ولا سمعت أحداً من الناس يذكره، فقال: سبحان الله فأسقطتم نجماً بأسره فعلى ما تحسبون؟! ثم قال: فكم الزهرة من القمر جزءاً في ضوئه؟ قال: قلت: هذا شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل، قال: فكم القمر جزءاً من الشمس في ضوئها؟ قال: قلت: ما أعرف هذا؟ قال: صدقت، ثم قال: ما بال العسكريين يلتقيان، في هذا حاسب، وفي هذا حاسب، فيحسب هذا لصاحبه بالظفر، ويحسب هذا لصاحبه بالظفر، ثم يلتقيان فيهزم أحدهما الآخر، فأين كانت النحوس؟ قال: فقلت: لا والله ما أعلم ذلك، قال: فقال: صدقت إن أصل الحساب حق، ولكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق كلهم»^(٢٥)

ومن المختصّين البارعين في علم الفلك أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاريّ (ت ١٦١ هـ)، وهو أوّل من عمل الاصطربلاب في الإسلام، وله في ذلك كتب، منها: «العمل بالاصطربلابات ذوات الخلق»، و«العمل بالاصطربلاب المسطح»، وقد عدّه السيد ابن طاووس من الشيعة.^(٢٦)

رابعاً: علم الفيزياء

لإمامنا الصادق (عليه السلام) علوم ومعارف فيزيائية استقهاها من علوم آبائه وأجداده الطاهرين توصل أصحاب النظريات الحديثة من علماء الفيزياء أخيراً إلى ما ذكره من قرون عدّه كقوله (عليه السلام) إلى وجود قطبين متضادين، وهو ما يماثل القوتين الإيجابية والسلبية داخل الذرة، ومنها تتألف الذرة، وتتولد المادة من الذرة.

وقد ظهرت أهمية هذه المسألة في القرن السابع عشر الميلادي عندما أثبت علم الفيزياء وجود هذين القطبين المتضادين، وإن ما نعرفه اليوم من علوم الذرة والكهرباء والإلكترونيات قد قطع بسلامة هذه النظرية، وأكد وجود القطبين المتضادين في المغناطيس وفي الكهرباء وفي نواة الذرة، وفي غير ذلك من ميادين العلم^(٢٧) وكان لجابر بن حيان بالإضافة إلى تضلعه في علم الكيمياء تضلع في الفيزياء والرياضيات.

وهكذا تنوع العلوم في مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) وتتعدد التخصصات العلمية، وهي ميزة فريدة من ميزات مدرسة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، وما تعرضنا إليه ليس استقصاءً لتلك التخصصات العلمية، ولا رصدًا كاملاً للمتخصصين في هذه المدرسة الرائدة، بل هو نافذة لمشروع يمكن أن يتسع ويتكامل، وتستقصى فيه العلوم المختلفة، ومن تخصص فيها من تلامذة الإمام (عليه السلام) وأبدع فيها.

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة:

يمكن إجمال نتائج البحث بما يأتي:

أولاً: كانت للإمام الصادق (عليه السلام) خطة دقيقة في تأسيس مدرسته، وأهدافاً مرصودة في تربية تلاميذه وتعليمهم، تجلّى في قوله: «والله لأدعّتهم والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحداً».

ثانياً: تميزت مدرسته بالكم والكيف، فمن ناحية الكم نجد أنّ ما عدّه علماء الرجال من أصحابه (عليه السلام) من الكثرة بمكان يجعلنا نقول بأريحية تامّة أنّه أكثر الأئمة (عليهم السلام) تلامذة، وهي ليست كثرة عدد فحسب، وليست كثرة غناء، بل كثرة علماء متميزين في علوم شتى.

ثالثاً: من ميزات المدرسة الصادقية وهي ميزات كثيرة بلا شك التخصّص العلميّ، إذ وزّع الإمام (عليه السلام) تلامذته على العلوم المختلفة. رابعاً: تنوّعت التخصّصات العلميّة في مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام)، فلم تختصر على العلوم الإنسانية كالفقه والحديث والتفسير، بل تعدت ذلك إلى العلوم التجريبية كالكيمياء والطب والفيزياء، وبرع متخصصون في هذه التخصّصات العلمية.

خامساً: وجود التخصّصات الدقيقة، وتفرّعها إلى تخصّصات أدق، فقد رأينا أن علم الكلام وهو تخصّص علميّ فيه تخصّصات دقيقة.

سادساً: كان للإمام الصادق (عليه السلام) الإشراف المباشر على تلامذته ومناظراتهم، وبيان نقاط القوة في محاوراتهم، كما كان يقوم بالدعم الكامل لهم، ولم يقتصر هذا الدعم على العلوم الإنسانية، بل أولى العلوم التجريبية اهتماماً ملحوظاً، ولعل دعمه (عليه السلام) لجابر بن حيان في تكوين مصنعه خير شاهد على ذلك.

سابعاً: ما قدّمه البحث ليس استقصاءً كاملاً لتلك التخصّصات العلمية، ولا رصدًا تاماً للمتخصّصين في هذه المدرسة الرائدة، بل هو محاولة في هذا المشروع الكبير، وهو دراسة ظاهرة التخصّص العلمي في مدرسة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

الهوامش

- ١ - كشر عن أسنانه : كشف عن أسنانه، أرعده، وفي نسخ يُكثر، أي لم يتركه يُكثر.
- ٢ - الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، بلا ط، بلا تا، ج ٢ ص ٥٥٤.
- ٣ - الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ط ٥، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ج ٧ ص ٢٧٣
- ٤ - الزراري، أبو غالب، تاريخ آل زرارة، مطبعة رباني، إيرانقم، ١٣٩٩، ص ٢٥
- ٥ - الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، إيرانقم، بلا ط، ١٤٠٤هـ، ج ١ ص ٣٤٨
- ٦ - ابن النديم البغدادي، محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، الناشر: المحقق، بلا ط، بلا تا، ص ٢٧٦
- ٧ - الجلاي، محمد حسين، فهرست التراث، دليل، إيران قم، ط ١، ١٤٢٢ - ١٣٨٠ش، ج ١ ص ١٥٩
- ٨ - الزراري، أبو غالب، رسالة في آل أعين، تحقيق: السيد محمد علي الأبطحي، مطبعة رباني، بلا ط، ١٣٩٩، ص ٢٧
- ٩ - الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، قم، بلا ط، بلا تا، ج ٢ ص ٥٥١.
- ١٠ - الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، بلا ط، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م، ج ١ ص ١٩٥.
- ١١ - الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، قم، بلا ط، بلا تا، ج ٢ ص ٤٢٥
- ١٢ - الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، قم، بلا ط، بلا تا، ج ٢ ص ٤٢٤
- ١٣ - الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست، ص ١٣٤
- ١٤ - النجاشي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، مؤسسة النشر الإسلامي، إيرانقم المشرفة، ط ٥، ١٤١٦هـ، ص ١٠
- ١٥ - المصدر السابق، ص ١١
- ١٦ - النجاشي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، مؤسسة النشر الإسلامي، إيرانقم المشرفة، ط ٥، ١٤١٦هـ، ص ١٣
- ١٧ - المظفر، محمد الحسين، الإمام الصادق (عليه السلام)، مؤسسة النشر الإسلامي، إيرانقم، ط ٤، ١٤٠٩هـ، ج ١ ص ١٥٠
- ١٨ - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج ١ ص ٣٢٧



- ١٩ - الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ط ٥، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ج ٤ ص ٣٢٨.
- ٢٠ - ابن النديم، محمد بن إسحاق، فهرست ابن النديم، تحقيق: رضا تجدد، ص ٤٢١.
- ٢١ - الصدوق، محمد بن علي، الخصال، مؤسسة النشر الإسلامي، إيرانقم، ١٤٠٣هـ ١٣٦٢ش، ص ٥١٤ .
- ٢٢ - النمازي الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: الشيخ حسن النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، إيرانقم، ١٤١٩هـ، ج ٧ ص ٢٨٣.
- ٢٣ - ابننا بسطام النيسابوري، عبد الله وحسين بن سابور الزيات، طب الأئمة (عليه السلام)، انتشارات الشريف الرضي، قم، ط ٢، ١٤١١هـ ١٣٧٠ش، ص ٤.
- ٢٤ - راجع: (النمازي الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، بلا ط، ١٤١٩هـ، ج ٩ ص ٥٥٢).
- ٢٥ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٤، ١٣٦٢ش، ج ٨ ص ٣٥١، وللشيخ المجلسي في البحار تعليق على هذه الرواية نوره للتوضيح، قال: « بيان : (فأدريتها) لعله زعم أن حركة الفلك في جميع المواضع روحية (ما بال العسكريين) هذا دليل تام على خطأ المنجمين، فإن ملكين إذا تقابلا وكان لكل منهما منجم فإنها يختاران لهما ساعة واحدة، ويحكم كل منهما لصاحبه بالظفر، مع أنه يظفر أحدهما وينهزم الآخر، وذلك لعدم إحاطتهم بارتباط النجوم بالاشخاص فإنه يمكن أن يكون لكل نجم مناسبة لشخص من الاشخاص يكون سعادته أو علوه علامة لغلخته، أو يقال كما أن لتأثير الفواعل مدخلا في حدوث الحوادث فكذا لاستعداد القوابل مدخل فيه، وهم على تقدير إحاطة علمهم بالأول لم يحيط علمهم بالثاني كما قاله ابن سينا، وسيأتي تفصيله في قصة هاروت وماروت . ف قوله (لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق) يمكن أن يكون إشارة إلى الأول، كما أن المنجمين يعتبرون طالع المولود في الاحكام، أو إلى الثاني بأن يكون المراد بمواليدهم صوصيات موادهم واستعداداتهم وقابلياتهم وأسباب ولادتهم، وهذا علم لا يمكن الإحاطة به إلا بالوحي أو الالهام من الخالق الحكيم، ويمكن أن يكون المراد به أن من أحاط بذلك العلم يعلم به جميع مواليد الخلق، ولما لم يعلم المنجمون جميع ذلك ظهر أنهم لا يحيطون به علما، وعلى التقادير ظاهره حقيقة هذا العلم، وعدم جواز النظر فيه لسائر الخلق، لعدم إحاطتهم به وتضمنه القول بما لا يعلم - والله يعلم - . (المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ج ٥٥، ٢٤٤).
- ٢٦ - ابن طاووس، علي، فرج المهموم، منشورات الرضي، إيرانقم، بلا ط، ١٣٦٣ش، ص ١٢٨.
- ٢٧ - أنظر: الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، ترجمة: د. نور الدين آل علي، دار القارئ، بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ص ١٧٧ ١٧٣.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- * ابن النديم البغدادي، محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، الناشر: المحقق، بلاط، بلاتا
- * ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت
- * ابن طاووس، علي، فرج المهموم، منشورات الرضي، إيرانقم، بلاط، ١٣٦٣ش
- * ابننا بسطام النيسابوري، عبد الله وحسين بن سابور الزيات، طب الأئمة (عليه السلام)، انتشارات الشريف الرضي، قم، ١٤١١، ١٣٧٠ش
- * الجلال، محمد حسين، فهرست التراث، دليل، إيران قم، ط ١، ١٤٢٢ - ١٣٨٠ش
- * الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ط ٥، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
- * الزراري، أبو غالب، رسالة في آل أعين، تحقيق: السيد محمد علي الأبطحي، مطبعة رباني، بلاط، ١٣٩٩
- * الصدوق، محمد بن علي، الخصال، مؤسسة النشر الإسلامي، إيرانقم، ١٤٠٣هـ - ١٣٦٢ش
- * الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف
- * الأشرف، بلاط، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م
- * الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) التراث، بلاط، بلا تا
- * الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٤، ١٣٦٢ش
- * ١٣ - المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
- * مجموعة مؤلفين، الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، ترجمة: د. نور الدين آل علي، دار القارئ، بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
- * المظفر، محمد الحسين، الإمام الصادق (عليه السلام)، مؤسسة النشر الإسلامي، إيرانقم، ط ٤، ١٤٠٩هـ
- * النجاشي، فهرست أسماء مصنفين الشيعة (رجال النجاشي)، مؤسسة النشر الإسلامي، إيرانقم المشرفة، ط ٥، ١٤١٦هـ
- * النمازي الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: الشيخ حسن النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، إيرانقم، ١٤١٩هـ

أسلوب التوكيد في دعاء وداع شهر رمضان للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام دراسة نحوية دلالية

م. د. ميثم كريم كاظم الشاهين

المديرية العامة للتربية في ذي قار

ملخص البحث

التوكيد من أهم الظواهر اللغوية التي تؤدي وظيفة هامة مفادها توضيح المعاني وتبيانها والكشف عنها، وهو أسلوب من أهم أساليب التعبير النحوية التي تؤدي وظيفة وجدانية تعمل على إثارة المتلقي ولفت انتباهه في ضوء استخدام بعض الألفاظ وتكرارها، وهو من أهم الملامح البارزة في كلام أهل البيت عليه السلام، ومنهم الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، في العديد من النصوص الماثورة عنه، ومنها ما قاله في دعاء وداع شهر رمضان، إذ ألفينا النصّ يحوي على ثراء لغوي قائم على توظيف المتكلم لمجموعة من وسائل التعبير وطرقه، وأسلوب التوكيد واحد من أبرزها، وتبرز أهمية البحث في أنّ النصّ المدروس ينتمي إلى ما يسمى بـ (عصر الفصاحة والبلاغة)، إذ يمكن الاستفادة منه في الدراسات اللغوية والأدبية والأسلوبية وغيرها، فقائله إمام الفصحاء وسيدهم.



المقدمة

تتميّز العربية بميزات عديدة أهمّها لفظ جزيل ذو معانٍ متعدّدة، وأساليب كثيرة تقوم على أساس شفرات ورموز بين منتج النصّ ومتلقيه، إذ إنّ المتكلّم يلقي خطابه على وفق صياغات مناسبة لحال المخاطب تقريراً وتوكيداً وقسماً ونداءً وغيرها، وأسلوب التوكيد من أهمّ ظواهر العربية وأساليبها القائم على فكرة مفادها تقوية المعنى وتأكيده ودفع توهمه لدى المخاطب، سواءً كان ذلك بالتكرير للفظ نفسه (التوكيد اللفظي) أو معناه (التوكيد المعنوي) أو في ضوء توظيف بعض أدوات التوكيد الداخلة على الجمل، مثل: إنّ، اللام، قد، الحروف الزوائد، أو التوكيد بالبدل والوصف والعطف وغيرهم، وقد تجلّى هذا الأسلوب في كتاب الله الأعظم القرآن الكريم وترجمانه أهل البيت الذين نرى مفاهيم الكتاب ترشح في مفرداتهم، وتظهر في كلماتهم المملوءة بالبلاغة والبيان، ممّا حدا بنا إلى الوقوف على قصد بعض هذا النмир العذب عند دعاء وداع شهر رمضان المنقول عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) في مجموعة من الأدعية التي جمعها سيد المحققين المرحوم الشيخ باقر شريف القرشي في سفرٍ وضعه على غرار الصحيفة السجادية فسّمّاها (الصحيفة الصادقية)، وقد أثنى على عمله العظيم هذا المرجع السيد عبد الأعلى السبزواري (رحمه الله) في تقريره للصحيفة المباركة المذكورة، وقد تضمّن البحث المباحث الآتية: التوكيد بالتكرار، وفيه تكرار الاسم والجملة والحرف واسم الفعل، والتوكيد المعنوي وتضمّن (كلّ، جميع)، والتوكيد بالحروف وتضمن (قد، إنّ، طرق أخرى)، والتوكيد بالمصدر أو المفعول المطلق، والتوكيد بالبدل والوصف والتقديم والتأخير، ثمّ الخاتمة ومصادر البحث. وقد استند البحث على منهج الوصف والتحليل.

وتبرز أهمية البحث في انتباه النص إلى عصر الفصاحة والبلاغة والبيان، وأنه قد صدر عن إمام يشرح كلامه بمفردات القرآن العظيم وأساليبه ومضامينه، والحمد لله الذي ابتداء الحمد به وانتهى إليه.

تمهيد : أساليب التوكيد

التوكيد أحد أساليب التعبير النحوية التي يراد بها معانٍ متعددة أهمها تقوية المعنى وتأكيده في ذهن السامع؛ لذلك عرّفوه بأنّه: -لفظٌ يراد به تمكين المعنى في النفس، أو إزالة الشكّ عن الحديث، أو المحدث عنه^(١)، فهو أسلوب غاية القسوى تقوية المؤكّد لدى المتلقي^(٢)، قال ابن يعيش: ((وجدوى التأكيد أنّك إذا كررت فقد قررت المؤكّد وما علق به في نفس السامع ومكّنته في قلبه وأمّطت شبهة ربّما خالجت أو توهمّت غفلة وذهاباً عمّا أنت بصدده فأزلته ...))^(٣)، وقد درسه النحاة تحت أبواب متفرقة بحسب ما يسمّونه (العامل النحوي)، إذ وقع بعضه تحت باب معمولات الجمل الاسمية، مثل: (إنّ، أنّ)، وبعضه تحت باب القصر أو الحصر (إنّما وإلّا، وما)، ومنه ما وقع تحت باب حروف الجر، ومنه ما درسه النحاة تحت باب التوابع في التوكيد اللفظي والمعنوي، أمّا المحدثون فقد أفرد بعضهم له باباً خاصاً به، بمعنى إنّ للتوكيد طرقاً متعدّدة هي:

أ- التوكيد بالأداة : وتشمل:

- الأداة المختصّة بالدخول على الأسماء مثل: (إنّ، وأنّ) المختصّتين بالدخول على الأسماء.

- الأدوات المختصّة بالدخول على الأفعال، مثل : نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة.

- أدوات القصر غير المختصّة (ما، وإلّا، وإنّما)، والحروف الزوائد، مثل: (الباء، ومن، وإن).

ب- التوكيد بالتقديم: كتقديم الظرف والجار والمجرور والمفعول للعناية والاهتمام بالمقدم.

ت- التوكيد بالتكرار: ويكون بتكرار اللفظ نفسه أو ما يدل عليه (نفس، عين، كلا، كلتا، كل، جميع، عامة).

وسيدرس البحث ما ورد من أنماط التوكيد في دعاء وداع شهر رمضان الوارد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، وكما يأتي:
أولاً: التوكيد بالتكرار:

يراد به ما يسميه النحاة (التوكيد اللفظي)، وقد عرفوه بأنه ((دلالة اللفظ على المعنى مردداً))^٥، فهو إتياء المتكلم بلفظ ما ثم إعادته بعينه لتقرير معنى^٦، وغاياته متعددة أهمها التأكيد والتنبيه^٧، ويقع التوكيد بالتكرار على طرق عديدة هي:

أ- التوكيد بتكرار الأسماء: إذ قد يتكرر الاسم نفسه لإفادة التوكيد، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر / ٢١-٢٢]، ومنه في الدعاء قول الإمام الصادق (عليه السلام): -يا ربّ الذي ليس لي ربّ غيره أسألك أن لا يكون هذا الوداع مني وداع فناء...^٨، فقد تكرر لفظة (ربّ) مرتين إحداها وقع بصيغة المنادى، والثانية توكيداً لها؛ لتقوية المعنى وتوكيده لدى المتلقي، إذ يمكن القول مثلاً: (يا ربّ الذي ليس لي غيره) من دون لفظة (ربّ) الثانية، فضلاً عن ذلك فإنّ أوّل المقطوعة الدعائية (اللهم) التي وقعت لخطابه تعالى بالمضمون ذاته، ومن هنا فقد أفاد تكرير الاسم الإقرار بالربوبية لله تعالى والاعتراف بوحدانيته ونفي الشريك عنه بطريقة التوكيد على نفي الشريك، وهو توكيد لبيان أنّ الله تعالى هو الربّ وحده بلا شريك، إذ ﴿لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء / ٢٢] وهو من أهمّ مضامين الدعاء لدى المعصومين (عليهم السلام)، وتضمّن

النص نفسه تكرير اسم (يكون) وخبرها (أن لا يكون الوداعُ مني وداعُ فناء)، إذ تكرر لفظ (الوداع وداع) بطريقة التعريف أولاً ثم الإضافة للدلالة التوكيد.

ب- التوكيد بتكرار الجمل: كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح / ٥]، ومنه في الدعاء تكرر جملة النداء (اللهم)، والجملة الفعلية (أسألك) في قوله ﷺ: - اللهم إني أَسْأَلُكَ في كتابك المنزل... اللهم لك الحمد بمحامدك... اللهم فتقبله مني بأحسن قبولك... اللهم إني أسألك بعظيم ما سألك أحد من خلقك... اللهم يا ربّ الذي ليس لي ربّ غيره... اللهم وأسألك برحمتك وطولك وعفوك... اللهم اسمع دعائي... اللهم إني أسألك بأحبّ ما دعيت به... اللهم اجعل فيما تقضي وتقدر... اللهم إني أسألك ولم يسأل العباد مثلك... وأسألك بكلّ اسم هو لك... أسألك بعزّتك وعظمتك... اللهم أوجب لي من رحمتك... اللهم لا تجعلني أخسر من سألك... اللهم ارزقني... اللهم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته... اللهم لا تزغ قلوبنا... اللهم أكرمني في مجلسي... اللهم وما كان في قلبي من شكٍّ أو ريبة... اللهم إن كنت بلغتناه وإلا فأخّر آجالنا...^٩، فلفظة (الهمّ) صيغة نحوية مركّبة من لفظ الجلالة الواقع منادى لحرف نداء محذوف معوض عنه بميم مشددة مفتوحة، وقد ذهب المختصون إلى استعمال هذا التركيب بدلاً من (يا الله) للدلالة على التعظيم^{١٠}، وقد تكررت جملة النداء (اللهم) ثماني عشرة مرة، وفي تكرار هذا المركب الندائي دلالة على توكيد معنى التعظيم وتكراره، فهو تعظيم بعد تعظيم؛ ليكون ذلك مناسباً لسياق حال المتكلّم ونيل مطالبه العظمى من المولى، ودليل أن المراد من هذا التكرار التوكيد أنّها قد ذُكرَ مع أغلبها الجملة الفعلية (أسألك) التي تدلّ على الإلحاح في طلب السؤال، فهي صيغة فعلية فعلها مضارع

دالٌّ على التجدد والحدوث في الحال والاستقبال، فضلاً عن أنَّ العرف اللغوي يعبر عن الفقير الذي كان مستدعياً لشيء بالسائل^{١١}، وبالتالي فإنَّ الدلالة المعجمية للجذر اللغوي (سأل) مع الدلالة النحوية لهذا التركيب الفعلي تؤدِّيان دور تقوية المعنى وتوكيده الذي هو التعظيم الواقع في قبال تصغير شأن المتكلم، ويؤيِّد ذلك إسناد الفعل إلى كاف الخطاب العائد عليه جلَّ ثناؤه تعظيماً لشأنه؛ إذ المتكلم يناجي ربه بصيغ الطلب (اللهم، أسألك)؛ لأجل الوصول إلى مبتغاه في ضوء استعمال بعض الصيغ النحوية والتركيب والجمل وتكرارها لتحقيق مراده على مستوى الحال والمستقبل، وهو توكيد بعد توكيد، وإعظام بعد إعظام.

ومنه كذلك قوله ﷺ: - اللهم... لا تجعل وداعي شهر رمضان وداع خروجي من الدنيا... وارزقني العود فيه، ثمَّ العود فيه برحمتك^{١٢}، فقد تكررت جملة (ارزقني العود فيه، ثمَّ العود فيه)، وهي على تقدير حذف عامل ما بعد حرف العطف، والتقدير: (ارزقني العود فيه، ثمَّ ارزقني العود فيه برحمتك)، والمتكلم هنا يطلب إطالة عمره والبقاء ليلغ شهر رمضان لأكثر من مرّة بدليل: (العود ثمَّ العود برحمتك)، إذ العودة في اللغة مرّة واحدة بعد البدء، إلّا أنَّ دلالة (ثمَّ) وتكرار ما بعدها تدلُّ على طلب بلوغ الشهر العظيم لمَرَّات قادمة بدلالة (ثمَّ) الدالّة على التراخي^{١٣}، ولفظة (برحمتك) الحاملة دلالة استعطف المخاطب واستمالته نحو المتكلم، وقد حملت تكرار الجملة الفعلية دلالة تقرير المعنى المتضمن طلب العودة ثمَّ العودة إلى عبادة الله تعالى في هذا الشهر العظيم.

ومنه تكرار المنادى المضاف في قوله ﷺ: - إن كان بقي عليّ ذنبٌ لم تغفره لي... إلّا وقد غفرته يا أرحم الراحمين... واجعل فيما تقضي وتقدر أن تعتق رقبتني من النار يا أرحم الراحمين... واجعلني ممّن أعتقته في هذا



سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ
وَعِزَّتِكَ اللَّهُمَّ وَجَلَالِكَ



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

الشهر من النار ... يا أرحم الراحمين ... ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها على أفضل أمني ورجائي فيك يا أرحم الراحمين ... وتجاوز عنا ولا تعاقبنا يا أرحم الراحمين ... اللهم إن كنت بلغتنا، وإلا فأخّر آجالنا حتى تبلغنا في يسر منك وعافية يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله كثيراً، ورحمة الله وبركاته))، إذ تكررت صيغة النداء (يا أرحم الراحمين) ستّ مرّات في الدعاء، فضلاً عن أنّ الصيغة الواحدة نفسها تحوي تكرار لفظ الرحمة بصيغتين صريحتين مختلفتين هما: صيغة التفضيل (أرحم) التي تدلّ على اشتراك شيئين في صفة مع زيادة لأحدهما^١، وقد أضيفت إليها صيغة اسم الفاعل المعرّف بأل المختوم الياء والنون الدالين على جمع السلامة، فهو أرحم الموجودات بل فيض الرحمة من عنده تعالى لها كلها، فصيغة (أرحم الراحمين) دلّت على صفة ومتّصف بها مع زيادة، بل تحوي دلالة كونها صفات لا متناهية فيه جلّ ثناؤه، ومن هنا فقد حملت الصيغة وتكرارها دلالة التعظيم والتكثير في الوصف والمبالغة فيه إلى درجة اللامتناهية، فهو تعالى أرحم المخلوقات كلّها، إذ هو الذي رحمته ﴿وسعت كلّ شيء﴾ [الأعراف/ ١٥].

وربّما دلّ هذا الأسلوب على تأكيد الاستعطاف للمخاطب؛ لذا وجدنا في سياق الدعاء تكرار عدد كثير من صفاته تعالى واسمه جلّ ثناؤه التي تدلّ على تعظيمه ومحاوله المتكلّم نيل لطف مخاطبه بطرق متعددة كما في قوله: ((...يا باري يا مصوّر، يا حنان يا منّان، يا الله يا رحمن، يا رحيم يا قيوم، يا بديع، لك الأسماء الحسنى ... لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، يا قدوس يا قدوس يا قدوس، يا الله يا الله يا الله، يا رحمن يا رحمن يا رحمن، يا رحيم يا رحيم يا رحيم، يا ربّ يا ربّ يا ربّ...))^٢، ففي هذا التكرار دلالة التلطّف والاستعطاف والتعظيم والتبجيل.

ت- التوكيد بتكرار الحروف: وقع منه في الدعاء تكرار حرف العطف (أو) عند قوله: - اللهم وما كان في قلبي من شكٍّ، أو ريبة، أو جحود، أو قنوط، أو فرح، أو مرح، أو بطر، أو بذخ، أو خيلاء، أو رياء، أو سمعة، أو شقاق، أو نفاق، أو كفر أو فسوق، أو معصية، أو شيء لا تحبُّ عليه ولياً لك، فأسألك أن تمحوه من قلبي (...))^{١٦}، فقد تكرر حرف العطف (أو) ست عشرة مرّة في هذا النصّ، ولها معانٍ متعددة: منها التقسيم^{١٧}، وهي هنا وجهة الدلالة النحوية تحمل معنى التقسيم، كقولك: الكلام: اسم، أو فعل، أو حرف، أي أنّ المتكلّم في معرض الاعتراف بما في قلب العبد - بلسان الحال - من مساوئ متعددة كثيرة، فقد دلّ تكرار الحرف (أو) على معنى التكاثر والمبالغة في كثرة المساوئ الصادرة من العبد تجاه مولاه، وهو في مقام الاعتراف بها أمامه، وطلب إخماء هذا كلّه واستبداله بغيره من الصفات الحسنة التي تليق بهذا العبد ومدى علاقته بمولاه.

ث- تكرار اسم الفعل: اسم الفعل لفظ يؤدّي معنى الفعل ودلالاته ولا يقبل علاماته، بل قد يقبل بعض علامات الاسم كالتنوين في نحو: (صه، مه)، لذلك اختلف فيها العلماء، وسموها أسماء الأفعال؛ لأنّها أسماء تؤدّي معنى الأفعال^{١٨}، وهي على ثلاثة أقسام: اسم فعل أمر، واسم فعل مضارع، واسم فعل ماضٍ، وقد ورد منه في دعاء وداع شهر رمضان قوله: - ((اللهم ارزقني العود في صيامه لك، وعبادتك فيه، واجعلني ممّن كتبته في هذا الشهر من حجّاج بيتك الحرام، المبرور حجّهم، المغفور لهم ذنبهم، المتقبل عملهم، آمين آمين آمين ربّ العالمين))^{١٩}، فلفظة (آمين) اسم فعل أمر، وهي في هذا السياق بمعنى (استجب) في الدعاء، فهي اسم فعل دعاء، وقد تكررت ثلاث مرات متتالية في النصّ، وحمل استعمال

اسم الفعل (آمين) الدلالة على المبالغة والتوكيد في طلب الاستجابة، فاسم الفعل في العربية أكد من الفعل نفسه؛ إذ إنَّ (آمين) أكثر دلالة طلبية من الفعل (استجب)؛ ربّما لتضمّن دلالة الفعل التي هي الحدث المجرّد^{٢٠}، فهي بحدّ ذاتها من دون تكرار تدلّ على التوكيد، وقد تكرّرت لتقوية المعنى وتأكيده والمبالغة في إلحاح المتكلّم على المخاطب بقبول مطالبه.

ثانياً: التوكيد المعنويّ

هو التابع الرافع الاحتمال^{٢١}، أو هو التابع المقرّر لأمر المتبوع في النسبة والشمول^{٢٢}، وألفاظه: (نفس، وعين، وكلا، وكلتا، وكلّ، وجميع، وأجمع)، كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر / ٣٠]، فلا لفظ (كل، أجمعون) من أدوات التوكيد المعنوي^{٢٣}، وقد ورد منه في الدعاء:

كلّ / جميع: تدلّ (كلّ) على الإحاطة والشمول لجميع أفرادها حتّى تستغرقهم، وتدلّ (جميع) على العموم^{٢٤}، وقد وردت (كلّ) في قول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): ((وأسالك بكلّ اسم هو لك في التوراة والإنجيل والزيور والفرقان، وبكلّ اسم دعاك به حملة عرشك...))^{٢٥}، ففي النصّ تكررت (كلّ اسم، وكلّ اسم)، وقد حمل هذا التوكيد على الإحاطة والشمول، إذ إن (كل) من أدوات التوكيد المعنوي الدالة على الشمول، فهي تستعمل للدلالة على كلّ فرد حتّى تستغرق جميع الأفراد^{٢٦}.

أمّا الضمير المنفصل (هو) فقد ورد للدلالة على إزالة اللبس، أي: أسالك بكلّ اسم هو لك أنت لا غيرك، فهو مع الضمير المجرور في (لك) يحمل دلالة التقوية وتوكيد المعنى في إثبات السؤال لأسمائه تعالى لا غيرها، وهو ما يسمّى توكيداً بدلالة التخصيص، فهو شكل من أشكال الزيادة بعد تحقق النسبة التامة بين المسند والمسند إليه غايته التخصيص^{٢٧}.

ومنه قوله ﷺ: - اللهم فتقبله بأحسن قبولك وتجاوزك وعفوك وصفحك وغفرانك وحقيقة رضوانك حتى تظفرنا فيه بكل خير مطلوب، وجزيل عطاء موهوب، وتؤمننا فيه من كل أمر مرهوب، وذنب مكسوب))^{٢٨}، وقوله ﷺ: ((... أسألك بأعظم المسائل كلها وأنجحها ... وأسألك بكل اسم هو لك في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وبكل اسم دعاك به حملة عرشك، وملائكة سمواتك، وجميع الأصناف من خلقك ... وبأسمائك التي تملأ أركانك كلها أن تصلي على محمد وآل محمد))^{٢٩}، فقد حملت الأداتان (كل، جميع) دلالة التعميم وإزالة الاحتمال والشمول، بحيث شمل الحكم مدخولاتها كلها.

ثالثاً: التوكيد بالأدوات الداخلة على الجمل:

أ- دخول الأدوات على الجملة الفعلية: قد يقع التوكيد بواسطة اقتران الجملة الفعلية ببعض الأدوات الدالة على هذا الغرض، ومن ذلك:

قد: حرف يختص بالدخول على الأفعال المتصرفة الماضية والمضارعة المتصرفة^{٣٠}، وهي إذا دخلت على الماضي أفادت التحقيق والتوقع والتقريب^{٣١}، ومن ذلك قول أبي عبد الله الصادق عليه السلام: - إن كان بقي عليّ ذنب لم تغفره لي، أو تريد أن تعذبني عليه، أو تقايسني به أن يطلع فجر هذه الليلة، أو يتصرم عني هذا الشهر إلا وقد غفرته لي يا أرحم الراحمين))^{٣٢}، إذ إنّ في وجود الأداة (قد) مع الفعل الماضي المسند إلى ضمير المخاطب (غفرته) دلالة على كون فعل المغفرة قد وقع وانتهى بحيث صار بمنزلة الماضي القريب من الحاضر، فهي إذا دخلت على الماضي كانت لمعانٍ أهمّها التوقع والتحقيق، والأوّل بمعنى أنّه كان متوقعاً قبل طلبه، ومعنى الثاني الدلالة على التوكيد؛ لأنّه واقع لا محالة، جاء في معاني النحو: -أما التحقيق

فمعناه التوكيد، ومعناه أيضاً تحقق حصول الحدث في الزمن الماضي^(٣٣)، ونرجح دلالة (قد) في سياق الدعاء على التحقيق، وإن فعل المغفرة (قد غفرته) قد وقع وانتهى، ويكون ذلك إيماناً من المتكلم برحمة المخاطب وعظمته، فهو تعالى غافر الذنب أوله وآخره، وهذا يناسبه سياق المقام والسياق اللغوي في الآتي:

- إن المتكلم هو المعصوم الذي كان ممن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

- إن الظرف الزمني (شهر رمضان) مناسب لهذا المعنى، فهو الشهر الذي دعيت فيه الأمة إلى ضيافة الله جل ثناؤه، ولكل ضيف كرامته في مقاييس البشر فكيف به تعالى!

- إن: الشرطية التي تشعر التضعيف بخلاف إذا التي تدل على تحقق الوقوع^{٣٤}، ومعنى ذلك أنه ربما لم يبق ذنب أصلاً على العبد.

- (كان بقي) ماضي منقطع ومعنى الانقطاع أنه حصل مرة واحدة، ومثله قوله تعالى: ﴿ولو كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ [الأحزاب/ ١٥]، وفيه دلالة على تفاؤل المتكلم برحمة المخاطب وكرمه وجوده، فهو الذي لم يبق ذنباً إلا وقد غفره.

- إن المتكلم قد ذيل آخر النص بقوله: (يا ارحم الراحمين)، بصيغة التفضيل (أفعل) المناسبة له تعالى، الذي قال عن نفسه في كتابه العظيم: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف/ ١٥٦]، فهو ذو الرحمة الرحيمية والرحمانية اللتين لا تنفدان.

ب- دخول الأدوات على الجمل الاسمية : من طرائق التوكيد في العربية اقتران الجملة الاسمية ببعض المؤكّدات التي قد يكون لها عمل ودلالة مثل (إنّ، أنّ)، وقد يكون له دلالة من دون عمل، مثل (لام الابتداء أو المرحلة)، ومنه في الدعاء التوكيد بـ (إنّ) في قول الإمام الصادق عليه السلام: ((واصرف عني شر كلّ صغير أو كبير، وشرّ كلّ دابة أنت آخذٌ بناصيتها إنّ ربّي على صراط مستقيم))^{٣٥}، إذ وقعت أداة التوكيد المختصة بالدخول على الجملة الاسمية (إنّ) للدلالة على تقوية المعنى وتأكيده في النفوس، قال ابن يعيش: ((وأما فائدتها فالتأكيد لمضمون الجملة، فإنّ قول القائل: إنّ زيدا قائم ناب مناب تكرير الجملة مرّتين، إلّا أنّ قولك (إن زيدا قائم) أوجز من قولك: (زيد قائم زيد قائم) مع حصول الغرض من التأكيد))^{٣٦}، وقد جاء الخبر طلبياً ملازماً للأداة (إنّ) ليكون مناسباً لحالة المخاطب الذي لم يكن خالي الذهن من هذا المعنى، فغايته تبليغ المخاطب بهذا الخبر ليستقرّ في نفس المتلقي من دون شك أو ريب؛ لذا ناسبه التوكيد بالأداة، فربّما كان ذلك لدفع التوهّم والغفلة عن ذهن السامع.

ت- اشتراك دخول الأدوات على الجمل الاسمية والفعلية في سياق واحد: قد يعتمد المتكلّم إلى توظيف أدوات التوكيد الداخلة على الجمل الفعلية والداخلية على الجمل الاسمية في سياق واحد لدلالة تقوية المعنى وتأكيده وتحقيقه في النفوس، وهو ما ألفيناه في الدعاء لدى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إذ قال: -... على أنّك قد بلغتنا شهر رمضان وعلينا من نعمك، وعندنا من قسمك وإحسانك وتظاهر امتنانك))^{٣٧}، فالمؤكّدات في هذا النصّ قد وقعت مشتركة بين الجملتين الاسمية والفعلية الواقعة خبراً لأداة التوكيد، وكما يأتي:

- أن : (إنّ، أن): أداتان تدخلان على الجمل الاسمية لإفادة تأكيدها^{٣٨}، إذ بإمكان السياق يقع بضمير المخاطب فيكون : (أنت قد بلغتنا) إلا أنّه سوف يكون خالياً من دلالة توكيد تحقق إفادة الإقرار من المتكلّم على تبليغه الشهر المبارك وما فيه من نعم، فهي أداة تدلّ على القطع في حصول الفعل بعدها .

- قد : في ضوء تقدم (أنّ) على الأداة (قد) في قوله: (أنك قد بلغتنا) نرجّح دلالة (قد) على تحقيق التبليغ منه تعالى، فضلاً عن أنّ المعاني الأخر لا تناسب السياق، إذ لا يمكن أن تكون بأي حال من الأحوال قد دلّت على التوقّع أو التقريب؛ لأنّ الشهر قد وقع وانتهى، وأنّه في مقام وداع هذا الشهر الفضيل.

- في ضوء الإفادة من الدلالة الصرفية فإنّ الفعل (بلغ) على بناء (فعل) يدلّ على المبالغة في حدوث أمر التبليغ لهذا الشعر العظيم، وهو ما يناسب دلالة التحقيق والتوكيد الصادرتين من الأداتين (إنّ، قد).

رابعاً: التوكيد بالمصدر (المفعول المطلق):

هو المصدر الفضلة المؤكّد لعامله أو المبيّن لنوعه أو عدده^{٣٩}، فهو تكرار لفظ العامل لثلاثة معانٍ: التوكيد وبيان النوع والعدد، ومن الأول قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَاتُ صَفَاءً﴾ [الصافات/ ١]، وقد ورد في الدعاء عند قوله ﷺ: ((... أدعوك دعاء من قد اشتدت فاقته، وكثرت ذنوبه، وعظم جرمه، وضعف كدحه))^{٤٠}، فقد تكرر الفعل (أدعوك) ومصدره المبيّن لنوعه (دعاء من قد اشتدت)، ولما كانت دلالة المفعول المطلق الأساس التوكيد فإنّ هذا المعنى قد حضر في نصّ الدعاء (أدعوك دعاء) لأجل ترسيخ معنى الدعاء

ودلالاته لدى المتلقي مع بيان الحال التي عليها المتكلم والهيئة التي هو فيها؛ لما يتضمنه من محور طلبي مفاده فكّ الفاقة التي عليها الداعي، ويؤيد دلالة تقوية المعنى وترسيخه في النفوس ما تضمّنه سياق الدعاء من مؤكّات أخر مع المفعول المطلق ومنها (قد) التحقيقية التي تشم فيها رائحة القسم، والفعل (اشتدّ) المتضمن دلالة التكرير والتأكيد من خلال دلالاته النحوية (التجدد والحدوث) والصرفية (التشديد) في دالّ الفعل.

ومنه قول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): - اللهم اكرمني كرامة لا تهنيني بعدها أبداً^{٤١}، فقد تكرر الجذر (أكرم) مرّتين: الأولى الفعل (أكرم) المقترن بياء المتكلم، الثانية المفعول المطلق (كرامة) الواقع لتوكيد الفعل وتحقيق معناه؛ إذ يطلب الداعي من المدعو استمرار كرامته في الحال والاستقبال لقرينة الظرف (أبداً) الدال على المستقبل.

خامساً: التوكيد بالوصف :

قد يدلّ الوصف على التوكيد في بعض النصوص، فيحمل دلالة التوكيد كما في : (أمس الدابر لا يعود)، فلفظة أمس تدلّ على الإدبار، وقد أردفت بلفظة (الدابر) الواقعة وصفاً غايته التأكيد، فإن كلّ أمس لا يعود بأيّ حال من الأحوال^{٤٢}، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة/ ١٣]، ومنه في الدعاء قوله (عليه السلام): ((... فبذلك لك منتهى الحمد الدائم الخالد الراكد الذي لا ينفد طول الأبد جلّ ثناؤك، أعنتنا عليه حتّى قضيت عنّا صيامه))^{٤٣}، إذ إنّ الألفاظ (الدائم، الخالد، الراكد، الذي لا ينفد) هي أوصاف لـ (الحمد)، وقد دلت على التوكيد في بلوغ الحمد كله إلى منتهى غايته القصوى، إذ أنّ في لفظ (المنتهى) دلالة الوصول

إلى غاية الحمد ونهايته، فالانتهاء معناه الإبلاغ إلى النهاية، جاء في العين:
 -والنهاية: الغاية، حيث ينتهي إليه الشيء^{٤٤}؛ لذا جاءت ألفاظ الوصف
 لتقوية المعنى وتأكيدوه ولا سيما قوله: (الذي لا ينفد) فهو أقوى مما سبقه
 من ألفاظ، إذ إنَّ كلَّ دائم خالد غير نافذ قطعاً، إلَّا أنَّ المتكلِّم قد جاء بهذا
 كَلِّه ليدلَّ على منتهى الغاية القصوى في الثناء عليه تعالى والحمد له.

سادساً: التوكيد بطرق متعددة (التقديم وكلّ والبدل والعطف):

قد يعتمد المتكلِّم إلى تضمين أسلوب خطابه وسائل توكيدية متعددة
 في سياق واحد، وقد ورد منه في الدعاء قول الإمام جعفر بن محمد
 الصادق (عليه السلام): -اللهمَّ لك الحمدُ بمحامدك كلّها، أولها وآخرها، ما قلت
 لنفسك منها، وما قاله لك الخلائق...^{٤٥}، فقد حوى النصُّ على أكثر
 من نمط من أنماط التوكيد وكما يأتي:

- التوكيد بالتقديم: إذ قدم الجار والمجرور (لك) على لفظة (الحمد)
 لدلالة مفادها العناية والاهتمام بالمقدّم؛ لما فيه من عود الضمير على
 المخاطب جلّ ثناءؤه، وهو في ذلك يحمل دلالة التعظيم والتفخيم.
 - التوكيد المعنوي الواقع بلفظة (كلّها) التي جاءت للدلالة على دفع
 توهم الحمد في بعض المحامد لا كلّها، إذ يصحّ في هذا السياق حلول
 الجزئية مكان الكلية.

- التوكيد بالبدل والعطف: إذ إنَّ قوله: (أوّلها) بدل من (محامدك)،
 ولفظة (وآخرها) معطوف عليه، وقد حمل التوكيد بالبدل والاسم
 المعطوف عليه دلالة تمكين المعنى وتقويته وتأكيدوه في ذهن المتلقي، جاء
 في الكشف: -فإن قلت: ما فائدة البدل؟ قلت: ((فائدته التوكيد لما فيه
 من الشنية والتكرير))^{٤٦}، فكأنَّه على معنى تكرار العامل، كما لو قال في
 الدعاء: (اللهمَّ لك الحمد بمحامدك كلّها، ولك الحمد بمحامدك أوّلها



وآخرها)، وإذا كان كذلك فإن في التكرار دلالة التوكيد، وإلحاق المتكلم باستشعار المنعم بكثرة نعمه على المنعم عليه وتعددتها؛ فاستحقت أنواع التوكيد المتقدمة كلها، وهذا السياق كقوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ [١١٥]، فقوله (لأولنا) بدل من (لنا) على معنى تكرير العامل، وما التكرير إلا فيه دلالة التوكيد.

الخاتمة

توصل البحث إلى طائفة من النتائج أهمها:

- تعدد أنماط التوكيد في الدعاء المبارك فتضمن: التوكيد اللفظي، والمعنوي، والتوكيد بالأداة، والوصف، والبدل.
- إن دلالة التوكيد بشئ أنواعه لا تخرج عن دلالة رفع التوهم وإزالة الشك وتقرير المعنى وتقويته في ذهن المتلقي.
- يتداخل مع مصطلح التوكيد التكرار، ويختلفان في أن التكرار أكثر سعة وشمولاً من التوكيد، إذ التوكيد اللفظي تكرر اللفظ نفسه أكثر من مرة، ويرتبط بالكلام القريب، بينما التكرار قد يتعلق بالبعيد.
- تقع دلالة تقوية المعنى وتوكيده في مقدمة غايات التوكيد، إذ يعتمد إليه المتكلم لتقرير المعنى وتقويته ولفت الانتباه إليه.
- إن في التوكيد المعنوي بالأدوات (كل، جميع، عامة) دلالة التعميم وإزالة الاحتمال.

الهوامش

- ١- المقرب: علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، ٨٣٢.
- ٢- يُنظر: معاني النحو: ٤ / ١٣١.
- ٣- شرح المفصل: ٣ / ٠٤.
- ٤- يُنظر: معاني النحو: ٤ / ١٣١ وما بعدها.
- ٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير: ٣ / ٣.
- ٦- يُنظر: جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي: ٢٤١.
- ٧- يُنظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣ / ٤، وشرح التلخيص: محمد البابري: ٦٤٤.
- ٨- الصحيفة الصادقية: ٣٦١.
- ٩- الصحيفة الصادقية: ٢٦١ - ٨٦١.
- ١٠- يُنظر: جامع الدروس العربية: ٣ / ٢١٥.
- ١١- يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: (سأل): الراغب الاصفهاني: ٦٠٣. دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٣٤١هـ.
- ١٢- الصحيفة الصادقية: ٤٦١.
- ١٣- يُنظر: شرح قطر الندى: ابن هشام الأنصاري: ٢ / ٥١٤. دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، (د: ط)، ١٠٢م.
- ١٤- يُنظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٦ / ٢٩، وشرح الحدود النحوية: ٠٩١ - ١٩١، وعمدة الصرف: كمال ابراهيم: ٤٩.
- ١٥- الصحيفة الصادقية: ٤٦١ - ٦٦١.
- ١٦- الصحيفة الصادقية: ٨٦١.
- ١٧- يُنظر: شرح ابن عقيل: عبد بن عقيل الهمداني المصري: ٢ / ٢٣٢.
- ١٨- يُنظر: معاني النحو: ٤ / ٠٤.
- ١٩- الصحيفة الصادقية: ٦١.
- ٢٠- يُنظر: معاني النحو: ٤ / ٠٤.
- ٢١- يُنظر: شرح الأسموني: ٢ / ٢٠٤.
- ٢٢- يُنظر: أساليب التوكيد في القرآن الكريم: عبد الرحمن المطري: ٩٦٢.
- ٢٣- يُنظر: مجمع البيان: مج ٦ / ج ٤١ / ٢١١.
- ٢٤- يُنظر: معاني النحو: ٤ / ٨٣١.
- ٢٥- الصحيفة الصادقية: ٥٦١.

٢٦- يُنظر: معاني النحو: ٤ / ٧٤١.

٢٧- يُنظر: دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: (أطروحة دكتوراه): عائشة عبيزة: جامعة الحاج الخضر- الجزائر، ٨٠٠٢م، ص ٢٦١.

٢٨- الصحيفة الصادقية: ٣٦١.

٢٩- الصحيفة الصادقية: ٥٦١ - ٦٦١.

٣٠- يُنظر: النحو القرآني شواهد وقواعد: جميل أحمد ظفر: ٨٩. مكة، ط ٢، ٨١٤٤١هـ.

٣١- يُنظر: معاني النحو: ٣ / ٩٠١.

٣٢- الصحيفة الصادقية: ٢٦١.

٣٣- معاني النحو: ٣ / ٩٠٣.

٣٤- يُنظر: المصدر نفسه: ٤ / ٩٦ - ١٧.

٣٥- الصحيفة الصادقية: ٨٦١.

٣٦- شرح المفصل: ابن يعيش: ٨ / ٩٥.

٣٧- الصحيفة الصادقية: ٢٦١.

٣٨- يُنظر: معاني النحو: ١ / ٦٨٢.

٣٩- يُنظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: جمال الدين ابن هشام النحوي:

١٢١. دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٢٤١هـ.

٤٠- الصحيفة الصادقية: ٦٦١.

٤١- الصحيفة الصادقية: ٨٦١.

٤٢- يُنظر: معاني النحو: ٤ / ٢٣١.

٤٣- الصحيفة الصادقية: ٢٦١ - ٣٦١.

٤٤- العين: الخليل الفراهيدي: / ٣٩٩. دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان،

ط ١، ١٢٤١هـ.

٤٥- الصحيفة الصادقية: ٢٦١.

٤٦- الكشف: الزمخشري: ٣ / ٦٨٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* أساليب التوكيد في القرآن الكريم: عبد الرحمن المطري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢، (د: ت).

*جامع الدروس العربية : مصطفى
الغلاييني، مطبعة ستارة ودار الكوخ
للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١،
١٤٢٥هـ.

* جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي،
دار ومكتبة طريق المعرفة،
منشور اتمحمدعلي بيضون، ودار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان،
١٤٢٢هـ.

* شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل الهمداني المصري، تح: محمد محيي الدين بن عبد الحميد، انتشارات ناصر خسرو، (د: ت).
* شرح التلخيص: أكمل الدين محمود البابرقي، تح: محمد مصطفى، المنشأة العامة للتوزيع والنشر والإعلان، طرابلس - ليبيا، ١٣٩٢ هـ.

* شرح الحدود النحوية: عبد الله الفاكهي
النحوي، تح: رمضان أحمد الدمي،
ط ٢، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر،
١٤١٤هـ.

* شرح المفصل: موفق الدين ابن يعيش،
تح وتعليق مجموعة من مشايخ
الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية، مصر،
(د: ت).

* شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: جمال الدين ابن هشام النحوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ .

* شرح قطر الندى : ابن هشام الأنصاري، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، (د: ط)، ٢٠١٠م.

* الصحيفة الصادقية : باقر شريف القرشي، تح: مهدي باقر القرشي، مطبعة ستارة، النجف، ط ٥، ١٤٣٣هـ .

* عمدة الصرف: كمال إبراهيم، مطبعة
الزهراء، دار المعارف العراقية - بغداد
- العراق، ١٩٥٧م.

✳ العین : الخلیل الفراهیدی : دار إحياء
التراث العربي، بیروت - لبنان، ط ١،
١٤٢١هـ .

*الكشاف : أبو القاسم جابر الله
الزحشري، تخريج وتعليق: خليل
مأمون شيماء، دار المعرفة للطباعة
والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان،
ط ١، ١٤٢٣هـ.

* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:
ضياء الدين ابن الأثير: تقديم
وتعليق: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر
للطباعة والنشر، القاهرة - مصر،
ط ٢، (د: ت).

* مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي
الفضل بن الحسن الطبرسي، دار
ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ط ١،
٢٠٠٥م.

* معاني النحو: فاضل السامرائي، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٠هـ.

* النحو القرآني شواهد وقواعد: جميل أحمد ظفر، مكة، ط ٢، ١٤١٨هـ.

الرسائل والأطاريح

* مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣١هـ.

* المقرَّب: علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تح: عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد - العراق، ١٩٨٦م.

* دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: (أطروحة دكتوراه): عائشة عبيزة: جامعة الحاج الخضر - الجزائر، ٢٠٠٨م.



الأفعال الثلاثية المزيدة

صيغها ودلالاتها الصرفية في أدعية الإمام جعفر
بن محمد الصادق عليه السلام نماذج مختارة من الصحيفة
الصادقية

م. م. دلال اسماعيل عزيز عبيد

المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

الملخص

يدرس هذا البحث الأفعال الثلاثية المزيدة في أدعية الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام صيغها ودلالاتها الصرفية، وقد وقف البحث على الأفعال المزيدة لما تتضمنه من دور فاعل في الدلالة الصرفية وأثرها على توجيه المعنى، وقد تضمن البحث ثلاثة مباحث هي: الأفعال الثلاثية المزيدة بحرف، والأفعال الثلاثية المزيدة بحرفين، والأفعال الثلاثية المزيدة بثلاثة أحرف، ثم الخاتمة التي بينت فيها أبرز النتائج، وتبرز أهمية البحث في أنه يدرس نصاً لأحد أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين عاشوا في عصر الفصاحة والبلاغة.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وبعد...
فإنَّه ليس هناك من شك في أنَّ كلام المعصومين بعد كلام الخالق وفوق
كلام المخلوقين، إذ ترشح المفاهيم القرآنية في كلماتهم وألفاظهم وأساليبهم،
وإن نديرهم عذب خالٍ من أي شائبة، مما حدا بي إلى قصد هذا البحر
الزاخر تدفني أسباب منها: إنَّ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قد عاصر ما
اتفق عليه أهل العربية مما يسمونه (عصر الفصاحة) إذ استشهد سنة
١٤٨ هـ، ومن هنا يمكن الإفادة من النصوص الماثورة عنه في تسجيل
ما يمكن تسجيله من ملاحظات صرفية قد تنفع الدارسين، وقد وقف
البحث على دراسة الأفعال الثلاثية المزيدة؛ لما تتضمنه من دلالة صرفية
مضافة إلى أصل دلالتها المعجمية، وتضمَّن ثلاثة مباحث هي: الفعل
الثلاثي المزيد بحرف واحد، والفعل الثلاثي المزيد بحرفين، والفعل
الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف، وتوصل إلى نتائج منها إفادة الصيغ المزيدة
دلالة صرفية لها أثرها في توجيه المعنى، وأنَّ بعض تلك الدلالات متعددة
الاحتمال وليست قطعية، وهو ما يؤدي دوره في إثراء الدلالة الصرفية
للنص بحيث يصبح محتملاً لدلالات متعددة، إذ كل معنى ودلالة تعني
وجهاً جديداً من وجوه المعنى وتوجيه السياق، ونسأل الله تعالى قبول هذا
والحمد لله رب العالمين.

توطئة

الكلام في العربية يقع على ثلاثة أقسام هي: الاسم، والفعل، والحرف، ومتى بدأت الجملة بالاسم كانت جملة اسمية، ومتى ابتدأت بالفعل فهي جملة فعلية، فالفعل أحد أقسام الكلام الثلاثة، ويقسمه النحويون على أقسام ثلاثة هي^١:

- الفعل الماضي

- الفعل المضارع

- فعل الأمر

وينضوي تحت كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة قسمان آخران هما: المجرد والمزيد، والأول ما خلا من أحرف الزيادة، والثاني ما تضمن أحد حروف الزيادة التي جمعها المختصون في عبارة (اليوم تنساه) أو (سألتمونيها)^٢، أو (أمان وسهيل)^٣، وتقع الزيادة بحرف واحد، أو بحرفين، أو بثلاثة أحرف.

وقد ذهب أحد الباحثين إلى القول بأن الفعل المجرد لا يحتوي إلا على الدلالة المعجمية، أما المزيد فإنه يستوعب دلالات صرفية أخرى مضافة إلى أصل دلالاته المعجمية^٤، لذا سنقف على نماذج مختارة من الأفعال المزيدة بحرف واحد وبحرفين وبثلاثة أحرف في الصحيفة الصادقية والوقوف على دلائلها الصرفية، وكما يأتي:

المبحث الأول: الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد أولاً: فَعَّلَ

هي أولى الصيغ المزیدة بحرف واحد بالتضعیف الذي یعنی تطویل مدة النطق بحرف الوسط من مخرجه^٥، ولها عدد من الدلالات التي منها التعدية والتكثير والقبول والاتخاذ والصيرورة والتوجه^٦، ومنها في أدعية الصحيفة الصادقية ما يأتي:

التكثير والمبالغة: المقصود بها جعل الشيء كثيراً من خلال التشديد والتكرار لعین الفعل، ومنه ما ورد في دعاء الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) لجدّه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): - ((اللهم إني أشهد بالشهادة له، ثم بالصلاة عليه ... إنه قد بلغ رسالتك غير مفرطٍ فيما أمرت، ولا مجاوز لما نهيت))^٧، ومثله أيضاً: - اللهم إني أشهد أنه قد بلغ عن نبيك صلى الله عليه وآله ما محمّل))^٨، فقد ورد الفعل الماضي الثلاثي (بلغ) مزيداً بالتضعيف، وقد دلّ الفعل على التكثير والمبالغة في تبليغ الرسالة وإيصاها إلى الأمة، وقد صرح الراغب الأصفهاني بدلالة الكثرة في الفعل (بلغ) المضعف عند قوله: - بلغته الخبر وأبلغته مثله، وبلغته أكثر))^٩، وهو اقتباس قرآني من قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالتك والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة/ ٦٧]، وهو أمر للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) كي يبلغ رسالة السماء، ويحمل الفعل بلغ دلالة انتهاء الغاية والوصول إلى أقصى المراد في أدائها؛ إذ ورد في المعنى اللغوي للجذر (بلغ) أن البلوغ يعني الوصول والانتهاء^{١٠}. ومنه قوله (عليه السلام): - ((الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا القرآن))^{١١}، فالفعل الماضي (علم) يدل على التكثير والمبالغة في تعلم كتاب الله تعالى، وهو كقوله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [البقرة/ ١٢٩]، وقد

اتصل الفعل بضمير المتكلمين (نا)، وهو ما يناسب دلالة التكرير والمبالغة في معرفة أهل البيت عليه السلام المعارف القرآنية، فهم ترجمان القرآن الذين صرح الله تعالى في كتابه العظيم بتفردهم في تأويله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران / ٧].

الجعل والتصيير: هو أحد المعاني الصرفية التي ذكرها العلماء لهذه للصيغة^{١٢}، وهي إما من صيرورة فاعله، مثل: قوَّس، بمعنى صار ذا قوس، أو صيرورة مفعوله، مثل: عجَّزته، بمعنى جعلته عاجزاً، أو صيرورة فاعله وأصله المشتق، مثل: عجّزت المرأة، بمعنى: صارت عجوزاً^{١٣}.

ومنه في بعض أدعية الإمام جعفر بن محمد الصادق قوله عليه السلام: ((اللهم أنت أقرب حفيظ، وأدنى شهيد، حُلْتَ بين القلوب ... والحلال ما حللت، والحرام ما حرّمت))^{١٤}، ومنه أيضاً: ((... وحلّل حلالك، وحرّم حرامك، وأقام أحكامك))^{١٥}، فالفعلان (حلّل، حرّم) على بناء (فعل) الثلاثي المزيد بالتضعيف، والحرام ضد الحلال^{١٦}، والحرام والحلال متضادان، وقد حمل الفعلان الماضيان دلالة الجعل والتصيير، إذ الله تعالى هو الذي جعل الحلال حلالاً والحرام حراماً وصيرهما لما تقتضيه مصلحة الإنسان، فمعنى حلل، جعله حلالاً، وحرّم، جعله حراماً .

وقد يرد المزيد بحرف بصيغة فعل الدعاء، أو ما يسميه المختصون الأمر الخارج إلى معنى الدعاء، ومنه قوله عليه السلام: -يا الله الواحد، الأحد، الصمد... اعصمني وطهرني واذهب ببليتي^(١٧)، فالفعل (طَهَّرَ) ثلاثي مضعف الوسط، دال على الطلب والدعاء بالتصيير والجعل، ومعنى طهرني، اجعلني طاهراً، ويحمل الفعل دلالة التكثير والمبالغة في طلب حصول الفعل، وقد تحمل الصيغة الداليتين معاً، أي اجعلني كثير الطهارة، والتكثير في المقام يناسب الطهارتين البدنية والروحية أو المعنوية .

ومّا دلّ على الجعل والتصيير ما ورد في نص هذا الدعاء: - يا نوري في كل ظلمة... أنعمت عليّ فأسبغت، ورزقتني فوفّرت، وغدّيتني فأحسنّت غذائي...^{١٨}، فالفعل (غَدَّى) المسند إلى المتكلم بواسطة الياء، ثلاثي مضعف دال على طلب الجعل والتصيير، والتقدير: واجعل تغذيتي طاهرة، تجنباً لشبهة الغذاء التي ارتادها كثير من بني البشر، وهو دعاء في مقام تربية النفوس وتهذيبها.

اختصار الحكاية: ويسميه بعضهم «التضعيف بالنحت»^{١٩}، وهو واحد من ضروب الاشتقاق الذي معناه أخذ بعض حروف كلمتين أو أكثر وتكوين كلمة واحدة منها، فتقول في الله اكبر: كَبَّرَ، وفي حي على الصلاة (حيعل) أو (حيعلا)، وقد أخذت هذه الظاهرة مأخذها من كتب اللغة^{٢٠}. وقد ورد منه في الدعاء قول الإمام الصادق: ((... وسبحان الله كلّما سَبَّحَ اللهُ شيءٌ وكما يحبُّ اللهُ أن يُسَبَّحَ ... ولا إله إلا الله كلّما هَلَّلَ اللهُ شيءٌ...))^(٢١)، فالفعلان (سَبَّحَ، هَلَّلَ) هما اختصار لجملتين الأولى: قال سبحان الله، والثانية: قال لا إله إلا الله، وهذا مثل البسملة التي هي اختصار لقولك: بسم الله الرحمن الرحيم^{٢٢}، وقد ورد نحت عبارة (سبحان الله) في القرآن الكريم عند قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ومع دلالة النحت والاختصار الواردة في الفعلين فإنه يمكن القول إن هناك دلالة أكثر عمقاً من هذه الدلالة الظاهرة مفادها توظيف دلالة الصيغة الفعلية الدالة على تجدد حدوث الفعل ليكون ذلك اللفظ حاملاً دلالة التكرير والمبالغة في صدور هذين الفعلين من المتكلم أو المتكلمين.

ومثلها أيضاً: - ... والله أكبر كلّما كَبَّرَ اللهُ شيءٌ...^(٢٣)، فالفعل (كبر) منحوت من قولك: الله أكبر، ولا يخلو من دلالة المبالغة في كثرة صدور هذا الفعل من مخلوقاته تعالى له جل ثناؤه .

وقد ورد صيغة الفعل (فعل) للدلالة على التعدية بثلاث صيغ زمنية،
وكما يأتي:

تحمّل معنى: كم من هم قد أزاله، ومعنى فرّجه، أي: طلب إزالته، فلا يزيله يجعله مفرجاً غيرك، ولا تخلو من دلالة كثرة صدور ذلك منه تعالى مما يجعل الداعي كأنه في مقام كثرة الذنوب التي قابلها المحسن بكثرة المغفرة.

ثانياً: أفعل

صيغة (أفعل) من الصيغ الثلاثية المزیدة بحرف واحد هو الهمزة التي في أوله، ولهذه الصيغة دلالات عديدة منها: التعدية، والتعريض، والمطاوعة، وبمعنى فعل، وغيرها^{٢٩}، وسنعرضها بحسب ورود معانيها في نص الدعاء، وكما يأتي:

التعدية: ومعناها تصيير الفاعل قبل الهمزة مفعولاً^{٣٠}، ومنه قول الإمام الصادق (عليه السلام): ((اللهم كما أذهبْتَ بالليل، وأقبلت بالنهار خلقاً جديداً من خلقك... فصلٌ على محمد وآل محمد))^{٣١}، فالعلان (أذهب، أقبلت) مزیدة بحرف الهمزة على بناء (أفعل)، مشتقة من الجذرين (ذهب، قبل) وهما إعلان لازمان، لا يجاوزان الفاعل إلا بواسطة، وقد مكنتهما الزيادة من التعدي والمجازاة إلى مفعولهما الضمير المتصل (تاء المخاطب)، وحملت مع التعدية دلالة إزالة الليل ومطاوعة الصيغة لمجيء النهار.

ومنه أيضاً: ((... وكاثرت العظيم منها التي أوجبت النار لمن عملها من خلقك...))^{٣٢}، فالفعل (أوجب) مزید بالهمزة التي يصطلح عليها المختصون (همزة التعدية)، ودلت الصيغة مع الوظيفة النحوية التي هي التعدية على معنى الجعل والتصيير، أي: جعلت النار واجبة، فالوظيفة النحوية للصيغة الصرفية تحمّل في طياتها دلالة أخرى هي التصيير.

الجعل: ومعناه أنّ الشخص مصاحبٌ لما اشتق منه الفعل^{٣٣}، وقد مثّل له سيبويه قائلاً: -وأما طردتُه فنحيتهُ وأطردته: أي جعلته طريداً هارباً^{٣٤}، ومنه في الدعاء قول الإمام الصادق (عليه السلام): -اللهم إني أحتجب بنور وجهك

الكريم... وبمحمد وآله، صلواتك عليه وعليهم... من شرور جميع ما قضيت... ومن شرور جميع ما تقضي وتقدر وتخلق، ما أحييتنا وبعد وفاتنا...))^{٣٥}، فالفعل (أحيى) على بناء (أفعل) مسند إلى تاء المخاطب، ودلالته المعجمية تشير إلى أن الحياة عكس الممات وخلافه^{٣٦}، وتدل الصيغة الصرفية (أحييت) على الجعل والتصيير، فد (أحييتنا) معناه جعلتنا أحياء، جاء في لسان العرب: -وأحياه جعله حياً))^{٣٧}.

ومنه أيضاً: -اللهم صلّ على محمد في الأولين... وصل على محمد كما أنعشتنا به، وصل على محمد كما أعززتنا به))^{٣٨}، فالفعلان (أنعش، أعزز) على بناء (أفعل)، وقد دل كل منهما على الجعل والتصيير، فالمعنى: «جعلتنا منعشين» و «وجعلتنا أعزاء»، وقد دل السياق على أنّ المراد من الإنعاش القلبي وكذا التعزيز، وهما فعلان قلبيان يراد بهما معنى التصيير في الأمور الدنيوية لا الأخروية وإن كانا من الأفعال التي قد تدل على ارتباطهما بالآخرة.

الحمل: هو من الدلالات الصرفية التي تنبّه إليها بعض المحدثين للصيغة (أفعل)، كقولك: أكذبت، بمعنى: حملته على الكذب^{٣٩}، ومنه في الدعاء: ((... اكفني ما أهمني من أمر الدنيا والآخرة...))^{٤٠}، ومنه أيضاً: -اللهم إنك لا يكفي منك أحد... فاكفني ما أهمني...))^{٤١}، فالفعل (أهم) الذي على بناء (أفعل) يدل على الحمل، ومعناه: اكفني ما حملني على المهم.

ثالثاً: فاعل

هو ثالث أبنية الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد، وتقع زيادتها بتوسط الألف بين الفاء والعين^{٤٢}، ولهذه الصيغة معانٍ متعددة منها المشاركة، والمتابعة، والإتيان بالفعل من جهة واحدة والتكثير^{٤٣}.

المشاركة: المشاركة تعني قيام الطرفين بالفعل ذاته، بحيث يفعل أحدهما فعلاً فيقابله الآخر بمثله^{٤٤}، وقد ورد منه في قول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): ((اللهم إني قصدتك، ونازعتني نفساي: نفسي النفسانية نازعتني إليك، ونفسي الحيوانية نازعتني إلى طلب الدنيا))^{٤٥}، فالفعل (نازع) المكرر ثلاث مرات وقع على بناء (فاعل)، والمنازعة في اللغة تعني -المجاذبة ويعبر بهما عن المخاصمة والمجادلة^{٤٦}، ويؤيد دلالة المشاركة القرينة اللفظية (نفساي) الواردة بصيغة المثني، الدالة على صدور المشاركة في التنازع بين القوتين (الخير والشر) في النفس الإنسانية، وتكرار الفعل يدل على شدة الصراع الواقع بين قوى الخير وقوى الشر في النفس الإنسانية.

المتابعة والموالاتة: معنى المتابعة والموالاتة تكرار حدوث الفعل بين فترة وأخرى^{٤٧}، ومنه في الدعاء: ((اللهم صل على محمد وآل محمد... وتابع بيننا وبينهم بالخيرات، إنك مجيب الدعوات...))^{٤٨}، فالفعل (تابع) دال على طلب الحدوث في المستقبل، ومعناه طلب السير في الأثر، والتابع في اللغة معناه التالي^{٤٩}، والسياق يعضد دلالة صيغة (فاعل) على الموالاتة في (فاعل)، إذ يطلب المتكلم من مخاطبه أن يلحقه بنيه وآله السابقين (عليهم السلام).

المبحث الثاني: الفعل الثلاثي المزيد بحرفين

للفعل الثلاثي المزيد بحرفين صيغ متعددة هي: افتعل، تَفَعَّلَ، تَفَاعَلَ، انْفَعَلَ، افْعَلَّ، سنعرضها بحسب ورودها في نصوص الدعاء، وكما يأتي:

أولاً: افتعل

هذه الصيغة المزيدة بحرفين دلالات عديدة منها المطاوعة، والمشاركة، والاتخاذ، والاجتهاد، والمبالغة^{٥٠}، ومن دلالاتها في الدعاء ما يأتي:

المبالغة في المعنى: معناه الإشعار بالتكلف في أداء الفعل، مثل: اقتدر وارتدَّ، بمعنى: بالغ في القدرة والردة^{٥١}، ومنه قول الإمام عليه السلام: ((... واغفر لي اللهم ذنوبي التي احتطبت بها على بدني...))^{٥٢}، فالفعل (احتطب) ثلاثي مزيد بحرفين هما (الهمزة والتاء)، واحتطب بمعنى جمع الحطب للإيقاد^{٥٣}، وفي الجمع والتراكم دلالة على حصول معنى التكثير والمبالغة، فضلاً عن ذلك فإن التجدد والاستمرار في الصيغة الفعلية يناسب معنى الكثرة والمبالغة في الفعل، إذ إن للإنسان ذنوباً كثيرة لا يناسبها استعمال لفظة (حطب) المجردة، ومعنى جمع الحطب للإيقاد كناية عن أن ما يجمعه الانسان من ذنوب هي وقود ناره بعد يوم الحساب.

ومثله قوله عليه السلام: ((... واغفر لي ذنوبي التي اكتسبتها يداي...))^{٥٤}، فالفعل (اكتسب) يدل على التكثير والمبالغة في كثرة الموبقات المكتسبة من بني البشر، وهو تعبير يدل على اجتهد يد الإنسان في اقترافها، وقد ذكر هذه الصيغة سيويه بقوله: ((... وأما كسب فانه يقول أصاب، وأما اكتسب فهو التصرف والطلب والاجتهاد...))^{٥٥}، ومن لطائف التعبير الصرفي في الدعاء نسبة فعل اكتساب الذنوب إلى اليدين كليهما مبالغة، فضلاً عن صيغة الجمع (ذنوب) على بناء (فُعول) الدال على التكثير، فيكتمل مشهد الإقرار والاعتراف بالكثرة وطلب العفو عنها.

الاتخاذ والتصيير: هو أحد المعاني التي يدلُّ عليها بناء « افتعل »، كقولك: اشتويتُ، أي اتخذتُ شواءً^{٥٦}، ومنها في الصحيفة الصادقية ما جاء في دعاء الوقاية من الكوارث: - اللهم إني احتجبتُ بنور وجهك الكريم...)^{٥٧}، قال ابن فارس: ((الحاء والجيم والياء أصل واحد، وهو المنع، يقال حجبتَه عن كذا، أي منعتَه...))^{٥٨}، فالفعل (احتجب) يدل على اتخاذ والتصيير، والمعنى: اتخذت نور وجهك حجاباً، فلاحتجاب في اللغة بمعنى الاستتار، واحتجب بمعنى استتر وراء حجاب.

كذلك جاء على هذا البناء في دعاء الوقاية من السلطان: ((... بك آمنت، ولك أسلمت، وعليك توكلت ... وبجبلك اعتصمت، وبك استعنت...))^{٥٩}، فالاعتصام بمعنى الإمساك والمنع^{٦٠}، واعتصمت بالله، أي: امتنعت به، وقد حملت الصيغة دلالة الاتخاذ، ومعناها: اتخذت جبلك عاصماً أو عصمةً .

الظهور: هو ظهور الفاعل ما يدل على أصل الفعل، كقولك: اعتذر، بمعنى: أظهر العذر^{٦١}، ومنه قول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): ((اللهم صل على محمد وآل محمد ... مولاي عظمت ذنوبي... فاعفُ عني فقد قَيَّدْتَنِي، واشتهرتُ عيوبي، وغَرَقْتَنِي خطاياي...))^{٦٢}، فالفعل (اشتهر) على بناء (افتعل) يحمل دلالة الظهور والوضوح، والدلالة المعجمية للفظة تدل على هذا، فلاشتهار معناه وضوح الأمر وظهوره، وهو يقع في الخير والشر^{٦٣}، وسياق الدعاء يحمل دلالة الإشارة إلى مقام الاعتراف بظهور العيوب التي هي من الشناعة، وهو من التواضع ولسان حال بني البشر، الشيء في شناعة حتى يظهره الناس^{٦٤}.

ثانياً: تَفَعَّلَ

هي صيغة مزيدة بالتاء والتضعيف، ولها معانٍ عديدة منها: المطاوعة، والتكلف، والتكثير، والطلب، والتدرّج، وغيرها^{٦٥}، وقد ورد هذا البناء في الصحيفة الصادقية بدعاء الشدائد: ((... يا رحيم تحنن عليّ بفضلك، يا عفو تفضّل عليّ...))^{٦٦}، فالفعل (تفضّل) يدل على الطلب في حصول ذلك منه تعالى، لأنّ «تفضّل عليّ» أمر خارج إلى دلالة الدعاء، وقد جاء التضعيف في عين الفعل مناسباً للمقام؛ للدلالة على الاعتراف بكثرة فضائله تعالى ونعمه التي أنعم بها على البشر جميعاً والمخلصين على وجه الخصوص، والتكثير والمبالغة من معاني الصيغة التي أشار إليها الإسترابادي^{٦٧}.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في دعاء ليلة النصف من شعبان: ((اللهم اجعلني ممّن سَعِدَ جَدُّهُ، وتوفّرَ من الخيرات حظّه))^{٦٨}، فدل الفعل (توفّر) على التكثير والمبالغة في صدور الخيرات، وهو ما ناسبه استعمال صيغة الجمع (الخيرات) وليس اسم الجنس العام (الخير) للإشارة إلى كثرتها.

ثالثاً: تَفَاعَلَ

هي إحدى صيغ الثلاثي المزيد بحرفي التاء والألف، ولها معانٍ عديدة منها: التكثير، والمطاوعة، والتكلف، والتدرّج، والتكرار، ونحوها^{٦٩}، وقد ورد منها ما يدل على التكثير والمبالغة والصدور من جهة واحدة، وهي وتدلّ على مراتٍ عدّة ومتكررة لا مرة واحدة إذا كان الفعل صدر من جانب واحد^{٧٠}.

ومنه في الدعاء: -يا من قُصُرْتُ عن وصفه السن الواصفين... وجل وعز عن عيب العائبين، وتبارك وتعالى عن كذب الكاذبين...^{٧١}

فالفعل (تبارك) على (تفاعل) دالٌّ على صدور الفعل من جهة واحدة هي المخاطب نفسه الذي هو الله تعالى، وليس كما في المعنى الشائع لصيغة (تفاعل) أو (فاعل) الدال على المشاركة، ولما كانت البركة في اللغة بمعنى الزيادة والنماء في الشيء^{٧٢}، فقد ناسبت هذه الدلالة المعجمية دلالة الصيغة الصرفية التي هي المبالغة في تنزهه تعالى وتقديسه وتعظيمه .

رابعاً : انفَعَلَ

هي صيغة صرفية تدل على المطاوعة^{٧٣}، والمطاوعة فيها تكون بوجهين هما^{٧٤}:

أ- أن تريد من الشيء أمراً، فتبَلَّغه أن يفعلَ إن كان مما يصحُّ منه وقوع الفعل نحو: صرفته فانصرف.

ب- أن يصيرَ إلى مثل حال الفاعل الذي يصحُّ منه الفعل وإن كان لا يصحُّ من نحو: كسرت الحبَّ فانكسر.

وجاء هذا البناء في الصحيفة الصادقية في الدعاء الآتي: -اللهمَّ إنه قد أكد الطلب، وأعيت الحيل إلا عندك، وانغلقَت الطرق، وضاعت المذاهب إلا إليك... ودرَسَتِ الآمال، وانقطع الرجاء إلا منك...^{٧٥}، ومنه كذلك: ((أنت، أنت، انقطع الرجاء إلا منك...))^{٧٦}، فالفعلين «انغلق، وانقطع» على بناء «انفعل»؛ إذ يقال: أغلقت الباب فانغلق، وقطعت الماء فانقطع، فإن في هذا السياق قد دلَّ على المطاوعة في الفعل، فكأن هناك من قام بغلق الطرق، وقطع الرجاء، بمعنى أنهما قد حصلا بفعل فاعل، وبقوة خارجية عنه، وقد دلَّت الصيغة (انغلق) على العسر في حدوث ذلك الفعل، إذ جاء في لسان العرب أن انغلاق الباب بمعنى عدم السهولة والعسر في فتحه^{٧٧}، ومثله الفعل «انقطع» الذي معناه الذهاب والهجران فكأن في الصيغتين

إشارة من المتكلم إلى انقطاع سبل الوصول إلى النجاة إلا من بابه تعالى، وانقطاع الرجاء إلا رجاءه .

ومثله ما ورد في نص هذا الدعاء: -انصرفت الآمالُ دون مدى كرمك بالحاجات...^{٧٨})، فالفعل (انصرف) على بناء (انفعل)، وهو من صرفت القوم فانصرفوا إذا أرجعتهم فرجعوا^{٧٩}، فهو يدل على المطاوعة في الانصراف عن غيره تعالى؛ لأنه المستحق للتوجه نحوه من دون سواه.

المبحث الثالث: الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف

للفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف أربع صيغ صرفية هي: استفعل، افعول، افعّل، وقد ورد منها في أدعية الإمام الصادق عليه السلام بناء (استفعل) المزيدة بالهمزة والسين والتاء، وتقع متعدية ولازمة^{٨٠}، وحمل دلالات صرفية متعددة، وكما يأتي :

أولاً: الطلب

جاء في الكتاب : ((... وتقول : استعطيْتُ أيّ طلبتُ العطية، واستعيتهُ، أيّ طلبتُ إليه العُتْبَى . ومثل ذلك استفهمتُ واستخبرتُ، أيّ طلبتُ إليه أنْ يُخبرني...))^{٨١}، ومعناه نسبة الفعل إلى الفاعل للدلالة على تحصيل الحدث من المفعول أو ما هو في الأصل مفعول.

وقد ورد منه في الدعاء قوله عليه السلام: -اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك من مظالم كثيرة لعبادك عندي ... اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك من كل ذنب^{٨٢})، وقوله: -اللهم إني أصبحتُ أستغفرك في هذا الصباح وفي هذا اليوم لأهل رحمتك...^{٨٣}.

فالفعل (استغفر) من الجذر الثلاثي (غفر)، وهو من الستر والتغطية^{٨٤}، وهذه الدلالة المعجمية ظاهرة بينة في قوله تعالى: (كمثل زرع أعجب الكفار نباته) [الحديد/ ٢٠]، أي الزراع، إذ كلُّ شيء غفرته بمعنى سترته^{٨٥}، فهم غفار للحبوب.

وقد زيدت في أول الفعل (غفر) الحروف الثلاثة (الهمزة، السين، التاء)، للدلالة على طلب المغفرة، جاء في لسان العرب: -واستغفر الله ذنبه بمعنى طلب منه المغفرة ((^{٨٦}.

ومنه أيضاً: -بك آمنت، ولك أسلمت، وعليك توكلت... وبك استعنت، وبك أعوذ، وبك ألوذ... ((^{٨٧}، فالفعل (استعنت) المسند إلى ضمير المتكلم (التاء) ثلاثي مزيد بثلاثة أحرف هي: (الهمزة والسين والتاء)، وقد دل على طلب الإعانة، إذ جاء في معاجم اللغة أنّ الاستعانة طلب العون^{٨٨}، يقال: استعنت به فأعاني، بمعنى طلبت منه يد العون، وتعاون القوم بمعنى أعان بعضهم بعضاً^{٨٩}، فمعنى (استعنت بك) طلبت منك العون.

ومنه الفعالان (استكفف، استعطف) الواردان في قوله ﷺ: ((...أستغفر الله استغفار مَنْ أوحده المنية في حفرته، فأوحش بما اقترف من ذنب، استكفف فاسترحم هُنالك ربّه، واستعطف))^{٩٠}، فقد دل الفعالان على الطلب، بمعنى أنّه قد اقترف من الذنوب ما اقترف ثم تاب فاسترحمك وطلب منك واستعطفك جل ثناؤك فقبلت منه طلبه وعفوته عنه برحمتك.

ثانياً: التحوّل: قال سيبويه: -وقالوا: في التحوّل من حال إلى حال هكذا، وذلك [قولك]: استنوق الجمّل... ((^{٩١}، وقد وردت صيغة (استفعل) للدلالة على التحوّل عند قوله ﷺ: -اللهم أملاً قلبي حباً لك... ولا تردني في سوء استنقذتني منه يا ربّ العالمين... ((^{٩٢}.

فالفعل (استنقذ) ثلاثي مزيد بثلاثة أحرف حملت دلالة التحوّل من حال إلى حال، أي من السوء والتهيه والحرمان إلى التّنعم بالقرب منه تعالى من خلال النجاة والهدى والابتعاد عن السوء، وهو ما يناسب الدلالة المعجمية للصيغة التي تدل على التنحية والاستخلاص والنجاة^{٩٣}.

ثالثاً: الاعتقاد: ويسميه بعضهم الإصابة كقولك: استجدته أيّ أصبته واجداً، واستكرمه واستعظمته أيّ أصبته عظيماً وكريماً^{٩٤}، وقد ورد ما يدل على هذه الدلالة في نص هذا الدعاء: -مولاي، استوجبْتُ أن أكون لعقوبتك عرضاً، ولنقمتك مستحقاً^(٩٥)، والفعل (استوجب) المسند إلى ضمير المتكلم (التاء) وقع مزيداً بثلاثة أحرف للدلالة على الاعتقاد والإصابة، فالتكلم قد اعتقد أنه قد استوجب العقوبة من الله تعالى، وربما يؤيد بعض هذا المعنى الصر في الدلالة المعجمية للجذر الثلاثي (وجب)، فالوجوب بمعنى الثبوت، يقال: وجب الأمر إذا ثبت ولزم^{٩٦}، والموجبات من الذنوب الكبائر التي يوجب الله تعالى بها العقاب^{٩٧}، فالمراد من الفعل (استوجب) مع زيادة المعنى في ضوء زيادة المبنى.

الختامة

توصلتُ إلى طائفة من النتائج أهمها:

١- إفادة الصيغ المزیدة دلالة صرفية لها أثرها في توجيه المعنى، وبعضها متعددة الاحتمال وليست قطعية وهو ما يؤدي دوره في إثراء الدلالة الصرفية للنص بحيث يصبح محتملاً لدلالات متعددة، وكل واحدة منها تعني وجهاً جديداً من وجوه المعنى وتوجيه السياق.

٢- إنّ الدلالة الصرفية للأفعال لها الأثر الفاعل في تغيير المعنى بحسب تغيير البنى الصرفية.

٣- إنّ الفعل الثلاثي المجرد قد لا يتضمن دلالة صرفية لها أثرها في تغيير المعنى وتوجيهه بخلاف الفعل المزید بحرف أو حرفين أو ثلاثة، فلا يحتوي الأول إلا على الدلالة المعجمية.

٤- إنّ في الألفاظ الدالة على تسبيح الله وتقديسه وتنزيهه بصيغة (فعل) دلالة أخرى مضافة إلى أصل دلالتها مفادها توظيف الصيغة الفعلية (سبح، هلّل، كبر) الدالة على تجدد حدوث الفعل ليكون ذلك اللفظ حاملاً دلالة كثرة في صدور هذين الفعلين من المتكلم أو المتكلمين، وهو أسلوب تطف يناسب مقام الدعاء.

٥- تبين للباحث أنّ هناك صيغ صرفية لها خصوصية في الاستعمال كان المتكلم قاصداً لها كي تناسب دلالتها المقام وسياق الحال، إذ يستعمل -مثلاً- الفعلين (احتطب، اكتسب) متصلاً بهما تاء المتكلم (احتطبتها، اكتسبتها) في موضع الرجاء وطلب العفو والمغفرة فيقول ﷺ: -واغفر لي ذنوبي التي اكتسبتها يداي-)، فزيادة مبنى الفعل حملت زيادة معناه لدلالة المبالغة في حصول الذنوب، فضلاً عن نسبة فعل اكتساب الذنوب إلى اليمين كليهما - وليس اكتسبتها يدي - مبالغة، وتوظيف صيغة الجمع

(ذنوب) على بناء (فُعل) الدالّ على التكثير، ليكتمل مشهد الإقرار والاعتراف بالكثرة وطلب العفو عنها.

٦- قد توافق الدلالة الصرفية للصيغة دلالتها المعجمية، فالفعل (تبارك) معناه زيادة الشيء ونمائه، والدلالة الصرفية لصيغة (تفاعل) تعني المبالغة في تنزيه الله تعالى وتقديسه وتعظيمه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهوامش:

- ١ - ينظر شرح التسهيل، ابن مالك: ٥١ / ١.
- ٢ - يُنظر: التصريف الملوكي، ابن جني: ٧٤.
- ٣ - يُنظر: الممتع في التصريف: ٧٣١، والتصريف الملوكي: ٧٤.
- ٤ - ينظر: الدلالة الصرفية عند ابن جني، (أطروحة دكتوراه)، رافد حميد يوسف، جامعة بابل - كلية التربية (صفي الدين الحلي): ٩٠٠٢: ص ٠١ - ١١.
- ٥ - ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: ٠٧.
- ٦ - ينظر: شرح شافيه ابن الحاجب: ١ / ٧٦، والصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس: ٥٢٢، وشذا العرف في فن الصرف: ٣٢، والمغني في تصريف الأفعال، محمد عبد الخالق العظيمة: ٥٢ - ٦٢.
- ٧ - الصحيفة الصادقية: ٨٣٢.
- ٨ - المصدر نفسه: ٤٣١، ويُنظر: ٤٩١.
- ٩ - مفردات ألفاظ القرآن (بلغ) ٩٨.
- ١٠ - ينظر: لسان العرب (بلغ) مج ١ / ٣ / ٥٤٣، مقاييس اللغة (بلغ) ١ / ١٠٣.
- ١١ - الصحيفة الصادقية: ٧٧١.
- ١٢ - ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١ / ٦١.
- ١٣ - ينظر: أوزان الفعل ومعانيها: هاشم طه شلاش: ١٨.
- ١٤ - الصحيفة الصادقية: ٤٩١.
- ١٥ - المصدر نفسه: ٤٣١، ويُنظر: ٤٩١.
- ١٦ - ينظر: مقاييس اللغة (حرم) ٢ / ٥٤.
- ١٧ - الصحيفة الصادقية: ٥٧، ٤١٣، ٥١٣.
- المصدر نفسه: ٨٧.
- ١٨ - الصحيفة الصادقية: ١١٣.
- ١٩ - يُنظر: أوزان الفعل ومعانيها: ٧٧.
- ٢٠ - ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٣٢.
- ٢١ - الصحيفة الصادقية: ٨٩١.
- ٢٢ - ينظر: العين (هَلْ) ٣ / ٣٥٣.
- ٢٣ - الصحيفة الصادقية: ٧٥٢.
- ٢٤ - الصحيفة الصادقية: ٤٦٢ - ٥٦٢، ويُنظر: ٣٩، ٥٩.
- ٢٥ - المصدر نفسه: ٧٤.

٥٤ - الصحيفة الصادقية : ٠٠٢ .

٥٥ - الكتاب : ٣٧ / ٤ ، وينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ٩٧ / ١ .

٥٦ - ينظر : الكتاب : ١٧ / ٤ ، وأوزان الفعل ومعانيها : ٩٨ .

٥٧ - الصحيفة الصادقية : ١٦ ، ويُنظر : ٠٧٢ .

٥٨ - مقاييس اللغة (حجب) ٤٤١ / ٢ ، ويُنظر : الصحاح (حجب) ٥٣١ / ١ .

٥٩ - الصحيفة الصادقية : ٩٧ ، ويُنظر : ١٠١ ، ٢٤٢ .

٦٠ - ينظر : مقاييس اللغة (عصم) ١٣٤ / ٤ ،

٦١ - ينظر : شذا العرفي فن الصرف : ٢٤ .

٦٢ - الصحيفة الصادقية : ٠٠٢ .

٦٣ - ينظر : الصحاح (شهر) ٣٧٢ / ٢ .

٦٤ - العين (شهر) ٣ / ٠٠٤ .

٦٥ - ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ٥٧ / ١ - ٧٧ ، وشذا العرف في فن الصرف : ٤٢ - ٥٢ .

٦٦ - الصحيفة الصادقية : ٥٧ ، ويُنظر : ٢١٢ .

٦٧ - ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ٥٧ - ٦٧ .

٦٨ - الصحيفة الصادقية : ٧٣١ .

٦٩ - ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ٢٧ / ١ ، وشذا العرف في فن الصرف : ٥٢ .

٧٠ - ينظر : المصدر نفسه : ٣٠١ .

٧١ - الصحيفة الصادقية : ٣٨ .

٧٢ - ينظر : العين (برك) ٥ / ٨٦٣ ، وتاج العروس (برك) ٧٢ / ٧٥ .

٧٣ - يُنظر : إرتشاف الضرب من لسان العرب : ١ / ٥٧١ ،

٧٤ - يُنظر : الممتع في التصريف : ٩٢١ - ٣١٠ .

٧٥ - الصحيفة الصادقية : ٦٨ .

٧٦ - المصدر نفسه : ٥١٢ ، ويُنظر : ٨٦٢ ، ١١٣ .

٧٧ - يُنظر : لسان العرب (غلق) مع ٥ / ٦٣ / ٣٨٢٣ .

٧٨ - الصحيفة الصادقية : ٧١١ - ٨١١ .

٧٩ - يُنظر : مقاييس اللغة (صرف) ٣ / ٢٤٣ .

٨٠ - ينظر : الممتع في التصريف : ٢٣١ ، والمبدع في التصريف : ٦١١ .

٨١ - الكتاب : ٨٦ / ٤ .

٨٢ - الصحيفة الصادقية : ٨٤١ .

٨٣ - المصدر نفسه : ٩٣ .

- ٨٤ - ينظر : العين (غفر) ٤ / ٧٠٤، ومفردات ألفاظ القرآن (غفر) ٠٠٥ .
- ٨٥ - ينظر : تاج العروس (غفر) ٣١ / ٦٤٣ .
- ٨٦ - ينظر : لسان العرب (غفر) مج ٥ / ٦٣ / ٤٧٣٣ .
- ٨٧ - المصدر نفسه : ٩٧ .
- ٨٨ - ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ١ / ٥٤ .
- ٨٩ - ينظر : تهذيب اللغة (عون) ٣ / ٣٠٢ .
- ٩٠ - الصحيفة الصادقية : ٣٠٢ .
- ٩١ - الكتاب : ١ / ٩٦، ويُنظر : وشرح ابن عقيل : ٢ / ٢٠٦ .
- ٩٢ - الصحيفة الصادقية : ٥٦٢ .
- ٩٣ - ينظر : لسان العرب (نقذ) مج ٦ / ٨٤ / ٨١٥٤ .
- ٩٤ - ينظر : الكتاب : ٤ / ٨٦، والممتع في التصريف : ٢٣١ .
- ٩٥ - الصحيفة الصادقية : ٠٠٢ .
- ٩٦ - ينظر : لسان العرب (وجب) مج ٦ / ١٥ / ٦٦٧٤ .
- ٩٧ - ينظر : العين (وجب) ٦ / ٣٩١، وأساس البلاغة (وجب) ٢ / ٠٣٣ .



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* أدب الكاتب: ابن قتيبة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ م.

* ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي: تح: رجب عثمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨ م.

* أساس البلاغة: الزمخشري: تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د: ت).

* الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي: دار إحياء التراث، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

* أوزان الفعل ومعانيها: هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، العراق، ط ١، ١٩٧١ م.

* تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي، تح: ضاحي عبد الواحد/ مؤسسة الكويت، (د: ط)، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

* التصريف الملوكي: أبو الفتح ابن جني، تح: البدر اوي زهران، دار نوبا للطباعة، القاهرة - مصر، ط ١، ٢٠٠١ م.

* تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهري: تح: عبد السلام هارون، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٤٣٤ هـ.

* شرح ابن عقيل: بهاء الدين بن عقيل المصري الهمداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، انتشارات ناصر خسرو، (د: ت).

* شرح التسهيل: جمال الدين ابن مالك، تح: عبد الرحمن السيد، دار هجر، ط ١، ١٩٩٠ م.

* شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الإسترابادي، تح: محمد نور الحسن، مطبعة قلم، قم، ط ١، ٢٠١٠ م.

* الصاحبي في فقه اللغة: أحمد بن فارس، تح: عمر فاروق، مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٧٩ م.

* الصحاح: إسماعيل الجوهري: تح: أحمد عبد الغفور، دار العلم، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩ هـ.

* الصحيفة الصادقية للإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): جمع الشيخ باقر شريف القرشي، تح: مهدي باقر القرشي، مطبعة ستارة، النجف، ط ٥، ١٤٣٣ هـ.

* كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي، ط ٢، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩ هـ.

* الكتاب: أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.



* لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت - لبنان، (د: ت).

* المبدع في التصريف: أبو حيان الأندلسي، تح: عبد الحميد السيد، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٢هـ.

* مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥م.

* معاني الأبنية في العربية، فاضل السامرائي، مطبعة جامعة الكويت، ١٤٠١هـ - ١٩٩٤م.

* المغني في تصريف الأفعال: محمد عبد الخالق العظيمة، دار الحديث، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٩م.

* مفردات ألفاظ القرآن: للعلامة الراغب الأصفهاني، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

* مقاييس اللغة: أحمد بن فارس: تح وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د: ت).

* الممتع في التصريف: ابن عصفور الإشبيلي، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

* المنهج الصوتي للبنية العربية: عبد الصبور شاهين: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (د: ط)، ١٤٠٦هـ.

الرسائل والأطاريح

* الدلالة الصرفية عند ابن جني، (أطروحة دكتوراه)، رافد حميد يوسف، جامعة بابل - كلية التربية (صفي الدين الحلي): ٢٠٠٩م.

الثقافة الصحية والبدنية ودورها في حياة المجتمع من فكر الإمام الصادق عليه السلام

م.سمانة عزيز الساعدي

جامعة كربلاء / كلية الادارة والاقتصاد

المقدمة:

ترك الرسول محمد ﷺ وأهل بيته ﷺ من العلوم ما لو أخذ به جميع أهل الأرض لعاشوا سعداء وعمرؤا عمراً مديداً بعيداً عن الاسقام والأمراض، فقد ورد عنهم الكثير من التعاليم والارشادات في حفظ وحماية أجل نعمة أنعم الله تعالى بها على الإنسان وهي نعمة العافية ليعيش في الدنيا هادئ النفس صحيح الجسم وفي الآخرة قرير العين في رحاب الله تعالى، إضافة إلى ما ورد من الكتاب العزيز من الآيات الدالة على الاستشفاء بالقرآن الكريم كما ورد في بعض الآيات الظاهرة الصريحة بشفاء المؤمنين كقول الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾^١.

والأسرار العظيمة لهذه الآيات يعرفها أئمة أهل البيت ﷺ عن الرسول محمد ﷺ والتي فيها خلاص الروح من أدرانها وحلاً لمشاكلها وشفاء لآلامها فهي خير علاج نفسي والالتزام بها يضمن العافية.^٢

لقد نادت جميع الشرائع السماوية بالوصايا الصحية مثل (النظافة، الطهارة، الاعتدال بالطعام والشراب) وحرمت ما يعود بالضرر البالغ على الإنسان، وكان للإسلام النصيب الاعظم في تعميم

وتطبيق المناهج الصحية والتخطيط لها وقد اشتملت بعض العبادات والفرائض على حركات رياضية كفريضة الصلاة والحج إضافة الى الفوائد الروحية والنفسية.

والرسول محمد ﷺ هو أول مؤسس للدولة الإسلامية التي كان فيها التخطيط الصحي والتوعية الصحية من مهام تلك الدولة، فقد روي عنه ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمناً في سربه، معافى في جسده، وعنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»^٣، فقد بين منزلة العافية وتأثيرها على سعادة الإنسان والمجتمع.^٤

والصحة ضرورية في حياة الفرد نفسه، وفي مسار المجتمع الإنساني كافة، والفرد الذي يتمتع بالصحة العالية يشعر بالسعادة، ويكون قادراً على العمل والإنجاز، والذي يعاني من الأمراض والأسقام المزمنة لا يكون قادراً على القيام بذلك، وعليه ستعاني المجتمعات المصابة بالأوبئة وكثرة الأمراض المزمنة من تأخرها في مسار التنمية والتقدم، وتعاني أيضاً من كساد في اقتصادها.

لذا تعد التربية البدنية جزءاً مهماً من التربية العامة ولها دور مهم في البناء المتكامل للأفراد بديناً وعقلياً ونفسياً وفقاً لأهداف كثيرة تنسجم مع فلسفة التربية الحديثة ضمن الإطار التربوي.

المبحث الأول: وتضمّن مجموعة من المطالب منها:

المطلب الأول: التربية في اللغة والاصطلاح

أ- التربية لغة:

تَرْبِيَهُ، وَرَبَّاهُ تَرْبِيَةً: أَحْسَنَ الْقِيَامَ عَلَيْهِ.^٥

التربية اصطلاحاً:

نظام اجتماعي يحدد الأثر الفعّال للأسرة والمدرسة في تنمية النشئ جسمياً وعقلياً وأخلاقياً ليحيى حياة سوية في البيئة التي يعيش فيها.

ب- البدن لغة:

الْبَدْنُ: جِسْمُ الْإِنْسَانِ.^٦

البدن اصطلاحاً:

الْبَدْنُ: الْجَسَدُ الضَّخْمُ، وَالْجَسَدُ مَا دَلَّ عَلَى تَجَمُّعٍ وَاشْتِدَادٍ مِنْ ذَلِكَ

جسد الانسان.^٧

المطلب الثاني: التربية البدنية

هي وسيلة مهمة من وسائل بناء الإنسان الذي خلُق للعبادة على وفق المنظور القرآني (الذي يدعو إلى التوازن بين الروح والجسد وتربية الأجسام لتقوم بدورها الذي خلقت لأجله وهو العبودية لله)، وهي ليست مبتدعة بل قديمة قدم الإنسان، فقد مارس الإنسان القديم التربية البدنية بطريقة مباشرة وغير مباشرة. وازدادت العناية بها في العصور اللاحقة حتى العصر الحديث وقد نُظِّمَتْ علمياً، فصارت علماً بذاته.

وأيضاً، هي تلك العملية التربوية التي تتم بممارسة الأنشطة البدنية التي تحمي وتصون جسم الإنسان، وهي جزء حيوي ومهم في عملية التربية العامة وعن طريق البرامج التربوية الموجهة توجيهاً سليماً يكتسب

الأفراد المهارات اللازمة لقضاء أوقات فراغهم بطريقة صحيحة ومفيدة وكذلك اكتساب الصحة الجسمية والعقلية التي تساعد على الاشتراك فيما بعد بالأنشطة التي تلائم ميوله ورغباته.^٨

أ- أهمية التربية البدنية:

تظهر أهمية التربية البدنية بما يستثمره الشخص من المكتسبات خلال النشاط البدني والرياضي وذلك بما يبلغه من أهداف تربوية تساعد في ترقية واستثمار الجانب الثقافي والاجتماعي والتكيف مع جميع الظروف الاجتماعية كما تنمّي عنده قدرة الاتصال والتوافق بين الرغبة والعمل. لقد اهتمت الدول المتقدمة بالتربية البدنية لما لها من مردود على صحة الإنسان وتطور المجتمعات ولأنّها جزء من العملية التعليمية، فهي تساعد على بناء وإعداد فرد نافع ومتفاعل في المجتمع، كما أنها مؤثر مهم على تقدم حضارة المجتمع، لهذا تعددت أهدافها ومفهومها من مجتمع إلى آخر.^٩

ب- أهداف التربية البدنية:

لقد تعدّت التربية البدنية حدود البدن فركزت على عقل وجسم ووجدان الفرد، أي تنمية الفرد تنمية متكاملة من جميع النواحي ليصبح فرداً نافعاً وفعالاً في مجتمعه. أنّ للتربية البدنية مجموعة من الأهداف العامة التي تنال اهتمام كل من العلماء والأكاديميين ورجال التربية والقادة السياسيين، ومن هذه الأهداف:

١- التربية البدنية تساهم في تكوين الشخصية السوية للفرد فهي تعالج الكثير من الانحرافات النفسية عن طريق تحرير الطاقة الزائدة فيتحرر من الكبت والانفعال ويتخلص من العقد النفسية كالأنانية وحب الذات.

٢- التربية البدنية تعمل على زيادة قدرة الفرد على تركيز الانتباه والإبداع والابتكار، فللبدن السليم تأثير على الخلايا العقلية وأنّ تنمية اللياقة البدنية ستؤدي الى استخدام العقل استخداماً فعالاً مؤثراً.

٣- التربية البدنية تساهم في حل المشكلات الاجتماعية وذلك بأن ترسخ لدى الأفراد حب التعاون والثقة بالنفس واحترام قوانين المجتمع والمعتقدات، ويفسر ذلك العلاقة الوثيقة بين التربية البدنية والجانب الاجتماعي، وعليه لا يمكن أن ينمو الفرد نمواً سليماً إلا إذا كان داخل الجماعة.

٤- التربية البدنية تحقق للاقتصاد تطويراً للمهارات الحركية باعتبارها خلفية أساسية لا يمكن التغاضي عنها لاكتساب أية مهارة في قطاع العمل، وأيضاً تعمل على تحسين صحة الفرد وقدراته البدنية وخاصة قدرته على مقاومة التعب.^{١٠}

المطلب الثالث: تطور التربية البدنية عبر العصور

للتعرف على التربية البدنية وتحديداً في فكر أهل البيت عليهم السلام لابد من دراستها في الحضارات الأخرى وكالتالي:

أ- التربية البدنية في المجتمعات البدائية:

على الرغم من عدم وجود المدارس في المجتمع البدائي، فقد كان للتربية البدنية مكانة عالية وكان الآباء هم المعلمون الذين يتولون تدريب أبنائهم الفنون المختلفة، وكذلك كان للطبيعة دور في تعلم العديد من المهارات الحركية.^{١١}

ب- التربية البدنية في الحضارات القديمة:

اهتمت الحضارات البشرية جميعاً ببناء جسم الإنسان، وارتبط مفهوم التربية البدنية بالمعتقدات الدينية والثقافية والفلسفات السياسية السائدة لكل عصر والتي ينطلق منها في فهمه للتربية البدنية. وسيتم التطرق الى بعض الأقوام وحضاراتهم التي كانت سائدة في العصور القديمة ومنها:

أ- العراقيون:

لقد منح العراقيون التربية البدنية مكانةً متميزةً من أجل إعداد الأفراد إعداداً يجعلهم قادرين للدفاع عن الوطن وفي مختلف الظروف وذلك بممارسة كافة الألعاب التي تعمل على رفع اللياقة البدنية لديهم.^{١٢}

ب- المصريون:

وضع المصريون التربية البدنية ضمن المناهج العامة للتربية والتعليم في المدارس، فقد كان يهتم الفراغ بإعداد الأطفال بدنياً وحربياً منذ الصغر. وتشير الآثار المصرية القديمة إلى قيام المصري القديم بتنظيم وممارسة المباريات والمنافسات للترويح عن النفس وكذلك لاهتمامهم بكمال الاجسام واعتدال القوام.^{١٣-١٤}

ج- الصينيون:

مارس الصينيون القدماء الكثير من أنواع النشاط البدني والتي كان الغرض منها هو الإبقاء على كيان الدولة من خلال تدريب الأفراد على الواجبات التقليدية التي تساعد على المحافظة على التراث، كاستخدام السيف والمصارعة والصيد والرماية وكانت شائعة بين أبناء الطبقات العليا.^{١٥}

د- الهنود:

يعتبر الهنود النشاط البدني هو جزء من الشعائر الدينية، كنظام (اليوجا) الذي يشمل تمرينات القوام والتنفس المنظم، أمّا الأمراء فكانوا يتدربون على الفنون الحربية مثل المبارزة والرمي.^{١٦-١٧}

هـ- الفرس:

اعتمدت دولة فارس نظاماً تعليمياً وتربوياً يكون فيه النشاط البدني والألعاب الرياضية وسيلة لإعداد الجيش الذي من مهامه تحقيق الاستقرار الاجتماعي وحماية نظام الحكم وتوسعة حدود الإمبراطورية^{١٨}.

و- الرومان:

اعتقد الرومان بأن «العقل السليم في الجسم السليم»، لذلك كانوا يرون بأن التدريب البدني مهم في تنمية صحة الأفراد والتزود بالمهارات اللازمة للحرب والسلم معاً وكانوا يهتمون بالصحة البدنية لأطفالهم ويشركونهم بمختلف الأنشطة^{١٩}.

ز- العرب قبل الإسلام:

كان العرب يعتقدون بمبدأ التضامن القبلي كنظام اجتماعي «الكل من أجل الفرد والفرد من أجل الكل»، ولتحقيق هذا المبدأ عملوا على إعداد الأفراد إعداداً بدنياً ليكونوا قادرين على الدفاع عن أنفسهم وأفراد عشيرتهم من الغزوات الطارئة^{٢٠}.

المبحث الثاني: وتضمن:

المطلب الأول: التربية البدنية في الإسلام:

اهتم الإسلام ببناء جسم الإنسان وتربيته، والقرآن الكريم، كتاب المسلمين الأول يشتمل على العديد من الآيات ظاهرة المعنى أو باطنة، تدعو إلى بناء الجسم وتربيته وتؤكد أهميته وعافيته كوسيلة لغاية أسمى وهي صناعة الإنسانية في الإنسان وتجاوز مستوى البشرية، وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «النَّعِيمُ فِي الدُّنْيَا الْأَمْنُ وَصِحَّةُ الْجِسْمِ، وَتَمَامُ النَّعْمَةِ فِي الْآخِرَةِ دُخُولُ الْجَنَّةِ»^{٢١}

أي أن على الإنسان العاقل ألا يُفِرط في صحته، وذلك لأنَّ من يُفِرط فيها سيفقد الكثير من الطمأنينة والراحة.

إنَّ التربية البدنية في المنظور الإسلامي تمثل عملية حفظ وتنمية الجانب البدني للفرد ليقوم بالدور الذي خُلق لأجله وهو تحقيق العبودية لله تعالى وذلك بالاستعانة بهذا البدن على أداء العبادات المختلفة كالصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله وأيضاً تعلّم بعض المهارات البدنية للدفاع عن الدين والمال والنفس والعرض، وعليه فإنَّ التربية البدنية بصفاتها هذه يمكن أن تكون تربية فاعلة غايتها بناء الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: التربية البدنية في آيات القرآن الكريم:

منذ بزوغ فجر الاسلام، جاء التأكيد والدعوة الى الرياضة والحركة، فقد خلق الله تعالى أجسامنا للحركة وليس للسكون، فالحركة هي الوسيلة التطبيقية لاكتساب الصفات البدنية مثل القوة والسرعة والتحمل والصفات الخلقية السامية كالطاعة والأمانة والصدق واحترام الغير وإنكار الذات، والتي تحدث إمّا بتأثير خارجي أو بتأثير جسم بجسم آخر أو داخل الجسم نفسه بتأثير قوة العضلات.

ولقد اهتم الإسلام بالإنسان جسماً وروحاً، فوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسم، ثم بيّن له سبل العناية بهذا البدن وما يضر به، وحذّره من استخدامه في ما حرّم الله تعالى لأنّه سيكون شاهداً عليه يوم يقوم الأشهاد، وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «أَحْسِنُوا جِوَارَ النَّعَمِ، واحذروا أن تَنْتَقِلَ عَنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ، أما إنّها لم تَنْتَقِلْ عَنْ أَحَدٍ قَطُّ فَكَادَتْ أَنْ تَرْجَعَ إِلَيْهِ»^{٢٢}

فَنَعِمَ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُحَصِّيهَا، وَمِنْ هَذِهِ النِّعَمِ هِيَ
صِحَّةُ الْإِنْسَانِ الْبَدَنِيَّةِ.

لَقَدْ خَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَزَوَّدَهُ بِقُدْرَاتٍ وَطَاقَاتٍ هَائِلَةٍ
وَلَحْدَ الْآنَ لَمْ يَكْشِفِ النِّقَابَ بَعْدَ عَن حَدُودِهَا، وَأَنَّ تَقْوِيمَ الْإِنْسَانِ هُوَ
تَقْوِيمُ رُوحِي بَدَنِي فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، وَهَذَا مَا يَفْسِّرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾. ٢٣

ويعني، إِنَّا لنبلغ بالإنسان أحسن تقويمه، وهو اعتداله واستواء شبابه،
أما ردّ الإنسان إلى أرذل العمر يعني رده إلى الهرم بتضعيف قواه الظاهرة
والباطنة أي تضعيف طبيعته المعنوية والمادية، وعليه فإنّ ضعف البدن
وعدم الالتفات إلى تربيته يؤدي إلى ضعف الجانب المعنوي.

والإنسان خليفة الله في الأرض كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ﴾. ٢٤

والذي يريده الله لهذا الخليفة ذي الطبيعتين المادية والمعنوية هو أن
يتصرف ببدنه كما يريد الله له، أما غاية خلقة هذا البدن الذي هو الجزء
الظاهر من بنية الإنسان فهو العبادة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ
الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾. ٢٥

وهذا يعني أنّ البدن وسيلة لغاية، وأنّ تربيته نوع من أنواع العبودية
لله، فلا بد أن تكون تربيته متوازنة وهادفة وملتزمة. ٢٦

المطلب الثالث: أهداف التربية البدنية قرآنيًا:

١- أن تربية البدن من المنظور القرآني تعد هدفًا عباديًا (تقرباً إلى الله)، وقد أمر الله تعالى الناس بالعناية بذواتهم البدنية والمعنوية، وعليه فإن ممارسة الرياضة النافعة كالسباحة وركوب الخيول، إذا كان باعثها شرعياً حسن الهدف، فهي مطلوبة بل هي عبادة.

٢- للتربية البدنية أثر كبير على الصحة البدنية وقوة الجسم وسلامته ليقوم بما أوجبه الله تعالى عليه في أمور دينه ودنياه، وعليه فالعناية بصحة الجسم في حدود المنهج الإسلامي أمر مطلوب.

٣- إن تربية الجسم تأثيراً مباشراً في الاقتصاد المعاشي للفرد فكلما كان الجسم أكثر قابلية وقدرة على العمل والعطاء كان أكثر إنتاجاً، وتساهم التربية البدنية في توفير القيم التربوية المتصلة بالانتاج بشكل خاص والاقتصاد بشكل عام.

المطلب الرابع: أدوات التربية البدنية قرآنيًا:

أحد وسائل التربية البدنية هو الجهاد ومن خلال ادواته يتحقق الهدف من تشريع تلك العبادة ومن هذه الأدوات: الفروسية، المبارزة. والوسيلة الثانية هي الصلاة، ومن أدواتها: الركوع والسجود والتي لا تستغني أحدهما عن الأخرى فتكون مكملّة بعضها للبعض الآخر، فالحركة في الصلاة تساعد على تربية البدن ويعتبر الوضوء مقدمة للصلاة وتبرز أهميته في عملية التدليك التي تجدد نشاط الجسم وحيويته وتساعد على النوم الصحي ايضاً.

ومن أدوات التربية البدنية الأخرى المشي وهو من رياضات التحمّل التي تحافظ على مستوى اللياقة والارتقاء الذي يجب أن يتمتّع به الجسم والعقل والروح.

قسمت الأدوات المعنوية الى عدة أقسام منها تنظيم الغذاء والشراب، والتي تساعد على بناء البدن بعد تنظيمهما بشكل عام أو من خلال الصيام، وكذلك التسييح والاستغفار فهما من أدوات التربية البدنية كما في قول الله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَبِزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾^{٢٧}، أي أن الإيمان والتقوى لا يضعفان من قوتكم الجسمية بل ستزداد بالاستفادة من القوة المعنوية.

المطلب الخامس: التربية البدنية عند أهل البيت عليهم السلام

للتربية البدنية فوائد كثيرة على الصحة البدنية اذا ما نُظمت وفق منهج محدد حيث ستمكّن الأفراد من تحمّل ضغوط الحياة وتقوي الثقة بالنفس. لقد علّم الرسول محمد صلّى الله عليه وآله ومن بعده أئمة أهل البيت عليهم السلام هذه الأمة كيف تحافظ على أبدان أبنائها صحيحة لا تعتل وقوية لا تضعف، ليكونوا قادرين على أداء وظائفهم وواجباتهم، وكذلك مواجهة الأعداء. كما رأوا أنّ للنفس تأثير على الجسد، وأنّ قراءة بعض سور القرآن الكريم وآياته له أثر على النفس والجسد معاً، فالقرآن الكريم دواء لكل داء.^{٢٨} ولتحقيق هذا الهدف (صحة الابدان) وضع الأئمة عليهم السلام برنامجاً غذائياً صحياً يتضمّن ما يلي:

١- الاقتصاد في الطعام والشراب.

٢- البساطة في المطعم والمشرب.

٣- الابتعاد عن الشبع.

فقد كان الرسول محمد صلّى الله عليه وآله وكذلك أهل بيته عليهم السلام يقتصدون في الطعام والشراب لا بخلاً منهم، وهم عليهم السلام معروفون بالكرم والسخاء. وإنّما

لإعراضهم عن متاع الحياة الدنيا وامثالاً لأمر الله تعالى بالتزام المستحبات وعدم التبذير والاسراف وأيضاً مؤاساة للفقراء بتحقيق التوازن الاجتماعي وإزالة الفروق الفردية بين أبناء المجتمع، ثم انهم كانوا يأكلون من عمل أيديهم ويكتفون بالطعام البسيط (الخبز، الزيت، الخل) ويأكلون منه ما يسد الجوع فقط فهم الأسوة والقُدوة للمجتمع.

المبحث الثالث: وتضمن:

المطلب الأول: الإمام الصادق عليه السلام والتربية البدنية:

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لو اقتصد الناس في المطعم لاستقامت أبدانهم»^{٢٩}، وعنه عليه السلام: «من أقل من شرب الماء صحّ بدنه»^{٣٠}. وعليه فالإمام الصادق عليه السلام يقدم برنامجاً صحياً متكاملًا لما يحتاجه الجسم للنمو وكذلك تقوية الجهاز المناعي من خلال الحمية الغذائية التي تقي الإنسان من أمراض العصر المختلفة كأمراض ضغط الدم والسكر. وقد حرص أهل البيت عليه السلام في كثير من الروايات على عدم الشبع في الأكل وحذروا من مساوئ الشبع على البدن والروح، فقد نهى الإمام الصادق عليه السلام عن كثرة الأكل، وورد عنه عليه السلام: «كثرة الأكل مكروه»^{٣١}، كما ورد عن آبائه عليهم السلام: «الأكل على الشبع يورث البرص»^{٣٢}.

ووجد أنّ الإكثار من الطعام والأكل على الشبع يؤدي إلى التخمة وفساد الطعام داخل المعدة ممّا يكون سبب في سوء الهضم ومن ثم التقيؤ وعدم التمثيل الغذائي وانعكاس ذلك على صحة الجسم حيث يتعرّض لأنواع السرطانات المختلفة.

وقد روي أنّ الإمام الصادق عليه السلام «في أحد الليالي تعشى بعد العتمة مع أحد أصحابه، فأتى بخل وزيت ولحم بارد، قال: فجعل الإمام عليه السلام يتنف

اللحم فيطعمنيه ويأكل هو الخل والزيت، فقلت أصلحك الله تأكل الخل والزيت وتدع اللحم؟ فقال: إِنَّ هذا طعامنا وطعام الأنبياء»^{٣٣}.

أَنْ اتَّبَعَ مِنْهُجَ التَّوَسُّطِ وَالاعتدالِ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالْاِكْتِفَاءِ بِمَا هُوَ بَسِيطٌ لِمُغْرَضِ الْاِنْتِفَاعِ مِنْهُ يَكُونُ وَسِيلَةً لِلوَقَايَةِ وَالْاِحْتِرَازِ مِنَ الْأَمْرَاضِ بِكَافَةِ أَنْوَاعِهَا، فَلكل طعام مجموعة من الخصال الحسنة والأخرى السيئة التي من شأنها أَنْ تَقْهِيَهُ أَوْ تُضَرَّ الْبَدَنَ وَكَذَلِكَ الرُّوحَ.

المطلب الثاني: ما بين الدراسات الحديثة وحديث الإمام الصادق عليه السلام

هنالك الكثير من الأحاديث التي وردت عن أهل البيت عليه السلام لعدد من الأطعمة وما لها من أبعاد مادية ومعنوية على الصحة البدنية والروحية للفرد والمجتمع، وقد توصلت الدراسات الحديثة إلى العناصر الغذائية لكل نوع من أنواع الطعام والتي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام في أحاديثه الشريفة.

حيث قال عليه السلام: «لو علم الله في شيء شفاءً أكثر من الشعير ما جعله غذاء الأنبياء عليه السلام»^{٣٤}

وقد توصلت الدراسات الحديثة إلى أَنَّ الشعير يوصف كعلاج للأمراض الصدرية كالسل وأيضاً ببطء النمو عند الأطفال والتهاب المثانة والكلية، يتركب الشعير من البروتين والنشأ وبعض الأملاح المعدنية كالحديد والفسفور والكالسيوم والبوتاسيوم.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام «أَنَّ رجلاً من أصحابه أكل عنده طعاماً، فلما رفع الطعام قال عليه السلام للجارية آتينا بما عندك فأتته بتمر، فقال الرجل: جعلت فداك، هذا زمان الفاكهة والأعشاب؟ وكان صيفاً فقال عليه السلام: كُلْ فَإِنَّهُ

خلق من رسول الله، وقد قال عليه السلام: العجوة لا داء ولا غائلة»^{٣٥}

جاء في الدراسات الحديثة أنَّ التمر يتفوق على جميع الفاكهة بنسبة البروتين والدسم، لذلك يوصف بأنه غذاء كامل يقوي الأعصاب ويلين الأوعية الدموية ويرطب الأمعاء ويحفظها من الالتهاب، وأيضاً هو مفيد للكلى والكبد، ويتركب من مواد سكرية سريعة الامتصاص سهلة التمثيل الغذائي في جسم الإنسان.^{٣٦}

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ نوحاً شكاً إلى الله الغم، فأوحى الله إليه: كل العنب الأسود، فإنه يذهب بالغم»^{٣٧}

في الدراسات الحديثة أنَّ العنب يوصف كعلاج شافٍ للرمل وأمراض الكلى ومنظف للقناة الهضمية والتهاب الأمعاء والإمساك. وقال الإمام الصادق (عليه السلام) من قبل: «مَنْ أَكَلَ رُمَانَةً عَلَى الرَّيْقِ أَنْارَتْ قَلْبُهُ أَرْبَعِينَ يَوْماً»^{٣٨}.

وتوصّلت الدراسات الحديثة اليوم إلى أنَّ الرمان يوصف كعلاج لعديد من الأمراض كالسرطان، فهو يقوي جهاز المناعة ممّا يؤدي إلى منع انتشار الخلايا السرطانية، ويتركب من بروتين وألياف ورماد ودسم وقليل من فيتامين C.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في الخس: « عليك بالخس، فإنه يقطع الدم »^{٣٩} وأشارت الدراسات الحديثة الى ذلك من أنَّ الخس يوصف بأنه منعش ومهدئ ومضاد للتشنج ومعالج للخفقان ونوبات السعال، وقد أكّدت تلك الابحاث على أنَّه يتركب من المواد الدهنية والبروتينية وكل من عنصر الحديد والفوسفور والكلسيوم والنحاس واليود والكلور والزرنيخ والكبريت وغيرها.

وأشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى البصل وأهميته وقال: « البصل يطيب الفم ويشد الظهر ويرقّ البشرة »^{٤٠}

ففيما توصلت الدراسات الحديثة إلى أنَّ البصل يوصف بأنَّه قاتل للجراثيم وفيه مواد ملينة ومقوية للأعصاب وهو يفيد في حالات السعال والربو وتشمّع الكبد وتورم الساقين وانتفاخ البطن، فهو غني بالأملاح المعدنية ويتركب من مجموعة من العناصر كالسيوم والفسفور والحديد وكذلك فيتامين A وفيتامين C.

المطلب الثالث: من علم الإمام الصادق عليه السلام: النباتات وعلاقتها في علاج الأمراض

هنالك العديد من الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان أهمية بعض النباتات في علاج بعض الأمراض وكالتالي:

نبات الهندباء: «الهندباء شفاء من ألف داء. وما من داء في جوف الإنسان إلا قمعه الهندباء»^{٤١}

نبات الشلجم: «عليكم بالشلجم فكلوه وأغذوه واكتموه إلا عن أهله، فما من أحد إلا وبه عرق الجذام فأذيبوه بأكله»^{٤٢}

نبات السلق: «أكل السلق يؤمن من الجذام»^{٤٣}

نبات القرع: «الدباء يزيد في الدماغ»^{٤٤}

وبالتالي فإنَّ لهذه الأطعمة كما ورد في احاديث أئمة أهل البيت عليه السلام أبعاد معنوية كثيرة تساهم في تحقيق مرضاة الله سبحانه وتعالى وتحسين اخلاق الفرد وتعامله مع الآخرين وتحقيق السعادة للجميع.



الختامة:

إنَّ أثر الصحة البدنية على تقدم الإنسان واستمراره بالعطاء تمت الإشارة إليها في حديث الإمام الصادق (عليه السلام): «خمس خصال من فقد منهن واحدة لم يزل ناقص العيش، زائل العقل، مشغول القلب: فأولها صحة البدن، والثانية الأمن...»^{٤٥}

وعليه، فإنَّ منفذ قوة ونشاط الإنسان ينبع من النظام الغذائي، وطبيعة الغذاء واعتداله فهو المحدد لبناء الجسم الصحي السليم.

ثمَّ إنَّ عامل الثقافة الصحية والوعي لأهمية النظام الغذائي الصحي من الضروري أن يكون على مستوى المجتمع، بل وأيضاً على مستوى الدول، لذلك شعرت الأنظمة الدولية ومنها الصحة العالمية، بضرورة التوعية والثقافة الصحية، للتخفيف من شدة خطورة الأمراض وثقلها على الخطط الصحية المحلية والوطنية والإقليمية على اعتبار أنَّ لكل إقليم ظروفه ومناخه وأوبئته الخاصة والمشاركة.

إنَّ العادات الصحيحة للصحة البدنية والنفسية لها فوائد كثيرة إذا ما تم تنظيمها، فإنَّها ستوفر الطاقة النفسية والبدنية التي تمكّن الفرد من تحمل ضغوط الحياة المختلفة والشعور بالثقة العالية بالنفس وهذا ممَّا يقلل من فرص الإصابة بالقلق أو الكآبة^{٤٦}.

التوصيات:

- ١- من الضروري الرجوع الى الكنز المعرفي الزاخر الذي تركه أهل البيت (عليه السلام) في مختلف المجالات ومنها صحّة الأبدان ليعيش الناس في يُمّن وازدهار.
- ٢- إجراء دراسات مقارنة بين ما قدمه علماء العصر الحديث والمختصين في مجال الطب والصحة البدنية والارشاد الوقائي والأئمة (عليهم السلام) قبل أربعة عشر قرن وأنهم سبقوا الغرب في كثير من المواقع الحياتية.
- ٣- رفد المكتبة الإسلامية بثروة علمية تظهر فيها علم ومعرفة الأئمة (عليهم السلام) في المجالات كافة وخاصة في الطب والصحة البدنية والإرشاد الوقائي لما لها من أهمية في تكوين شخصية الفرد.



الهوامش:

- ١ - سورة الأسراء: الآية ٨٢.
- ٢ - النيسابورين: طب الأئمة عليهم السلام، ص ٥-١٨.
- ٣ - المتقي الهندي: كنز العمال، ج ٣، ص ٣٨٩.
- ٤ - عقيل: طب الإمام الرضا عليه السلام، ص ٧-٩.
- ٥ - ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ٩٦.
- ٦ - المصدر السابق: ج ١، ص ٣٤٦.
- ٧ - الجوراني: التربية البدنية أهدافها وأدواتها من منظور قرآني، ص ١٢.
- ٨ - شلتوت: تاريخ التربية البدنية والرياضة، ص ١٠.
- ٩ - الجوراني: التربية البدنية أهدافها وأدواتها من منظور قرآني، ص ١٩.
- ١٠ - الجوراني: التربية البدنية أهدافها وأدواتها من منظور قرآني، ص ٢٩-٣٤.
- ١١ - شلتوت: تاريخ التربية البدنية والرياضة، ص ٣١.
- ١٢ - الجوراني: التربية البدنية أهدافها وأدواتها من منظور قرآني، ص ٦.
- ١٣ - الجوراني: التربية البدنية أهدافها وأدواتها من منظور قرآني، ص ٦.
- ١٤ - شلتوت: تاريخ التربية البدنية والرياضة، ص ٢٤.
- ١٥ - المصدر السابق: ص ٥٥.
- ١٦ - الجوراني: التربية البدنية أهدافها وأدواتها من منظور قرآني، ص ٦.
- ١٧ - شلتوت: تاريخ التربية البدنية والرياضة، ص ٥٦.
- ١٨ - شلتوت: تاريخ التربية البدنية والرياضة، ص ٥٥-٥٧.
- ١٩ - المصدر السابق: ص ٦٤.
- ٢٠ - الجوراني: التربية البدنية أهدافها وأدواتها من منظور قرآني، ص ٧.
- ٢١ - الصدوق: معاني الأخبار، ص ٤٠٨.
- ٢٢ - الطوسي: الأمالي، ص ٢٤٦.
- ٢٣ - سورة التين: الآية ٤-٦.
- ٢٤ - سورة البقرة: الآية ٣٠.
- ٢٥ - سورة الذاريات: الآية ٥٦.
- ٢٦ - الجوراني: التربية البدنية أهدافها وأدواتها من منظور قرآني، ص ٢٢-٢٩.
- ٢٧ - سورة هود: الآية ٥٢.
- ٢٨ - شبر: طب الأئمة، ص ١١.
- ٢٩ - المجلسي: بحار الانوار، ج ٥٩، ص ٢٦٦.

- ٣٠- المصدر السابق: ج٦٣، ص ٤٥٦.
- ٣١- الكليني: الكافي، ج٦، ص ٢٦٩.
- ٣٢- المصدر السابق: ج٦، ص ٢٦٩.
- ٣٣- المصدر السابق: ج٦، ص ٣٢٨.
- ٣٤- الريشهري: موسوعة الاحاديث الطبية، ج٢، ص ٥٥٨.
- ٣٥- الريشهري: موسوعة الاحاديث الطبية، ج٢، ص ٥٢٩.
- ٣٦- الشرقي: منهج صحة الآبدان في فكر ائمة أهل البيت (عليه السلام)، ص ٥٤.
- ٣٧- الكليني: الكافي، ج٦، ص ٣٥١.
- ٣٨- الكليني: الكافي، ج٦، ص ٣٥٤.
- ٣٩- المصدر السابق: ج٦، ص ٣٦٧.
- ٤٠- الكليني: الكافي، ج٦، ص ٣٧٤.
- ٤١- الكليني: الكافي، ج٦، ص ٣٦٣.
- ٤٢- المصدر السابق: ج٦، ص ٣٧٢.
- ٤٣- المجلسي: بحار الانوار، ج٦٣، ص ٢١٧.
- ٤٤- الكليني: الكافي، ج٦، ص ٣٧١.
- ٤٥- المصدر السابق: ج٧٨، ص ١٧١.
- ٤٦- شبر: طب الأئمة، ص ١٣.



المصادر والمراجع:

- * القرآن الكريم
- * ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ط ٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- * الجوراني: عبد الحسين محسن عبد، التربية البدنية أهدافها وأدواتها من منظور قرآني، اطروحة دكتوراه، كلية التربية وعلوم الرياضة، جامعة القادسية، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
- * الريشهري: موسوعة الأحاديث الطبية، ج ٢، دار الحديث، قم المقدسة، إيران، ١٤٢٥هـ.
- * الشرقي: مها عبدالله نجم، منهج صحة الأبدان في فكر أهل البيت (عليه السلام)، مجلة العلوم الأساسية، عدد ٢، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة البصرة.
- * الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ط ٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ١٣٦٣هـ.
- * الطوسي: الأمالي، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع دار الثقافة، ٣٨٥هـ.
- * الكليني: الكافي، ج ٦، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٦٧هـ.
- * المجلسي: بحار الانوار، ج ٥٩، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ.
- * المجلسي: بحار الانوار، ج ٦٣، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ. المتقي الهندي: كنز العمال، ج ٣، مطبعة البلاغة، حلب، سوريا، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- * النسابوريان: ابنا بسطام، طب الأئمة، شرح وتعليق محسن عقيل، ط ١، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- * شبر: عبدالله، طب الأئمة، ط ٢، دار أهل البيت (عليه السلام)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- * شلتوت: نوال ابراهيم، نجلة: مراد محمد، تاريخ التربية البدنية والرياضية، ط ١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٨م.
- * عقيل: محسن، طب الإمام الرضا (عليه السلام) (المعروف بالرسالة الذهبية)، ط ٤، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.

نقد القواعد الفقهية عند الامام الصادق عليه السلام القياس انموذجا

الباحث السيد عبد الستار الجابري
العتبة العباسية المقدسة / مركز الصادقين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجبين الذين كشف الله تعالى بهم ظلم الفتن وأظهر بنور وجودهم الحق فيما اختلف فيه، فكانوا هم الدالين عليه والطريق إلى رضوان الله تبارك وتعالى.

يتناول البحث دور الإمام الصادق عليه السلام في مرحلة من أخطر مراحل تاريخ الفقه الإسلامي، حيث كانت تلك المرحلة مرحلة التأسيس للقواعد الفقهية والمرحلة الأولى لتأسيس قواعد علم الأصول، فالمرحلة التي عاشها الإمامان الصادقان عليهما السلام تمثل الانتقال من مرحلة الفقه الحديثي المعتمد على نقل النصوص إلى مرحلة التأصيل للقواعد الفقهية التي يستند إليها في مقام الاستنباط الفقهي في غير مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الوقت الذي كان النص لا يزال هو المنهج الحاكم في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.



مفتاح مصطلحات البحث

نقد: ويقصد بكلمة نقد الواردة في العنوان الموقف من القاعدة الفقهية التي أريد لها أن تكون مصدراً للتشريع، والبحث ينصب على قاعدة القياس التي كانت ولا تزال إحدى القواعد المهمة في استنباط الأحكام لدى بعض الاتجاهات في غير مدرسة أهل البيت عليه السلام

القاعدة الفقهية: هي القاعدة التي أعدت لتكون دليلاً للتشريع وإن أدرجت بعد استقلال علم الأصول عن علم الفقه بمباحث علم الأصول كما هو الحال في القياس وخبر الواحد والاجماع والسيرة وغيرها من المباحث التي كانت تبحث في علم الفقه ثم بعد استقلال علم الأصول أصبحت من مباحث علم الأصول.

الإمام الصادق عليه السلام: هو الإمام السادس من عترة النبي صلى الله عليه وآله الذين نص عليهم إجمالاً حديث الثقلين، وهو أحد الأئمة المعصومين عند الشيعة الإمامية، عاصر العقود الأربعة الأخيرة من العصر الأموي والعقدين الأولين من عمر الدولة العباسية، وكان له عليه السلام دور مؤثر على الساحة الفكرية مضافاً إلى دوره السياسي الذي أثار حفيظة السلطة العباسية والتي دفعت ثاني أباطرة الدولة العباسية إلى دس السم إليه فمضى شهيداً مظلوماً. وفي عهده ظهرت بوادر التاصيل الفقهي للمدارس الفقهية فكانت مدرسة الرأي - حسب الاصطلاح الفقهي - متمثلة بمدرسة الكوفة التي كان على قمته أبو حنيفة ثابت بن النعمان، ومدرسة الحديث التي تربّع على قمته مالك بن أنس، كما ظهرت مدرسة الوقوف على النص بين تلك المدرستين والتي تمثلت بمدرسة الاوزاعي الذي لا يبعد تأثره بمدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ حيث عدّه بعض علماء الرجال من اصحاب الصادقين عليهم السلام ولعل مدرسة الاوزاعي كانت هي الأساس لمدرسة الظاهر التي ظهرت في بغداد على



يد داود الظاهري^٢ ثم تركزت في بلاد الأندلس وكان من أبرز فقهاء ابن حزم الأندلسي، وإلى جانب هذه المدارس ظهرت مدرسة الاعتزال^٣ التي قضى عليها على يد السلاجقة؛ بعد قرون من الصراع بينها وبين المدارس الأخرى، وكان لمدرسة الاعتزال دور كبير في رقد الحركة الفكرية في الوسط السني وتمتعت بقدر جيد من الحرية الفكرية كان له الأثر المهم في الانعتاق من تبعات التأثير الأموي خاصة في مجال العقيدة، وكانت مدرسة بغداد المعتزلية الأكثر اعتقاداً من التأثيرات الأموية عند مقارنتها بمدرسة الاعتزال البصرية، وفي قبال تلك المدارس كانت مدرسة النص التي تعتمد القرآن الكريم والسنة المطهرة منهجاً أصيلاً لا تحيد عنه إلى أي نهج آخر وهي المدرسة التي كان على رأسها أمير المؤمنين عليه السلام وتلاه من بعده الحسنان، ثم الإمام السجاد، وبعده الإمام الباقر، ثم الإمام الصادق، وبعده الإمام الكاظم، ثم الإمام الرضا، وبعده الإمام الجواد، ثم الإمام الهادي، وبعده الإمام العسكري عليه السلام، ثم جرت غيبة الإمام المهدي عليه السلام ليكون عمر النص في تلك المدرسة ٢٦٠ سنة، وبعدها تولى فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم العمل على ضوء الاسس التي أشادها الأئمة عليهم السلام لحفظ بناء مدرسة النص والاستمرار عليه على المنهج المتخذ من المنبع الصافي.

القياس: هو القاعدة التي على ضوئها يحدد حكم الفرع على ضوء حكم الأصل لوجود علة مشتركة فيهما على أساسها جعل الحكم للأصل، مثلاً قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْلُ لَهَا أَفٍ﴾^٤ حكم شرعي منصوص عليه قرآنياً يدل على حرمة قول (أف) للوالدين وعلة ذلك المنع من إيذاء الوالدين، ويستنبط منه حرمة ضربهما قياساً على حرمة قول (أف)؛ لاشتراكهما في الإيذاء، فالأصل حرمة قول (أف)، والفرع حرمة الضرب، والعلة النهي عن الإيذاء.

والغاية من البحث تسليط الضوء على حقبة هي الأساس في الاختلافات على صعيد العقيدة والفقه والأخلاق النظرية والعملية التي عاشها ويعيشها مجتمع المسلمين إلى اليوم، وكان مبحث القياس المنطلق في تسليط الضوء على تلك الحقبة.

هيكلية البحث

يتألف البحث من مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة

المقدمة: تمت الإشارة فيها إلى الغاية التي دون لأجلها البحث وأهمية الفترة الزمنية التي تناولها البحث في التاصيل الفقهي وبيان مفردات العنوان والإشارة إلى هيكلية البحث.

المبحث الأول: سلط الضوء فيه على أدوار الحركة الفقهية الى زمان الامام الصادق عليه السلام؛ للإشارة إلى الترابط الزمني وأن ما وقع مؤخراً كان يمتد بجذوره إلى أيام النبي صلى الله عليه وآله ومعاصريه، ولم يكن قفزةً في الفكر المجتمعي كما يتبناه جملة من الكتاب الذين تناولوا المدراس الفقهية الذين يرون أن المدرسة التي انبثقت عنها المذاهب الأربعة هي الأصل وأن الشيعة والخوارج والمعتزلة حالة طارئة على الواقع الفكري لمخرجات سياسية وعقائدية، بينما التدقيق في الحركة الفكرية للمجتمع المسلم ينتج أن كل الاتجاهات على اختلافها تعود إلى مدرستي النص والرأي - الاجتهاد في مقابل النص - الممتدة إلى عصر معاصري النبي صلى الله عليه وآله.

المبحث الثاني: ويتناول فيه معنى القياس وأسباب الحاجة إليه وموقع القياس في المدارس الفقهية.

المبحث الثالث: موقف الإمام الصادق عليه السلام من القياس وتأثير ذلك في الشخصيات والمدارس الفقهية سواء منها المعاصرة للإمام الصادق عليه السلام أو المتأخرة عنه.

المبحث الأول الخلاف الفقهي جذوره وأدلة التشريع جذور الخلاف الفقهي

الفقه لغة: الفهم، واصطلاحاً استنباط الحكم الشرعي والوظيفة العملية للمكلف من مصادره المقررة^٧، والفقيه هو من يقوم بعملية الاستنباط. وتنبع أهمية الفقه والفقيه من دور التشريع في حياة الإنسان، وحيث إنَّ الفقه^٨ يتناول القوانين الشرعية في تنظيم حياة الإنسان وعلاقاته على صعيدي العلاقة بالله تعالى والعلاقة بالإنسان أخذ مساحة واسعة في حياة الفرد والمجتمع المسلم، إذ شكّل في ذلك الوقت ما يعرف بمصطلح اليوم بالدستور، فكما أنَّ الدستور يحدد بمواده وقوانينه نظم الحياة في الدولة المدنية فكذلك الفقه هو المحدد الذي أوكل إليه تحديد هذه المهمة في الدولة التي أنشئت على يد النبي ﷺ في جزيرة العرب قبل أربعة عشر قرناً ولا يزال هذا التأثير قائماً في حياة المجتمعات المسلمة، بل والبلدان المسلمة أيضاً على الرغم من التأثير بحضارات غير المسلمين نتيجة لتمكن الحضارة الغربية الحديثة من الهيمنة على العالم ونشر أفكارها وآراءها ومبنياتها بطرق مختلفة في مختلف المناطق التي امتدت إليها.

وتعود جذور الخلاف الفقهي بين المسلمين إلى أيام النبي ﷺ حيث كانت هناك نزعة عند البعض ممّن عاصر النبي ﷺ إلى العمل برأيه، وإن كان ما يذهب إليه يخالف فيه رسول الله ﷺ، فأدّى ذلك إلى ظهور اتجاهين بين المسلمين: الأول الاتجاه الملتزم حرفياً بما يصدر عن النبي ﷺ، وهو ما سنطلق عليه في هذا البحث اتجاه النص^٩، والاتجاه الآخر الذي سمح لنفسه أن يكون له رأي في قبال ما صدر عن النبي ﷺ وهو ما سنطلق عليه في هذا البحث اتجاه الرأي، وهو أقرب إلى ما اصطلاح عليه سابقاً بالاجتهاد في مقابل النص، ومن أمثلة ذلك ما رواه العامة عن واقعة

حدثت أيام تولي عمر بن الخطاب إدارة البلاد الإسلامية بعد موت أبي بكر عندما سأله شخص عمّن أجنب ولم يجد ماء ليغتسل فأفتاه عمر بأن يؤخر صلاته حتى يجد الماء وإن فات وقت الصلاة فاعترض عليه عمار بن ياسر (رضوان الله عليهما) بأنه في أيام رسول الله ﷺ خرج هو وعمر في مهمة فأصابتهما جنابة ولم يجدا ماء فأخر عمر صلاته وتيمم عمار وصلى، فلما عادا إلى المدينة أخبر عمار رسول الله ﷺ بما جرى لهما، فأيد عمار ما فعله عمار^١، وهذا يكشف أن هذه الواقعة حصلت بعد نزول آية التيمم.

ومنها منع مسلمة الفتح لعبد الله بن عمرو بن العاص من تدوين حديث رسول الله ﷺ بانين موقفهم على أن النبي ﷺ بشر يخطئ ويصيب ويرضى ويغضب، فأخبر عبد الله النبي ﷺ بموقف قريش من كتابة حديثه، فقال والله ما يصدر من هنا إلّا حقاً^{١١} - وأشار ﷺ إلى فمه -.

ومنها موقف أبي بكر وعمر من تدوين السنة النبوية، وحرق أبي بكر لصحف دوّن فيها أكثر من ٥٠٠ حديث سمعها مباشرة من النبي ﷺ^{١٢}، ومنع عمر من رواية الحديث النبوي وتعليمه للناس^{١٣}، وموقف أبي بكر من إرث السيدة الزهراء (عليها السلام)^{١٤} وموقفه من المسلمين الذين لم يرتضوا خلافته كما حصل مع بني يربوع وبني حنيف^{١٥}، وموقف عمر من سهم المؤلفة قلوبهم^{١٦} وموقف الخلفاء الثلاثة من سهم ذوي القربى في الخمس^{١٧}، وتحريم عمر لمتعة النساء ومتعة الحج^{١٨}، وغيرها كثير مما كان فيها للرأي الشخصي في قبال النص دور في التشريع والتقنين في شؤون المجتمع والسلطة.

أدوار الفقه الإسلامي

مرّ الفقه بين المسلمين بعدة أدوار كان للتغيرات السياسية والفكرية والثقافية دور كبير في حصول انتقالات في واقع الفقه كعلم يمسّ حاجة الفرد والمجتمع والسلطة في وقت واحد، فالأفراد من أبناء المجتمع المسلم يحتاجون الفقه لمعرفة تكاليفهم وانسجام ما يقومون به من عبادات ومعاملات مع الشريعة، وكذلك الحال بالنسبة للمجتمع اذ هناك تشريعات اجتماعية جاءت بها الشريعة الإسلامية في صياغات أخلاقية تارة وإلزامية تارة أخرى وفكرية ثالثة وكلّها يحتاج فيها المجتمع الرجوع إلى معرفة الحكم الشرعي في تلك الحوادث، والأمر في السلطة لا يختلف عن حاجة الفرد والمجتمع في معرفة ما يقتضيه حكم الشرع في الوقائع التي يمرون بها سواء على صعيد علاقة السلطة بالمجتمع والفرد المسلم أو في العلاقات مع الدول والمجتمعات الأخرى.

الدور الأول في عهد النبي ﷺ

النص والرأي في عهد النبي ﷺ

كان المنهج النبوي وهو منهج التشريع الالهي والذي أمرنا كمسلمين باتباعه والأخذ عنه، وقد صرح القران الكريم بما لا غبار عليه أن كلّ ما يصدر عن النبي ﷺ إنما هو بوحى إلهي ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾^{١٩} وأمر الكتاب العزيز باتباع النبي ﷺ ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^{٢٠} ونفى أن يكون أسوة حسنة في كلّ شيء أحد غير النبي ﷺ ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾^{٢١}. وعند مراجعة واقع المسلمين في عهد النبي ﷺ نلاحظ وجود اتجاهين: الاتجاه الأوّل اتجاه النص والالتزام التام بكلّ ما يصدر عن النبي ﷺ وهو اتجاه أغلب المسلمين وخاصة أهل بيت النبي ﷺ أصحاب الكساء ﷺ،

الاتجاه الآخر اتجاه الرأي في مقابل النص، ومن أمثلته اعتراض البعض على العدول عن نية الأفراد إلى التمتع في الحجّ في حجة الوداع عندما أمر النبي ﷺ من لم يسق الهدي من المسلمين أن يعتمروا ويحلّوا ثمّ يحرموا للحجّ^{٢٢}، واعتراض عمر على النبي ﷺ عندما حضر جنازة عبد الله بن أبي^{٢٣}، واعتراضه على النبي ﷺ عندما أراد عقد صلح الحديبية^{٢٤}، ورفضه والعدد الأكبر من قريش إنفاذ جيش أسامة^{٢٥}، واعتراضهم على أن يكتب النبي ﷺ يوم الخميس في أخريات أيام حياته كتاباً للأمة لا تضلّ بعده أبداً، وهو الحدث الذي كان عبد الله بن عباس يذرف الدمع ساخناً كلما ذكره^{٢٦}، وحديث الإفك الذي حاولت فيه عصابة ممن أظهر الإسلام توجيه الطعن لعرض النبي ﷺ بالتهم التي وجهوها للسيدة مارية القبطية (رضوان الله عليها) حتى برّأها الله^{٢٧}، ومخالفتهم أوامر النبي ﷺ يوم أحد والتي انتهت بالتفاف خيل المشركين على جيش المسلمين واستشهاد سبعين من المسلمين على رأسهم حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام) وأسد رسول الله سيّد الشهداء^{٢٨}، واعتراضهم على توزيع النبي ﷺ الغنائم يوم حنين^{٢٩}، بل إنّ النبي ﷺ لم يسلم من التظاهر عليه في بيته وبين نسائه وافشائهن لسرّه^{٣٠}، وغيرها كثير ممّا أحصته كتب التاريخ والفقهاء من مخالفات المسلمين للنبي ﷺ اتّباعاً لآرائهم وقناعاتهم على الرغم من وجود النص الصريح في وجوب اتّباع النبي ﷺ في كلّ شيء.

فهناك منهجان في واقع المسلمين وفي حياته ﷺ هما منهج النصّ وهو الذي عليه النبي ﷺ والمهتدين بهديه، ومنهج الرأي الذي كان يخالف مؤسسوه رسول الله ﷺ إلى ما يرونه، إلّا أنّ سطوة النبي ﷺ وسلطته وضعف الاتجاه الآخر جعل تأثير اتجاه الرأي في عهده ﷺ ضعيفاً للغاية إلّا أنّه ما لبث أن أصبح الاتجاه العام بعد رحيل النبي ﷺ.

أدلة التشريع في عهد النبي ﷺ

في أيام النبي ﷺ كان الوحي الإلهي وما يصدر عن النبي ﷺ الطريق لمعرفة أحكام الله تعالى، هذا بالنسبة لمنهج النص، وأما بالنسبة لمنهج الرأي فكان الذوق الشخصي المبني على الميول الشخصية أو المتوارث من مجتمع ما قبل الاسلام أو مقتضيات الصراع السياسي، الركائز الأساسية لهذا المنهج، فعلى صعيد الفقه العبادي تقدّمت مجموعة من الأمثلة سابقاً، وعلى صعيد الفقه السياسي - الخلافة - نصّ القرآن الصريح ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^{٣١} ومن حديث النبي ﷺ ما تواتر معناه من أنّه ﷺ خلف فيهم الثقلين كتاب الله وعترته أهل بيته، وأنّ المسلمين إن تمسكوا بهما فلن يضلّوا بعده أبداً وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الخوض، مضافاً الى حديث الغدير^{٣٢}، إلّا أنّ منهج الرأي نقض كلّ ذلك ورماء وراء ظهره وقرر أن تكون الخلافة بعد النبي ﷺ في غير بني هاشم من قريش الذين كانوا يعملون على ذلك منذ فتح مكة^{٣٣}، ومثاله الآخر أمر النبي ﷺ بإفناذ بعث أسامة ورفض قريش إنفاذ البعث^{٣٤}، والثالث أمر القرآن الكريم والمتواتر عن النبي ﷺ بمودة أهل البيت ﷺ إلّا أنّ اتجاه الرأي كان يبطن منذ فتحت مكة العداءة للنبي ﷺ وأهل بيته حتى أنّهم حاولوا اغتيال النبي ﷺ عدّة مرّات^{٣٥} وأظهروا لأقرباء النبي ﷺ الحسد والبغض حتى شكى العباس بن عبد المطلب وسبيعة بنت أبي هلب ذلك للنبي ﷺ^{٣٦} ثمّ أكملوا ذلك بالهجوم على دار عليّ وفاطمة عليهما السلام وجمعهم الحطب لاحتراق الدار على من فيها^{٣٧}، وعلى صعيد الفقه الاجتماعي تعالت الدعوة الجاهلية بين الأنصار وقريش في نزاع حصل بين شخصين أحدهما قرشي والآخر أنصاري، فتنادى الحيّان هذا ينادي يا لأنصار، وهذا ينادي يا لقريش^{٣٨} ولولا تدخل النبي ﷺ لوقعت الحرب بين الأنصار ومسلمة الفتح.

ومن هنا يتضح أنَّ هناك منهجين كانا في عهد النبي ﷺ: المنهج الأول وهو المنهج الذي عليه النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار وخلص من عاصر النبي ﷺ وهو منهج النص والأخذ عن النبي ﷺ وعدم تعدي ذلك إطلاقاً، والمنهج الثاني هو منهج الخليط بين الأخذ من القرآن والسنة ثم الرأي المحض في قبال النص بلا ضابطة محددة قد تصل الى التناقض التام مع النص.

التطور التشريعي الى سنة ٣٥ هـ

بعد رحيل النبي ﷺ استمر الحال على ما كان عليه من وجود المنهجين المتعارضين منهج النص ومنهج الرأي، والفارق في هذه المرحلة تحوّل زعامة السلطة الزمنية إلى أصحاب منهج الرأي كنتيجة لاتفاق قريش على تدوير السلطة بين البيوتات القرشية، ومخرج أساس لاجتماع السقيفة الذي تنازل فيه الأنصار عن سعيهم في السيطرة على مقاليد الحكم لصالح قريش، وظهر بوضوح العمل بالرأي في الموارد التي اقتضتها المصلحة السياسية، ثم عمّت الكثير من الموارد التي لم يكن لدى السلطة جواب عنها بما فيها الأحكام المتعلقة بالأفراد، وتعدي الأمر إلى تسليط الذوق الشخصي لقادة السلطة على مجال التشريع، ومن أبرز ما حفظه التاريخ في تلك الوقائع إجبار الممتنعين عن بيعه أبي بكر وعلى رأسهم أمير المؤمنين (عليه السلام) وأبي ذر والمقداد وعمّار وسلمان الفارسي والزبير بن العوام^١، وجملة من الأنصار أخرجوا من بيوتهم عنوة للبيعة، ومنع فاطمة (عليها السلام) نخلتها من رسول الله ﷺ، بحديث لم يسمعه أحد من المسلمين سوى أبي بكر: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث)^٢، وقتل مانعي الزكاة الذين وزّعوا الزكاة على فقراء أحيائهم بعد تولّي أبي بكر السلطة^٣، وحرّق الفجاءة بأمر أبي بكر مع أنّ الحرق لم يرد به نص من القرآن ولم تثبت به سيرة عن النبي ﷺ^٤، واسترقاقه نساء المسلمين

الذين رفضوا خلافته ونهب أموالهم بعد قتل رجالهم^{٤٤}، وقطع عطاء أم سلمة رضوان الله عليها لأنها انكرت على أبي بكر قوله في حق فاطمة عليها السلام أنها ثعالة شهيدته ذنبه^{٤٥}، وحرق الصحف التي دوّنت فيها أحاديث النبي صلى الله عليه وآله المسموعة منه مباشرة^{٤٦}، والإيذاء لعمر بن الخطّاب بالخلافة في سكرات الموت ومطالبة الأمة المبايعة على ما ورد في الكتاب ولم يشهد كتابة الكتاب سوى عمر وعثمان بن عفان^{٤٧}. وبعد توسّع رقعة الدولة أيام عمر بن الخطّاب ازداد العمل بالرأي ليشمل مختلف شؤون الحياة وظهر العديد من المؤسسين الجدد للرأي في هذه المرحلة تحت ظل السلطة، فزيد بن ثابت أصبح يؤسس لأحكام المواريث حتّى قيل بالعول والتعصيب^{٤٨}، وحرّم عمر متعتي النساء والحجّ^{٤٩}، وسنّ إسقاط (حي على خير العمل) وإضافة (الصلاة خير من النوم) في الاذان^{٥٠}، وحاول تحديد مهر النساء فاعتزّت عليه إحداهن، فقال كلّكم أفقه من عمر^{٥١}، وشدد في منع رواية حديث النبي صلى الله عليه وآله إلا بمقدار ما تقتضيه الضرورة في الأمور الحياتية^{٥٢}، وأمر بحرق التراث المدوّن للأمم المصرية والفارسية الذي عثر عليه في مكتبات البلدان المفتوحة عندما طلب إليه سعد بن أبي وقاص وعمر بن العاص أن يحدد لهم ما يفعلانه في مكتبات البلدان التي فتحتها جيوشهم^{٥٣}، والاستعانة بمسلمة أهل الكتاب لذكر قصص العهدين في المساجد الكبرى ونشر الثقافة اليهودية والمسيحية بين المسلمين والتي نهض بها في عهد عمر وهب بن منبه وكعب الأخبار وتيم الداري^{٥٤}، وإسقاط سهم المؤلّفة قلوبهم من الزكاة ومصادرة الخمس ومنع الهاشميين منه^{٥٥}، والتميز في العطاء على أسس خاصة بعد أن كان النبي صلى الله عليه وآله يساوي في العطاء^{٥٦}، ومصادرة نصف أموال الولاة وهي إن كانت لهم فهو غصب وإن كانت ليست لهم فترك نصفها في خزائنهم الشخصية إذنٌ بالتجاوز على الممتلكات العامة والخاصة^{٥٧}، وابتداعه

الشورى في تعيين الخليفة من بعده، فهو بعد أن رأى نشاط المواليين لأمر المؤمنين ﷺ أراد أن يطوِّق تلك الحركة فأمر بأن يجتمع ستة من القرشيين يتداولون في أمر من يكون الخليفة بعد موت عمر وهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف الزهري، وسعد بن أبي وقاص الزهري، وعثمان بن عفان الأموي، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبد الله التيمي، مع ترجيح كفة الجهة التي يكون فيها عبد الرحمن بن عوف والتي تولد عنها خلافة عثمان بن عفان^{٥٨}.

وجرى الأمر في عهد عثمان على ما تقدّمه أصحابه وكان من أبرز ما قام به التصرف بأموال المسلمين وتسليط بني أمية على مقدرات المسلمين وشيوع الجور على الرعية بمستوى لم يعد محتملاً^{٥٩}، حتى انتهى إلى الثورة ضد عثمان وإسقاط التحالف القرشي وبيعة أمير المؤمنين ﷺ التي تبنت إعادة الأمر على نصابه إلى ما كان على أيام النبي ﷺ والعودة إلى منهج النص، والتأكيد على كتاب الله تعالى، والوقوف عند سنة نبيه ﷺ والاتباع لما أمر به من اتباع القرآن والعتر في كل الشؤون التي تتعلق بأمر الدين كما هو مقتضى نص حديث الثقلين المتواتر بين المسلمين.

المنهج بعد سنة ٤٠ هـ

استشهد أمير المؤمنين ﷺ في شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة، وتمكّن معاوية من السيطرة على مقاليد الحكم بعد ستة أشهر من شهادة أمير المؤمنين ﷺ وعاد اتجاه الرأي ليحكم المسلمين بأبشع الصور، حيث تحوّل نظام الحكم إلى النظام الوراثي بعد أن كان على أساس تدوير السلطة بين بطون قريش، لينتهي بذلك التحالف القرشي إلى الأبد بعد أن بلغ به الضعف أقصى درجاته في حرب الجمل، التي كانت تمثل أحد نتائج العمل

بالرأي في مقابل النص في دائرة الفقه السياسي، وتبعتها في ذلك حرب صفين والنهروان، وبوصول معاوية الى سدة الحكم أطلقت اليد للفتاوى غير المنضبطة والروايات الكاذبة الموضوعة^{٦٠} والعمل بالرأي واستباحة الدماء على أساس مخالفة السلطان^{٦١} وقتل الصالحين الذين من أبرزهم حجر بن عدي وأصحابه^{٦٢} وأضيف إليها فتاوى فقهاء البلاط في حرمة الخروج على الحاكم وإن كان جائراً، ولزوم إطاعة حكام الجور^{٦٣} فضلاً عن فتاوى السلب والنهب التي عمت البلاد المفتوحة بحيث تحولت القوات التي تفتح البلدان المختلفة الى عصابات سرقة مقدرات الأمم تحت عنوان الغنائم والتي أدت إلى استعباد الأمم، ومن غرائب فتاوى الحكم آنذاك إجراء الأحكام المالية المطبقة على غير المسلمين على مسلمي الموالي لضمان رفق خزائن الخلفاء بالمال^{٦٤}.

لقد أسهمت الفترة التي تلت النبي ﷺ وخاصة فترة سلطة بني أمية إلى إيجاد كم روائي هائل مليء بالوضع والتحريف والتزييف بما يخدم غايات السلطة ويضعف خصومها ويستهدفهم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً. وفي مقابل المدرسة الأموية التي تمتد جذورها الى مدرسة الرأي كانت مدرسة أهل البيت ﷺ قد احتفظت بمنهجها في العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولم تحذف عنها طرفة عين، تعمل بجد على حفظ التراث الديني الصحيح البعيد عن الأهواء والانحرافات والخضوع لغايات السلطات، وكانت مرحلة التاصيل الفقهي في عهد الإمام الصادق عليه السلام إحدى أبرز نتاجاتها والتي ظهرت آثارها بوضوح بعد ضعف سلطة منهج الرأي وشيوع الحرية الفكرية في القرنين الرابع والخامس الهجريين عندما تولى البويهيون الحكم في ظل ضعف الحكم العباسي^{٦٥}، قبل عودة المنهج الإقصائي على يد السلاجقة^{٦٦}.

وخلاصة ما تقدم أن جذور الخلاف الفقهي تمتد الى ايام النبي ﷺ حيث ظهرت جذور مدرسة الرأي في مقابل النص على يد بعض من عاصر النبي ﷺ، وأما أدلة التشريع المعتمدة عند المدرستين فهي في مدرسة النص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فلا يقدم عليهما شيء إطلاقاً، وأما أدلة التشريع عند مدرسة الرأي فهي الرأي، وهو المقدم واقعاً إذا كانت المصلحة السياسية أو الفتوية أو الشخصية تقتضيه، ثم الكتاب، ثم السنة التي لوثت بالوضع والدس والتحريف في النصوص بحيث أصبح المجموع سنة، وأضيف إليها العمل بالظنون كنتيجة لتطور أدلة التشريع في تلك المدرسة.

ويمكن إجمال أدوار الفقه إلى دورين أساسيين دور الحديث وفيه كانت تنقل النصوص لتحديد الأحكام الفقهية وامتد هذا الدور إلى القرن الرابع الهجري، حيث كانت العناية فائقة بجمع الأحاديث وتبويبها، فظهرت العديد من مجاميع الحديث كالأصول الأربعمئة التي نقلت نصوص روايات أهل البيت (عليهم السلام) والتي تولد عنها مجاميع حديثة مهمة عنيت بأمر الفقه ككتاب الكافي لثقة الإسلام الكليني (نور الله مرقدته) وكتاب من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (أعلى الله مقامه) وكتابي التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي (رضوان الله عليه)، وفي المدرسة الأخرى ظهرت عدة مجاميع حديثة كالموطأ لمالك بن أنس والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني والمصنف لابن أبي شيبه الكوفي وأمثالها والتي تولد عنها أمثال كتاب البخاري ومسلم القشيري ومعجم ابن أبي داود والترمذي وغيرها. المرحلة الثانية مرحلة التأسيس للقواعد الفقهية والأصولية والتي تبلورت في القرن الرابع الهجري على يد الشيخ المفيد + السيد المرتضى (أعلى الله مقامه) والشيخ الطوسي (نور الله مرقدته) في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وفي المدارس

الأخرى على يد أبي الحسين البصري المعتزلي والدبوس والخصاص من أتباع مذهب أبي حنيفة والباقلاني من فقهاء المذهب المالكي ويحيى المرتضى من فقهاء المذهب الزيدي والفراء من فقهاء المذهب الحنبلي، هذا فضلاً عن فقهاء المذهب الشافعي الذين تركزت جهودهم في شرح آراء مؤسس المذهب محمد بن إدريس الشافعي.

وما جاء بعد المرحلة الثانية من التأسيس عيال على تلك المرحلة وتطوير للمناهج التي اتبعت فيها على الصعيد الفقهي.

المبحث الثاني: القياس معناه والحاجة إليه وأهميته في المدارس الفقهية

معنى القياس

للقياس معنيان أحدهما أصبح مهجوراً وهو المعنى الذي شاع بين المتقدمين من أهل الرأي وفحواه: التماس العلل الواقعية للاحكام الشرعية وجعلها مقياساً لصحة النصوص التشريعية فما وافق الأصول فهو حكم الله الذي يؤخذ به، وما خالفه كان موضعاً للشك والرفض. وهذا المعنى من القياس كان معركة الآراء في عهد الامام الصادق (عليه السلام).^{٦٧}

وأما المعنى الآخر للقياس فهو إثبات حكم الأصل في الفرع لوجود علة مشتركة فيهما. وهو المعنى الذي وقع فيه الأخذ والرد بين المذاهب الفقهية على اختلاف توجهاتها.

والقياس يمكن أن يقسم إلى قسمين رئيسيين: الأول القياس منصوص العلة، وهو الذي تكون علة الحكم فيه منصوص عليها من قبل الشارع المقدس، وأخرى تكون علة القياس غير منصوصة فتكون مستنبطة أي أن الفقيه أعمل جهده للوصول إلى علة الحكم فتكون تلك العلة ظنية لاحتمالية أن يكون ما ظنه الفقيه علة ليست بعلة للحكم، أو أنّها جزء علة وليست العلة التامة للحكم.

وفي القياس منصوص العلة لا يتحقق القياس المصطلح عليه فقهيًا، بل يكون من باب تطبيق كبريات القضية على مصاديقها، فمثلاً في قوله تعالى ﴿وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾^{٦٨} فعندما يأتي قوله تعالى ﴿ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾^{٦٩} فالنهي عن قول (أف) والنهر من لوازم الأمر بالإحسان، ومثله النهي عن ضربهما فهو من لوازم الأمر بالإحسان أيضاً فالحكم فيه من تطبيق كبريات الإحسان إلى الوالدين.

أمّا القياس الذي تكون العلة فيه بين الفرع والأصل مستنبطة فهو مورد الخلاف بين المدارس الفقهية، وعلى هذا يتبين لنا أن الخلاف في القياس مرّ تاريخياً بمرحلتين الأولى التي كانت على عهد الإمام الصادق عليه السلام والتي كان الصراع فيها في قياس النصوص على ما اعتبره متقدموا أهل الرأي أصولاً للشريعة وعرض الروايات على تلك الأصول فما وافق تلك الأصول أخذوا به وما عارضها أسقطوه، والثانية هي استنباط حكم الفرع من الأصل لعلّة مستنبطة - غير منصوص عليها من قبل الشارع - والقياس بمعنييه مورد البحث لأنّه يتعلّق بموقف الإمام الصادق عليه السلام من القياس^{٧٠}.

الحاجة الى القياس

ذهب أبناء العامة إلى انتهاء عصر النص برحيل النبي ﷺ فقول وفعل وتقرير عدا النبي ﷺ لا يفيد حكماً شرعياً، وبعد منع رواية الحديث وتدوينه في أيام أبي بكر وعمر وعثمان ثم إطلاق العنان لوضع الحديث في أيام الأمويين مع التضييق في رواية أحاديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومطاردة أتباع أهل البيت عليه السلام واستمرار ذلك الى أيام عمر بن عبد العزيز الذي أوكل إلى الزهري مسؤولية جمع الحديث غثه وسمينه والذي أدى الى جمع كلّ المرويات ما صحّ منها وما بطل^{٧١}، الأمر الذي دفع اتجاه مدرسة أبي حنيفة الكوفية^{٧٢}

إلى رفض الكثير من الأحاديث نتيجة لكثرة الوضع وشيوع الأحاديث الموضوعية وصعوبة تمييز الحديث الصادر عن النبي ﷺ عن الحديث الموضوع والمكذوب عليه عليه ﷺ، وبناء مدرسة الرأي على عدم الاعتماد على الأحاديث الضعيفة أصبح اللجوء إلى أدلة إضافية سوى الأحاديث حاجة ملحة لسدّ النقص الحاصل في أدلة الأحكام إذ لم يسلم لديهم من الأحاديث إلا نزر يسير لا يفي بالحاجة في سدّ الفراغ التشريعي، فاعتمدوا قول الصحابي وإجماع الصحابة والرأي والقياس في مدرستهم.

وانسحب الأمر نفسه إلى مدرسة الحديث في المدينة التي تزعمها مالك بن أنس، والتي على الرغم من تبنّيها العمل حتى بالأحاديث الضعيفة إلا أنّ حصيلتها الروائية لم تكن كافية لسدّ جميع الاحتياجات التشريعية، فأضافوا إليها إجماع أهل المدينة والمصالح المرسلة والاستحسان والقياس وعلى خلاف مدرسة أبي حنيفة رفضوا العمل بالرأي^{٧٣}، وبين هاتين المدرستين اختار الأوزاعي^{٧٤} الوقوف عند النص قرناً وسنة، ورفض العمل بالقياس والرأي وغيرهما من الأدلة الأخرى، ولعل حضوره عند الإمامين الصادقين (عليهما السلام) وفر له حصيلة روائية كان يمكنه أن يسدّ من خلالها النقص الروائي الذي ابتليت به مدرسة الرأي - حسب اصطلاحنا - بعد حرقها النصوص ومنعها تدوين الحديث ونشره.

وفي قبال هذه الاتجاهات كانت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في غنى تامّ عن الأدلة الظنية سواء ما كان منها روائياً أو عقلياً لأنّ أهل البيت (عليهم السلام) هم الأمناء على حلال الله وحرامه، وهم الامتداد للنبي (عليه السلام) وخزنة علمه ومستودع سرّه يرثون ذلك كابراً عن كابر.

موقع القياس في المدارس الفقهية

اتفقت كلمات الأصوليين على أنَّ القياس من الأدلة الظنية العقلية، واختلفت كلماتهم في حجّية القياس في استنباط الحكم الشرعي، فذهبت مدرسة أهل البيت (عليه السلام) إلى عدم حجّية القياس، وزخر تراثهم الروائي بالنصوص المانعة من العمل به واعتبار العمل بالقياس محقاً للدين وتضييعاً لشرع سيّد المرسلين (عليه السلام) لأنّ الشرع موقوف على النصّ فلا ينتقل عنه إلى غيره إلّا بدليل من الشرع نفسه، ووافقهم في ذلك الأوزاعي فقيه أهل الشام وداود الظاهري^{٧٥} وأبو إسحق النظام ومن تبعه وجعفر بن حرب الهمداني وجعفر بن مبشر الثقفي وهما من معتزلة بغداد من علماء القرن الثالث الهجري ومحمد بن عبد الله الإسكافي المعتزلي والكثير من الخوارج وأغلب الزيدية، بينما ذهب أتباع المذاهب الأربعة إلى جواز العمل بالقياس استناداً إلى إجماع الصحابة كما صرح بذلك أبو الحسين البصري في المعتمد أو بعمل الصحابة به وعدم إنكار من لم يعمل به على العاملين بالقياس كما هو استدلال المرتضى من الزيدية على حجّية القياس، ومثله ادّعاء أبي بكر الجصاص بعدم وجود خلاف بين الصدر الأوّل من المسلمين في جواز التعمّد بالقياس^{٧٦}.

وحيث إنّ القياس من الأدلة الظنية العقلية فهو بحاجة إلى دليل قطعي يثبت جواز الاستناد إليه، وقد استدل له - كما تقدّم - بإجماع الصحابة أو انقسام الصحابة إلى قسمين عامل به وسأكت عن العاملين به، وأمّا إجماع الصحابة فهو دعوى بلا دليل بل الدليل قائم على عدم إجماعهم على جواز العمل بالقياس فقد أنكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) على العاملين بالقياس وقد روي عنه أنّ الدين لو كان بالقياس لكان مسح باطن الخف أولى من مسح ظاهرها، واستدلال يحيى المرتضى بالسكوت

عن القائسين الكاشف عن رضاهم، غير تام أيضاً، فكثير من الأمور كانت تجري بلا نكير كحرق أبي بكر الفجاءة، وسيه نساء المسلمين، ويبعهن إماءً في حادثة بني حنفية، وقتل المسلمين دون القود من قتلهم أو دفع ديتهم كما حصل مع بني يربوع، فضلاً عن حرق الأحاديث النبوية ومنع روايتها وتدوينها^{٧٧}، وغير ذلك كثير، وبالنتيجة فلا الإجماع مسلّم ولا كاشفية السكوت عن الرضا ثابتة، فتبقى أمارية القياس غير ثابتة الحجّية، بل معلومة انتفاء الحجّية لما ورد من النهي عن العمل بها، فضلاً عن اختلاف الأمّة في جواز التعبد به، فهو ليس من المسلّمات الأصولية بين المسلمين، ولا دليل يقينياً يجزم معه بجواز التعبد به، ولو فرضنا جدلاً تحقّق إجماع الصحابة على العمل به، فالكلام ينقل الى حجّية إجماع الصحابة فإنّ الصحابة في إجماعهم إمّا أن يكونوا قد استندوا إلى دليل من القرآن أو السنّة أو لا، والقرآن بين أيدينا وليس فيه ما يدلّ على نحو القطع واليقين على جواز العمل بالقياس، وأمّا السنّة فنصوصها كذلك بين أيدينا ولا يوجد نصّ متواتر يميز التعبد بالقياس وإلّا لما وقع الخلاف بين المسلمين في حجّيته، وإن ادّعي أن فعل النبي ﷺ دلّ على ذلك فهذه الدعوى ينفيها القرآن الكريم حيث يقول ﴿وما ينطق عن الهوى﴾* إن هو إلا وحي يوحى^{٧٨}، وإن ادّعي تقريره ﷺ فهو كسابقه لم يثبت مثل هذا بالتواتر المفيد للعلم بجواز الاستناد.

ومن هنا يتبيّن أنّ موقع القياس في الاستنباط الفقهي يختلف بحسب رأي المدرسة الفقهية فمن ذهب الى عدم جواز الاستناد الى القياس في الاستنباط الفقهي نفى أن يكون له أي موقع في عملية الاستدلال، وأمّا من ذهب إلى ثبوت جواز التعبد بالقياس فمرتبة القياس عنده تأتي في مرتبة الأدلة الظنية فلا يعمل بالقياس في حال وجود نصّ قرآني أو حديث

متواتر لأنَّهما أدلة قطعية مفيدة للعلم فلا يقدّم القياس وهو دليل ظني عليهما واختلفوا بعد ذلك في تقديم القياس على خبر الواحد - على القول بجواز العمل به - فمن كان يرى أنَّ القياس أقوى دليلاً أو دلالة من خبر الواحد قدم القياس ومن يرى العكس قدّم خبر الأحاد، كما وقع الخلاف بينهم في أهلية القياس لتخصيص العام القرآني أو الثابت بالسنة المتواترة^{٧٩}.

المبحث الثالث: موقف الامام الصادق (عليه السلام) من القياس وأثره في

الفقه الاسلامي

بيّنا فيما تقدّم أنَّ الامام الصادق (عليه السلام) كان ينهى عن العمل بالقياس، وموقف الإمام الصادق (عليه السلام) من المنع من العلم بالقياس منبثق عن كونه (عليه السلام) محييط بمسائل التشريع وهو بمقام عصمته ودلالة حديث الثقلين والنصوص الخاصة أحد مصادر التشريع بمعنى أنَّ ما يصدر عنه امتداد للسنة النبوية المطهرة، فما يصدر عنه من نهي عن العمل بالقياس ليست قضية اجتهادية كي يجوز لأي مجتهد يتتبع اجتهاده إلى جواز الاعتماد على القياس مخالفة ما يقوله الإمام الصادق (عليه السلام) بل إنَّ الدليل الذي ينفي الإمام الصادق حجّيته يفقد مشروعية العمل على طبقه، وقد أبرز الإمام الصادق (عليه السلام) المنع من العمل بالقياس في ثلاث طرق الاول بيان أنَّ العمل بالقياس غير جائز عندما يُسأل عن القياس، والثاني نهي من يقيسون عن العمل بالقياس، والثالث مناقشته القائلين بالقياس، وقد نقل لنا التاريخ مناقشة الامام الصادق (عليه السلام) مع أبي حنيفة حيث نقض (عليه السلام) جواز الاستناد إلى القياس من خلال إثارة جملة من الاعتراضات التي لا يمكن أن يصمد القياس أمامها.

فتفرّق بكم عن سبيله^{٨٩} ومن هذا البيان القرآني يتضح أنّ السبيل الإلهي سبيل واحد غير متعدد وأنّ الذي يجب اتّباعه للوصول إلى ما يريد الله تعالى طريق محدد بالنبي ﷺ ومن تحلّى بالملاكات التي فيه ﷺ التي تجعله مؤهلاً لحمل الأمانة الإلهية، وهذه الملاكات يكشف عنها الاصطفاء، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^{٩٠} وقال في حقّ مريم ؑ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَيْنَا الْعَالَمِينَ﴾^{٩١} فالأدلاء على الله والدالين على مرضاته والذين يتحقق باتّباعهم اتّباع سبيل الله هم المصطفون من الخلق دون غيرهم من الناس، وملاك الاصطفاء هذا متحقق في أهل البيت ﷺ الذين أخبر الله تعالى في سورة الأحزاب بتطهيرهم، وخصّ سورة الإنسان للحديث عنهم، وأعلن فيها عن ضمان خاتمة أمرهم، فكلّ بني الإنسان من غير المصطفين غير معلوم الخاتمة^{٩٢} إلّا هؤلاء فقد أعلن الله تعالى ما لهم من مقام عند الله تعالى، ومن هنا فإنّ الاستدلال بفعل أي شخص لم يكن من المصطفين إنّما هو استدلال بفعل من قد يصيب وقد يخطأ ومثله لم يجعله الله حجة بينه وبين خلقه.

وقد دل المتواتر من السنة النبوية أنّ أهل البيت ﷺ سيكونون مع القرآن لا يفارقهم ولا يفارقونه حتى يردون الحوض، وبعبارة أخرى: إنّ المصطفين من الخلق لن تخلو الأرض منهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وحيث إنّ الاصطفاء لطف خفي لا يمكن أن يعرف إلّا من طريق من اختارهم الله تعالى لذا فإنّ طريق معرفة المصطفين منحصر بالرجوع إلى النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ^{٩٣}.

وبالعودة إلى القياس نجد أنَّ الأدلة القطعية اليقينية لا تدل على جواز العمل بالقياس، فليس في القرآن أي دليل يجوز العمل به، ولم يثبت عن النبي ﷺ دليل على جواز العمل به، وكذا لم يرد عن أهل البيت ﷺ جواز العمل به فالعمل بالقياس إنما هو عمل بالظن الذي منع عموم الآيات الشريفة من العمل به.

بل مما زاد على ذلك نهي الأئمة ﷺ عن العمل بالقياس، فبعد ثبوت كونهم ﷺ حجج الله على الأرض والمبلغين عن الله يدل نهيهم على عدم مشروعية العمل بالقياس.

ومن الأمثلة التي حفظها لنا التاريخ عن موقف الإمام الصادق ﷺ تجاه القياس:

١- رسالة منه ﷺ إلى أهل القياس ينفي فيها أهلية العقل البشري لإدراك الأحكام الإلهية مستدلاً على ذلك بأدلة تنير العقول وتنبه الفطن، فأشار ﷺ إلى أنَّ العقول لو كانت مؤهلة لإصابة أحكام الله تعالى، لما كان ما يدعو الله تعالى أن يرسل الأنبياء والمرسلين وقيم للناس من يعلمهم أحكام الله تعالى، ولاكتفى بإدراك الناس في معرفة الأحكام الإلهية والتشريعات الربانية^{٩٤}.

٢- إنَّ العمل بالقياس والرأي ينتج أنَّ من ينقل إليه الحكم بالرأي والقياس له أهلية أن يكون له رأي وقياس أيضاً ولو بعد حين فيمكن للمنقول إليه الحكم بالقياس أو الرأي بعد تحقق القدرة لديه أن يكون له رأي أن يخالف رأي من نقل إليه الحكم؛ لأنَّ قياسه خالف القياس السابق، أو أنَّ اجتهاده خالف اجتهاد من سبقه، وبالتالي في حال وجود خلاف في مسألة ما واختلاف القياس فيها بين الطرفين لن يكون هناك حسم للخلاف الواقع بينهما.

٣- لو كان القياس والرأي جائزاً لاستعمله الأنبياء ولم ينتظروا في خطير الأمور وبسيطها الوحي الإلهي، فعندما جاءت الأنصارية إلى النبي ﷺ

وهبت نفسها له لم يقس الرسول ﷺ أمرها على قبول الهبة ليقبلها، ولم يقسها كذلك على أن الزواج لا يكون إلا بمهر فirdها، بل جزأها خيراً وطلب إليها أن ترجع حتى يأتي أمر الله تعالى فيها فأنزل الله تعالى حكمه فيها وجعل الأمر من مختصاته ﷺ فلا يجوز لغيره ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾^{٩٥}، بل القرآن صريح أن القول بالرأي والقياس لا يجوز حتى للنبي ﷺ ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين﴾^{٩٦-٩٧}.

٤- ويصرح الإمام الصادق عليه السلام أن من طلب الحق بالقياس والرأي لم يزد من الله إلا بعداً^{٩٨}، وذلك لما قاله لأحد أصحابه حينما أخبره أنه في بعض الأحيان لا يجد في القرآن والسنة ما فيه حكم المورد الذي يتعرض له فيعمل بالقياس فأخبره عليه السلام أنه إن أخطأ يكون قد كذب على الله، وإن أصاب لا يؤجر على فعله لأن الله لم يأذن بأن يعمل بالقياس^{٩٩}.

٥- ويبين الإمام الصادق عليه السلام أن الله تعالى بعث المرسلين لقطع مادة النزاع والخلاف، فلم يأذن أن يكون الانبياء تارة تابعين وأخرى متبوعين بل كلامهم هو الفصل ولا يجوز مخالفته بأي حال من الأحوال، بينما الرأي والقياس يقع فيه الخلاف فلا يتبع صاحبه دائماً^{١٠٠}.

٦- وضح الإمام الصادق عليه السلام أن العمل يجب أن يكون باتباع الأثر، والقياس والرأي ليسا من الأثر، عندما سألته ورقة عن القياس فقال له عليه السلام (أنتم قوم تحملون الحلال على السنة ونحن قوم نتبع على الأثر)^{١٠١}.

٧- بين الإمام الصادق عليه السلام أن القول بالقياس يلزم منه دعوى عدم تبليغ النبي ﷺ الأمة ما تحتاج إليه من أحكام، والنبي ﷺ قد بلغ الأمة ما تحتاج إليه إلى يوم القيامة^{١٠٢}.

٨- وفي حديث الإمام الصادق (عليه السلام) مع ابن شبرمة القاضي، بعدما سأله ابن شبرمة عن القياس في القضاء، والإمام (عليه السلام) يتجاهل السؤال والناس تنصت فأجابه في المرة الثالثة بعد أن سأله أن علياً (عليه السلام) كان عندهم في الكوفة فكيف رأيته به، فأثنى ابن شبرمة على أمير المؤمنين (عليه السلام) ثناءً عظيماً، فأجابه (عليه السلام) (فإن علياً أبي أن يدخل في دين الله الرأي وأن يقول في شيء من دين الله بالرأي والمقائيس) ١٠٣.

٩- وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام مع أبان في مسألة الديات وتفاوت دية الرجل عن دية المرأة قال عليه السلام (يا أبان حدّثني بالقياس وإنّ السنّة إذا قيسَتْ مُحَقِّقُ الدين).^{١٠٤}

١٠- وفي نقاش دار بين الإمام الصادق عليه السلام وأبي حنيفة حول القياس أنكروا الإمام عليه السلام على أبي حنيفة عمله بالقياس، ثمَّ اعترض على القياس بأمثلة منها أنَّه سأل أبا حنيفة أيهما أعظم الجنبات أم البول فأجاب أبو حنيفة الجنبات أعظم لأنَّها موجبة للغسل والبول موجب للوضوء، فاعترض عليه الإمام عليه السلام فلم يطهر الثوب الذي لاقى المنى بالغسل مرَّة ولا يطهر الثوب الذي لاقى البول إلَّا بالغسل مرتين، وسأله عن الصوم والصلاة أيُّهما أهم فأجاب أبو حنيفة بأهمية الصلاة، فاعترض عليه الإمام عليه السلام بأنَّ الحائض لم تقضي صيامها دون الصلاة، وسأله عليه السلام عن الأهم القتل أم الزنا، فأجابه: القتل، فاعترض عليه السلام فكيف يثبت القتل بشاهدين ولا يثبت الزنا إلَّا بأربعة شهود، وعدد في ذلك المجلس الذي جمعه مع أبي حنيفة العديد من الأمثلة التي تثبت بطلان القياس^{١٠}.

١١- تأثير الإمام الصادق عليه السلام في مسألة القياس

إنَّ ما قام به الإمام الصادق عليه السلام من نقد القياس وبيان بطلان الاستدلال به، أدَّى إلى عدم العمل به في أوساط أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام على مر

العصور، كما أنه أثر في بعض الاتجاهات الفقهية من غير أتباع أهل البيت عليهم السلام فالنظام والجعفران من المعتزلة ذهبوا إلى عدم حجّة القياس، لأنّ الشارع لا يمكن أن يتعبّد الناس بالظن، كما ذهب الأوزاعي إمام أهل الشام إلى عدم حجّة غير النص وهو ممّن حضر على يد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وتبعه على ذلك داود الظاهري من علماء القرن الثالث الهجري ولا يبعد تأثره بمنهج الأئمة عليهم السلام في المنع من العمل بالأدلة الظنية.

وأما في الوسط الشيعي فإنّ الشيعة ذهبوا إلى نفي الحجّة عن مطلق الأدلة الظنية عقلية كانت أو لفظية حتّى أنّهم منعوا من العمل بأخبار الآحاد التي لا تقترن بما يوجب العلم بمضمونها واستمر ذلك فيهم إلى القرن السادس الهجري، وفي القرن السادس الهجري ذهب العلامة الحليّ إلى جواز العمل بأخبار الآحاد مستدلاً على ذلك بأدلة لم يرتضها المتقدمون.

الخاتمة

منذ أيام النبي صلى الله عليه وآله ظهر في مجتمع المسلمين اتجاهان هما اتجاه التسليم والاتباع للنبي صلى الله عليه وآله وعدم تخطّي ما يدلّ عليه النصّ قرآناً أو سنة نبوية في جميع الأمور السياسية منها والفقهية والعقائدية والأخلاقية، واتّجاه اتّخذ الرأي طريقاً ومنهجاً حتّى وإن أدّى ذلك إلى مخالفة النصّ الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

مثّل الاتجاه الأوّل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام ومن سار على هديه ممّن عاصر النبي صلى الله عليه وآله أو تبعهم على ذلك. ومثّل الركب الثاني قريش ومن سار في ركبها.

ظهرت على الساحة الإسلامية مدرستان، المدرسة الأولى مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهي التي عرفت بمدرسة النصّ، والثانية هي مدرسة الرأي التي

اشترك في التأسيس لها قريش عامة وبعض الأنصار، ومن أبرز القرشيين الذي وضعوا لبناتها أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة، ومن الأنصار زيد بن ثابت، ومن عداهم أبو هريرة الدوسي. وأما من كان له الدور البارز بينهم فهم عمر وعائشة وزيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود - على قول -، وتفرّعت عنهم مدرستا الكوفة والمدينة.

عرفت مدرسة أهل المدينة بمدرسة الحديث لأنها اعتمدت أي حديث وإن كان ضعيفاً وجعلته المناط وقدّمته حتّى على القرآن مضافاً إلى القياس وقول الصحابي وإجماع أهل المدينة والمصالح المرسلة وسد الذرائع، وتزعم هذه المدرسة في الطبقة الثانية سالم بن عبد الله بن عمر ثمّ رافع مولاه وبعده مالك بن أنس الذي وضع أسس مدرسة الحديث وكان مالك معاصراً للإمام الصادق والإمام الكاظم (عليه السلام) وكان محلّ رضا الأمويين والعبّاسيين من بعدهم، وطلب إليه المنصور العباسي أن يكتب كتاباً في الفقه يحمل الأمة على العمل به فكتب الموطأ.

وأما مدرسة الكوفة فإنّ سلسلتها - كما يدعى - أنّ المؤسس الأوّل لمنهجها عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ثمّ علقمة بن قيس ثمّ حماد بن عثمان ثمّ أبو حنيفة الذي وضع أسس مذهب الرأي وكان يعتمد بالدرجة الأساس على الرأي والقياس وقدمه على الأحاديث الظنية، فأصبحت الأدلة لدى هذه المدرسة الكتاب والسنة الثابتة والرأي والقياس والاستحسان وإجماع الأمة وقول الصحابي إذا كان من الفقهاء، وكان أبو حنيفة معاصراً للإمام الصادق (عليه السلام) والتقاء عدة مرّات، وكان ابن مسعود وعلقمة من المخالفين لبني أمية فابن مسعود دفع حياته ثمناً لرفضه تلاعب عثمان بأموال المسلمين، وعلقمة شهد صفين مع أمير المؤمنين (عليه السلام) وأبو حنيفة رفض تولي القضاء لبني أمية وبني العباس وافتنى ببطلان خلافة بني

العباس وأفتى بالجهاد مع النفس الزكية وأخيه إبراهيم ودفع حياته ثمناً لهذه المواقف إذ سجنه المنصور وعذّبه وقيل دسّ له السمّ في سجنه.

ثم تفرّعت على مدرسة الحديث والرأي مدرسة الشافعي، ومدرسة أحمد بن حنبل التي تعتبر من مدرسة الحديث أيضاً، وعرف عن الشافعي ميله للعلويين الأمر الذي كاد أن يودي بحياته ثمّ قرّبه العبّاسيون وانتشر مذهبه في مناطق انتشار مذهب أبي حنيفة، ودفع حياته ثمناً لنقده آراء فقهاء السنة كالأوزاعي وأبي حنيفة ومالك بعد أن انتقل إلى مصر للتدريس فيها، وأمّا أحمد بن حنبل فكان بينه وبين المعتزلة إحن وكان شديد الانحراف عن الشيعة وقرّبه المتوكل العبّاسي، فابن حنبل كان معاصراً للإمام الجواد والإمام الهادي والعسكري (عليهم السلام).

ومن المذاهب التي تفرّعت عن مدرسة الرأي - مدرسة قريش - مذهب الخوارج ومذهب الاعتزال اللذين كان لهما تأثير كبير في تطور الفكر السني وابتدأ نشوءهما في البصرة ثم انقسما إلى مدرستي بغداد والبصرة وتعرضتا للإبادة على يد اتباع المذاهب السنية الأخرى.

وكان القياس أحد مصادر الاستنباط لدى فقهاء مدرسة الرأي بمختلف اتجاهاتها عدا المذهب الظاهري وهو مذهب منقرض ومذهب الأوزاعي وانقرض كذلك.

ويكمن الخطر في القياس أنّه يؤدي إلى تسليط الفكر البشري على التشريع، ويجعل عقل الإنسان مصدر تشريع بحسب إدراكه وفهمه، وينتهي الأمر إلى ظهور الخلاف في الأمة بسبب الاختلاف في القياس بين القائسين، لأنّ القياس في النهاية يعتمد على الفكر البشري، إذ يقوم القائس بالمقارنة بين موضوعين أحدهما ثبت له الحكم الشرعي والآخر مجهول حكمه الشرعي ويبحث القائس عن علة الحكم في الموضوع الذي عرف حكمه، وفي الأعمّ الأغلب تكون علة التشريع غير معروفة، فيتنقل من خلال ظنونه إلى تحديد علة للحكم فإذا وجد

علّة الحكم في الموضوع الذي يبحث عن حكمه قاس بين الموضوعين وأثبت الحكم المعلوم للموضوع المجهول حكمه، فكلّ هذه العملية الاستنباطية ليس فيها رجوع لدليل لإثبات حكم الموضوع المجهول، بل ظن بوجود علّة في الموضوعين على أساسها يفتي القائل بحكم الموضوع مجهول الحكم، فالعملية عملية ادراك بشري ظني، وحيث إنّ الظن ورد النهي عنه في آيات الكتاب العزيز ولم يرد مخصص يمكن الاعتماد عليه في إخراج القياس من دائرة النهي فيبقى الحكم فيه بأنّه دليل عقلي ظني لم يثبت استثنائه من عدم جواز الرجوع إلى الظنون في استنباط الأحكام.

وقد أبدى أئمة أهل البيت عليهم السلام اعتراضهم الشديد على العمل بالقياس وصرّحوا بأنّ اللجوء إلى القياس فيه محق للدين، وشددوا النكير على من يعمل بالقياس حتى قالوا أول من قاس إبليس ثم بينوا أنّ الله تعالى لو علم أنّ العقل البشري قادر على أن يدرك أحكام الشريعة لما كانت هناك حاجة إلى بعث الأنبياء، فبعث الأنبياء كاشف عن قصور العقل البشري عن إدراك الأحكام الشرعية، وأنّ الله تعالى أنزل دينا كاملاً، إلّا أنّ الناس اتّبعوا أهواءهم وابتعدوا عمّا أمرهم الله تعالى بالالتزام به وهو القرآن والسنة النبوية التي دلّت على لزوم اتباع أهل البيت عليهم السلام بعد النبي صلّى الله عليه وآله.

إنّ استمرار نكير أهل البيت عليهم السلام على العمل بالقياس والإمام الصادق عليه السلام منهم بصورة خاصة باعتبار الفسحة التي أتيحت له في بيان الأحكام وكثرة من حضر درسه من العلماء مهّدت لنشر آراء أهل البيت عليهم السلام في نفى حجّية القياس، وقد أسهم ذلك في رفض بعض المعتزلة والاوزاعي وداود الظاهري العمل بالقياس، واستمرار مدرسة أهل البيت عليهم السلام على نفى حجّية القياس إلى يومنا هذا.

الهوامش:

- ١ - انظر الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ٤ ص ٦٨.
- ٢ - انظر، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٨ ص ٣٦٦، أبو سليمان الفقيه داود بن علي بن خلف أصبهاني الأصل، تلمذ على علماء أصبهان، ثم ارتحل إلى نيسابور فدرس على علمائها، ثم انتقل إلى بغداد، توفي سنة ٢٧٠ هـ أي أنه كان معاصراً للنشاط الفقهي في بغداد التي كانت تعد من أهم مراكز العلم حينها، وكانت الدولة العباسية حينها في سامراء، عاصر من الائمة الهادي والعسكري (عليه السلام)، وتوفي في عصر الغيبة الصغرى. كان يعمل بظاهر الأخبار، ونقل عنه القول بالتجسيم.
- ٣ - ظهرت مدرسة الاعتزال في البصرة على يد واصل بن عطاء، ويعتبر ظهورها نقلة في واقع الفكر الكلامي لأبناء السنة، إذ أدخلوا العقل كمصدر مهم للفكر، يعتبر أول مؤسسيها واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصري، ظهرت المدرسة في البصرة، ثم انتشرت في مختلف بقاع العالم الإسلامي، ولاقت رواجاً كبيراً، وكانت تمثل خروجاً عن نمط التفكير المتعارف في مدرسة الرأي حيث كان يغلب عليهم القول بالجبر، قرّبهم المأمون، ونكل بهم المتوكل، ثم عادوا إلى الصدارة أيام بني بويه، ثم كانت نكبتهم العظمى على يد السلاجقة والصفاريين والظاهرين، وتعرضوا للإبادة الفكرية والجسدية وضاع تراثهم إلا ما ندر منه. من أبرز شخصياتهم القاضي عبد الجبار المعتزلي وأبو الحسين البصري وأبو عمرو الجاحظ وابن أبي الحديد شارح كتاب نهج البلاغة وأبو جعفر الإسكاف صاحب كتاب المعيار والموازنة وأبو إسحاق النّظام.
- ٤ - قوم من الأتراك تمكنوا بمعونة الخليفة العباسي من القضاء على الدولة البويهية، كانوا بعيدين يتميزون بعصبية شديدة وعداء كبير لأتباع أهل البيت (عليهم السلام)، وبعيدون عن احترام العلم والعلماء، أحرقوا مكتبة عضد الدولة البويهي التي تعدّ في وقتها أعظم المكتبات، وأحرقوا مكتبة الشيخ الطوسي وكرسي تدريسه، أسسوا المدرسة المستنصرية في بغداد ومنعوا تدريس غير مذهب الشافعي فيها، ومنعوا غير أتباع الشافعي من تولّي القضاء، ثم عدلوا إلى تأييد المذهب الحنفي، تسببوا في هجرة الشيخ الطوسي من بغداد إلى النجف بعد أن حرقوا مكتبته وكرسي تدريسه.
- ٥ - لسورة الإسراء: الآية ٢٣.
- ٦ - انظر: أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية.
- ٧ - انظر، الحلي، تحرير الأحكام: مقدمة المحقق ج ١ ص ٣١.
- ٨ - الفقه حسب التقسيم الحديث لعلوم الدين هو أحد العلوم الدينية حيث قسّمت

مباحث الدين إلى العقيدة والفقه والأخلاق، والعقيدة يبحث فيها عما يجب أن يعتقده الإنسان تجاه واقع محدد يتعلق بأمور الدين وأهم أبحاثه التوحيد والنبوة والمعاد، والبحث في الإمامة يكون فرعاً من البحث في النبوة باعتبار الإمامة في الفكر الشيعي منصب إلهي وهي فرع عن شؤون النبوة، كما أن العدل من فروع بحوث التوحيد حيث يقع البحث في صفة من الصفات الإلهية، والفقه يبحث فيما يتعين على الإنسان فعله تجاه واقعة معينة ملتزماً بحكم الشرع تجاه تلك الواقعة وهو على قسمين ما يكون المقصود فيه القرب إلى الله تعالى بحيث تكون نية القربة جزءاً من تلك العبادة فلا تصح ولا تفرغ ذمة المكلف إلا بالإتيان بالفعل متقرباً به إلى الله تعالى وهو ما يعرف بمباحث العبادة كالصلاة والصيام والحج والزكاة وأمثالها، والأصل في هذه المباحث العلاقة العملية بين العبد وربّه وإن كانت أحياناً يكون الإنسان فيها طرفاً لكنّه بالتبع كما في الزكاة، حيث هي عبادة مالية يقصد بها وجه الله تعالى والقرب إليه وتدفع إلى المستحقين الذين نصّت عليهم آية الزكاة، والقسم الثاني من المباحث الفقهية يتناول الأحكام التي تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع ومباحثها العقود والايقاعات والاحكام، فالعقود كالبيع والإجارة والشاركة والمزارعة والمضاربة والتي يكون المناط فيها الاتفاق الحاصل بين طرفين في مجال معين ضمن الحدود التي أقرها الشرع في هذا النوع من المعاملات، وأما الإيقاعات فتندرج ضمن الفعاليات الاجتماعية التي تترتب عليها جملة من الآثار كالطلاق والابراء والمقاصة والجعالة وأشباهها، والقسم الثالث من المعاملات هو الأحكام وموضوعه الموارد الاجتماعية التي نظم الشارع العلاقات فيها بين أفراد المجتمع كاحكام الميراث وأحكام الشهادات وأحكام الحدود والتعزيرات وأحكام القضاء وأمثالها من الموارد الاجتماعية التي لا تندرج تحت عناوين العقود والإيقاعات. والأخلاق فتقع مباحثه فيما وراء المباحث العقائدية والفقهية ويتناول القيم الروحية والاجتماعية التي تشكل رافداً مهماً للنهوض بالإنسان على الصعيدين الشخصي والاجتماعي وتتناول العديد من المباحث التي يصعب جمعها تحت عنوان واحد كالصدق والشجاعة والايثار والكرم... والتي يمكن الإشارة إليها بما ورد عن النبي ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) وقد أولاها القرآن الكريم أهمية كبيرة، حيث امتدح النبي ﷺ بقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم).

٩- ويختص هذا الإطلاق على مدرسة أهل البيت ﷺ ولا يشمل المدارس الحديثية الأخرى كمدرسة المحدثين التي ضمت المذهب المالكي وسفيان الثوري والمذهب الظاهري ومذهب الأوزاعي رغم أن الأخيرين تمسكا بالنص ولم يعتدّا بغيره من الأدلة، إلا أن إطلاق مدرسة النص لا يشملهم.

١٠- انظر ابن حزم، المحلى: ج ٢ ص ١٥٥.

١١- الأميني، الغدير: ج ١١ ص ٩١. أبو داود، سنن أبي داود السجستاني: ج ٢ ص ١٧٦ ح ٣٦٤٦.

١٢- الشهرستاني، وضوء النبي: ج ٢ ص ٢١٩. النوري، مستدرک الوسائل: مقدمة المحقق ج ١ ص ٩. الذهبي، تذكرة الحفاظ: ج ١ ص ٥.

١٣- النيسابوري، المستدرک على الصحيحين: ج ١ ص ١٠٢.

١٤- الشافعي، كتاب الأم: ج ٤ ص ١٤٤. الطبري، دلائل الإمامة: ص ١١٦. المفيد: حديث نحن معاصر الأنبياء لا نورث. الطبراني، المعجم الأوسط: ج ٤ ص ١٠٤.

١٥- الشوكاني، نيل الأوطار: ج ٤ ص ١٧٦. (قد اجتمع في هذه القضية الاحتجاج من عمر بالعموم، ومن أبي بكر بالقياس، ودل ذلك إلى أن العموم يخص بالقياس، وأن جميع ما تضمنه الخطاب الوارد في الحكم الواحد من شرط واستثناء مراعى فيه ومعتبر صحته)، وفي ص ٧٧ (ولذلك رأى أبو بكر سبي ذراريهم وساعده على ذلك أكثر الصحابة. واستولد علي بن أبي طالب عليه السلام جارية من سبي بني حنيفة فولدت له محمد ابن الحنيفة، ثم لم ينفذ عصر الصحابة حتى أجمعوا على أن المرتد لا يسبي، فأما مانعوا الزكاة منهم المقيمون على أصل الدين فإنهم أهل بغى ولم يسموا على الانفراد كفاراً).

١٦- انظر البيهقي، السنن الكبرى: ج ٧ ص ٢٠. (فقال عمر... إن رسول الله ﷺ كان يتألفكم والإسلام يومئذ ذليل وإن الله قد أعز الإسلام فاذهباً فاجهدا جهدكما لا أرعى الله عليكما ان رعيتهما)

١٧- انظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٦ ص ٢٣١ (قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد قال: حدثنا أحمد بن معاوية عن هيثم عن جوير عن أبي الضحاك عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام أن أبا بكر منع فاطمة وبنى هاشم سهم ذوي القربى وجعله في سبيل الله في السلاح والكراع)

١٨- السرخسي، المبسوط: ج ٤ ص ٢٧. ابن قدامة، المغني: ج ٧ ص ٥٧١. ابن حزم، المحلى: ج ٧ ص ١٠٧. أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ج ١ ص ٥٢.

١٩- سورة النجم: الآية ٤

٢٠- سورة الحشر: الآية ٧.

٢١- سورة الاحزاب: الآية ٢١.

٢٢- انظر ابن ماجه، سنن ابن ماجه: ج ٢ ص ٩٩٢ ح ٢٩٧٩، ص ٢٩٩٣ ح ٢٩٨٢ (ثم دخل على عائشة غضبان. فرأت الغضب في وجهه، فقالت: من أغضبك؟ أغضبه الله! قال «ومالي لا أغضب وأنا أمر أمرأ فلا أتبع»



- ٢٣ - المجلسي، البحار: ج ٢٣ ص ١٢٥. أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ج ٢ ص ١٨.
البخاري: ج ٢ ص ١٠٠. وفي سنن النسائي (فجذبه عمر)، سنن النسائي: ج ٤ ص ٣٦.
وفي فتح الباري: ج ٣ ص ١١١ جذبه عمر.
- ٢٤ - انظر الشوكاني، نيل الاوطار: ج ٨ ص ١٨٦. المازندراني، شرح أصول
الكافي: ج ١٢ ص ٤٥٦.
- ٢٥ - القاضي النعمان، شرح الأخبار: ج ١ ص ٣٢٠. ابن حجر، فتح الباري: ج ٨ ص ١١٦.
الهادي، تثبيت الإمامة: ص ١٨. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٦٠.
- ٢٦ - ابن طائوس، الطرائف: ص ٤٣٣. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٤٢.
- ٢٧ - الطبري، دلائل الإمامة: ص ٢٨٦. المفيد، رسالة حول مارية القبطية. أحمد بن
حنبل، مسند أحمد: ج ١ ص ٨٣. ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٤ ص ١٩١١.
- ٢٨ - الطبري، جامع البيان: ج ٤ ص ١٦٨. السيوطي، الدر المنثور: ج ٢ ص ٨٣. الطبري،
تاريخ الأمم والملوك: ج ٢ ص ١٩٣.
- ٢٩ - القاضي النعمان، شرح الأخبار: ج ١ ص ٣١٨. أحمد بن حنبل، مسند
أحمد: ج ٣ ص ٥٧. البخاري، صحيح البخاري: ج ٥ ص ١٠٤.
- ٣٠ - البخاري، صحيح البخاري: ج ٦ ص ٧٠. سئل عمر عمن تظاهرتا عن النبي ﷺ
فقال عائشة وحفصة. النيسابوري، صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٨٩. النسائي، سنن
النسائي: ج ٦ ص ٢٩. مسند أحمد: ج ٦ ص ٢٢١.
- ٣١ - سورة المائدة: الآية ٥٥.
- ٣٢ - الحلبي، الكافي: ص ٩٧. الحلبي، المعبر: ج ١ ص ٢٣. الحلبي، مختلف الشيعة: ج ٦ ص ٣٠٣.
البحراني، الحقائق الناضرة: ج ١ ص ٢٩. المنتظري، نظام الحكم في الاسلام: ص ٣٩.
الصفار، بصائر الدرجات: ص ٦٩، باب ١٧ ص ٤٣٣. القمي، الامامة والتبصرة: ص ٤٤.
الكليني، الكافي: ج ١ ص ٢٠٩. القاضي النعمان، دعائم الاسلام: ج ١ ص ٢٨.
الصدوق، الامالي: ص ٥٠٠. أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ج ٣ ص ١٤. الترمذي، سنن
الترمذي: ج ٥ ص ٣٢٩. النسائي، فضائل الصحابة: ص ١٥. النيسابوري، المستدرک
على الصحيحين: ج ٣ ص ١٠٩. الهيثمي، مجمع الزوائد: ج ١ ص ١٧، ج ٩ ص ١٣٤. علي
مع القران والقران مع علي لا يفترقان حتى يرثا علي الحوض، ص ١٦٣، ج ١٠ ص ٣٦٣.
الاسكافي، المعيار والموازنة: ص ١١٩. ابن الجعد، مسند ابن الجعد: ٢٩٧.
- ٣٣ - انظر سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي: ص ٢٤٦. البحراني،
مدينة المعاجز: ج ٢ ص ٩٠. المجلسي، بحار الانوار: ج ٣٠ ص ١٢٨. المرندي،
مجمع النورين: ٢٠٤.

٣٤- انظر المصادر في هامش ص ٨

٣٥- سورة الشورى: الآية ٢٣ (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور)

٣٦- الف الشيخ نجاح الطائي في ذلك كتاباً أسماه اغتيال النبي ﷺ.

٣٧- الطبري، ذخائر العقبى: ص ١٩٣. المجلسي، البحار: ج ٢٧ ص ٨١. احمد بن حنبل، مسند احمد: ج ٤ ص ١٦٥.

٣٨- انظر كتاب مأساة الزهراء ﷺ للسيد جعفر مرتضى العاملي قدس سره، حيث جمع هناك المصادر التي نصت على الهجوم على دار (فاطمة ﷺ)

٣٩- ابن حزم، المحلى: ج ١١ ص ٢٢٠. مسند احمد: ج ٣ ص ٣٢٤. البخاري، صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٦٠.

٤٠- تقدمت المصادر في الهجوم على دار فاطمة ﷺ.

٤١- تقدم ذكر مصادر الواقعة.

٤٢- تقدم ذكر المصادر.

٤٣- الهيثمي، مجمع الزوائد: ج ٥ ص ٢٠٣ (... ثم قال أما إني لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلن وثلاث لم أفعلن وددت أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن فاما الثلاث التي وددت أني لم أفعلن فوددت أني لم أكن كسفت بيت فاطمة وتركته وأن أعلق على الحرب ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الامر في عنق أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر وكان أمير المؤمنين وكنت وزيراً ووددت أني حين وجهت خالد بن الوليد إلى أهل الردة أقمت بذئ القصة فان ظفر المسلمون ظفروا وإلا كنت رداء ومددا وأما الثلاث اللاتي وددت أني فعلتهن فوددت أني يوم أتيت بالأشعث أسيراً ضربت عنقه فإنه يخيل إلى أنه لا يكون شر إلا طار إليه ووددت أني يوم أتيت بالفجاءة السلمي لم أكن أحرقتة وقتلته شريحا أو أطلعته نجيحاً)

٤٤- تقدم ذكر المصادر.

٤٥- انظر الطبري، دلائل الامامة ص ١٢٣. المجلسي، البحار: ج ٢٩ ص ٣٢٦. الصدر، فذلك في التاريخ: ٦٧. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٦ ص ٢١٥.

٤٦- مر ذكر المصادر.

٤٧- انظر السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص ٦٤.

٤٨- انظر النووي، المجموع: ج ١٦ ص ٩٥. ابن قدامة، المغني: ج ٧ ص ٢٦. المرادوي، الانصاف: ج ٧ ص ٣١٦.

٤٩- تقدم ذكر المصادر.

٥٠- انظر الشريف المرتضى، الانتصار: ص ١٣٧. الشهرستاني، وضوء النبي: ج ١ ص ٣٠٦. زيد بن علي، مسند زيد بن علي: ص ٩٣. يحيى بن الحسين، الاحكام: ج ١ ص ٨٤. احمد المرتضى، شرح الازهار: ج ١ ص ٢٢٣. عزان، حي على خير العمل. الدسوقي، حاشية الدسوقي: ج ١ ص ١٩٣ (كان علي رضي الله تعالى عنه يزيد حي على خير العمل بعد حي على الفلاح وهو مذهب الشيعة الان). قال ابن حزم في المحلى: ج ٣ ص ١٦١ (وقد صح عن ابن عمر وأبي أمامة بن سهل بن حنيف: أنهم كانوا يقولون في أذانهم (حي على خير العمل) ولا نقول به لأنه لم يصح عن النبي ﷺ، ولا حجة في أحد دونه. ولقد كان يلزم من يقول في مثل هذا عن صاحب: مثل هذا لا يقال بالرأي: أن يأخذ بقول ابن عمر في هذا، فهو عنه ثابت بأصح اسناد، وقال الحسن بن حي: يقال في العتمة الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم، ولا نقول بهذا أيضا، لأنه لم يأت عن رسول الله ﷺ).

٥١- انظر العجلوني، كشف الخفاء: ج ٢ ص ١١٧. النووي، المجموع: ج ١٦ ص ٣٢٧. السرخسي، المبسوط: ج ١٠ ص ١٥٣. الكحلاني، سبل السلام: ج ٣ ص ١٤٩.

٥٢- تقدم ذكر المصدر.

٥٣- انظر ابن خلدون، التاريخ: ج ١ ص ٣٨، وعنه الاميني، الغدير: ج ٦ ص ٣٠١. انظر الطبرسي، نفس الرحمن في فضائل سلمان: ص ٥٥. الطائي، نظريات الخليفين: ج ١ ص ٢٤٧ عن فهرست ابن النديم، الخليلي، محاكمات الخلفاء: ص ٢٠٧ عن فهرست ابن النديم والكافي في تاريخ مصر.

٥٤- انظر الشهرستاني، وضوء النبي: ج ٢ ص ٤٩٦. ابن طاوس، الطرائف: ص ٤٨٦. الاميني، الغدير: ج ٧ ص ٢٧٨. الحسني، دراسات في الحديث والمحدثين: ص ٩١. الاميني، الوضاعون واحاديثهم: ص ٤٧.

٥٥- تقدم ذكر المصادر.

٥٦- انظر اويس كريم، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة: ص ٢٧٦. الحكيم، الاصول العامة للفقه المقارن: ص ٣٤٥. الجصاص، الفصول في الاصول: ج ٣ ص ٣٠٩.

٥٧- انظر المجلسي، البحار: ج ٣١ ص ٣٢. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٢ ص ٧٥. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٩ ص ٢٢٠. الطبري، تاريخ الامم والملوك: ج ٣ ص ٣٣٨. ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨ ص ١٥١.

٥٨- الشوكاني، نيل الاوطار: ج ٦ ص ١٥٩. ابن شاذان، الايضاح: ص ٢٣٦. ص ٥١٥. الطبري، المسترشد: ص ٥٤٤. المجلسي، البحار: ج ٢٨ ص ٣٨٤. احمد بن حنبل،

مسند احمد بن حنبل: ج ١ ص ١٥. البخاري: ج ٢ ص ١٠٧، ج ٤ ص ٢٠٦. الاسكافي،
المعيار والموازنة: ص ١٠٧.

٥٩ - انظر الاميني، الغدير: ج ٨ ص ٢٨٩. العسكري، معالم المدرستين: ج ١ ص ١٤٠.
الباقلائي، تمهيد الاوائل: ص ٥١١. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٥٨. ابن
قتيبة، الامامة والسياسة: ج ١ ص ٢٩-٤٣. الطائي، نظريات الخلفيتين: ج ١ ص ٣٦٦.
٦٠ - انظر ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ٣٤٤. العاملي، وسائل
الشيعية: ج ١ ص ٣٨ مقدمة التحقيق. المجلسي، البحار: ج ٣٣ ص ١٩٤. الاميني،
الغدير: ج ١١ ص ٢٨. العسكري، احاديث ام المؤمنين عائشة: ج ١ ص ٣٧٢. ابن ابي
الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١١ ص ٤٥.

٦١ - وهو منهج شرع به بعد رحيل النبي ﷺ وكانت الجمل وصفين والنهران بعض
مخرجاته ثم استلاب السلطة، ومن ابرز من قتل في ايام معاوية عمرو بن الحمق
الخنزاعي صاحب رسول الله ﷺ وحجر بن عدي الكندي واصحابه (رضوان الله
عليهم) وسم الامام الحسن ﷺ وسعد بن ابي وقاص وقتلت عائشة بنت ابي بكر
وعبد الرحمن بن ابي بكر، وفرض على المسلمين من الموالي الجزية، وامر بسب
امير المؤمنين ﷺ على المنابر في كل يوم والحق زياد بن ابيه بنسب ابي سفيان، والغى
اسماء الشيعة من ديوان العطاء واصدرت الاوامر ببرد شهادتهم وعدم قبولها عند
القضاة.

٦٢ - انظر الاميني، الغدير: ج ٩ ص ١١٧. الميانجي: مواقف الشيعة: ج ٢ ص ٤٥٣.
العسكري، تصحيفات المحدثين: ج ٣ ص ٩٤٦. ابن عبد البر،
الاستذكار: ج ٥ ص ١٢٠. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٤ ص ٥٨،
وج ١٥ ص ١٠١ في ترجمة مالك الاشتهر رضوان الله عليه. المناوي، فيض
القدير: ج ٤ ص ١٦٥. المدني، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ص ٤٢٢.
الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ٥ ص ٢١٧. ابن سعد، طبقات ابن
سعد: ج ٦ ص ٢١٨. الدينوري، الاخبار الطوال: ص ٢٢٢. ابن عساكر، تاريخ
مدينة دمشق: ج ٨ ص ٢١ ترجمة ارقم بن عبد الله الكندي: ج ١٢ ص ٢٠٧ ترجمة
حجر بن عدي.

٦٣ - انظر العسكري، معالم المدرستين: ج ١ ص ٣٥٨. الاصفهاني، مدخل الى دراسة نص
الغدير: ص ١٦. مركز المصطفى، العقائد الاسلامية: ج ١ ص ٣٣٥ ذكروا النصوص
الروائية التي تدل على وجوب اطاعة الحاكم وان كان جائراً. الرازي، تفسير
الرازي: ج ٩ ص ٢٠٩.

٦٤ -انظر المنظري، دراسات في ولاية الفقيه:ج٣ص٤٦٠. الجصاص، احكام القرآن:ج٣ص١٣٢. ابن سعد، الطبقات الكبرى:ج٥ص٣٨٤. الذهبي، سير اعلام النبلاء:ج٥ص١٤٧. ابن كثير، البداية والنهاية:ج٩ص٢١٣.

٦٥ - انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٢٠. وانظر العسكري، معالم المدرستين: ج ١ ص ٢٦١: (قال ابن كثير في ذكر حوادث سنة ٤١٦ هـ بترجمة سابور بن أردشير: كان كثير الخير سليم الخاطر إذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة وقد وقف دارا للعلم في سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها كتباً كثيرة جداً ووقف عليها غلة كبيرة فبقيت سبعين سنة ثم أحرقت عند مجيء طغرل في سنة ٤٥٠ هـ وكانت في محلة بين السورين. وقال الحموي بترجمة بين السورين في معجم البلدان: بين السورين، اسم لمحلة كبيرة كانت بالكرخ وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها وزير بهاء الدولة ولم تكن في الدنيا أحسن كتباً منها كانت كلها بخطوط الأئمة المعتمدة وأصولهم المحررة واحتترقت في ما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية لبغداد. وقال ابن كثير - أيضاً - بترجمة الشيخ أبي جعفر الطوسي من حوادث سنة ٤٦٠ هـ أحرقت داره بالكرخ وكتبه سنة ٤٤٨ هـ)

٦٦ - انظر الصلاني، دولة السلاجقة: ص ٢٦٥.

٦٧- انظر الحكيم، الاصول العامة للفقهاء المقارن: ص ٢٠٠

٦٨ - سورة الاسراء: الآية ٢٣.

٦٩ - سورة الاسراء: الآية ٢٣

٧٠- انظر الشريف المرتضى، الذريعة: ج ٢ ص ٢٩٩. الطوسي، العدة: ج ٢ ص ٦٥٢. المفيد: التذكرة: ص ٤٣. ومن الأصوليين من العامة انظر البصري، المعتمد: ج ٢ ص ٧٤١. واستدلّ يحيى المرتضى لجواز العمل بالقياس بإجماع الصحابة على العمل به مدّعياً أنَّ الصحابة كانوا في ما لا نص فيه ما بين عامل بالقياس وبين مصوب للعامل غير منكر عليه، انظر المجزي: ج ٣ ص ٢٥٢، كما استدل له بأنَّ الصحابة صرّحوا بعملهم بالرأي، والرأي عند المرتضى لا يكون إلاَّ اجتهاداً أو قياساً، وهذا يدلّ على أنَّهم عملوا بالقياس، انظر المجزي: ج ٣ ص ٢٧٥. انظر الجصاص، الفصول: ج ٤ ص ٣٤.

٧١- انظر الطهراني، حصر الاجتهاد: ص ٢٤. الشهرستاني، وضوء النبي: ج ١ ص ٢٠٠. النجمي، أضواء على الصحيحين: ص ٤١. غلامي، محو السنة أو تدوينها: ص ٤٨. رفعت فوزي، صحيفة همام بن منبه، مقدمة التحقيق. الكوراني، تدوين القرآن الكريم: ص ٣٧٩.

٧٢- انظر القطّان، تاريخ الفقه الإسلامي: ص ٣٢٥ ترجمة أبي حنيفة. الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي: ص ٨٦. مذكور، مناهج الاجتهاد: ص ٥٨٧. دردور، تاريخ الفقه الإسلامي: ص ٣٦٩. الزبيدي، تاريخ الاجتهاد ومناهجه: ص ٢٠٢، الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ٢٠ ص ١٧٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ٣٢٥ ترجمة أبي حنيفة. الذهبي، سير اعلام النبلاء: ج ٦ ص ٣٩٠ ترجمة أبي حنيفة. الباجي، التجريح والتعديل: ج ٢ ص ٧٦٤. البغدادي، الردّ على الخطيب البغدادي، كتاب في ترجمة أبي حنيفة والدفاع عنه وردّ الطعون التي أثيرت ضده. ومما يجدر ذكره أنّه كان في الكوفة ثلاثة اتجاهات فقهية: الأول مدرسة أهل البيت عليه السلام وهي مدرسة النصّ، والثاني مدرسة الرأي - حسب الاصطلاح الفقهي - وهي المدرسة التي بيّن أسسها أبو حنيفة، والاتجاه الثالث مدرسة أهل الحديث وكان من أبرز شخصياتها سفيان الثوري البصري، وقد اُسمت مدرسة الحديث بأنها شديدة الميول للاتجاه الأموي ومن يتابع من وصف بأمر المؤمنين في الحديث أنّهم أمويو الهوى. وكانت مدرسة الرأي أقوى حضوراً في العراق من مدرسة الحديث، وبه عرف الاتجاه الفقهي في العراق في قبال مدرسة الحديث في المدينة التي كان أبرز شخصياتها مالك بن أنس مع وجود ربيعة الرأي فيها وهو من كبار مدرسة الرأي في المدينة وفي قبال هذين الاتجاهين كانت مدرسة أهل البيت عليه السلام في المدينة المنورة.

٧٣- الطبري، المنتخب من ذيل المذيل: ص ١٤٤. وانظر في ترجمة مالك، الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ١٥ ص ١٦٥. ابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: ص ٨. البهبهاني، تعليقة على منهج المقال: ص ٢٩٨. الأنصاري، معجم الرجال والحديث: ج ١ ص ١٧٨. ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال: ج ١ ص ٨٩. المزي، تهذيب الكمال: ج ٢٧ ص ٩١، مذكور، مناهج الاجتهاد: ص ٦٢٨، الأشقر، المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية: ص ١٤.

٧٤- انظر الشيخ: الإمام الأوزاعي شيخ الإسلام وعالم أهل الشام: ص ٢٣٣. الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٨ ص ٥١٠. الأنصاري، معجم الرجال والحديث: ج ٢ ص ١٠٤. ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ٤٨٨. البخاري، التاريخ الصغير: ج ٢ ص ١١٥.

٧٥- ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٨ ص ٣٦٦، مذكور، مناهج الاجتهاد: ص ٦٩٧.

٧٦- تقدم ذكر المصادر في هامش رقم ٧٠ ص ١٨.

٧٧- تقدّمت الإشارة إلى المصادر في مواضع مختلفة من البحث.

٧٨- سورة النجم: الآيات ٣-٤.

٧٩- انظر البصري، المعتمد: ج ٢ ص ٨٢٨. وقال الجصاص في الفصول (وأما تخصيص عموم القرآن والسنة الثابتة بخبر الواحد بالقياس فان ما كان من ذلك ظاهر المعنى بين المراد غير مفتقر إلى البيان مما لم يثبت خصوصه بالاتفاق فإنه لا يجوز تخصيصه بخبر الواحد ولا بالقياس وما كان من ظاهر القرآن أو السنة قد ثبت خصوصه بالاتفاق أو كان في اللفظ احتمال للمعاني أو اختلف السلف في معناه وسوغوا الاختلاف فيه وترك الظاهر بالاجتهاد أو كان اللفظ في نفسه مجملا مفتقرا إلى البيان فإن خبر الواحد مقبول في تخصيصه والمراد به وكذلك يجوز تخصيص ما كان هذا وصفه بالقياس وهذا عندي مذهب أصحابنا وعليه تدل أصولهم ومسائلهم) انظر الفصول: ج ١ ص ١٥٥. وذهب الباقلاني إلى ان العموم اذا ثبت امكان تخصيصه فهو يخص بكل دليل سواء كان سمعيا او عقليا، انظر التقريب والارشاد: ج ٢ ص ٦٥.

٨٠- سورة يونس: الآية ٣٦.

٨١- سورة الاسراء: الآية ٣٦.

٨٢- سورة الانعام: الآية ١١٦.

٨٣- سورة الحشر: الآية ٧.

٨٤- سورة المائدة: الآية ٥٥.

٨٥- سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

٨٦- سورة البقرة: الآية ١٢٤.

٨٧- سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

٨٨- سورة يوسف: الآية ١٠٨.

٨٩- سورة الانعام: الآية ١٥٣.

٩٠- سورة آل عمران: الآية ٣٣.

٩١- سورة آل عمران: الآية ٤٢.

٩٢- يستثنى من ذلك من ورد فيهم نص قطعي كعمار والمقداد وابي ذر وسلمان الفارسي الذين اخبر الله تعالى ان الجنة تشتاق لهم، او من جاء فيهم نص قطعي في انهم من اهل النار مثل ابي لهب وبني امية الذين رآهم النبي ﷺ ينزون على منبره نزو القروذ.

٩٣- نص على ذلك رسول الله ﷺ في حديث الثقلين المتواتر بين المسلمين.

٩٤- انظر البرقي، المحاسن: ج ١ باب المقائس والرأي ص ٢٠٦ رقم ٧٦.

٩٥- سورة الاحزاب: الآية ٥٠.

٩٦- سورة الحاقة: الآية ٤٤ - ٤٦.

٩٧- انظر البرقي، المحاسن: ج ١ ص ٢٠٩ ح ٧٦.

٩٨- انظر البرقي، المحاسن: ج ١ ص ٢٠٩ ح ٧٦، ص ٢١١ ح ٧٩. الصفار، بصائر الدرجات: ص ١٦٦ ح ٢٣، ص ١٦٩ ح ١٦ في كلامه عن ابن شبرمة الكوفي. الكليني، الكافي: ج ١ ص ٥٦ الاحاديث من ٧ - ٢٠.

٩٩- انظر البرقي، المحاسن: ج ١ ص ٢١٣ ح ٩٠.

١٠٠- انظر البرقي، المحاسن: ج ١ ص ٢٠٩ ح ٧٦.

١٠١- انظر البرقي، المحاسن: ج ١ ص ٢١٤ ح ٩٥.

١٠٢- انظر البرقي، المحاسن: ج ١ ص ٢١٣ ح ٩١. والرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام.

١٠٣- انظر البرقي، المحاسن: ج ١ ص ٢٠٦ ح ٧٧.

١٠٤- انظر البرقي، المحاسن: ج ١ ص ٢١٤ ح ٩٧.

١٠٥- انظر، الطبرسي، الاحتجاج: ج ١ ص ١١٦.



نظرية الأخلاق عند الإمام الصادق عليه السلام

د. عبد الوهاب باشا

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي / الجزائر

الملخص

تختص هذه الدراسة بمعالجة نظرية الأخلاق، من حيث ماهيتها، وملاحظتها في الحضارتين الغربية والعربية، كما تُعنى أيضا بدراسة أساس هذه النظرية عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وإبراز إرهاباتها الأولى في تراثه التربوي والأخلاقي وتوظيف معالمها في بناء منظومة الأخلاق عند الأمة الإسلامية ولمن يريد التأثير به، وإتباعه.

والنظر في قضية نظرية الأخلاق عند الإمام الصادق، من شأنه أن يجعل من هذه الدراسة دراسةً وصفيةً استقرائيةً، إلى جانب الدراسة النظرية التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ باعتبارها الأساس لبناء أي بحث، والتي اعتمدنا فيها على تحديد مفهوم نظرية أو علم الأخلاق، تاريخ الأخلاق عند كل من الحضارة الغربية (أفلاطون وسبينوزا)، والحضارة الإسلامية (الفارابي وابن رشد).

- الكلمات المفتاحية: الأخلاق؛ نظرية الأخلاق؛ الفضيلة؛ النفس والجسد؛ جعفر الصادق عليه السلام.

Abstract

This study specializes in addressing the theory of ethics, in terms of its nature and features in Western and Arab civilizations. It is also concerned with studying the basis of this theory according to Imam Jaafar al-Sadiq, and highlighting its influence on him and its guidance to his morals and the morals of the Islamic nation and to those who want to be influenced by him and follow him

Considering the issue of morality according to Imam Al-Sadiq would make this study a descriptive and inductive study, in addition to the theoretical study that cannot be dispensed with. As the basis for building any research, in which we relied on defining the concept of the theory or science of ethics, the history of ethics in both Western civilization (Plato and Spinoza), and Islamic civilization (Al-Farabi and Ibn Rushd

Keywords: Moral; moral theory; virtue; The soul and the body; Jaafar Al-Sadiq, peace be upon him

تمهيد:

إن الأخلاق هي الأساس الذي يبنى عليه المجتمع، ويتحدد على أساسه أفضليته من عدمها، وغياها يؤدي إلى هدم المجتمع لا بنائه، وتشتته حتى لو كان يدا واحدة، ولذلك كثيرا ما ارتبط العلم والمنطق والفلسفة والدين بضبط هذه الأخلاق، وتحديد القواعد التي تساهم في ضبطها، حتى يتسنى للفرد أن يقيم الطيب من الخبيث من الأعمال، والفضائل من الرذائل كي يلتزمها. ومن هؤلاء الذين ساهموا في ضبط الأخلاق - بل أسسوها - وتنظيمها، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

هذا موضوع بحثنا الذي اعتمدنا فيه على مدونة «الأخلاق عند الإمام الصادق» للعلامة محمد أمين زين الدين، مستقرئين منها أهم الركائز والقواعد التي ربطها الإمام الصادق بضبط فلسفة الأخلاق وتوجيهها. وتطرح هذه المسألة على مستوى قضية محورية تعكسها الإشكالية الآتية:

- فيما تمثّلت أهم ملامح النظرية الأخلاقية التي ضبطت قواعد

الأخلاق ووجهتها عند الإمام الصادق؟

وتنزل قضيتنا هذه في نطاق فرضيتين: الأولى منها تقوم على شتات قطعية المصادر التي استقى منها الإمام أخلاقه وقواعده الأخلاقية وهي العلم اللدني وثمره العبودية والتسليم لله، والصدق منه، والإخلاص له، ووراثه العلم من مشكاة رسوله. وكمال الانقياد له. فيفتح له من فهم الكتاب والسنة والعلوم الدنيوية بأمر يخصه به وسر حاصل يمنحه إياه مع بصيرة نافذة وعقل راجح لم يؤت لعامة الناس ولا لخاصتهم بل هو فضل وهبة مخصوصة، أمّا الثانية فتقوم على ماهية هذه القواعد والمواد المنصوص عليها فيها حتى يوجه الإنسان نفسه توجيهها صائبا لا شائبة عليه.

واستتباعا لذلك، فإنّ هدفنا من هذه الدراسة هو استنباط أهم القواعد التي تضبط تصرفات الإنسان وسلوكاته ضمن ما يسمى بالأخلاق.

ونُزل هذه الأهداف، والإشكالية المطروحة أعلاه، والفرضيات المتوقعة في نطاق ما نهتدي إليه من نتائج؛ بالنظر في المدونات المختارة أنموذجاً لدراستنا، لاعتقادنا أنها تحمل -ولو نسبياً- صورة عن هذه القواعد والمبادئ بحيث يمكن لها أن تقدّم لنا صورة واضحة عنها.

أولاً: ماهية نظرية الأخلاق وملاحيها في الحضارة الغربية والعربية الإسلامية:

١- مفهوم نظرية الأخلاق:

«نظرية الأخلاق»؛ مصطلح مركّب تركيباً إضافياً من مصطلحين: «نظرية»؛ وهي مصدر صناعي يتكوّن من ياء النسبة العلمية وتاء التأنيث للتخصيص، أصلها من كلمة «نظر»، وهي مصدر للفعل الثلاثي «نَظَرَ»، المشتق من الجذر الثلاثي (ن ظ ر).

و«الأخلاق»؛ جمع الخلق على وزن «الفُعل»، مشتق من الجذر الثلاثي (خ ل ق).

١-١- لغة:

يعرّف أحمد بن فارس في معجمه «مقاييس اللغة» النظر بقوله: «النون والطاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعانيته، ثم يستعار ويتسع فيه. فيقال: نظرت إلى الشيء أنظر إليه، إذا عاينته»^(١).

ومنه فالنظر في اللغة يعني التأمل والمعاينة الدقيقة للشيء.

ويعرّف الخلق في المعجم نفسه بقوله: «الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملاسة الشيء»^(٢).

وبذلك يحمل الخلق في اللغة معنى التقدير والتفضيل.

هذان المعنيان اللغويان ينتقلان بصورة أو بأخرى إلى المفهوم العلمي الاصطلاحي لمصطلح «نظرية الأخلاق».

١-٢- اصطلاحاً:

يعرّف الإمام الغزاليّ في «إحياء علوم الدين» الخلق بأنّه: «هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكرٍ وروية»^(٣).

إذن، الخلق هو الأفعال التي تصدر عن الإنسان بعفوية دون تكلف بحيث تبين طبيعة الإنسان ونفسه.

أمّا نظرية الأخلاق أو علم الأخلاق فيعرّفه مصطفى عبده بقوله: «يعني بالخير حين يستخدم غاية في ذاته، ووظيفته أن يضع المثل العليا للسلوك الإنسانيّ، لأنّه يضع القواعد التي تحدّد استقامة الأفعال الإنسانية ويدرس الخير الأقصى باعتباره غاية للإنسان التي لا تكون وسيلة لغاية.. يقرّر الحدسيون والعقليون أن علم الأخلاق علم معياريّ وليس علماً وصفيّاً، أي يبحث فيما ينبغي أن يكون وليس فيما هو كائن»^(٤).

إذن، نظرية الأخلاق أو علم الأخلاق هو العلم الذي يستخدم لوضع القواعد التي تضبط السلوك الإنساني وتبسط الطريق نحو الخير ليكون غاية للإنسان يسعى دوماً للوصول إليها، ولا يستخدم لوصف سلوكياته أو تحديد طبيعتها.

٢- نظرية الأخلاق بين الغرب والعرب:

كانت البداية الأولى للاهتمام بالجانب الأخلاقي وإعطائه أولوية في حياة الإنسان منذ العهد اليوناني، حيث ربط الفلاسفة بين الأخلاق والحكمة، وجعلوا الفيلسوف الحكيم هو الفيلسوف الذي يتحلّى بالأخلاق الفاضلة، ومن هؤلاء أرسطو وأفلاطون والهولندي «باروخ سبينوزا»، ثم ظهر الإسلام ليبين عظمة الأخلاق الفاضلة وكيف لها أن تجعل الإنسان كريم النفس، عظيم الشأن دون كد أو جد، وارتبط الخلق هنا بالدين والشرعية، ومن الذين اهتموا بهذا الجانب الفارابي، الرازي وابن رشد.. وهلم جرا.

٢-١ - نظرية الأخلاق عند الغرب:

ستحدث في هذا العنصر عن نظرية الأخلاق ومبادئها عند كل من أفلاطون والفيلسوف الهولندي «باروخ سبينوزا»، نظرتهما إلى جوهر الأخلاق، وقواعدهما التي تضبطها.

أ- عند أفلاطون:

يعدّ أفلاطون من أبرز الفلاسفة الذين اهتموا بالجانب الأخلاقي، وساهموا في وضع جملة من المعايير التي تضبط هذا الجانب، وأهمّها هو تحديد طبيعة العلاقة الرابطة بين الروح والجسد، والتي تسمح بالحكم على أخلاقيات صاحبها بالصّحة أو الاعتلال؛ حيث «اعتبر أفلاطون أنّ النّفس أسمى من الجسد، فهي الحاصلة على الوجود الحقيقي، وما وجود الجسد إلا وجود ثانوي وغير مؤكّد.. وفصل بين المعرفة الظنيّة بالمحسوسات والماهيات المفارقة للمادة «المثل»، وعدّ الخير أسمى المثل، وهو عنده مصدر الوجود والكمال»^(٥)؛ ما يعني أنّ الروح ورغم معنويتها ومادية الجسد، إلّا أنّها الجانب الموجود بالفعل في مقابل وجود الجسد بالقوة، والروح هي المؤكّد الوحيد على تواجد الإنسان بيننا، بينما يبقى الجسد مجرد تجسيد لذلك الوجود، ولأنّ الروح هي التجسيد الحقيقي للوجود فإنّها تنتمي إلى عالم المثل، هذا العالم الذي يعدّ الخير أسمى وأعلى وأعظم الموجودات فيه، ومصدر وأصل الوجود والكمال الإنسانيّ.

وعلى هذا الأساس تنطلق «فلسفة الأخلاق» عنده من نظرية الثنائيّة بين النفس والجسد، وعلى الإنسان أن يكون زاهدا بمطالب الجسد، وعليه أن يقمعها ويتجاوزها ليحقق إنسانيته الفاضلة عن طريق الحكمة، والشوق الدائم إلى الاتصال بالحقائق الأزلية في عالم المثل، ولذلك يجب أن يكون الموت طموحاً عند الحكيم الفيلسوف، يوجب أن تكون السّمة الأساسيّة للفيلسوف هو ذلك العمل الجاد المتواصل من أجل تحقيق عملية فصل

النفس عن الجسد وإبعادها عنه»^(٦)، وبعبارة أخرى، على الإنسان أن يلتزم بمجموعة من القواعد والممارسات حتى يجمع مطالب جسده الدنيوية ويغلب روحه ونفسه المثاليّة عليه، وحتى يتمكن بذلك من التحلي بالأخلاق الفاضلة، التي يرى أفلاطون أنّها مواصفات عالم المثل، وأهمّ هذه القواعد الأخلاقيّة التي تجعل من الإنسان العادي حكيماً فيلسوفاً ما يأتي:

- تجاوز ملذّات الجسد ومطالبه الدنيويّة لتحقيق مبدأ الإنسانيّة الفاضلة.
- الشّوق للاتّصال بالحقائق الأزليّة الفاضلة في عالم المثل ومنها الخير.
- العمل الجاد المتواصل بغية فصل النفس عن الجسد وإبعادها عنه باعتبارها أظهر وأنقى من رغباته.

ب- عند «باروخ سبينوزا»:

بدأ الفيلسوف الهولندي «باروخ سبينوزا» في كتابه «علم الأخلاق» حديثه عن نظرية الأخلاق، وقسّمه إلى خمس أبواب تناول في كل واحد منها قضية معيّنة وربطها بهذه النظريّة: في الله؛ في طبيعة النفس وأصلها؛ في أصل الانفعالات وطبيعتها؛ في عبوديّة الإنسان أو في قوى الانفعالات؛ وأخيراً باب في قوة العقل أو في حريّة الإنسان، وتوصل على أساسها إلى مجموعة من النتائج أهمّها^(٧):

- الله متفرد بصفاته؛ لا يتحدد وجوده بزمان ومكان معيّن ولا بصفات بشريّة.
- هناك فرق بين الروح والجسد، وفي الوقت نفسه تربط بينهما علاقة وطيدة؛ حيث أنّ الحالة النفسيّة تؤثر على الجسد، وفي المقابل تؤثر أعضاء الجسد على النفس.
- اعتبر سبينوزا أنّ الجسد بمثابة امتداد من الله، والروح صفة من صفاته اللا متناهية.

- استطاعة الإنسان وقدرته على التحكم في انفعالاته البشريّة.

وختاماً، اعتبر «سينوزا» أنّ هذه الالتزامات والقواعد هي الأخلاقيات التي يلتزمها الفيلسوف الحكيم حتى يتفوق على الجاهل ويتميز عنه، لا ينقاد خلف شهواته، ولا يتأثر بالعوامل الخارجيّة، لا يعرف الاضطراب إلى قلبه منفذاً، ولا يكف عن الوجود أبداً وينعم بانسباط الروح الحقيقي^(٨).

٢-٢- نظريّة الأخلاق في الحضارة الإسلاميّة:

وفي هذا العنصر سنفرد بالحديث عن الأخلاق ونظريّة الأخلاق في الحضارة العربيّة الإسلاميّة عند كل من الفارابي وابن رشد الحفيد على وجه التخصيص.

أ- عند الفاربيّ:

ربط الفارابي الأخلاق بالعديد من المجالات: أصل الدولة والمجتمع؛ النفس؛ الفضيلة والرذيلة؛ السّعادة؛ الفكر السياسيّ؛ رئيس المدينة الفاضلة؛ العدل؛ التخصص والتنظيم الاجتماعيّ؛ وتفاضل المجتمعات بدرجة الكمال؛ حيث تتمحور القيم الأخلاقيّة في كل مجال حول أمور محدّدة وقواعد محكمة تضبطها، ومن هذه القواعد ما يأتي^(٩):

- ينظر الفارابي إلى طبيعة الإنسان من خلال ممارسة الفرد في المجتمع؛ إذ يمكن له أن يكون فاضلاً أو شريراً من خلال الممارسة التي يباشرها مع الآخرين ويعتادها فيصبح له طبعاً أو أشبه بالطبع^(١٠) أو بعبارة أخرى تبدو طبيعة الإنسان الشريرة أو الخيرّة من خلال أسلوبه الذي يعتمد في التعامل مع الآخرين.

- النفس هي السبب الحقيقي للتوازن والاعتدال ونيل السّعادة، وبالحديث عن ثنائيّة النّفس والجسم عند الفارابي فإنّه يرى أنّ لكل واحد منهما ملذات ومؤذيات ينصاع خلفها، وقدرة النفس على التحكم في ملذاتها وملذات الجسم تجعل من صاحبها معتدلاً سوياً.

- يرجع الفارابي الفضيلة والرذيلة إلى صحة ومرض النفس؛ وصحة النفس أن تفعل بهيئاتها وهيئات أجزائها الخيرات والحسنات والأفعال الجميلة، أما مرضها فأن تفعل بها الشرور والسيئات والأفعال القبيحة. - يرى الفارابي في فلسفته السياسية أن الإنسان محتاج إلى الآخرين، لأنه لا يستطيع بلوغ أفضل كمالاته بالاعتماد على نفسه فقط، وهو اجتماعي بطبعه ومفطور على حاجته للآخرين؛ خاصة وأن لكل فرد مجاله الذي يعتمد فيه عليه دون غيره، ولذلك فإن أسلوبه الحسن معهم يجعله يبلغ تلك الكمالات ويحقق أسمى الرغبات.

- اهتم الفارابي برئيس المدينة الفاضلة لأنه عاش ببغداد، واشترط فيه مجموعة من الخصال أهمها: أن يكون جيّد الفهم والتصور، والحفظ لما يفهمه ويراه، ذكيا وجيّد الفطنة، حسن العبارة ومحبا للتعلم والاستفادة، وغير شره على المأكّل والمشرب، كبير النفس محبا للكرامة، محبا للعدل وأهلا له، ولا يعطي أولوية لسائر أغراض الدنيا بما فيها الدرهم والدينار. - العدل مهم عند الفارابي؛ حتى أنه يقرر أن أجزاء المدينة تأتلف وتتماسك وتبقى محفوظة بالعدل.

وجميع هذه الالتزامات والبدهيّات تجعل من ممارستها متصفا بأسمى الأخلاق، وملتزما بأعظم المواصفات.

ب- عند ابن رشد الحفيد:

تبينّ لنا مما سبق أن الأخلاق ترتبط بالروح دون الجسد، وأن سلامة الروح من سلامة الجسد، والتزامها بالأخلاقيات المنصوص عليها يرشحها للارتقاء إلى ما يشابه عالم المثل عند أفلاطون، أو يجعلها نفسا فاضلة زاهدة طاهرة، أمّا ابن رشد فـ«يؤكد أن الفضيلة هي التي تجعل الفرد والمجتمع فاضلاً في علاقة مرتبطة بينهما، حيث يقول: (وبالجملة

فنسبة هذه الفضائل في أجزاء المدينة هي كنسبة القوى النفسانية في أجزاء النفس، فتكون هذه المدينة حكيمة في جزئها النظري الذي به تسود جميع أجزائها، على النحو الذي يكون به الإنسان حكيماً بجزئه الناطق الذي يسود به على قواه النفسانية الأخرى» (١٠).

حيث تراه يشبه المدينة الفاضلة المليئة بالصفات الفضيلة بالنفس الإنسانية الفاضلة الطيبة التي لا ينطق صاحبها إلا طيباً، والإنسان الفاضل إن اجتمع بأشباهه شكّل لنا مجتمعاً فاضلاً يبنى هذه المدينة؛ فباعتبار أن الإنسان ذو طبع اجتماعي فإن التزامه بالطيب من الأخلاق، وتعداده على هذا الأساس يبنى مجتمعاً أخلاقياً طيباً، على خلاف المجتمع الذي يبنى على الرذيلة والسوء.

ثانياً: ملامح نظرية الأخلاق عند الإمام جعفر الصادق (عليه السلام):

١ - ترجمة الإمام الصادق (عليه السلام):

هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد ذكر الشيخ الكليني أنه (ولد سنة ثلاث وثمانين ومضى في شوال من سنة ثمان وأربعين ومائة وله خمس وستون سنة ودفن بالبقيع في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده والحسن بن علي (عليه السلام) وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر (١١)، وعاش بيت جدّه، تفتح قلبه للعلم وكان يقظاً بصيراً، درس مختلف العلوم من الكيمياء والدين والحديث النبوي والأدب..

كان همّه الأول علوم الدين، حتى برز في علوم التفسير وأحكام القرآن، عُرف بفصاحته التي ورثها عن جدّه زين العابدين، روايته للحديث النبوي الشريف..

٢- ملامح نظرية الأخلاق عنده عليه السلام:

إنَّ للإمام جعفر الصادق عليه السلام عناية خاصة بعلم الأخلاق تكاد تظهر على كل كلمة نُقلت عنه، وعلى كل أثر نُسب إليه، هذا الجانب الذي يبيِّن عظمة الإمام في شخصيته، وعلمه الذي يتَّضح من خلال البحث عن آرائه في علم الأخلاق تحديداً.

يقول محمد أمين زين الدين في كتابه «الأخلاق عند الإمام الصادق» عن مصادر استقواء الأخلاق عند الإمام الصادق: «.. ولكنه استقاهها من ينبوع الوحي واستفادها من هدي القرآن.. والفلسفة بعض ما تخرج فيه من جامعة القرآن، والحكمة بعض الفروع التي تلقاها في مدرسة أبيه محمد، وإن فتى نمت شبيبته في بيت محمد، وكملت نفسيته بإرشاد محمد، وامتزجت بروحه روحانية كتاب محمد جدير أن يكون غنياً عن فلسفة أفلاطون وحكمة أرسطو والمثالية.. ولعل أثر هذه التربية يظهر جلياً في أحاديث الإمام عليه السلام وأحاديث الأئمة من آبائه وأبنائه»^(١١).

وفيما يأتي سنفصل بالحديث عن آراء الإمام عليه السلام الأخلاقية التي عالجها في فلسفته الأخلاقية على شكل أبواب:

٢-١- الخلق: «كلمة الخلق تستعمل في اللغة بمعنى السجية، وبمعنى الطبع، والعادة، والدين، والمروءة،.. والخلقون يعرفون من معنى هذه الكلمة أنها ملكة من ملكات النفس، ويقولون أنَّ أظهر خاصية تتميز بها هذه الملكة هي صدور الأفعال عن الإنسان من دون إمعان فكر أو إعمال روية»^(١٢).

ربط الإمام الصادق الخلق بالعنوية في الممارسات العملية والتعامل مع الآخرين، والتعود على هذه الطبيعة يجعلها ملكة راسخة في نفس صاحبها، تصدر عنه دون إمعان فكر أو تكلف نفس.



٢-٢- السَّعادة والخير: «الإمام الصادق عليه السلام يقول: (دعامة الإنسان العقل - وبالعقل يكمل...)»، و(اليقين يوصل العبد إلى كل حال سنيٍّ ومقام عجيب)، و(إنَّ الإيمان أفضل من الإسلام وإنَّ اليقين أفضل من الإيمان، وما من شيء أعز من اليقين)، و(إنَّ الله بعِدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا وجعل الهمَّ والحزن في الشكَّ والسَّخط»^(١٣).

ربط الإمام مفهوم السَّعادة بالكمال عند الإنسان؛ حيث يرى أنَّ:

- لا يكتمل الإنسان إلا بالعقل لأنَّه دعامته التي يركز عليها.

- لا شيء أعز من اليقين؛ فهو أفضل من الإيمان، رافع ومعزِّ لصاحبه.

- والإيمان أفضل من الإسلام.

- راحة الإنسان في يقينه بالله سبحانه ورضاه بما قسمه له، وحزنه فيما

هو خلاف ذلك.

إذن، السَّعادة ترتبط بكمال عقل الإنسان، ويقينه بالله سبحانه، وإيمانه به، ورضاه بما كتبه له.

أمَّا فيما يتعلق ببيان بعض أركان الخير ومعانيه فـ «الإمام الصادق عليه السلام يسط لنا معنيين مهمين الخير فيقول: (جعل الخير كلَّه في بيت، وجعل مفتاحه الزَّهد في الدنيا.. والسَّعادة سبب خير يتمسَّك به السَّعيد فيجرّه إلى النِّجاة).

ويذكر المعنى الثاني - حدًّا آخر للخير - فيقول: (إذا أردت شيئاً من الخير فلا تؤخِّره.. وافتتحوا نهاركم بخير، واملوا على حفظتكم في أوله خيراً وفي آخره خيراً..)، ويقول: (أحسن من الصَّدق قائله وخير من الخير فاعله)^(١٤).

وربط مفهوم الخير بالسَّعادة، وبالزَّهد في الدنيا، ورأى أنَّ إرادة الشيء من الخير تلزم عليك المبادرة نحوه، وتلزم عليك افتتاح يومك وختمه بالخير.

والأهم من هذا أن الإمام الصادق عليه السلام ربط الخير بالفعل؛ حيث يرى أن الخير من الخير هو فاعله.

إذن، عليك بالتزام مفاتيح السعادة من ليقين والرضا والإيمان، إلى ربط السعادة بالخير وجعله أول وآخر يومك، والتزام القيام به لأن ذلك خير من الخير نفسه.

٢-٣- الاعتدال والانحراف: «يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (من كان عاقلاً كان له دين ومن كان له دين دخل الجنة)، و(أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً)، و(العقل دليل المؤمن)»^(١٥).

والدين عنده هو التوازن في الأخلاق، حيث يربط الإمام العقل بالأخلاق دائماً؛ ذلك أن العقل هو الوجه لصاحبه كي يختار الحق من الباطل، والخير من الشر.

إذن، ربط الإمام عليه السلام بين كمال العقل والأخلاق، وبين التحلي بالأخلاق الحميدة ودخول الجنة، وبين الإيمان وأعمال العقل.

٢-٤- الإنسانية الكاملة: «يقول: (واعلم أن لكل شيء حداً، فإن جاوزه كان سرفاً، وإن قصر عنه كان عجزاً)»^(١٦).

ما يعني أن الإنسان الكامل هو الشخص الذي يتحلى بأوسط مستويات الأخلاق، لا يسرف في التزامه، ولا يحدد ويقصر في أدبه.

٢-٥- الضمير: «يقول الإمام الصادق عليه السلام: (إن للقلب أذنين روح الإيمان يساره بالخير، والشيطان يساره بالشر، فأيهما ظهر على صاحبه غلبه.. أما رأيت الإنسان يهيم بالشيء فيعرض بنفسه الشيء يزجره عن ذلك وينهاه قال نعم، قال: هو ذاك)»^(١٧).

إن ضمير الإنسان هو مصحّيه لوجهته وما يقوم به؛ فإن كان صاحب ضمير حيّ تفتّن لما يقوم به وعدل عن الأشياء السيئة فيه، وإن كان ميت



الضمير، تغلب الشيطان عليه، وجعله ضحية بين يديه، يفعل من الكبائر ما لا حدّ له دون أدنى تفكير أو ندم.

٢-٦- الفضائل الفرعية: «من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب، وإذا اشتهى وإذا غضب، حرّم الله جسده على النار»^(١٨).

وهذه الفضائل التي يجب على النفس الإنسانية أن تتحلّى بها حتى تكتمل، وتكون ذات أخلاق حسنة، وضمير حيّ، ذات دين وإيمان، وحسن أسلوب وأدب، ومن هذه الفضائل ما يأتي:

- الحكمة، العدل، العدل الفرديّ، العدل الاجتماعيّ، العفة، القناعة والاقتصاد، الشجاعة، الشجاعة البدنيّة، الشجاعة الأدبيّة، عزّة النفس وعلوّ الهمة، الكبرياء والتواضع، الصّدق والكذب، الصّدق في القول، الصّدق في العزيمة، الإخلاص، الصّدق في العمل، الوفاء، الصّدق في مقامات الدّين، الحب والصّدقة.

وجميعها صفات رأى الفارابي أنّها خير ما تكون في رئيس المدينة الفاضلة.

٢-٧- ميزان الخلق الصّحيح: «من سرّته حسنته وسأته سيّئته فهو مؤمن»^(١٩).

حيث ترى الإمام عليه السلام يربط بين الحسنه والإيمان؛ وعلى اعتبار أنّ الإيمان متعلّق باليقين، وهذا بالأخلاق، فإنّ التزام الحسنات والتخلي عن السيئات، يجعلك ذا خلقٍ عظيم.

٢-٨- أصول العلاج عند الخلقين: «إقصر نفسك عمّا يضرها قبل أن تفارقك، واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك فإنّ نفسك رهينة بعملك»^(٢٠).

يرى الإمام الصادق أنّ الخلقين قد حددوا طريقة العلاج المناسبة للفئة التي تعاني من علّة النفس، والتي يمكن اختصارها فيما يأتي:

- حَدِّ النَّفْسِ عَمَّا يُؤْذِيهَا مَا دَامَتْ حَيِّسَةً الْجَسَدِ.

- السعي للعمل الصالح حتى تفك نفسك عما يؤذيها.

- النَّفْس هِيَ رَهِينَةُ الْعَمَلِ إِنْ كَانَ صَالِحاً أَوْ طَالِحاً.

هذه كانت مجموع القواعد والركائز الأساسية التي حدّدها الإمام جعفر الصادق عليه السلام فيما يرتبط بأخلاق الإنسان الواجب عليه التزامه بها حتى يحكم سرورته المعيشية بما ينفعه ويبعده عما يضره.

خاتمة:

في خلاصة الموضوع المعنون بـ«الأخلاق عند الإمام جعفر الصادق»،
وانطلاقاً من الإشكالية القائلة: «فيما تمثلت أهم ملامح النظرية الأخلاقية
التي ضبطت قواعد الأخلاق ووجهتها عند الإمام الصادق؟»، توصلنا
من تحليلنا السابق لهذا الموضوع وعلى ضوء هذه الإشكالية إلى تحصيل
مجموعة من النتائج نعرضها فيما يأتي:

- استقى الإمام جعفر الصادق عليه السلام أخلاقه وقواعده الأخلاقية التي ضبط بها السلوك الإنساني من علوم الدين والحديث والقرآن الكريم وتربته وترعرعه في بيت جده زين العابدين.

- يرى الإمام عليه السلام أنَّ الأخلاق ترتبط بشماني خصائص أساسية تحكمها مجموعة من الضوابط؛ الخلق، السَّعادة والخير، الاعتدال والانحراف، الإنسانية الكاملة، الضمير، الفضائل الفرعية، ميزان الخلق الصَّحيح وأصول العلاج عند الخلقين.

- ربط الإمام الخلق بالعفوية في التصرف.

- ومفاتيح السعادة عنده هي اليقين والرضا والإيمان، كما وربط السعادة بالخير وجعل أول اليوم وآخره خيرا، وأحسن الخير هو العمل به.

- هناك علاقة وثيقة بين كمال العقل والأخلاق، وبين التحلي بالأخلاق الطيبة والعظيمة ودخول الجنة.

- ضمير الإنسان هو موجهه نحو العمل الصالح الذي يطيب له نفسه.

- تتمثل الفضائل الفرعية عند الإمام جعفر في: الحكمة، العدل، العدل الفردي، العدل الاجتماعي، العفة، القناعة والاقتصاد، الشجاعة، الشجاعة البدنية، الشجاعة الأدبية، عزّة النفس وعلو الهمة، الكبرياء والتواضع، الصدق والكذب، الصدق في القول، الصدق في العزيمة، الإخلاص، الصدق في العمل، الوفاء، الصدق في مقامات الدين، الحب والصدّاقة.

- يرتبط حسن الخلق وعظمته بضمير الإنسان قبل كل شيء؛ فمن أراد الحسنة وأبعد السيئة فإنّه ذو خلقٍ عظيم.



الهوامش:

- ١- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ب، د. ط، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ج ٥، ص ٤٤٤.
- ٢- المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢١٣.
- ٣- الإمام الغزاليّ: إحياء علوم الدين، دار زاهد القدسي للنشر، د. ب، د. ط، د. س، ج ١، ص ٦٩.
- ٤- مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، ط ٢، ١٩٩٩ م، ص ٣٣، ٣٤.
- ٥- جيهان نور الدين محمد المقدم: الجانب الأخلاقي عند أفلاطون (عرض وتحليل)، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات- الزقازيق، جامعة الأزهر، دار الكتب المصريّة، العدد الثامن، ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٨ م، الجزء الثاني، ص ١١٢٠.
- ٦- المرجع نفسه، ص ١١٢٢، ١١٢٣.
- ٧- باروخ سبينوزا: علم الأخلاق، ترجمة: جلال الدين سعيد، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربيّة للترجمة- دعم مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت- لبنان، ط ١، تشرين الأول (أكتوبر)، ٢٠٠٩ م.
- ٨- المرجع نفسه، ص ٣٥١.
- ٩- ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق عند الفارابي، مكتبة طريق العلم- دار دجلة، عمان- الأردن، د. ط، ٢٠١٢ م، ص ٢١-٤١-٤٩-٧٥-١٠٢-١١٨، - بتصرّف.
- ١٠- كمال مساعد: منهج تحصيل الأخلاق عند ابن رشد الحفيد وبيدع الزّمان سعيد النورسيّ- دراسة مقارنة-، مجلّة المنهل، معهد العلوم الإسلاميّة، جامعة الوادي- الجزائر، المجلّد السابع، العدد الأول، ذو القعدة ١٤٤٢ هـ / جوان ٢٠٢١ م، ص ٢٥٥.
- ينظر: أبو الوليد بن رشد: الضروري في السياسة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت- لبنان، د. ط، ١٩٩٨ م، ص ٧٢.
- ١١- محمّد أمين زين الدين: الأخلاق عند الإمام الصّادق، منظّمة الإعلام الإسلاميّ- قسم العلاقات الدوليّة، د. ب، د. ط، جمادى الأول ١٤٠٣ هـ، ص ١٠.
- ١٢- المرجع نفسه، ص ١٧.
- ١٣- المرجع نفسه، ص ٢٩، ٣٠.
- ١٤- المرجع نفسه، ص ٣٢.
- ١٥- المرجع نفسه، ص ٣٨.
- ١٦- المرجع نفسه، ص ٤٥.
- ١٧- المرجع نفسه، ص ٥٥.
- ١٨- المرجع نفسه، ص ٦١.
- ١٩- المرجع نفسه، ص ١١٥.
- ٢٠- المرجع نفسه، ص ١٢١.

المصادر والمراجع:

- * أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، د. ط، د. س، مجلد ١.
- * أبو الفلاح أبو الحسي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت لبنان، ط ٢، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- * أبو الوليد بن رشد: الضروري في السياسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، د. ط، ١٩٩٨ م.
- * أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ب، د. ط، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- * الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، دار زاهد القدسي للنشر، د. ب، د. ط، د. س.
- * باروخ سبينوزا: علم الأخلاق، ترجمة: جلال الدين سعيد، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة دعم مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط ١، تشرين الأول (أكتوبر)، ٢٠٠٩ م.
- * جيهان نور الدين محمد المقدم: الجانب الأخلاقي عند أفلاطون (عرض وتحليل)، حوية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات الزقازيق، جامعة الأزهر، دار الكتب المصرية، العدد الثامن، ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٨ م.
- * عبد العزيز سيّد الأهل: جعفر بن محمد الإمام الصادق (عليه السلام)، دار الشرق الجديد، بيروت لبنان، ط ١، أيلول ١٩٥٤ م.
- * كمال مساعد: منهج تحصيل الأخلاق عند ابن رشد الحفيد وبديع الزمان سعيد النورسي دراسة مقارنة، مجلة المنهل، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي الجزائر، المجلد السابع، العدد الأول، ذو القعدة ١٤٤٢ هـ / جوان ٢٠٢١ م.
- * محمد أمين زين الدين: الأخلاق عند الإمام الصادق، منظّمة الإعلام الإسلامي قسم العلاقات الدولية، د. ب، د. ط، جمادى الأول ١٤٠٣ هـ.
- * محمد محمد فياض: جابر بن حيّان وخلفاؤه، دار المعارف، مصر، ط ٢، د. س.
- * مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، القاهرة مصر، ط ٢، ١٩٩٩ م.
- * ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق عند الفارابي، مكتبة طريق العلم - دار دجلة، عمان - الأردن، د. ط، ٢٠١٢ م.

موقف الإمام جعفر الصادق عليه السلام تجاه القول بنزول القرآن على سبعة أحرف

أ. م. د. علي نيكوکار

جامعة المصطفى العالمية / إيران

ملخص البحث

يتناول البحث نقد الروايات التي تُسجّت لتأسيس نواة القول بنزول القرآن على سبعة أحرف، وهي من بحوث القراءات القرآنية التي تعتبر من الدراسات المهمة في مباحث علوم القرآن؛ لدورها الأساس في توثيق النصّ القرآني، والوقوف على دور أئمة آل البيت عليهم السلام في تنفيذ هذا القول خصوصاً الروايات الصحيحة التي وردت عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال، تكمن خطورة هذه القول باعتبار ارتباطه بالقرآن الكريم الذي هو دستور إلهي للأمة الإسلامية، وقد أوجدت خلافاً عقائدياً كبيراً بين علماء المذاهب الإسلامية.

اعتمدنا في تدوين البحث على النصوص المنقولة في كتب أهل السنة، المنسوبة للنبي الأكرم عليه السلام حول نزول القرآن على سبعة أحرف، وعلى المعاني والوجوه والتفسيرات التي أوردوها من أجل تلميع هذه المزاعم وإعطائها صبغة شرعية، ثم أتبعناها بروايات صحيحة صدرت عن أئمة آل البيت عليهم السلام وبالأخص ما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تنفيذ هذا القول.

للولصول إلى غاية البحث استعنا بالمنهج الاستقرائي التحليلي، باستقراء النصوص التي تحدثت أو أشارت إلى موضوع هذا القول من مظان الكتب المهمة معتمداً على المصادر الأولية، والوقوف على سندها، حيث تتبعنا أغلب هذه الروايات التي نسبت إلى النبي الأكرم ﷺ، وقمنا بجمعها ودراستها وتصنيفها وتحليلها، وحاولنا أن نعطي فيها صحيحاً لها.

توصلنا إلى نتيجة مفادها أن هذه النصوص ضعيفة وفيها اضطراب وتناقض فيما بينها، وأن علماء أهل السنة تمسكوا بها وأصبحوا يؤولونها ويلتمسون لها وجوهاً ومعاني؛ لذا قالوا بأن القرآن نزل على سبعة أحرف، وأصبحت رائجة بينهم وتناقلوها إلى يومنا وتمسكوا بها وطعنوا بمن خالفها، وهناك وهم وخلط وقع عند البعض في عدم التمييز بين الأحرف السبعة والقراءات السبعة، حيث زعموا أنها القراءات السبعة المشهورة، وأن الإمام الصادق عليه السلام كذب مزاعم هذا القول، وصرح قائلاً: أن القرآن نزل على حرف واحد من عند الواحد.

الكلمات المفتاحية: القرآن، القراءة، القراءات القرآنية، الإمام الصادق، الأحرف السبعة.

Abstract

The research deals with criticism of the narratives that were woven to establish the nucleus of the theory of the revelation of the Qursan in seven letters. It is one of the researches on Qursanic readings that is considered one of the important studies in the studies of Qursanic sciences. For its fundamental role in documenting the Qursanic text. And examining the role of the imams of the Prophetss family (peace be upon them) in refuting this theory, especially the authentic narrations that were reported from Imam al-Sadiq (peace be upon them) in this field. The danger of this theory lies in its connection with the Holy Qursan, which is a divine constitution for the Islamic nation. It has created a major ideological disagreement among scholars of Islamic schools of thought.

In recording the research, we relied on texts transmitted in the books of the Sunnis, attributed to the Most Noble Prophet (may Godss prayers and peace be upon him and his family) about the revelation of the Qursan in seven letters. And the meanings, aspects, and explanations they provided in order to polish these allegations and give them a legal character. Then we followed it with authentic narrations issued by the imams of the Prophetss family (peace be upon them), especially what was reported by Imam Jaafar al-Sadiq (peace be upon him) in refuting this theory. To reach the goal of the research, we used the inductive and analytical method, by extrapolating texts that spoke or referred to the subject of this theory from important books, relying on primary sources. And to find out its chain of transmission, as we traced most of these narrations that were attributed to the Noble Prophet (may Godss prayers and peace be upon him and his family). We collected, studied, classified and analyzed them, and tried to give a correct understanding of them.





We have come to the conclusion that these texts are weak and contain confusion and contradiction between them. And the scholars of the Sunnis adhered to it and began to interpret it and seek faces and meanings for it. So they said that the Qursan was revealed in seven letters. It became popular among them and they passed it on to this day, and they adhered to it and criticized those who disagreed with it. There is an illusion and confusion that occurred among some in not distinguishing between the seven letters and the seven readings. Where they claimed to be the seven famous readings. Imam Al-Sadiq (peace be upon him) denied the claims of this theory. He stated: The Qursan was revealed on one letter from one person.

Keywords: The Quran, reading, Qursanic readings, Imam Al-Sadiq, the Seven Letters.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب قلوب العالمين أبي القاسم مُحَمَّد وآل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين.

أنزل الله تعالى القرآن الكريم بالحق، وفضّله على سائر الكتب السماوية، وجعله مُصدّقاً لما بين يديه، ووعد بحفظه وصانه من الزيادة والنقصية والتبديل والتغيير على مرّ الدهور، فهو نوره المبين وبرهانه القويم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^١.

وأرسل رسوله المصطفى شاهداً ومبشراً ونذيراً^٢، إذ دعاهم ﷺ إلى تعلمه وقراءته وحفظه، والتمسك بجبل الله المتين، كتاب الله وعترته الطاهرين، فهما الصراط القويم المستقيم.

والقرآن دستورٌ كامل شامل لمتطلبات الحياة البشرية، والمصدر الأول للتشريع الإسلامي، والله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يقرأه على الناس كافة بتأن ومهل، تسهيلاً على فهمه وتيسيراً لحفظه، وقد أمرنا بتعلمه وقراءته، حيث قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^٣، وتكفل الله تعالى بحفظه^٤، فلم يعهد كتاب سماوي بهذه الخصوصيات، وبهذه العناية الفائقة بالحفاظ على نصّه وأداء كلماته؛ لذا حرص النبي الأكرم ﷺ منذ نزوله على تربية جيل من الصحابة تفرغوا لتعلمه وقراءته وحفظه وتعليمه، حيث بذلوا أنفسهم لهذا الأمر.

ولكن بعد وفاته ﷺ عام ١٠هـ، وانتشار القرآن في الأمصار، كثر القرّاء وتنوعت القراءات، وقد ظهرت أحاديث موضوعية في كيفية قراءة القرآن وأنه أنزل على سبعة أحرف، بهذه الأسباب وغيرها قام عثمان بن عفان



(٤٧ ق هـ ٣٥هـ) في عام (٢٥ هـ)، بتوحيد المصاحف باقتراح من الصحابي حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ)، تحت نظر واطلاع أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث نسخ مصحفاً موحداً جمع الناس على قراءته، وأُتلف بقية المصاحف، وكان هذا بمسمع وتأيد أغلب الصحابة^٥.

يقول المحاسبي (ت ٢٤٣هـ): «المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهدته من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات والقرآن»^٦.

تسبيع القراءات

توحيد المصاحف وحمل الناس على القراءة بوجه واحد، لم تحسم نهائياً مسألة القراءات واجتهادات القراء، حيث تتناقل شفاهاً بين القراء وتلامذتهم، وفي زمن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) (٨٣١-٤٨هـ) كان لها أثر وقائل بها بين الناس، وبمرور الزمان كثرت إلى حد ما خصوصاً في عهد شيخ القراء ابن مجاهد (٢٤٥-٣٢٤هـ) وطبق اجتهاده الشخصي انتخب سبعة من القراء من بلدان إسلامية متفرقة، وأزمنة مختلفة، مراعيّاً شهرتهم عند عوام الناس، حيث اقتصر على قراءتهم، وسمّي بـ (مسبّع) القراءات. كثيرون من العلماء خصوصاً أئمة القراء لاموا ابن مجاهد وخطؤوه على فعله باختياره هذا العدد، يقول: أبو العباس المهدوي (ت ٤٤٠هـ): «لقد فعل مسبّع هؤلاء السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله، وأشكل الأمر على العامة حتى جهلوا ما لم يسعهم جهله، وأوهم كل من قلّ نظره أن هذه هي المذكورة في الخبر النبوي لا غير، وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة»^٧.

ويقول ابن الجزري الشافعي (٧٥١ - ٨٣٣ هـ): «كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء، وخطؤوه في ذلك، وقالوا: ألا اقتصر على دون هذه العدد، أو زاده أو بيّن مراده، ليُخلص من لا يعلم من هذه الشبهة»^١.

ثبتت الأحرف السبعة في أذهان عوام الناس بتسبيح ابن مجاهد، على أنها هي القراءات السبعة، وعلماء أهل السنة تناقلوها في مصادرهم الحديثية، وكان لها أثر كبير في كيفية قراءة القرآن، حيث أصبح النصّ القرآني في معرض التوسعة والرخصة في قراءته بأي شكل، من باب التيسير والتسهيل والتخفيف على الأمة، وفي هذا البحث نستعرض بعضاً من هذه الأحاديث المزعومة التي كانت سبباً في تكوين هذا القول ثم نعرضها للتحليل والنقد ونلحقها بأحاديث صحيحة وردت عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في تكذيبها ونسفها وبتر جذورها، وسوف نرتبها على مبحثين كما يلي:

المبحث الأول: المفاهيم الأساسية

قبل التعرض لجوانب البحث علينا أن نبيّن بعض المفاهيم الأساسية المهمة التي نعتد عليها؛ لما لها من أثر في فهم البحث، حيث نتعرض إلى كلمات علماء اللغة العربية وما تعنيه في العرف العربي العام، والوقوف على معناها الاصطلاحي عند أهل الاختصاص، وهي كما يلي:

أولاً: القراءة لغةً واصطلاحاً

القراءة لغةً

قال الجَوْهَرِيُّ (٣٣٢ - ٣٩٣ هـ): «قرأت الشيء قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط وما قرأت جنيماً، أي لم تضم رحمها على ولد. وقرأت الكتاب قراءةً وقرّناً، ومنه سمى القرآن»^٩.

وقال الفيروزآبادي (٧٢٩-٨١٧ هـ): «القراءات جمع قِراءةً، وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ، يقال: قرأ، يقرأ، قراءةً، قرّناً، بمعنى تلا، فهو قارئ»^{١٠}.

وهناك تعاريف كثيرة ذكرها علماء أهل اللغة وأغلب عباراتهم قريبة من بعض، لذا اقتصرنا على هذين التعريفين.

القراءة اصطلاحاً

هناك كلمات كثيرة للعلماء تعرضوا فيها إلى تعريف القراءة وبما أن أغلبهم صاغوا عباراتهم من تعريف أبي شامة المقدسي الشافعي (٥٩٩ - ٦٦٥ هـ)؛ لذا اقتصرنا على تعريفه حيث عرّفها قائلاً: «علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً»^{١١} لنقله^{١٢}، وقد تبعه ابن الجزري الشافعي (٧٥١-٨٣٣ هـ) وغيره^{١٣}.

أي هو العلم الذي يهتم بأداء ونطق كلمات القرآن الكريم من حيث تخفيفها وتشديدها، ومدّها وقصرها، وفصلها ووصلها، وتسهيل الهمزات وغيرها من قواعد أصول التلاوة القرآنية.

وأبو شامة المقدسي الشافعي (٥٩٩ - ٦٦٥ هـ) في تعريفه بين سبب اختلافها حيث نسب وأسند هذا الاختلاف إلى نقله الرواية، وهذا هو موقف الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) (٨٣ - ١٤٨ هـ) وما ذكره تجاه القراءات قبل عدة قرون.

ثانياً: الحَرْفُ لغةً واصطلاحاً

الحَرْفُ لغةً

عرّفه الجوهري (٣٣٢ - ٣٩٣ هـ) قائلاً: «الْحَرْفُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: طَرَفُهُ، وَشَفِيرُهُ، وَحَدُّهُ، وَمِنْهُ حَرْفُ الْجِبَلِ وَهُوَ أَعْلَاهُ الْمُحَدَّدُ. والحرف: واحد حروف التهجي. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ قالوا: على وجه واحد، وهو أن يعبد على السراء دون الضراء»^{١٤}.

وقال ابن سيده (٣٩٨ - ٤٥٨ هـ): «الْحَرْفُ الْقِرَاءَةُ الَّتِي تَقْرَأُ عَلَى أَوْجِهٍ وَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِهِ (عليه السلام): نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ أَرَادَ بِالْحَرْفِ اللَّغَةَ»^{١٥}.

ابن الأثير الشافعي (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) بعدما تعرض إلى أقوال عدة في معناه اختار أحسنها قائلاً: «الْحَرْفُ فِي الْأَصْلِ الطَّرْفُ وَالْجَانِبُ وَبِهِ سُمِّيَ الْحَرْفُ مِنْ حُرُوفِ الْهَجَاءِ»^{١٦}، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ أي على طرف وجانب من الاعتقاد.

الحَرْفُ اصطلاحاً

يقول محب الدين النويري المالكي (٨٠١ - ٨٥٧ هـ): «الحرف: القراءة، يقال: حرف نافع، حرف حمزة، أي قراءة نافع، وقراءة حمزة.

وقال أبو عمرو الداني المالكي (٣٧١ - ٤٤٤ هـ): «يَحْتَمِلُ الْأَحْرَفُ هُنَا وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَوْجِهٍ مِنَ اللُّغَاتِ؛ لِأَنَّ الْحَرْفَ يَرَادُ بِهِ الْوَجْهُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾^{١٧}،

أي: وجه مخصوص: وهو النعمة والخير وغيرهما، فإذا استقامت له اطمأن وعبد الله، وإذا تغيرت عليه ترك العبادة.

والثاني: أنه سمى القراءات أحرفاً على طريق السبعة، كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره، فسمى القراءة حرفاً. قال الناظم: والأول يحتمل احتمالاً قوياً في قوله ﷺ: «سبعة أحرف» أي: سبعة أوجه وأنحاء. والثاني يحتمل احتمالاً قوياً في قول عمر: سمعت هشاماً يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة، أي على قراءات كثيرة، وكذا قوله في الرواية الأخرى: سمعته يقرأ فيها أحرفاً^{١٨}.

نعم، تصور البعض أن هذه الأحرف السبعة هي القراءات السبعة، وقد تم تخطئة هذه التصورات والادعاءات من قبل بعض علماء القراءات، من أمثال: مكي بن أبي طالب المالكي (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ)، وابن عمار المهدوي (ت ٤٤٠ هـ)، وأبي شامة الشافعي (ت ٦٦٥ هـ) حيث قالوا: «من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم، هي الأحرف السبعة التي في الحديث، فقد غلط غلطاً عظيماً»^{١٩}.

المبحث الثاني: أحاديث نزول القرآن ونقدها

نتعرض في هذا المبحث على الأمور المهمة التي اعتمدناها في تدوين البحث، حيث نستعرض الأحاديث المزعومة التي تعرضت أو أشارت إلى نزول القرآن، ونسبت زوراً وكذباً إلى النبي الأكرم ﷺ، ثم نبين الغاية والهدف من نزول القرآن على سبعة أحرف، بعدها نقوم بنقد وتحليل هذه الأحاديث، ثم نلحقها بأحاديث صحيحة وردت عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وسوف نرتبه على أمور، كما يلي:

الأمر الأول: أحاديث نزول القرآن

من خلال البحث والتحقيق في مظان كتب الصحاح ومصادر أهل السنة المعتمدة حول أحاديث الأحرف السبعة المنسوبة إلى النبي الأكرم ﷺ عثرنا على أحاديث كثيرة ألفاظها مختلفة ومعانيها متقاربة، قمنا بتتبعها وجمعها ودراستها وهذه النصوص تعرضت إلى هذا القول أو أشارت إليه، انتخبنا بعضاً منها صنفناها ورتبناها على شكل طوائف، كما يلي:

الطائفة الأولى: نزول القرآن على حرف واحد

(١) عن إسماعيل بن أبي خالد، بإسناده عن النبي ﷺ، قال: «إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف، فقلت: اللهم ربّ خفف عن أمتي! قال: اقرأه على حرفين، فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف، من سبعة أبواب من الجنة كلها شاف كاف»^{٢٠}.

(٢) عن عتبة بن مسعود أن ابن عباس (ت ٦٨ هـ) حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^{٢١}.

(٣) عن أبي بن كعب (ت ٣٠ هـ) أن النبي ﷺ كان عند أضاة بنى غفار، قال: فاتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على

حرف، فقال: اسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرفين، فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف فأياً حرف قرأوا عليه فقد أصابوا»^{٢٢}.

الطائفة الثانية: نزول القرآن على ثلاثة أحرف

(١) عن سَمُرَةَ عن النبي ﷺ قال: «أنزل القرآن على ثلاثة أحرف»^{٢٣}، نقلها بهذا اللفظ أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) في مسنده، عن سَمُرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «نزل القرآن على ثلاثة أحرف»^{٢٤}، ونقله كثيرون غيرهم. (٢) عن سَمُرَةَ قال إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يأمرنا أن نقرأ القرآن كما أقرأناه، وقال: «إنه أنزل على ثلاثة أحرف، فلا تختلفوا فيه، فإنه مبارك كُلُّهُ، فاقرووه كالذي أقرئتموه»^{٢٥}.

الطائفة الثالثة: نزول القرآن على سبعة أحرف

(١) فقد نقل مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩هـ)، حديثاً عن عمر بن الخطاب (٤٠ ق هـ ٢٣هـ)، نسبته إلى رسول الله ﷺ، بأنه قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه»^{٢٦}. (٢) في مسند الحميدي (ت ٢١٩هـ) حديث عن أم أيوب الأنصارية، نسبته إلى رسول الله ﷺ، حيث قالت بأنه قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، أيها قرأت أصبت»^{٢٧}.

(٣) نقل عبد الرزاق الصنعاني (١٢٦ - ٢١١هـ) عن أبي بن كعب (ت ٣٠هـ) مرفوعاً للنبي الأكرم ﷺ: «فقال لي: إن القرآن أنزل عليّ، فقل لي: على حرف أو على حرفين؟ قلت: بل على حرفين، ثم قيل لي: على حرفين أو

ثلاثة؟ فقلت: بل على ثلاثة، حتى انتهى إلى سبعة أحرف، كُلُّهَا شاف كاف ما لم تخلط تحتّم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة، فإذا كانت ﴿عزيز حكيم﴾ فقلت: (سميع عليم) فإن الله سميع عليم»^{٢٨}.

٤) عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ) قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف عليمًا حكيمًا غفورًا رحيمًا»^{٢٩}.

٥) عن أبي الجهم الأنصاري إن رجلين اختلفا في آية من القرآن فقال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال الآخر: تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا النبي ﷺ فقال: «القرآن يقرأ على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن فإن المراء في القرآن كفر»^{٣٠}.

٦) عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ) قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن»^{٣١}.

٧) عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف على أي حرف قرأتم أصبتم، فلا تماروا فإن المراء فيه كفر»^{٣٢}.

٨) عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ)، أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف، كُلُّهَا شاف»^{٣٣}.

٩) عن أنس (٩٣ - ١٧٩هـ) عن عبادة أن أبي بن كعب (ت ٣٠هـ) قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»^{٣٤}. وعن حذيفة (ت ٣٦هـ) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، رواه أحمد وأحمد والبزار والطبراني وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه كلام لا يضر^{٣٥}.

١٠) عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ) قال: قال النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول إلى غيره رغبة عنه»^{٣٦}.

(١١) وعن حذيفة (ت ٣٦هـ) أن رسول الله ﷺ قال لقيت جبريل عند أحجار المراء^{٣٧} فقلت يا جبريل: «إني أرسلت إلى أمة أمية، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لا يقرأ كتاباً»، فقال: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»^{٣٨}.

(١٢) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة»^{٣٩}.

(١٣) أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) في مسنده عن أبي بن كعب، قال: قرأت آية وقرأ ابن مسعود خلافها، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألم تقرني آية كذا وكذا، قال: «بلى»، فقال ابن مسعود: ألم تقرنيها كذا وكذا؟ فقال: «بلى، كلاهما محسن مجمل»، قال: فقلت له: فضرب صدري، فقال: «يا أبي بن كعب إني أقرئت القرآن، فقيل لي على حرف أو على حرفين، قال: فقال الملك الذي معي على حرفين، فقلت: على حرفين، فقال: على حرفين أو ثلاثة، فقال الملك الذي معي: على ثلاثة، فقلت: على ثلاثة، حتى بلغ سبعة أحرف ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت: غفوراً رحيماً أو قلت سميعاً عليماً أو عليماً سميعاً فالله كذلك، ما لم تختتم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب»^{٤٠}.

(١٤) نقل الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) حديثاً بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «قال جبرئيل: اقرأ القرآن على حرف! قال ميكائيل عليه السلام: استزده! فقال: على حرفين، حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف، فقال: كُلُّهَا شافٍ كافٍ، ما لم يختتم آية عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب كقولك هلم وتعال»^{٤١}.

ونقل هذا الحديث ابن عبد البر المالكي (٣٦٨ - ٤٦٣هـ) في التمهيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه بإضافات في ألفاظه، وقبلها قال: «أكثر

أحاديث هذا الباب حجة لهذا المذهب»، ثم يبين سند الحديث قائلاً: عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبي بكرة، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: اقرأ علي حرف، قال: فقال ميكائيل: استزده، فقال: اقرأ علي حرفين، فقال ميكائيل: استزده حتى بلغ إلى سبعة أحرف، فقال: اقرأه فكل شاف كاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب بآية رحمة على نحو هلم وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجل»^{٤٢}.

(١٥) نقل أحمد بن حنبل (٩٣ - ١٧٩ هـ) في مسنده عن أنس (٩٣١٧٩ هـ) عن أبي بن كعب (ت ٣٠ هـ) قال ما حك في صدري شيء منذ أسلمت إلا أني قرأت آية وقرأها رجل غير قراءتي فأتينا النبي ﷺ قال: قلت: أقرأتني آية كذا وكذا، قال: «نعم»، قال: فقال الآخر: ألم تقرني آية كذا وكذا، قال: «نعم، أتاني جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال: جبريل اقرأ القرآن على حرف واحد، فقال ميكائيل: استزده حتى بلغ سبعة أحرف كُلِّها شاف»^{٤٣}.

وأخرج هذا الحديث النسائي (٢١٥ - ٣٠٣ هـ) في السنن الكبرى عن أنس (٩٣-١٧٩ هـ) أن أبي بن كعب قال: ما حاك في صدري منذ أسلمت إلا أني قرأت آية فقرأها رجل على غير قراءتي، فقال: أقرأنيها رسول الله ﷺ هكذا، فقلت: أقرأني هكذا، فأتينا رسول الله ﷺ، فقلت: أقرأتني آية كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، الرجل: أقرأتني آية كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فقال رسول الله ﷺ: «إن جبريل وميكائيل أتياني فعمد جبريل فقعد عن يميني وقعد ميكائيل عن شمالي، فقال جبريل: اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقلت: زدني فزادني، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، فقلت زدني: فقال جبريل: اقرأ القرآن على ثلاثة أحرف، حتى بلغ على سبعة أحرف، فقال ميكائيل: استزده، فقال: اقرأ القرآن على سبعة أحرف كُلِّها شاف كاف»^{٤٤}.

(١٦) عن أبي قلابة (ت ١٠٦هـ)، قال: بلغني أنَّ النبي ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرفٍ، أمرٍ وزجرٍ وترغيبٍ وترهيبٍ وجدلٍ وقصصٍ ومثلٍ»^{٤٥}.

(١٧) عن مسلم النيسابوري في صحيحه وبإسناده عن أبي بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فدخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ قال: فقلت: يا رسول الله إنَّ هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأ، فحسن رسول الله ﷺ شأنهما، فوقع في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله ﷺ ما غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقاً كأنما أنظر إلى الله فرقا. فقال لي: «يا أبي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت عليه أن هوّن على أمتي، فرد عليّ في الثانية أن أقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هوّن على أمتي، فرد عليّ في الثالثة أن أقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة ردتها مسألة تسألنيها. فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب فيه إلى الخلق كلّهم حتى إبراهيم (عليه السلام)»^{٤٦}.

وهناك أحاديث كثيرة مبثوثة في مصادر كتب أهل السنة والجماعة، تزعم نزول القرآن على أحرف متعددة، نسبت للنبي الأكرم ﷺ، أغلبها تتحدث عن نزوله على سبعة أحرف، ونحن ذكرنا بعضاً منها تعرضت إلى نزوله على حرفٍ واحد أو أحرف ثلاثة، وإن كان عنوان بحثنا يتضمن الخوض في نزوله على سبعة أحرف؛ كي نُطلع القارئ الكريم على نظرهم في تعدد نزول القرآن والاضطراب والإرباك الموجود فيها، وهناك أحاديث كثيرة بالفاظ مختلفة وأسانيد متنوعة تعرضت إلى الأحرف السبعة أعرضنا

عنها تجنباً للإطالة وعدم الفائدة في ذلك، وإن شاء الله تعالى في الأمر الثالث سوف نقوم بنقد هذه الأحاديث وبيان رأينا فيها.

معنى أحاديث نزول القرآن

المعنى الإجمالي لهذه الأحاديث أن النبي الأكرم ﷺ يريد أن يخبر أمته أن الله تعالى أنزل القرآن على سبعة أحرف؛ ترخيصاً لهم وتخفيفاً وتوسعة عليهم ورفعاً للخرج، والإنسان المؤمن له الحق أن يقرأ بما يتيسر له، يقدم ويؤخر في كلمات القرآن أو يبدل في قراءة بعض كلماته تسهيلاً له، ولا يجب عليه الالتزام بالنص القرآني؛ لأنه فيه مشقة وحرماً وهذا مرفوع عنهم؛ لأنهم أمة أمية لا يقرؤون.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^{٤٧}، يقول تعالى ذكره: إنا نحن نزلنا الذكر وهو القرآن، وإنا له لحافظون، يقول أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ): «وإننا للقرآن لحافظون من أن يزداد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه»^{٤٨}.

الأمر الثاني: الهدف من نزول القرآن على سبعة أحرف وأسبابه

من خلال التحقيق والبحث في أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف، تعرفنا على بعض الغايات والأهداف الضرورية التي ذكرت في هذا المجال أو قلّ تخريجات العلماء لهذه الأحاديث على أن القرآن نزل على سبعة أحرف، حيث وجدنا بعض الأحاديث تصرح بهذه الأهداف والأغراض، وكذلك علماء أهل السنة أيدوا ذلك، منها:

أولاً: التخفيف والتسهيل عن أمة النبي ﷺ

في حديث إسماعيل بن أبي خالد^{٤٩} الذي أسنده إلى النبي ﷺ، حيث طلب ﷺ التخفيف من الله عن أمته، وبرواية أبي بن كعب أن هُوْن على أمتي^{٥٠}.

ابن الجَزَرِيِّ الشافِعِيُّ (٧٥١ - ٨٣٣ هـ) يبيّن السبب في ذلك حيث يقول: «فأما سبب وروده [القرآن الكريم] على سبعة أحرف، فالتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفاً لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبیب الحق، حيث أتاه جبريل فقال له: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ ﷺ: أَسْأَلُ اللَّهَ مَعَاذَهُ وَمَعُونَتَهُ إِنَّ أُمَّتِي لَا تَطِيقُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَزَلْ يَرُدُّ الْمَسْأَلَةَ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ»^{٥١}.

يقول ابن قتيبة الدِّينَوْرِيُّ (٢١٣ - ٢٧٦ هـ): «فكان من تيسير الله أن أمر الرسول ﷺ بأن يقرأ كُلُّ قَوْمٍ بِلُغَتِهِمْ وَمَا جَرَى عَلَيْهِ عَادَتُهُمْ، فَالْهَذِي يقرأ (عَتَى حِينَ) يريد ﴿حَتَّى حِينَ﴾^{٥٢}، لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها، [وهكذا تعرض إلى أمثلة من هذا القبيل للتسهيل] ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتباره طفلاً وناشئاً وكهلاً، لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل اللسان وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل له متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات كتيسيره عليهم في الدين، حين أجاز لهم على لسان رسوله ﷺ، أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم، وصلاتهم وصيامهم، وزكاتهم وحجّهم، وطلاقهم وعتقهم، وسائر أمور دينهم»^{٥٣}.

ثانياً: رفع الاختلاف بين القراء

في حديث سَمُرَةَ بن جُنْدَبٍ^{٥٤}، حيث طلب ﷺ من أصحابه عدم الاختلاف فيه؛ لأنه مبارك كُلُّه وقد نزل على سبعة أحرف.

يقول ابن الجَزَرِيِّ الشافعي (٧٥١ - ٨٣٣ هـ) حول اختلاف الصحابة ومرافعتهم للنبي الأكرم ﷺ: «إنَّ الصحابة الذين اختلفوا وترافعوا إلى النبي ﷺ كما ثبت في حديث عمر وهشام وأبى وابن مسعود وعمرو بن العاص وغيرهم، لم يختلفوا في تفسيره ولا أحكامه وإنما اختلفوا في قراءة حروفه»^{٥٥}.

ثالثاً: التيسير في قراءة القرآن

يقول عمر بن الخطاب: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها، فترافعا إلى النبي الأكرم ﷺ، وقال لهم: «اقرأوا ما تيسر منه»^{٥٦}.

رابعاً: التوسعة في النص القرآني

بعض الأحاديث^{٥٧} ذكرت أنه لا مشكلة في توسعة النص القرآني، ولا محذور في تعدد القراءات بأي قراءة قرأت أصبت، وكُلُّها جائزة ومباحة شرعاً، حيث قال جبرئيل عليه السلام: «اقرأ القرآن على سبعة أحرف كُلُّها شاف كاف».

خامساً: عدم المراء في القرآن

في حديث نقل عن أبي جهيم الأنصاري^{٥٨}، وآخر عن عمرو بن العاصي^{٥٩}، رفع الاختلاف بين الناس وعدم المراء في القرآن، فإنَّ المراء فيه كفر، وأي حرف قرأتم أصبتم.

أسباب هذه الأهداف هي:

هناك أسباب ابنتت عليها هذه الأغراض والأهداف التي ذكرناها سابقاً، وهي:



السبب الأول: أن أمة النبي الأكرم ﷺ لا تطبق قراءة القرآن على حرف واحد أو على حرفين أو على ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أحرف، أما على سبعة أحرف فإن أمة ﷺ تطبق قراءة القرآن.

مناقشة

جاء روح الله الأمين جبرئيل عليه السلام، بأمر من الله تعالى يأمر النبي الأكرم ﷺ بأن يُقرئ أمته القرآن على حرف واحد فقط، (لماذا يأمره بقراءة القرآن وبالتحديد على حرف واحد، لماذا قيد في الجملة (حرف واحد)، يكفي أن يخبره كما هو صريح القرآن: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾^{٦٠}، يعني يقرأ عليكم آيات الله تعالى مُبَيِّنَاتٍ أي واضحات، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^{٦١}، اشتراك المؤمنين في العبادة مع النبي الأكرم ﷺ أي أنت وقومك إقرأوا القرآن، إن مفهوم الآية تدل على قراءة ما يتمكن عليه الإنسان حتى لو عدد قليل من الآيات، التوجه هنا للكيفية في القراءة وليس للكمية في قراءة الآيات التي يقرأونها وهذا من أجل التخفيف عليهم، والسبب؛ أولاً: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ﴾، ثانياً: ﴿يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، ثالثاً: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وبلا شك أن هذه الأسباب الثلاثة يعلمها الله تعالى، فالمرض والسفر والجهاد في سبيل الله تعالى، أصبحت عناوين للأعذار؛ باعتبار أن الحياة مليئة بالمشاكل والمحن، لذا الله تعالى خفف علينا بأن نقرأ ما تيسر من القرآن، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾^{٦٢}.

وتفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾، يقول الشيخ مكارم الشيرازي: «يَسَّرْنَاهُ، من مادة التيسير، أي التسهيل، والله سبحانه يقول: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾^{٦٣}، فيمكن أن يكون هذا التسهيل من جوانب مختلفة:

أولاً: من جهة أن القرآن عربي فصيح، عذب سلس العبارة، وله نعمة تفرح القلب، وتلاوته سهلة على اللسان.

ثانياً: من جهة أنه سبحانه قد سلط نبيه ومكنه من آيات القرآن، بحيث كان يستفيد منها بكل بساطة في كل مكان، وحل أية مشكلة، وكان يتلوها دائماً على المؤمنين، وبلا انقطاع.

ثالثاً: من جهة المحتوى، برغم عمق معانيه وكثرة ما يستنبط منه، فإن إدراكه سهل وبسيط في الوقت نفسه، ولا ريب أن كل هذه الحقائق الكبيرة والمهمة التي صبت في قالب هذه الألفاظ المحدودة، سهلة الإدراك، وهي بذاتها دليل على إعجاز القرآن»^{٦٤}.

السبب الثاني: أُمِّيَّةُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ

ظاهر حديث حذيفة (ت ٣٦هـ) عندما لقي رسول الله ﷺ جبرئيل عليه السلام عند أحجار المرءاء، أخبره أن الله تعالى بعثني إلى أمة أممية لا يقرؤون، سواء الرجل منهم أو الغلام، بل حتى الشيخ الفاني، وبهذا السبب جبرئيل عليه السلام قال له: ﴿إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ﴾^{٦٥}.

الأمر الثالث: نقد أحاديث الأحرف السبعة

من خلال البحث والتحقيق والقراءة المتأنية التحليلية لألفاظ أحاديث الأحرف السبعة، وقفنا على إشكالات وإيرادات كثيرة، وسوف نقتصر على بعض منها رتبناها كما يلي:

أولاً: هناك اضطراب وإرباك في متن الأحاديث، شرع من القراءة بحرف واحد إلى حرفين حتى بلغ سبعة أحرف، وأغلبها تقف على هذا العدد! في رواية ثلاثة أحرف، نقلها أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) عن سَمُرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «نزل القرآن على ثلاثة أحرف»^{٦٦}، وغيرها من الأحاديث التي تطرقت إلى تنوع عدد نزول حروف القرآن، فكيف استقر القول على سبعة أحرف، فهناك تعارض والتباس في العدد بين الروايات، لا نستطيع الجمع بينهما ونختار عدداً نصحه في نزول القرآن، إلا إذا نسفناها بالحديث الصحيح الوارد عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في تكذيب هذا القول.

ثانياً: المعروف أَنَّ جبرئيل (عليه السلام) واسطة بين الله تعالى وبين نبيه ﷺ، ومهمته إبلاغ رسالة الله تعالى إلى أنبياءه، أما ميكائيل (عليه السلام) ما دخله في هذا الموضوع كي يطلب من جبرئيل (عليه السلام) استزادة حروف القرآن، وجبرئيل (عليه السلام) من جوزه بالتصرف بحروف القرآن وقبول قول ميكائيل (عليه السلام) بزيادة الأحرف، هناك غموض يكتنفه ضعف في سرد هذه الروايات.

ثالثاً: هناك اختلاف كبير بين علماء أهل السنة في تفسير الأحرف السبعة، فقد ذكروا أربعين قولاً، مع إجماعهم أنه ليس المراد بها القراءات السبعة، وهذا الاختلاف يدل على ضعف دلالتها والمراد منها هي عين القراءات القرآنية، فهم غير متفقين بينهم على معناها، يقول ابن الجَزَرِيِّ الشافعي (٧٥١-٨٣٣هـ): «وقد اختلفت أقوال العلماء في المراد بهذه الأحرف السبعة على نحو من أربعين قولاً مع إجماعهم على أنه ليس المراد بها قراءات سبعة من القراء كالسبعة المشهورين، وإن كان يظن ذلك بعض العوام؛ لأنَّ هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا»^{٦٧}.

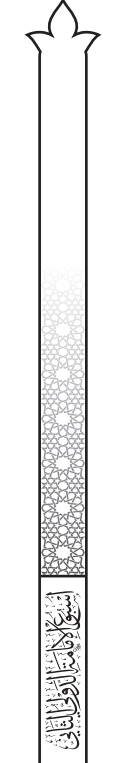
رابعاً: ضعف سند الأحاديث وأنها أخبار آحاد غير متواترة، واقتصار نقله على بعض كتب أهل السنة فقط والبعض الآخر لم ينقلوها، ولم نقف

على أن النبي الأكرم ﷺ حدّد العدد سبعة، ولا الصحابة تطرقوا له، ولم تذكر في مصادر علماء الشيعة الإمامية، بل هناك أخبار كثيرة صحيحة السند تعارض هذه الأقوال.

خامساً: يقول السيد الخوئي (١٣١٧ - ١٤١٣ هـ): «قد تضمنت الروايات المتقدمة أن النبي ﷺ قال: إِنَّ أُمَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ «القراءة على حرف واحد» وهذا كذب صريح، لا يعقل نسبته إلى النبي ﷺ لأننا نجد الأمة بعد عثمان على اختلاف عناصرها ولغاتها قد استطاعت أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فكيف يكون من العسر عليها أن تجتمع على حرف واحد في زمان النبي ﷺ وقد كانت الأمة من العرب الفصحى»^{٦٨}.

سادساً: عملية توحيد المصاحف التي تمت في عام ٢٥ هـ من قبل عثمان، حيث جمع الناس على قراءة واحدة، وأتلف بقية المصاحف، تنسف القول بنزول القرآن على سبعة أحرف، حيث إن فكرة توحيد المصاحف تعتبر ضربة قاسية لمن أسسها، ولو كانت لها مشروعية لصرح بها عثمان فهو من صحابة النبي الأكرم ﷺ سمع منه وجالسه وصحبه فكيف يخالف النبي ﷺ بذلك، إذن لا أساس لها من الصحة، وعملية توحيد المصاحف وجمع الناس على قراءة واحدة تظهر مدى الضرر الذي لحق بالمسلمين بسببها، حيث أدت إلى تكفير بعضهم البعض؛ بسبب تنوع القراءات والتوسعة بها.

سابعاً: القول بالأحرف السبعة، طعن وضرب بلغة العرب وما تحمله من ألفاظ فصيحة وثقيلة، صعبة وبلغية، اعتادها العرب، وهي لغتهم السائدة خصوصاً عند قريش، ونحن في وقتنا الحاضر لا نستخدمها ولا نطيقها؛ لصعوبتها وقوة كلماتها، والله تعالى عندما ألقى قوله الثقيل الكريم: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^{٦٩} على نبيه الأكرم ﷺ، أنزله وسهله ويسره



الكتاب
المجلد
العدد
الطبعة

وبسطه بلسانه ﷺ، فالجميع فهم محتواه، وإن كان بليغاً وعميقاً جداً في محتواه، فهو كتاب سهل وميسر، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لِّدًّا﴾^{٧٠}، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^{٧١}، وهذا التيسير بلسانه يطعن بالحكمة التي ذكروها في إنزال القرآن على سبعة أحرف؛ توسعة ورحمة من الله تعالى لعباده، والعجم أولى بذلك، لكنهم فهموا القرآن وتعلموا قراءته بإتقان، ولا أدري القول أكثر تيسيراً وتسهيلاً، أم لسان النبي الأكرم ﷺ الذي وصفه القرآن بذلك! وقوله تعالى: ﴿يُطَهِّرُنَ﴾ أكثر تسهيلاً أم (يُطَهَّرُنَ) التي هي من قول البشّر، فقد يسره ولكن بشّر به المتقين، وأنذر به الخصم واللد، الكفرة المعاندين. ثامناً: لم نقف على أن النبي الأكرم ﷺ، قرأ آية بقراءتين أو أكثر، عند نزول القرآن وتبليغه أو بعده، كذلك مصادر وكتب المذاهب الإسلامية مليئة بشواهد من الآيات الشريفة، نقلت عنه ﷺ وعن الأئمة عليهم السلام خصوصاً الإمام جعفر الصادق عليه السلام فهم تقيّدوا بذكر قراءة واحدة لكل آية.

تاسعاً: لم نقف على دليل قاطع، يدل على أن الأحرف السبعة هي القراءات السبعة، فلا توجد أي علاقة بينهما، والالتباس الذي وقع فيه الناس؛ بسبب تسبيع ابن مجاهد (٢٤٥ - ٣٢٤ هـ) للقراءات، وجاء بالقراء السبعة واختارهم من أماكن متعددة وبلاد متفرقة، وهم متأخرون زماناً عن عصر النصّ، بل أنهم متأخرون زماناً عن عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي نسف القول بنزول القرآن على الأحرف السبعة في عهده سوف يأتي إن شاء الله تعالى وكذب كلّ من يزعم ذلك.

عاشراً: هناك روايات ذكرت أن القرآن الكريم كان في عهد النبي الأكرم ﷺ مجموعاً ومؤلفاً، حيث اهتم ﷺ بمعجزته الخالدة، فكان يُقرأ ويُدرس ويُحفظ ويدوّن في زمانه، وقد وصلنا بالتواتر على ما هو عليه الآن.

الحادي عشر: قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^{٧٢}، فهو واسطة للفيض الإلهي ومبلغ عن الله للناس، وليس له الحق في تبديل كلمات الله تعالى من عند نفسه، فهو تابع لأوامر الله تعالى ووحيه، ومخالفة أوامر الله تعالى معصية وهو لا يعصي ربه إطلاقاً، وواضح أن تبديله معناه: أن يأتي بالفاظ مرادفة له، أو تغيير نظمه أو تبديل آية مكان آية، أو حذف كلمة أو إضافة كلمة أو تحريك حرف من الحروف، أو أي عمل كان في القرآن على نحو تبديله، سواء كان زيادة أو نقصاناً، وهذا كله وارد ويشمل معنى التبديل في اللغة، وأيضاً بنص القرآن لا يجوز ولا يحق للنبي ﷺ أن يغير حرفاً منه من تلقاء نفسه، بل إنه ﷺ وآل بيته كانوا يتقيدون حتى في الدعاء الذي يعلمونه لأصحابهم، ويحتاطون بعدم إجراء أي تغيير أو تبديل أو إضافة على لفظه، نقل ابن حزم الأندلسي الظاهري (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ)، أن النبي الأكرم ﷺ علّم البراء بن عازب (١٠ ق هـ ٧٢ هـ) دعاء كان فيه لفظ: «نبيك الذي أرسلت» فقرأ براء: (ورسولك الذي أرسلت)^{٧٣}، فأمره ﷺ أن لا يضع عبارة (ورسولك) بدلاً عن «ونبيك»، فلم يدعه أن يبدل كلمة مكان أخرى، وهي تعني نفس المعنى الذي أمره بها، وهما يدلان على شخص النبي الأكرم ﷺ، كذلك الإمام جعفر الصادق عليه السلام في دعاء الغريق، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ستصيبكم شبهة فتبتقون بلا علم يرى، ولا إمام هدى ولا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق»، قلت: كيف دعاء الغريق؟ قال: يقول: «يا الله يا رحمن يا رحيم، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقلت: يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك، قال: «إن الله عز وجل مقلب القلوب والأبصار ولكن قل كما أقول لك: يا مقلب القلوب ثبت

قلبي على دينك»^{٧٤}. فإذا كان هذا في الدعاء، فماذا يكون الحال في القرآن الكريم، الذي نزل من عند الله تعالى لفظاً ومعنى! فأنه ﷺ رسول من الله تعالى، ومأمور بتبليغ رسالته، وتبع لما أنزل إليه من ربه، ثم إن القرآن هو معجزة النبي الأكرم ﷺ ودستور إلهي للبشر، والاختلاف في قراءة ألفاظه، يوجب توهين وقصور من المنزل عليه، وعدم الاهتمام والاعتناء به، بعدما أنزله الله تعالى واعتنى بحفظه وصيانيته، وفي الحديث^{٧٥} أعلاه، «إن قلت: غفوراً رحيماً أو قلت سميعاً عليماً أو عليماً سميعاً فالله كذلك، ما لم تحتم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب»^{٧٦}!

الثاني عشر: إن القرآن كان يعرض على النبي الأكرم ﷺ في كل عام مرة، حيث نقل عن أبي هريرة (ت ٥٩ هـ)، أنه قال: «كان يُعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض»^{٧٧}.

وعن ابن عباس (٣ ق ٦٨ هـ) قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقيه في كل ليلة في شهر رمضان، حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبرئيل كان أجود بالخير من الريح المرسلة»^{٧٨}.

وقد أكدت السيدة الصديقة فاطمة الزهراء (٧ ق ١١ هـ) عرض القرآن نقلاً عن النبي الأكرم ﷺ، حيث قالت (عليها السلام): «إنه أسر إليّ، فقال: إن جبرئيل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة واحدة، وإنه عارضني به العام مرتين، ولا أراني إلا وقد حضر أجلي»^{٧٩}، وهذا الحديث نقله أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) في مسنده^{٨٠} والبخاري (٢٥٦ هـ) في صحيحه^{٨١}، وغيرهما من علماء أهل السنة.



في حديث أبي هريرة أن جبرئيل عليه السلام، كان يعرضُ على النبي ﷺ القرآن كُلَّ عام مرة، وفي حديث ابن عباس أن الرسول ﷺ يعرضُ على جبرئيل عليه السلام ما تعلمه منه، ولا تضاد بين الحديثين، سواء كان جبرئيل عليه السلام يقابل القرآن ويعرضه على النبي الأكرم ﷺ أو بالعكس، المهم أن هذا العرض الواقع فعلاً هو طريقة عملية؛ لتوثيق آيات القرآن الكريم، وتدارسها بين أمين الله تعالى جبرئيل عليه السلام وبين أمين الله تعالى ﷺ، وهذا كُلُّه من أجل العناية والاهتمام بالقرآن الكريم، وبلا شك الاعتناء به ودراسته يكون تلاوةً وقراءةً وحفظاً وتبيناً لكلِّ شيء، فهو تدارس لجميع ما نزل جبرئيل عليه السلام بما يخص القرآن الكريم من كُلِّ الجهات على النبي الأكرم ﷺ، ولم يعهد مثل هذا في بقية الكتب السماوية الأخرى.

نقول، عندما يتدارسان كان جبرئيل عليه السلام يعلم النبي الأكرم ﷺ قراءة واحدة أم يعلمه سبع قراءات؟ ثم النبي الأكرم ﷺ أكان يعرض على جبرئيل قراءة واحدة أم سبع قراءات؟ أليس هذا فيه حرج ومشقة على النبي ﷺ! والله تعالى ما أنزل عليه القرآن ليشقى.

الثالث عشر: طبق القول بنزول القرآن على سبعة أحرف، لا بُدَّ من وجود سبع نسخ للقرآن الكريم ومعنى هذا أن جبرئيل عليه السلام نزل بسبع نسخ من القرآن الكريم، وأن النبي الأكرم ﷺ نزل عليه ببعض الآيات مورد الاختلاف عدّة مرات مرة يقرأ كذا ومرة يقرأ كذا، أليس هذا إحراجاً ومشقة على النبي ﷺ؟ أين التسهيل والتخفيف في القرآن، فقط يشمل أمته!



سورة البقرة

الأمر الرابع: الإمام الصادق عليه السلام ينسف القول بنزول القرآن على سبعة أحرف

واجه هذا القول عند آل البيت عليه السلام الرفض التام وعدم قبوله، بل كُذِّبَ كل من ادعى ذلك، ويُنَوِّا أن أعداء الله يروجون له، وهو يمس بأصل عقيدة الإسلام وهو القرآن الذي أنزله الله تعالى دستوراً للبشرية.

وحول القول بنزول القرآن على سبعة أحرف نجد هناك موقفاً واضحاً صرح به الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حيث سُئِلَ عنه وأجاب إجابة شافية، عن الفضيل بن يسار (ت ١٤٨ هـ) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام (٨٣-١٤٨ هـ): إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَقَالَ: «كَذَّبُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ وَلَكِنَّهُ نَزَلَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ عِنْدِ الْوَاحِدِ»^{٨٢}، الفضيل بن يسار يسأل الإمام عليه السلام عن هذا القول نصاً، وذكر مزاعم الناس حوله، وكان ينتظر الجواب في هذه المسألة، الإمام جعفر الصادق عليه السلام حجة الله تعالى في زمانه يعطي الجواب القطعي حوله، قائلاً: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ عِنْدِ الْوَاحِدِ، أَيَّ إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ عِنْدِ الْوَاحِدِ، فَقَدْ هَدَمَ وَنَسَفَ هَذِهِ الْقَوْلَ وَكَذَّبَ الَّذِينَ أَسَّسُوهُ وَأَخْرَسَ كُلَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَلَمْ يَكْتَفِ بِهَذَا، بَلْ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ.

وقد نقل الشيخ الصدوق (٣٠٦ - ٣٨١ هـ)، حديثاً عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الْقُرْآنُ وَاحِدٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ وَاحِدٍ عَلَى وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا الْاِخْتِلَافُ مِنْ جِهَةِ الرُّوَاةِ»^{٨٣}.

وهناك حديث مروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام (٥٧ - استشهد عام ١١٤ هـ) بهذا المعنى وبنفس الألفاظ مع إضافة سبب الاختلاف، نقله زُرَّارَةُ (ت ١٥٠ هـ)، يقول عليه السلام: «إِنَّ الْقُرْآنَ وَاحِدٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ وَاحِدٍ، وَلَكِنَّ الْاِخْتِلَافَ يَحْيِي مِنْ قِبَلِ الرُّوَاةِ»^{٨٤}.

إذن القرآن الكريم واحد مثل بقية الكتب السماوية التوراة والإنجيل النازلة من الله تعالى الواحد الأحد، نزلت على نبيّ واحد، حيث نزل على قلب النبي الأكرم ﷺ على قراءة واحدة وبلغه واحدة هي لغة قريش حيث كان ﷺ قريشياً، والقرآن نزل عليه بلغة قومه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^{٨٥}، والإمام جعفر الصادق عليه السلام لم يكتفِ في بيان نزوله وأنه واحد نزل من عند الواحد، بل بيّن سبب الاختلاف في قراءته وأوعزها إلى الرواة الذين ينقلون الرواية؛ لذا قال: «وإنَّما الاختلاف من جهة الرواة».

روى أبو جعفر الصفار (٢٩٠هـ) بإسناده عن سالم بن سلمة قال قرأ رجُلٌ على أبي عبد الله (جعفر الصادق عليه السلام) وأنا أسمع حُرُوفاً مِنَ الْقُرْآنِ لَيْسَ عَلَى مَا يَقْرَأُهَا النَّاسُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «مَهْ مَهْ»^{٨٦} كَفَّ عَنْ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ أَفْرَأَ كَمَا يَقْرَأُ النَّاسُ»^{٨٧}.

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ السَّمْطِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ،
قَالَ: ﴿افْرُؤُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ﴾، وفي رواية ﴿افْرُؤُوا كَمَا تَعَلَّمْتُمْ﴾^{٨٨}.

ظاهر هذه الأحاديث أنَّ الإمام الصادق عليه السلام سُئل عن شخص سمع آيات من القرآن تُقرأ خلاف ما هو متعارف، فقال عليه السلام اقرؤوا كما علِّمتم، أمر عليه السلام بقراءة هذا القرآن الشائع والقراءة المعروفة بين الناس، واجتناب ما سمعه من الراوي ممَّا ليس معروفاً بينهم.

وعن عبد الله بن فرقد والمعلّى بن خنيس قالاً: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام ومعنا ربيعة الرّأي فذكرنا فضل القرآن فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إِنْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَا يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَتِنَا فَهُوَ ضَالٌّ»، فقال ربيعة: ضالٌّ؟ فقال: «نَعَمْ ضَالٌّ» ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «أَمَّا نَحْنُ فَنَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ أَبِي»^{٨٩}.

بلا شك أن الإمام الصادق عليه السلام (٨٣ - ١٤٨ هـ) لا يتبع أحداً، فهو عليه السلام متبوع وليس بتابع، ولا يتبع أبي وقراءته، بل هم أتباع لأبائهم عليه السلام، وظاهر الصحيحة أن قراءة أبي بن كعب (ت ٣٠ هـ) الذي أخذ القراءة عن النبي الأكرم عليه السلام كانت موافقة لقراءة أهل البيت عليه السلام، وهي القراءة المعروفة عندهم وعند أتباعهم.

من جانب آخر ظاهر الحديث «إِنْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ»، ضالٌّ في حال إذا لم يقرأ على قراءتهم، وإن كان ابن مسعود (ت ٣٢ هـ) صحابياً صاحب النبي الأكرم عليه السلام وأخذ القراءة منه، أو حتى غيره إذا قرأ قراءة غير قراءة أبي فهو ضالٌّ، علماً أن الفاصل الزمني بينهما^{٩٠} أكثر من تسعين عاماً، وظاهر الخبر لا يدل على بطلان قراءة ابن مسعود (ت ٣٢ هـ).

سبب الاختلاف في القراءة

من خلال حديث الإمام الصادق عليه السلام يتضح لنا بأن سبب اختلاف القراءات يأتي من قبل رواة القراءة وليس الاختلاف صادراً من قبل الله تعالى أو برخصة توسعة في نصه أخذت من جبرئيل عليه السلام أو أن النبي الأكرم عليه السلام خفف عن أمته بقراءته بهذه الطريقة كما تخيل أعداء الله، وسبب الاختلاف، منه:

(١) الاختلاف في القراءات المنسوبة التي رويت عن ابن مسعود (ت ٣٢ هـ) وابن عباس (ت ٦٨ هـ) وغيرهما.

(٢) إن رواة القراءات اختلفوا في النقل، والدليل على ذلك أنهم اختاروا لكل قارئ راويين، وهناك اختلاف بينهما في النقل وتلقي القراءة عن شيخهما، مثال كلمة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بسكون الطاء وضم الهاء مخففة، وهي قراءة عاصم الكوفي برواية تلميذه حفص وهي القراءة المطابقة للرسم القرآني، و﴿يَطْهَرْنَ﴾^{٩١} بفتح الطاء والهاء مع تشديدهما، وهي قراءة عاصم

الكوفيّ برواية تلميذه شعبة وهي القراءة المخالفة للرسم القرآني، فهناك اختلاف في نقل روايتي حفص وشعبة عن شيخهما عاصم الكوفيّ، وهناك أمثلة كثيرة من هذا بين تلميذي عاصم، وكذا بين بقية الرواة الذين نقلوا الرواية عن شيخهما.

نتائج البحث:

توصلنا من خلال البحث والتحقيق إلى نتيجة مفادها:

(١) إنّ نصوص أحاديث نزول القرآن فيها اضطراب وتناقض فيما بينها، وأنها مكذوبة وضعت من أجل التلاعب بالنصّ القرآني وتوسعته وتحريفه، وهناك إرباك في الغرض الذي وضعت من أجله تحت حجج واهية سواء تخفيفاً أو تيسيراً أو رفعاً للخرج عن الأمة الأميّة التي أرسل لها النبي الأكرم ﷺ.

(٢) هناك تصور وتوهم عند الناس بأنّ هذه القراءات السبعة هي الأحرف السبعة، بسبب تسبيع ابن مجاهد لها، وقد تم تخطئة هذه التصورات والادعاءات من قبل بعض علماء القراءات.

(٣) إنّ علماء أهل السنة تمسّكوا بها وأصبحوا يؤولونها ويلتمسون لها وجوهاً ومعاني؛ لذا قالوا بأنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، وأصبحت رائجة بينهم وتناقلوها إلى يومنا وتمسكوا بها وطعنوا بمنّ خالفها.

(٤) إنّ آل البيت ﷺ تصدوا إلى هذا القول، خصوصاً الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث كذب مزاعمهم ونسف قولهم بنصّ صريح، وصرح قائلاً: إنّ القرآن واحد، نزل من عند الله الواحد، على نبيّ واحد، وأنّ هذه الاختلافات منشؤها رواة الأحاديث واجتهاداتهم الشخصية.

الهوامش

- ١ - النساء: ١٧٤.
- ٢ - الفتح: ٨.
- ٣ - المزمل: ٢٠.
- ٤ - الحجر: ٩.
- ٥ - البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٦، ص ٩٩؛ ابن حزم، علي بن أحمد، الأحكام، ج ٤، ص ٥٢٣.
- ٦ - الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٣٩.
- ٧ - السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢١٥.
- ٨ - ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ٣٦.
- ٩ - الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ١، ص ٦٥.
- ١٠ - الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج ١، ص ١٨.
- ١١ - عزو الخبر إلى فلان، إسنادة إليه، يقال عزى الخبر إلى صاحبه: أسنده إليه، وعزاه إلى أبيه عزياً، أي نسبته. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ١٥، ص ٥٢.
- ١٢ - أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع، ص ١٣.
- ١٣ - ابن الجزري، محمد بن محمد، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص ٩.
- ١٤ - الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٤، ص ١٣٤٢.
- ١٥ - ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٢، ص ٢١.
- ١٦ - ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٣٦٩.
- ١٧ - الحج: ١١.
- ١٨ - محب الدين التويري، محمد بن محمد، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ١٤٩.
- ١٩ - ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري، ج ٩، ص ٢٨؛ أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز، ص ١٥١؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢١٥.
- ٢٠ - الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١، ص ٣١، ح ٢٦؛ المتقي الهندي، علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ٢،



ص ٥٥، ح ٣٠٩٨.

- ٢١- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ج ١، ص ٢٦٤،
٢٢- النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، ج ٢، ص ١٥٣؛ مسلم النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٢٠٤.
٢٣- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ص ٢٢٣.
٢٤- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ج ٥، ص ٢٢؛ ابن أبي شعبة الكوفي، عبد الله بن محمد، المصنف، ج ٧، ص ١٨٢، ح ٨.
٢٥- الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٧، ص ١٥٢؛ السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، الجامع الصغير، ج ١، ص ٤١٨، ح ٢٧٢٩.
٢٦- مالك بن أنس، الموطأ، ج ١، ص ٢٠١.
٢٧- الحميدي، عبد الله بن الزبير، مسند الحميدي، ج ١، ص ١٦٣.
٢٨- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف، ج ١١، ص ٢٢٠، ح ٢٠٣٧١.
٢٩- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ج ٢، ص ٣٣٢
٣٠- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ج ٤، ص ١٧٠؛ البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيثار، ج ٢، ص ٤١٩، ح ٢٢٦٥.
٣١- ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١، ص ٢٧٦؛ الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٧، ص ١٥٢.
٣٢- الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٧، ص ١٥٠؛ البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيثار، ج ٢، ص ٤١٩، ح ٢٢٦٦.
٣٣- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١، ص ٣٤، ح ٣٥.
٣٤- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ج ٥، ص ١١٤.
٣٥- الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٧، ص ١٥٠.
٣٦- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ج ١٠، ص ١٤٨، ح ١٠٢٧٣؛ السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، الجامع الصغير، ج ١، ص ٤١٨، ح ٢٧٢٦.
٣٧- أحجار المراء: موضع بقاء خارج المدينة. وذكر ابن الأثير في النهاية عن مجاهد أنها هي بقاء.
٣٨- الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٧، ص ١٥٠؛ المتقي الهندي، علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ٢، ص ٥٥، ح ٣١٠٧.
٣٩- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١، ص ٣٥، ح ٣٧؛

المتقي الهندي، علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ٢، ص ٥٥، ح ٣١٠٢.

٤٠ - ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ج ٥، ص ١٢٤.

٤١ - الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١، ص ٣٨، ح ٣٢.

٤٢ - ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد، ج ٨، ص ٢٩٠.

٤٣ - ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ج ٥، ص ١٢٢.

٤٤ - النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، ج ٥، ص ٥، ح ٧٩٨٦؛ ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، ج ٣، ص ١٢.

٤٥ - الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١، ص ٤٩، ح ٥٨؛ المتقي الهندي، علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ٢، ص ٥٥، ح ٣٠٩٦.

٤٦ - مسلم النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٢٠٣.

٤٧ - الحجير: ٩.

٤٨ - الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٤، ص ١١.

٤٩ - الحديث الأول من الطائفة الأولى.

٥٠ - الحديث السابع عشر من الطائفة الثالثة.

٥١ - ابن الجزي، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ٢٢.

٥٢ - المؤمنون: ٥٤.

٥٣ - ابن قتيبة الديوري، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، ج ١، ص ٣٢.

٥٤ - في الحديث الثاني من الطائفة الثانية.

٥٥ - ابن الجزي، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ٢٥.

٥٦ - الحديث الأول من الطائفة الثالثة.

٥٧ - الحديث الثاني والثالث والعاشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من الطائفة الثالثة.

٥٨ - الحديث الخامس من الطائفة الثالثة.

٥٩ - الحديث السابع من الطائفة الثالثة.

٦٠ - الطلاق: ١٠.

٦١ - المزمل: ٢٠.

٦٢ - المزمل: ٢٠.

٦٣ - مريم: ٩٧.

- ٦٤ - الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٩، ص ٥١٧.
- ٦٥ - الحديث الحادي عشر من الطائفة الثالثة.
- ٦٦ - ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ج ٥، ص ٢٢.
- ٦٧ - ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ٢٤.
- ٦٨ - الخوئي، أبو القاسم بن سيد علي أكبر، البيان في تفسير القرآن، ص ١٨٢.
- ٦٩ - المزمّل: ٥.
- ٧٠ - مريم: ٩٧.
- ٧١ - الدخان: ٥٨.
- ٧٢ - يونس: ١٥.
- ٧٣ - ابن حزم، علي بن أحمد، المحلى، ج ٨، ص ٤١١.
- ٧٤ - الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٥٢، ح ٤٩.
- ٧٥ - الحديث الثالث عشر من الطائفة الثالثة.
- ٧٦ - ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ج ٥، ص ١٢٤.
- ٧٧ - البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٠٢.
- ٧٨ - المصدر السابق، ج ٦، ص ١٠٢.
- ٧٩ - الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، ص ٦٩٢؛ النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، ج ٥، ص ١٤٦، ح ٨٥١٦؛ الطبراني، سليمان بن أحمد، كتاب الأوائل، ص ٨٤، ح ٥٧؛ الفتح النيسابوري، محمد بن الفتح، روضة الواعظين، ص ١٥٠.
- ٨٠ - أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ٦، ص ٢٨٢.
- ٨١ - البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٠١، ح ٩٤٨.
- ٨٢ - الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي، ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١٣.
- ٨٣ - الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٨٦؛ تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، سيد حيدر الأملي، ج ١، هامش ص ٢٠٣.
- ٨٤ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١٢.
- ٨٥ - إبراهيم: ٤.
- ٨٦ - أي: كُفِّفَ، عن هذه القراءة إنا لا نقول إلا ما وصل إلينا عن رسول الله ﷺ، ولا نقول برأينا.

٨٧- الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، ص ٢١٣، ح ٣.

٨٨- المفيد، محمد بن محمد، أوائل المقالات، ص ٣٢٩، ح ٨٦.

٨٩- الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي، ج ٢، ص ٦٣٤، ح ٢٧.

٩٠- الفاضل الزمني بين وفاة ابن مسعود (٣٢هـ) وتسلم الإمام الصادق عليه السلام الإمامة بشهادة الإمام الباقر عليه السلام عام (١١٤هـ)، ولعله نقلت قراءة لابن مسعود، فعقب الإمام عليه السلام عليها.

٩١- الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٨١؛ ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٨٧.



المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم
- * ابن أبي شيبة الكوفي، عبد الله بن محمد، المصنف، تحقيق: سعيد اللحام، بيروت، ط١، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.
- * ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، قم المشرقة، ط٤، الناشر: مؤسسة إسماعيليان، ١٣٦٤ش.
- * ابن الجزري، محمد بن محمد، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، بيروت، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ.
- * ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية.
- * ابن جبان، محمد بن جبان، صحيح ابن جبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، ط٢، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.
- * ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، بيروت، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.
- * ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، ط٢، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، ٢٠١٣م.
- * ابن حزم، علي بن أحمد، المحلى، طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، الناشر: دار الفكر.
- * ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، بيروت، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.
- * ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، المغرب، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧م.
- * ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية.
- * ابن مجاهد، أحمد بن موسى، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، القاهرة، ط٢، الناشر: دار المعارف، ١٤٠٠هـ.
- * أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود السجستاني، بيروت، ط١، الناشر: دار الفكر للطباعة، ١٩٩٠م.
- * أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، بيروت، الناشر: دار

الكتب العلمية، ٢٠١٣م.

* أبو شامة، عبد الرحمن بن

إسماعيل، المرشد الوجيز إلى علوم
تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق:

طيار ألفتي قولاج، بيروت، الناشر:

دار صادر، ١٩٧٥م.

* الأملي، سيد حيدر، تفسير المحيط

الأعظم والبحر الخضم في تأويل

كتاب الله العزيز المحكم، تحقيق:

محسن الموسوي التبريزي، قم المشرفة،

ط ٤، الناشر: مؤسسه فرهنگي ونشر

نور علي نور، ١٤٢٨هـ.

* البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح

البخاري، إستانبول، الناشر: دار

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،

١٩٨١م.

* البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب

الإيمان، بيروت، ط ١، الناشر: دار

الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

* الجوهري، إسماعيل بن حماد،

الصاح تاج اللغة وصحاح العربية،

تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار،

بيروت، ط ٤، الناشر: دار العلم

للملايين، ١٩٨٧م.

* الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد

الله، المستدرک على الصحيحين،

تحقيق: يوسف المرعشلي، بيروت،

دار المعرفة.

* الحميدي، عبد الله بن الزبير، مسند

الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن

الأعظمي، بيروت، ط ١، الناشر: دار

الكتب العلمية، ١٩٨٨م.

* الخوئي، أبو القاسم بن سيد علي

أكبر، البيان في تفسير القرآن، بيروت،

ط ٤، دار الزهراء، ١٩٧٥م.

* السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر،

الإتقان في علوم القرآن، بيروت،

ط ١، الناشر: دار الفكر، ١٩٩٦م.

* السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال،

الجامع الصغير، بيروت، ط ١،

الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٩٨١م.

* الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في

تفسير كتاب الله المنزل، قم المشرفة،

ط ١، الناشر: مدرسة الإمام علي بن

أبي طالب (عليه السلام)، ١٤٢١هـ.

* صبحي الصالح، مباحث في علوم

القرآن، قم المشرفة، ط ٥، الناشر:

منشورات الرضي، ١٤١٤هـ.

* الصدوق، محمد بن علي بن بابويه،

الاعتقادات في دين الإمامية، تحقيق:

عصام عبد السيد، بيروت، ط ٢،

الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٩٩٣م.

* الصدوق، محمد بن علي بن بابويه،

الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات

الإسلامية، قم المشرفة، ط ١، الناشر:

مركز الطباعة والنشر في مؤسسة

البعثة، ١٤١٧هـ.

* الصدوق، محمد بن علي بن بابويه،

- كمال الدين وتمام النعمة، قم المشرفة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٥ هـ.
- * الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، طهران، الناشر: منشورات الأعلمي، ١٤٠٤ هـ.
- * الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- * الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت، ط ٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي.
- * الطبراني، سليمان بن أحمد، كتاب الأوائل، تحقيق: محمد شكور الحاجي، بيروت، ط ١، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ هـ.
- * الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: خليل الميس، بيروت، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م.
- * القتال النيسابوري، محمد بن القتال، روضة الواعظين، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، قم المشرفة، الناشر: منشورات الشريف الرضي.
- * القاضي المغربي، النعمان، دعائم الإسلام، القاهرة، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: المعارف، ١٩٦٣ م.
- * الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران، ط ٥، الناشر: الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ هـ ش.
- * مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥ م.
- * المتقي الهندي، علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩ م.
- * المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، طهران، ط ١، الناشر: مؤسسة الطور للنشر، ١٤١١ هـ.
- * محب الدين التويري، محمد بن محمد، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: د. مجدي محمد سرور، بيروت، ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م.
- * المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، أوائل المقالات، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، بيروت، ط ٢، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ.
- * النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، بيروت، ط ١، الناشر: دار

الكتب العلمية، ١٩٩١م.

* النيسابوري، مسلم بن الحجاج،
صحيح مسلم، بيروت، الناشر: دار

الفكر، ٢٠٠٦م.

* الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع
الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت،
الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.



دار الكتب العلمية

آليات الإقناع في وصية الإمام الصادق لابنه موسى بن جعفر عليه السلام مقارنة حجاجية

د. لزعر عز الدين

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي / الجزائر

المُلخَص:

تختص هذه الدراسة بمعالجة قضية آليات الإقناع في النظرية الحجاجية اللسانية، من حيث ماهيتها، إلى طريقة اعتمادها، كما تُعنى أيضا بدراسة مدى توظيف هذه الآليات في النثر العربي وأدب الوصايا على وجه التخصيص، وإبراز تأثيرها عليه وتوجيهها لمضمونه ومدى تأثيرها على متلقيه.

والنظر في قضية استخدام آليات الإقناع في أدب الوصايا، من شأنها أن تجعل من هذه الدراسة دراسة تطبيقية محضة، إلى جانب الدراسة النظرية التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ باعتبارها الأساس لبناء أي بحث، ولذلك قد أخذنا وصية الإمام الصادق لابنه موسى بن جعفر من كتاب «مكاتب الأئمة» لعلّي الأحدي الميانجي أنموذجا للتطبيق عليه.

- الكلمات المفتاحية: الإقناع؛ الآليات الحجاجية؛ أدب الوصايا؛ جعفر الصادق عليه السلام.



Abstract

This study specializes in addressing the issue of persuasion mechanisms in linguistic argumentative theory, in terms of their nature, to the method of adopting them. It is also concerned with studying the extent to which these mechanisms are employed in Arabic prose and testamentary literature in particular, and highlighting their influence on it, directing its content, and the extent of their influence on its recipients.

Considering the issue of the use of persuasion mechanisms in the literature of wills would make this study a purely applied study, in addition to the theoretical study that cannot be dispensed with. As it is the basis for building any research, we have therefore taken Imam Al-Sadiq's will to his son Musa bin Jaafar from the book «The Writings of the Imams» by Ali Al-Ahmadi Al-Mianji as a model to apply to it.

Key words: persuasion; Argumentative mechanisms; Literature of wills; Jaafar Al-Sadiq, peace be upon him.

تمهيد:

ارتبطت نظرية الحجاج الخطابي في أكثر ممارساتها التطبيقية بالنشر العربي باعتباره نصا تواصليا قادرا على تضمين السلام الحجاجية والأفعال الكلامية بين طياته، والتي يرتجى من خلالها تجسير عملية الإقناع والتأثير الحاصل بين المؤلف والمتلقي ليتضح أن الحجاج طريقة من طرق التواصل، الغاية منه استمالة المتلقي وإقناعه والتأثير فيه، ويعد أدب الوصايا في التراث الإسلامي العربي واحدا من تلك النصوص التي أتاحت لكتابها مساحة واسعة لعرض الحجج والبراهين كوسائط حجاجية إقناعية.

هذا وموضوع بحثنا الذي اعتمدنا فيه على مدونة «مكاتب الأئمة» لمؤلفها علي الأحمد الميانجي وهي من أهم المدونات التي تضمنت أدب الوصايا، وقد اخترنا منها وصية «الإمام جعفر الصادق عليه السلام لابنه موسى بن جعفر عليه السلام» لتحليلها حجاجيا انطلاقا من البنية الصوتية للنص الحجاجي، والكلمة المعجمية، والتركيب الحجاجي، وكذلك حتى الوصول إلى الروابط الحجاجية التي عملت على بناء هذا التركيب.

وتطرح هذه المسألة على مستوى قضية محورية تعكسها الإشكالية الآتية:

- فيما تمثلت أهم الآليات الإقناعية التي اعتمدها الإمام الصادق عليه السلام

في بناء نص وصيته التي توجه بها لابنه موسى بن جعفر عليه السلام؟

وتنزل قضيتنا هذه في نطاق فرضيتين: الأولى منهما تقوم على تطبيق النظرية الحجاجية اللسانية بمختلف آلياتها من الأفعال الكلامية، الروابط والعوامل الحجاجية والسلام الحجاجية على نص الوصية، أما الثانية فتقوم على تطبيق النظرية الحجاجية الخطابية التي تعتمد في أساسها على السياق التداولي الذي قيل فيه وعلى ضوئه نص الخطاب.

واستتباعاً لذلك، فإنَّ هدفنا من هذا الدِّراسة هو استنباط أهمِّ الآليات الإقناعيّة المعتمدة من طرف الإمام الصادق (عليه السلام) في نص وصيته، مع طريقة ربطه فيما بينها وبنائها.

ونُنزل هذه الأهداف، والإشكاليّة المطروحة أعلاه، والفرضيّات المتوقّعة في نطاق ما نهتدي إليه من نتائج؛ بالنّظر في المدوّنات المختارة أنموذجاً لدراستنا، لاعتقادنا أنّها تحمل -ولو نسبياً- صورة عن هذه الآليات الإقناعيّة أو بعضها منها لضرورتها وحتميتها في كل خطاب حجاجي.

أولاً: عموميّات حول النظريّة الحجاجيّة وأدب الوصايا:

إنَّ الخطاب خلاف النص؛ وهو الكلام المنطوق الذي يستلزم وجوده تحقق عمليّة تواصلية متكاملة تقوم بين متكلّم أو مرسل، متلقي أو مرسل إليه، وخطاب أو رسالة يسعى هذا المتكلّم لإيصالها للمتلقي، والخطاب في نفسه ينقسم بحسب الغرض والغاية التي وجد لأجلها إلى عدّة أنواع، ومنها الخطاب الحجاجي؛ وهو الخطاب الذي يعطي ما يكفي من الحجج لإثبات أو نفي نتيجة معيّنة، فتنشأ علاقة حجاجيّة بين الحجج والنتيجة وينشأ معها الحجاج، حيث تتعدّد هذه الحجج وتختلف درجة قوتها، وبمجرد دخول حجة ما في فئة حجاجيّة معيّنة تصبح قابلة للدحض، ويمتنع أن تدخل في الفئة الحجاجيّة المقابلة^(١)، وبعبارة أخرى فإنّ الحجة دليل لإثبات رأي أو قضية معيّنة، ونقلها لتصير دليلاً للفئة المقابلة يعني نفيها تماماً، وإلاّ فإنّها من غير الممكن أن تتواجد الحجة نفسها في فئتين حجاجيّتين متقابلتين في الوقت نفسه.

هذا الأساس البنائي الذي يقوم على أساسه الخطاب الحجاجي، والذي تعتمد فيه النظرية الحجاجية على مجموعة من الآليات لتحليل قضايا هذا الخطاب وماهيته، ومدى قوة حججه في إثبات تلك

القضايا أو ضعفها، ومن هذه الآليات الأفعال الكلامية، الروابط الحجاجية، والسلام الحجاجية.

١ - نظرية الحجاج اللغوي (اللساني) وآليات الإقناع المعتمدة فيها:

تنوع النظرية الحجاجية في ذاتها وتختلف باختلاف الطرائق والاستراتيجيات المعتمدة فيها لدراسة النصوص والخطابات الحجاجية أيا كان نوعها، ومن بين هذه النظريات النظرية الحجاجية اللسانية أو اللغوية التي تختلف كثيرا عن النظريات الحجاجية الكلاسيكية، والتي من بينها نظرية الحجاج الخطابي، «وضعها كل من «أنسكومبر» (Anscombe) و«أزوالد ديكر» (O. Ducrot)، .. تهدف إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة، ووصفها انطلاقا من فرضية محورية ألا وهي أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، أي تحمل اللغة في طياتها بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية تتجلى في بنية الأقوال ذاتها، صوتيا، صرفيا، وتركيبيا، ودلاليا»^(٢)، ويمكن أن نسميه كذلك بالحجاج اللغوي اختصارا؛ هذه النظرية التي تعتبر اللغة - إضافة إلى أنها أصوات تستخدم للتعبير عن المشاعر وما يختلج في النفس - من ذاتها وإلى ذاتها عبارة عن ظاهرة حجاجية، لا تستخدم إلا تواصلًا، ولا يتم التواصل بها مع الطرف الآخر إلا للتأثير به بشكل أو بآخر، فتركب أصوات اللغة وتتعلق بعضها ببعض الآخر لتكون لنا مجموعة من الكلمات على صيغ صرفية معينة، هذه الكلمات تحمل دلالات معجمية، تدخل السياق اللغوي الكلامي لتكتسب بذلك دلالات سياقية مقالية ومقامية؛ وعلى هذا الأساس يمكن للعبارة اللغوية أن تحمل معنى أو شحنة دلالية غير الظاهرة عليها لغاية تأثيرية معينة.

أما عن الحجاج فإنه لا يكون إلا بتحقيق عملية تواصلية متكاملة تستوجب وجود مرسل، مرسل إليه، موضوع وقضية خلاقية يسعى

المرسل إلى إقناع المرسل إليه والتأثير عليه بوجهة نظره حيالها، ولذلك تهدف دراسة الحجاج اللغوي «إلى اكتشاف منطق اللغة، أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكم في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنامٍ وتدرجيٍّ، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب»^(٣)، تسمح هذه التسلسلات باستعمال مجموعة من الحجج التي قد تكون متوافقة مرتبطة ببعضها لإثبات القضية موضوع الحجاج، أو متناقضة تدحض إحداها الأخرى بغية الوصول إلى عرض وإثبات نتيجة معينة تكون في نهاية السلم الحجاجي أيا كان نوعه.

وبذلك يمكن تعريف الحجاج اللغوي بأنه «نظرية لسانية تعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية، مع دراسة الأهداف الحجاجية، ورصد تأثيرها التداولي على المستمع، ويعني هذا أن الأقوال اللغوية تحمل في جوهرها مؤشرات لسانية ذاتية تدل على طابعها الحجاجي، دون أن يكون ذلك متعلقاً بالسياق التداولي الخارجي»^(٤)، ما يعني أن الكلمات تحمل في ذاتها شحنة دلالية وحجاجية في الوقت نفسه، وباتصالها ببعضها يمكن لها أن تبني لنا تركيباً حجاجياً متكاملًا دون الحاجة إلى السياق التداولي المقامي لإثبات قضية ما للمتلقي وإقناعه بها. إذن، النظرية الحجاجية اللسانية تجعل من اللغة الطبيعية أثناء توظيفها هدفها الأساسي والرئيس، حيث تنطلق منها لدراستها وتعود إليها لدراسة معانيها الظاهرة والباطنة، وهي تعتمد في ذلك على مجموعة من الآليات لعل أهمها: أفعال الكلام أو أفعال التلفظ، الروابط الحجاجية والسلام الحجاجية، ذلك أنها تركز على شحنة الكلمات الدلالية وقوتها الحجاجية داخل السياق اللغوي فقط، وهذا ما سنعتمد عليه في دراستنا هذه.

١-١ - نظرية أفعال الكلام:

الفيلسوف الإنجليزي «جون أوستين»، كان من أهم العلماء الذين اهتموا بدراسة نظرية الأفعال الكلامية؛ حيث قام في كتابه «كيف ننجز الأشياء بالكلام» بتعريف الفعل الكلامي ومقابلته بالفعل الفونطقي؛ قائلاً إن: «الفعل الكلامي هو فعل التلفظ بصيغة ذات صوت وتركيب ودلالة،.. والفعل الفونطقي مجرد فعل التلفظ ببعض الأصوات المقروعة المحمولة في الهواء»^(٥)، وهذا ما شرحناه سابقاً في حديثنا عن تركيب اللغة الصوتية؛ والتي اعتبرناها أنها تتكوّن من مجموعة أصوات ترتبط فيما بينها لتشكّل لنا مجموعة كلمات وفق صيغ صرفية معينة، ثم تتعلق هذه الكلمات ببعضها البعض لتشكّل لنا تراكيب نحوية ذات دلالات ظاهرة وباطنة.

ثم يضيف في السياق نفسه: «الفعل الكلامي هو النطق ببعض الألفاظ والكلمات أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة، متصلة على نحو ما بمعجم معين، ومرتبة به، و متمشية معه، وخاضعة لنظامه»^(٦)، ما يعني أن ليس كل لفظ أو كلمة منطوقة عبارة عن فعل كلامي؛ وإنما تتمثل الأفعال الكلامية في الأصوات المنطوقة للتعبير عن معانٍ مخصوصة محدّدة ظاهرة في الجملة، معانٍ يمكن لمسها في الواقع، وتكون مرتبطة بمعجم معين؛ تستمد منه بناءها ونظامها اللغوي والصوتي، وترتبط بمجموع مشتقاتها في البناء الصوتي والدلالة.

قام «أوستين» في المرحلة الأولى من تفكيره بترسيخ ثنائية «الوصف/ الإنجاز»، واعتمد على المواقف التي يتم فيها توظيف اللغة الطبيعية لتقسيم الأفعال الكلامية، فقام بتقسيمها إلى قسمين أساسيين على اعتبار توظيف اللغة في موقفين اثنين، على النحو الآتي^(٧):

١- أقوال وصفية: ينحصر دورها في وصف حالة الأشياء، أو إقرار حدث ما، وتكون موجبة صادقة أو كاذبة، أي أن الجمل تقوم وفق معيار الصدق والكذب.

٢- أقوال إنجازية: وهي جمل تنجز قولاً وفِعلاً في الوقت نفسه، وتقسم إلى جمل التعجب والاستفهام والأمر والنهي وغيرها..
إذن، الأقوال الوصفية هي أقوال منطوقة تقريرية، تكون موجودة بالفعل قبل وصفها، ويسمى علماء اللغة بالجمل الخبرية، وظيفتها تقتصر على الوصف والإخبار دون الحاجة إلى أفعال.

أما الأقوال الإنجازية فإنها خلاف سابقتها تماماً؛ تسمى بالمنطوق الأدائي وتهدف إلى إنجاز فعل في الواقع، ويسمى علماء اللغة بالجمل الإنشائية، وتشمل التحذير، الأمر، النهي، الوعد، الترحيب، التهديد..
وللتمييز بين هذين النوعين من الأقوال، قام «أوستين» بوضع مجموعة من المعايير المقالية والمقايمة التي تستثني القول الإنجازي عن القول الوصفي، تتمثل المعايير المقالية منها فيما يأتي^(٨):

- يجب أن تكون الجملة مشتملة على فعل من النوع الإنجازي: أمر، نهي..
- يجب أن يكون زمن الفعل زمن التكلم (الزمن الحاضر).
- يشترط في الجملة أن تكون مبنية للفاعل.
- يجب أن يكون قائل الجملة المتكلم المفرد.
- وتتمثل في مقابلها المعايير المقايمة فيما يأتي:

- ثنائية صدق/ كذب في مقابل نجاح/ فشل: حيث يؤكد (أوستين) على أن معيار (صدق/ كذب) يشمل الجمل الوصفية فقط، فهي صادقة إن كانت المطابقة حاصلة بينها وبين ما تصفه، وكاذبة إن كانت غير ذلك، أما الجمل الإنجازية فإنها تخضع لمعيار (نجاح/ فشل).

- في ثنائية (قول / إنجاز): يميّز «أوستين» بين الجمل الوصفية والجمل الإنجازية، مبيناً أنّ الأولى (قول) والثانية (قول وإنجاز) في الوقت نفسه. إذن، وبما أنّ الأقوال الوصفية هي أقوال تقريرية فإنّها تحتمل الصدق أو الكذب وهذا المعيار المعتمد في إثبات صدق حججها ومدى مطابقتها للواقع، أمّا الأقوال الإنجازية فإنّها تكون إمّا ناجحة ومطابقة للواقع أو فاشلة لا علاقة تربطها به ولا يمكن تحقيقها فيه.

ثم اهتم «أوستين» بدراسة الملفوظات أو الأقوال الإنجازية ووسّع مجالها فقسمها إلى ثلاثة أفعال أخرى على اعتبار أنّ المتلفّظ بأية جملة تنتمي إلى لغة طبيعية معينة يقوم بهذه الأصناف من الأفعال اللغوية، وهي كالآتي^(٩):

١ - فعل تلفظي (فعل تعبري): أو إنشاء تعبير لغويّ ذو معنى، والذي يعتبر فعل التّفّظ الأساس.

٢ - فعل إنجازي (فعل وظيفي): وينجز عبر قوة اللفظ التواصلية

٣ - فعل تأثيري: وهو الفعل الذي يكون له تأثير معيّن، يتعرف المستمع على هذا التأثير الذي يقصده المتكلّم لتعليل أمر ما. واستناداً إلى مفهوم القوة الإنجازية، ميّز «أوستين» مرة أخرى بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية، وهي كما يلي^(١٠):

١ - الأفعال الحكمية (الإقرارية): وتقوم على الإعلان عن حكم، تتعلق

بقيمة أو حدث، مثل: وعد، وصف، قول، طبع..

٢ - الأفعال التمرسية (الإنفاذيات): وتقوم على إصدار قرار

لإصلاح، أو ضد سلسلة أفعال، مثل: أمر، قاد، دافع عن، ترجى، طلب، تأسف، نصح..

٣- أفعال التّكليف (الوعديات): ويلزم فيها المتكلم بسلسلة أفعال محدّدة، مثل: وعد، تمنى، التزم بعقد، أقسم...

٤- الأفعال العرضيّة (التعبيريّة): وتستعمل لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات، ضبط مراجع، مثل: أكد، أنكر، أجاب، اعترض..

٥- أفعال السلوكيّات (الإخباريّات): ويتعلق الأمر هنا برد فعل تجاه سلوك الآخرين، وتجاه الأحداث المرتبطة بهم، تعبيره تجاه السلوك، مثل: الاعتذار، الشّكر، التهنئة، التّرحيب، النقد، التعزية، المباركة، اللّعنة..

إذن، يمكن القول إنّ الفيلسوف الإنجليزيّ «جون أوستين» قد قام بتأسيس نظرية الأفعال الكلاميّة من خلال كتابه «كيف ننجز الأشياء بالكلام»، وجعل الفعل الكلاميّ جزءاً من الفعل اللغويّ، وقام بتقسيمه إلى أقوال وصفيّة تقريريّة إخباريّة، وأقوال إنجازيّة أدائيّة إنشائيّة، وصبّ اهتمامه في المرحلة الموالية على الأقوال الإنجازيّة على وجه التّخصيص، وقسمها أثناء تأديتها إلى ثلاثة أقسام؛ فعل تلفظيّ تعبيريّ، فعل إنجازيّ وظيفيّ، وفعل تأثيريّ، وتبعاً لمفهوم القوة الإنجازيّة لهذه الأفعال قام بتصنيف الأفعال الإنجازيّة إلى خمسة أصناف هي الأخرى؛ أفعال حكميّة إقراريّة، أفعال تمرسيّة إنفاذيّة، أفعال تكليفيّة وعديّة، أفعال عرضيّة تعبيريّة، وأفعال سلوكيّة إخباريّة.

١-٢ الروابط الحجاجيّة:

إذا كانت الأفعال الكلاميّة تنتمي إلى فئة الكلمات المعجميّة فإنّها لا تشكّل تركيباً معجمياً وحاجياً إلا إذا ارتبطت ببعضها البعض، ولا ترتبط ببعضها إلا بواسطة مجموعة من الروابط والحروف، تسمى في علم اللغة والنحو بالروابط اللغوية والنحوية، وفي النظرية الحجاجيّة بالروابط الحجاجيّة،

و«الرابط الحجاجي صُرفة تفصل عبارتین فأكثر، أو فعلین لغويّين فأكثر، ضمن استراتيجية حجاجيّة وحيدة»^(١١)، يعني وحدة صرفيّة تربط وحدتين داليتين أو أكثر ببعضها، فتكون هذه الوحدات الدلاليّة إما عبارة لغويّة أو عبارة حجاجيّة، أو فعلا كلاميا أو فعلا لغويا، بحيث تشكل هذه العبارات والأفعال المرتبطة ببعضها سلسلة حجاجيّة واحدة، لأنها تسعى لتحقيق النتيجة نفسها، وبالتالي فإنّها تتمحور في الحقل الدلالي نفسه.

يتميّز المحيط المادي لهذه الروابط الحجاجيّة عن المتغيّرات الحجاجيّة بخاصيتين اثنتين هما الخاصيّة الموقعيّة والخاصيّة الوظيفيّة؛ «تميّز الخاصيّة الموقعيّة بين الروابط الحجاجيّة للمحمولات ذات الموضوعين (إذن، حينئذ، نتيجة لـ، لأنّ، بما أنّ، لأجل)، وبين الروابط الحجاجيّة للمحمولات ذات المواضيع الثلاثة (حتما، مع ذلك، لكن، حتى، زد على، على أنّ..)»^(١٢)، فروابط المحمولات ذات الموضوعين تربط بين عبارتین لغويّتين أو فعلين كلاميين أو لغويين، يكون ثانيهما مرتبطا بالأول أو نتيجة له؛ ومثال ذلك: نجاحك ما هو إلا نتيجة لتعبك، وروابط المحمولات ذات المواضيع الثلاثة تربط بين العبارات اللغوية وبين النتيجة، ومثال ذلك: إذا تحصلت على شهادة الدكتوراه فإنّك حتما ستجد منصب عمل دائم.

أما الخاصيّة الوظيفيّة فإنّها «تمس الوظيفة الحجاجيّة للعبارة التي يدخلها الرابط، فتكون الروابط مدخلا للحجج (لأنّ، زد على، حتى، لكن) أو مدخلا للنتيجة (إذن، حتما، أخيرا، مع ذلك). وقد تعطي الروابط للحجج وجهة واحدة (حتما، زد على، حتى)؛ أو وجهة متناقضة (مع ذلك، لكن، أخيرا)»^(١٣)، والروابط مدخل الحجج تستخدم لعرض الحجج، أما الروابط مدخل النتيجة فإنّها تستخدم لعرض النتيجة المترتبة عن الحجج المقدّمة، والروابط ذات الوجهة الواحدة هي الروابط التي

تحقق سلسلة حجاجية واحدة تربط بين مجموعة من الحجج التي تسعى إلى تحقيق النتيجة نفسها، أمّا الروابط ذات الوجهة المتناقضة فإنّها تتموضع بين الحجة ونقيضتها التي تدحضها، وهنا لا يمكن أن تتحقق باستخدامها سلسلة حجاجية واحدة.

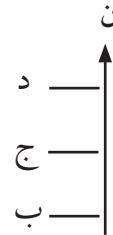
ونقلا عن أبي بكر العزاوي الذي قام بتقسيم الروابط الحجاجية بحسب وظيفتها الحجاجية واشتغالها داخل الخطاب، كالآتي^(١٤):

- الروابط المدرجة للحجج: حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأنّ.
- الروابط المدرجة للنتائج: إذن، لهذا، وبالتالي.
- الروابط التي تدرج حججا قوية: حتى، بل، لكن، لاسيّما.
- روابط التعارض الحجاجي: بل، لكن، مع ذلك.
- روابط التساوق الحجاجي: حتى، لاسيّما، بل.

ومنه يمكن اعتماد التصنيف الوظيفي للروابط الحجاجية لأنه خادم لمقتضيات الحجج المعتمدة في إثبات صحة قضية معينة أو إنكارها.

١-٣- نظرية السلاسل الحجاجية:

إنّ الترتيب التسلسلي للحجج وارتباطها ببعضها البعض يجعل المهتمين بدراسة الحجاج يطلقون عليها مصطلح السلم الحجاجي، وهو علاقة ترتيبية للحجج للوصول إلى النتيجة المرجوة، نرمز لها كالآتي:



بحيث أنّ «ن» = النتيجة

و «ب» و «ج» و «د»: حجج وأدلة تخدم النتيجة «ن»؛ وهي متصلة ببعضها في علاقة ترتيبية.

فعندما تقوم بين الحجج المتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه باعتباره فئة حجاجية موجهة، يتسم بسمتين أساسيتين هما:

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة لـ«ن».

ب- إذا كان القول «ب» يؤدي إلى النتيجة «ن»، فهذا يستلزم أن «ج» أو «د» الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح^(١٥).

ما يعني أنّ السلم الحجاجي يعتمد أساساً على العلاقة التدريجية بين الحجج والأدلة المستعملة في الوصول إلى النتيجة؛ وبالأطلاق من الأسفل إلى الأعلى يجعل الحجج المتصاعدة أقوى من الحجج الأدنى منها؛ يعني أنّنا ننتقل في السلم الحجاجي من الأسفل صعوداً نحو الأعلى، من أضعف حجة إلى أقوى حجة، فتكون الحجة التي في الأسفل أضعف من الحجة التي في الأعلى، ومنه يتم الانتقال من أضعف حجة إلى أقوى حجة لإثبات النتيجة المراد التوصل إليها، ولا يمكن الانتقال بشكل عكسي؛ من الأعلى إلى الأسفل؛ لأنّ المتكلم يسعى من خلال الخطاب الحجاجي لإثبات قضية لا نفيها، وتتجسّد هذه النظرية للحجج استناداً إلى السلم المدرج أعلاه من الحجة «د» إلى الحجة «ب» على الترتيب التصاعديّ.

وعلى هذا الأساس، «يرتكز مفهوم السلم الحجاجي في الخطاب على مبدأ التدرّج في استعمال وتوجيه الحجج والأدلة، لأنّ الحجاج بوصفه استراتيجية لغوية لا يرتبط بالمضمون وما يحيل إليه من مرجع، وإنما يرتبط أيضاً بقوة وضعف الحجج ومدى خضوعها لمنطق الصدق

والكذب، فالمرسل ينظّم حججه أثناء التواصل وفق ترتيب تتحكّم فيه معطيات متعدّدة، منها مرتبة المرسل وطبيعة المرسل إليه، والسياق المحيط بالخطاب الحجاجي، لهذا يمكن القول إنّ السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبيّة للحجج»^(١٦)، والحجج على هذا الأساس تكون إما حجج منطقيّة تستمد قوتها من مشابقتها للمنطق، حجج قائمة على بنية الواقع، وحجج مؤسّسة لبنية الواقع، وفي كل الأحوال تكون حججا صادقة تخدم النتيجة المرجوة وتتماشى مع سياق الخطاب الحجاجي.

ويتأسس السلم الحجاجي عند «ديكرو Ducrot» وفق ثلاثة قوانين تعتبر بمثابة القواعد التديعيميّة في بناء السلام الحجاجيّة، وهذه القوانين هي^(١٧):

١- قانون النفي: إذا تمّ استخدام قول ما (أ) من قبل متكلّم ما، ليقدم نتيجة معيّنة، فإنّ نفيه أي (-أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة.

٢- قانون القلب: تتمّ للقانون السابق؛ ومفاده أنّ السلم الحجاجي للأقوال المنفيّة هو عكس سلم الأقوال الإثباتيّة.

٣- قانون الخفض: إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السلم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها؛ بمعنى أنّ المرسل يمكنه تغيير تراتبيّة الحجج في السلم اعتمادا على معطيات تؤثر في العملية الحجاجيّة، مثل استعمال حجج جديدة مقابل الحجج السابقة تبعاً لقوتها أو ضعفها في إيصال النتيجة المرجوة.

إذن، يمكن القول إنّ السلم الحجاجي - وانطلاقاً من مفهومه - فإنّه لا يتحقّق في حالة وجود حجج متناقضة تدحض إحداها الأخرى، بل يستوجب تحقّقه وجود سلسلة حجاجيّة واحدة تسعى إلى إثبات النتيجة نفسها.

٢- ماهية أدب الوصايا وخصائصه:

عرّف محمد رجب النّجار الوصيّة بأنّها: «فنّ قوليّ شفويّ الأصل يصدر عن رؤية أو عن نزعة مثالية في مضمونه وغايته.. والغاية من الوصية نقل الخبرة العمليّة وحشد التجربة الإنسانيّة وتنظيم أمور الحياة الخاصة أو العامة من الأكبر للأصغر على نحو مثالي ونموذجيّ»^(١٨)، ومنه يمكن اعتبار أنّ الوصية تشبه الحكمة الناتجة عن كثرة التجارب في الحياة العامة والخاصة، والتي ينقلها غالب كبار السنّ للأصغر منهم حتى يتعضوا بهم وبتجاربهم.

أمّا أدب الوصيّة فقد عرّفه زهير الحموي بأنّه: «النصوص المشتملة على معاني النّصح، والإرشاد، والموعظة، والنّصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتّحذير من الزّلل، والتبصرة بصالح العمل؛ لاسيما وإنّي قد رأيت أنّ هذا التداخل موجود في كثير من كتب الأدب»^(١٩)، ومنه يمكن اعتبار أدب الوصية كغيره من الآداب الأخرى؛ مجموعة نصوص تتميز بجملة من الخصائص التي تعدّ بمثابة معيار للتّصنيف.

إذن، من خصائص أدب الوصيّة أنّه:

- يشتمل على نصائح وإرشادات ومواعظ.
- يتم من خلاله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- يحذّر من الزّلل.
- ينقل لنا صالح الأعمال للاقتداء بأصحابها.

ومما يجدر الإشارة إليه أن وصايا الأئمة عليهم السلام خلفهم وللإمام من بعدهم لم يكن كذلك - أي نقل التجربة والخبرة - لأنهم من أهل بيت زقوا العلم زقا وهم عيبة علم الله تعالى لكن جاء من باب إياك أعني واسمعييا جارة وهي طريقة طالما جرى عليها القرآن الكريم وهم على دريه سائرون.

ثانياً: الممارسة التطبيقية للنظرية الحجاجية في نص وصية الإمام
الصادق لابنه موسى بن جعفر عليه السلام:

١ - ترجمة الإمام الصادق عليه السلام ومضمون نص وصيته لابنه موسى
بن جعفر عليه السلام:

سنتناول في هذا الجزء سيرة ذاتية مختصرة عن الإمام جعفر الصادق،
مع مضمون وصيته التي قدمها لابنه موسى بن جعفر والتي تم نقلها من
الجزء الرابع من كتاب «مكاتب الأئمة» لعلي الأحمدي الميانجي.

هو «الإمام جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط
بن الصحابي الجليل علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته
فاطمة البتول عليها السلام وأرضاها، الملقب بالصادق وغلب هذا اللقب عليه،
وسببه أنه كان صادقاً في حديثه وقوله وفعله، لا يعرف عنه سوى الصدق
ولو يُعرف عنه كذب قط»^(٢٠)، «ولد يوم ١٧ ربي الأول ٨٠ هـ في المدينة
المنورة، وهو إمام من أئمة الفقه وعالم جليل وعابد فاضل، وقد استطاع
أن يؤسس في عصره مدرسة فقهية، فتعلم على يده العديد من العلماء»^(٢١).
كان الإمام الصادق «من أوائل الرواد في علم الكيمياء حيث تعلم
على يديه أبو الكيمياء جابر بن حيان، كذلك فقد كان عالم فلك، ومتكلماً،
وأديباً، وفيلسوفاً، وطبيباً، وفيزيائياً»^(٢٢)، وخلفيته الموسوعية هذه اكتسبها
نتيجة نشأته «في مدينة رسول الله ﷺ في ذلك الجو الإيماني العلمي الذي تشع
أنوار العلم وأنوار التقوى في ربوعه، بين بيته وبين مسجد رسول الله»^(٢٣)،
وهذا يبين كذلك أنه كان سنياً.

أمّا عن وصيته التي وجهها لابنه موسى بن جعفر عليه السلام فإنّها عن شهر
رمضان الكريم، وما يستوجب عليه القيام به إذا حل هذا الشهر الفضيل،
وأنّ كيف يمكن للشخص أن ينال بعضاً من هذا الفضل أو كلّهُ، ليلحق
بوفد الله سبحانه وتعالى وعباده الصالحين^(٢٤).

وفيمّا يأتي سنحاول دراسة الآليات الحجاجيّة التي اعتمدها الإمام الصادق (عليه السلام) لبيان فضل شهر رمضان ولولده الكاظم (عليه السلام) وبينها للناس من بعده حتّى يجهدوا أنفسهم بالطاعة فيه، من الأفعال الكلاميّة، إلى الروابط الحجاجيّة، وأخيرا السلام الحجاجيّة.

٢- الممارسة التطبيقية للنظرية الحجاجيّة في نص الوصيّة:

٢-١- تحليل الوصيّة «٧٩»:

يفتح الإمام جعفر الصادق وصيّته للناس من خلال ابنه موسى بن جعفر بقوله: (يا بنيّ احفظ وصيّتي واحفظ مقالتي، فإنّك إن حفظتها تعش سعيدا وتمت حميدا)؛ ويبدو أنّ الإمام الصادق بصفته المتكلّم يهدف إلى إقناع المخاطب وهو جمهور المسلمين عن طريق ولده موسى ودفعهم إلى ما يقومون به حتّى يعيشوا سعداء ويموتون وهم يحمّدون الله، ويقضي الاستدلال أن يرفق ذكر هذه النتيجة المراد الوصول إليها بذكر الأدلة والحجج التي تخدمها وتؤدي إلى تحقيقها، ومن بينها:

- القناعة بقسمة الله.
 - غض العين عن ما في يد الغير.
 - ستر الغير.
 - البعد عن الغلّ والبغضاء.
 - الابتعاد عن السفهاء ومجالسة العلماء.
 - الابتعاد عن مداخل السوء.
 - قول الحق والبعد عن النّيمة.
 - زيارة الأخيار والابتعاد عن الفجّار.
- ومن خلال العبارة الأولى من الوصية، نستنتج أنّ هناك علاقة قائمة بينها باعتبارها نتيجة، وبين هذه الحجج، غير أنّ بعضاً من هذه الحجج

ترتّب من نتائج تخصّصها في ذاتها وترتبط بها دون غيرها، فهذه الحجج تخدم هذه النتيجة وتؤدي إليها، وتلك النتائج المدرجة داخلها تخدمها وتؤدي إليها هي الأخرى، لكن هل هي تسير في اتجاه حجاجي واحد؟ وهل السياق هنا هو سياق وجهة حجاجية واحدة أم هو سياق تعارض حجاجي؟ ما الدليل على ذلك؟

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة سنطبق بعضا من آليات النظرية الحجاجية على نص هذه الوصية، والتي من بينها الأفعال الكلامية عند «أوستين»، ثم ننتقل إلى تحديد الروابط الحجاجية المدرجة فيها مع وظيفتها، وأخيرا إلى تحديد السلام الحجاجية المعتمدة في بناء قضية أو موضوع الوصية.

٢-١-١- أفعال الكلام:

على اعتبار أنّ الفعل الكلامي قول يوجد داخل التركيب اللغوي للخطاب، ويعبّر عن حدوث فعل في الواقع أو إنجازه، والأفعال المستعملة في النص الحجاجي النموذج لدينا، وبالاتماد على تقسيم «أوستين» لهذه الأفعال الكلامية، فإنّه يتكوّن من أقوال وصفية، وأقوال إنجازه، والأقوال الوصفية هنا هي ما تعنى بالمنطوق التقريري، والتي يسميها علماء اللغة بالأساليب الخبرية، باعتبارها أقوال موجودة في الواقع قبل وصفها والتلفظ بها، وهي أقوال واصفة مخبرة، تصف لنا حالة وتخرنا عن موضوع، ومن بينها في النص قوله:

- من قنع بما قسم له استغنى.

- ومن مدّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيرا.

- ومن لم يرض بما قسم الله له اتّهم الله تعالى في قضائه.

- ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره.
- ومن استعظم زلة نفسه استصغر زلة غيره.
- من كشف حجاب غيره انكشفت عورات نفسه.
- ومن سل سيف البغي قتل به.
- ومن احتفر لأخيه بئرا سقط فيها.
- ومن داخل السفهاء حُقر.
- ومن خالط العلماء وُقر.
- ومن داخل مداخل السوء اتهم.

جميعها عبارات لفظية إخبارية واصفة؛ لأنها تجربنا وتصف لنا حقائق موجودة قبل الحديث عنها، منطقيّة ومتطابقة مع الواقع، وبإخضاعها لمعيار الصدق والكذب نجدها صادقة بالنظر إلى تجارب السابقين.

أما عن الأقوال الإنجازيّة فإنها عبارة عن منطوقات أدائيّة، يسميها علماء اللغة بالأساليب الإنشائيّة، والتي تأتي لغرض إنجاز فعل ما، وبعبارة أخرى يستعملها المتكلّم لغرض تكليف السامع أو المتلقي بالقيام بأمر ما، ما يتوجب فيها وجود متكلّم و سامع وفعل أمر بينهما يفضي إلى إنجاز فعل ما في الواقع، ومن بينها في النص قوله:

١ - يا بنيّ احفظ وصيتي واحفظ مقالتي.

وقد احتوى هذا القول الإنجازي على فعل كلاميّ واحد تكرر مرتين هو (احفظ).

حيث يمثل الفعل التلفظي في هذا القول الكلاميّ الإنجازيّ عبارة: «يا بنيّ احفظ وصيتي واحفظ مقالتي»؛ تتركّب من مجموعة من الأصوات المتعلقة ببعضها البعض لتشكّل لنا مجموعة من الكلمات المعجميّة، لكل كلمة من هذه الكلمات دلالتها المعجميّة التي كانت تحملها والتي انتقلت معها إلى السياق الذي وردت فيه، فـ:

يا: حرف نداء.

بنّي: الابن حين يخاطبه والده.

إِحْفَظْ: فعل أمر يدلّ على ترسيخ الشيء في الذاكرة.

وصيتي: ما يوصي به الشخص غيره للعمل بها والتزامها + ياء النسبة للمتكلّم هنا وهو الإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

واحفظ: واو العطف زائد فعل الأمر الدال على ترسيخ أمر ما في الذاكرة.

مقاتلي: المقالة أو المقولة ما يقال ويخرج من بين الشفتين + ياء النسبة للمتكلّم.

ويمثّل الفعل الإنجازي في هذه العبارة التلفظيّة الفعل:

- (احفظ): وفيه تأدية وإنجاز للفعل في الواقع، حيث يدلّ على الأمر بالتركيز وترسيخ المعلومات المقدّمة من طرف المتكلّم وإلى المتلقي.

أما الفعل التأثيريّ الواقع على المتلقي فإنّه يتمثّل في تركيز المتلقي واهتمامه بما سيقال له وترسيخه في ذاكرته للعمل به، خاصة عند تكرار المتكلّم وإصراره عليه. واستنادا إلى القوة الإنجازيّة لهذا الفعل يمكننا القول إنّهُ ينتمي إلى صنف الأفعال التمرسيّة الإنفاذيّة؛ لأنّه يقوم على إصدار قرار من طرف المتكلّم الإمام الصادق (عليه السلام) لصالح المخاطبين بواسطة ابنه موسى بن جعفر، وإلى صنف أفعال التّكليف؛ لأنّه ألزمهم فيه من خلاله القيام بسلسلة من الأفعال والابتعاد عن مجموعة من الأمور التي من الممكن لها أن تعود عليهم بالسوء.

٢- قُلْ الْحَقُّ لَكَ وَعَلَيْكَ، وَإِيَّاكَ وَالتَّيْمِيمَةَ.

وقد احتوى هذا القول الإنجازي على فعل كلاميّ واحد هو (قُل).

وفعل محذوف وجوبا مقدّر في المفعول به (إيّاك)، وتقديره (احذر)، باعتباره أسلوب تحذير.

حيث يمثل الفعل التلفظي في هذا القول الكلامي الإنجازي عبارة: «قُل الحق لك وعليك، وإيّاك والنّميّة»؛ تتركّب من مجموعة من الأصوات لتبني لنا مجموعة من الكلمات المعجميّة، وهي على النحو الآتي:

قل: فعل أمر يدل على الأمر بالكلام.

الحق: وهو ضدّ الباطل وخلافه.

لك: يعني لنفسك.

وعليك: على نفسك وضدها.

و: حرف عطف رابط بين جملتين.

إيّاك: مفعول به لفعل محذوف تقديره إحذر (احذر النّميّة).

النّميّة: نقل الكلام بين الناس بالباطل.

ويمثّل الفعل الإنجازي في هذه العبارة التلفظيّة الفاعلين:

- (قُل): وفيه تأدية وإنجاز للفعل في الواقع، حيث يدلّ على الأمر بالنطق وتأدية الكلام.

- الفعل المحذوف وجوبا (احذر): وفيه كذلك تأدية للفعل في الواقع، ويدل على التحذير من القيام بأمر مكروه ووجوب الابتعاد عنه.

أما الفعل التأثيريّ فإنّه يتمثّل في تركيز المتلقي واهتمامه بما يجب عليه القيام به وقوله مما يجب عليه الابتعاد عنه والحذر منه وتفاديه.

واستنادا إلى القوة الإنجازيّة لهذين الفعلين يمكننا القول إنّها ينتميان إلى صنف الأفعال التمرسيّة الإنفاذيّة؛ لأنّهما يقومان على أمر المتكلم بما يجب وما لا يجب على المتلقي فعله وقوله، وإلى صنف أفعال التّكليف؛ لأنّه ألزمه فيه من خلاله بأمر محمود وهو قول الحق، والابتعاد عن أمر مذموم وهو نشر النّميّة بين الناس.

٣- إذا زُرْتَ فزر الأخيار، ولا تزر الفجار.

وقد احتوى هذا القول الإنجازي على فعل كلامي واحد جاء مشبهاً ونافياً؛ (زُر)، و(لا تزر).

حيث يمثل الفعل التلغظي في هذا القول الكلامي الإنجازي عبارة: «إذا زُرْتَ فزر الأخيار، ولا تزر الفجار»؛ تتركب من كلمات معجمية هي كالآتي:
إذا: أداة شرط.

زُرْتَ: فعل ماضي وهو فعل الشرط.

فزر: فعل أمر يفيد الذهاب الاخبار مجاملة أو للأنس عندهم أو لحاجة إليهم.

الأخيار: هم أصحاب القلوب الطيبة الذين لا ينوون إلا خيراً.
ولا تزر: (لا) نافية لفعل الزيارة.

الفجار: وهم خلاف الأخيار.

ويمثل الفعل الإنجازي في هذه العبارة التلغظية الفعل (زُر) في صيغة الإثبات، وفي صيغة النفي (لا تزر):

(زُر): وفيه تأدية وإنجاز للفعل في الواقع، حيث يدلّ على الأمر بالذهاب للأنس والاطمئنان على الأخيار.

(لا تزر): وفيه نفي للقيام بالفعل السابق؛ وهو عدم زيارة الفجار؛ وهم الفاسقون غير المكترئين بتصرفاتهم.

أما الفعل التأثيري الواقع على المتلقي فإنه يتمثل في تركيزه وانتباهه على طبيعة الناس الذين ينتقيهم في حياته حتى يعرف الأخيار من الفجار منهم ويقوم بغربلتهم.

واستناداً إلى القوة الإنجازية لهذا الفعل يمكننا القول إنه ينتمي إلى صنف الأفعال التمرسية الإنفاذية؛ لأنه يقوم على إصدار أمر من طرف الإمام الصادق عليه السلام للمسلمين من خلال ابنه عليه السلام لما يجب عليهم فعله وما لا يجب.

٢-١-٢- الروابط الحجاجية:

الروابط الحجاجية هي المقابلة للعوامل الحجاجية؛ لها دور كبير في تأصيل الخطاب الحجاجي، وهي التي تستعمل للربط بين قضيتين أو حجتين لتكوين حجج مركبة، والغاية من ذلك تنظيم الأدلة والتأثير على المتلقي وإقناعه، لكن نص الوصية لا يحتوي على أي رابط من الروابط الحجاجية المدروسة في النظرية الحجاجية اللسانية، غير أدوات الشرط (إن، إذا، ف)، في قوله: «إن حفظتها..»، «إذا طلبت..»، «إذا زرت..»، «فعليك»، «فزُر».

- أدوات التوكيد التي غالبا ما ترتبط بالأقوال الوصفية: «فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً»، «إنه من قنع بما قُسم له استغنى»، «فإن للوجود معادن..»، حتى تؤكد صدقها ومطابقتها للواقع.

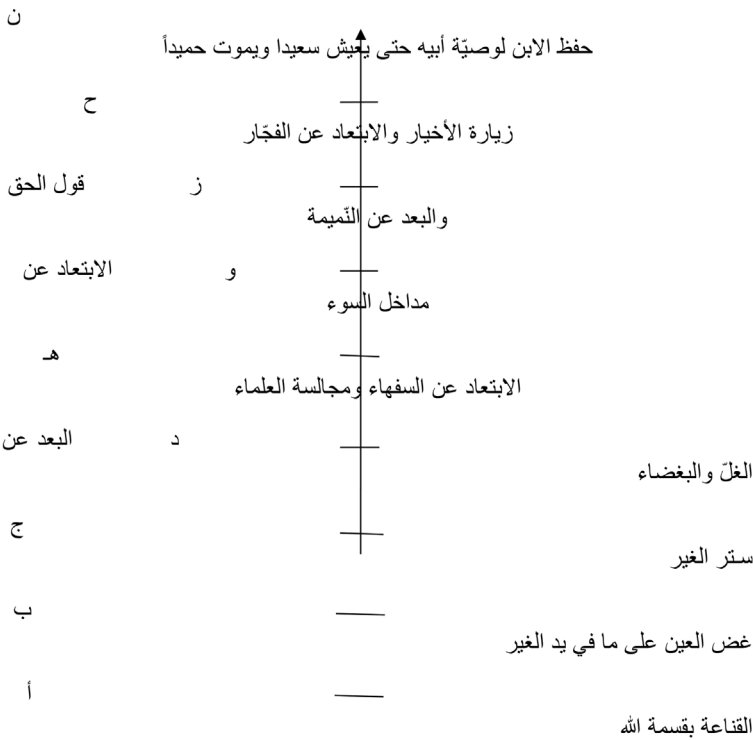
- وحروف العطف (ف، و)، والتي استعملت للربط بين الجمل المتشابهة للوصول إلى النتيجة المشتركة بينها.

- والاسم الموصول (من) الذي تكرر في نص الوصية بأكمله للربط بينها والمساعدة على إتساق وانسجام تراكيبها.

وهذا دليل على أن الحجج المعتمدة في هذا النص هي حجج متكاملة تعمل مع بعضها لإقناع المتلقي بقضية واحدة، إذن، يمكن القول إنها على سلسلة حجاجية واحدة، على الرّم من أن نص الوصية يحوي على أفعال منفية لكنها في مضمونها تنيف الأمور الواجب الابتعاد عنها لتحقيق النتيجة المرجوة في بداية الوصية، ومن أمثلة ذلك قوله: «زُر الأخيار ولا تزر الفجار»، وسندرجها بالتفصيل في العنصر الموالي على شكل سلم حجاجي.

٢-١-٣- السَّلاَمُ الْحَاجِيَّة:

إنَّ وجود الروابط الحجاجية العاطفة، وغياب العوامل الحجاجية دليل على ارتباط الحجج والأدلة المعتمدة في نص الوصية ببعضها البعض، هذا دليل كذلك على أنها تتنوع من حجج ضعيفة إلى قوية إلى أقوى، والتي سنوضحها في السلم الحجاجي التصاعدي الآتي:



ومنه فالحجج التي اعتمدها الإمام الصادق عليه السلام في نص وصيته متفاوتة على درجات لإقناع المسلمين بواسطة ابنه موسى عليه السلام بحفظ الوصايا التي أخبرهم بها حتى ينال العيشة السعيدة ويموتوا وهم حامدون لله سبحانه؛ حيث انطلق تصاعدياً من أضعف حجة إلى أقوىها؛ وهي القناعة بقسمة الله (ح. أ)، ثم الحجة الأقوى منها وهي غض العين على ما في يد الغير (ح. ب)، ثم الحجة الأقوى منها وهي ستر الغير (ح. ج)، فالأقوى وهي البعد عن الغل والبغضاء (ح. د)، فالابتعاد عن السفهاء ومجالسة العلماء (ح. هـ)، فالابتعاد عن مداخل السوء (ح. و)، فقول الحق والبعد عن التهمة (ح. ز)، وأخيراً أقوى هذه الحجج وهي زيارة الأخيار والابتعاد عن الفجار (ح. ح)؛ تعمل هذه الحجج مع بعضها في تكامل كي تصل إلى إثبات وتحقيق نتيجة واحدة هي: حفظ المسلمين لوصية إمامهم حتى يعيشوا سعداء ويموتوا حامدين.

القانون المعتمد من قوانين السلام الحجاجية هنا هو قانون الخفض؛ حيث أن القرب من الأخيار والبعد عن الفجار، يُصدق أن المرء يلتزم قول الحق ويتعد عن التهمة، ويُصدق أنه ابتعد عن مداخل السوء، ويُصدق أنه ابتعد عن السفهاء وجالس الحكماء، ويُصدق أنه ابتعد عن الغل والبغضاء، كما ويُصدق أنه سائر لأخيه المؤمن، وغاض لعينه عن ما في يد غيره، وهذا يوصلنا إلى النتيجة النهائية، وهي أن المسلمين قد حفظوا وصية إمامهم حتى يعيشوا سعداء ويموتوا حامدين.

إذن، اعتمد الإمام الصادق عليه السلام على مجموعة من الحجج التي ربط بينها بمجموعة من الروابط العطفية غير الحجاجية، التحمت هذه الحجج فيما بينها لتشكّل لنا سلسلة حجاجية واحدة تسعى إلى إثبات النتيجة «ن» وهي حفظ المسلمين لوصية أبيه حتى يعيشوا سعداء في دنياه ويموتوا



حامدين لله سبحانه، وهذا يفضي إلى طبيعة السلم الحجاجي التصاعدي المعتمد، وطبيعة الحجج التي بنت لنا هذا السلم؛ حيث تفاوتت تصاعديا من الأسفل نحو الأعلى بين حجج ضعيفة، متوسطة، قوية، أقوى، وهذا الترتيب المنطقي في بناء الخطاب الحجاجي ذو القضية الواحدة.

٢-٢- تحليل الوصية «٨٠»:

أمّا في هذه الوصية فيفتح الإمام جعفر الصادق عليه السلام وصيته بمسلمين من خلال ابنه موسى بن جعفر عليه السلام بقوله: ﴿إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَأَجْهِدُوا أَنْفُسَكُمْ﴾؛ ويبدو لنا أنّ هذه الغاية هي التي يهدف الإمام الصادق بصفته المتكلم إلى إقناع المخاطب ودفعه إلى ما يقوم به إذا تحقق الشرط الموجود في العبارة، ويقضي الاستدلال أن يرفق ذكر النتيجة بذكر الأدلة والحجج التي تخدمها وتؤدي إليها، ولذلك أورد الإمام مجموعة من الحجج مباشرة بعد العبارة الأولى، وهي:

- فيه تُقسَّم الأرزاق.
- وتُكتب الآجال.
- وفيه يُكتب وفد الله الذي يلفدون إليه.
- وفيه ليلةُ العمل فيها خير من العمل في ألف شهر.

ومن خلال العبارة الأولى من الوصية، نستنتج أنّ هناك علاقة قائمة بين هذه العبارة باعتبارها نتيجة، وبين مجموعة من الحجج الأخرى التالية لها، فهذه الحجج تخدم هذه النتيجة وتؤدي إليها، أي أنها تسير في اتجاه حجاجي واحد، والسياق هنا هو سياق وجهة حجاجية واحدة وليس سياق تعارض حجاجي. ولذلك فإننا سنطبق بعضا من آليات النظرية الحجاجية على نص هذه الوصية كذلك، والتي من بينها الأفعال الكلامية، الروابط الحجاجية، والسلام الحجاجية المعتمدة في بناء قضية أو موضوع الوصية.

٢-٢-١ - أفعال الكلام:

الأقوال الكلامية الوصفية المعتمدة والمستعملة في نص هذه الوصية

تتمثل فيما يأتي:

- فإن فيه تُقسَّم الأرزاق.

- وتُكتب الآجال.

- وفيه يُكتب وفد الله الذين يفدون إليه.

- وفيه ليلة العمل فيها خير من العمل في ألف شهر.

وهي عبارات لفظية إخبارية واصفة، منطقية ومتطابقة مع الواقع، وبإخضاعها لمعيار الصدق والكذب نجدها صادقة بالنظر إلى النص القرآني؛ سورة القدر، فإن كانت ليلة القدر خير من ألف شهر، وهذا ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، فكيف يكون فضل تمام الشهر الذي نعيش فيه؟

أما عن الأقوال الإنجازية فمن بينها في النص قوله:

- إذا دخل شهر رمضان فأجهدوا أنفسكم.

وقد احتوى هذا القول الإنجازي على فعلين كلاميين هما (دخل) وهو فعل شرط، و(أجهدوا) وهو فعل جواب الشرط.

حيث يمثل الفعل التلفظي في هذا القول الكلامي الإنجازي عبارة: «إذا دخل شهر رمضان فأجهدوا أنفسكم»؛ وهي جملة سليمة نحويًا، تتركب من مجموعة من الأصوات المتعلقة ببعضها البعض لتشكّل لنا مجموعة من الكلمات المعجمية، لكل كلمة من هذه الكلمات دلالتها المعجمية التي كانت تحملها والتي انتقلت معها إلى السياق الذي وردت فيه، فـ:

إذا: أداة شرط.

دخل: فعل الشرط، وهو فعل ماضٍ يعني في المعجم النّفوذ إلى مكان معيّن، وهو خلاف أو ضد الخروج.

شهر رمضان: وهو الشهر التاسع من الأشهر الهجرية الخاصة بالسنة القمرية.

ف: حرف ربط شرطية.

أجهدوا: فعل ماضي جواب الشرط، يدل على العمل بكيد وجد، والواو هي الفاعل.

أنفسكم: والنفس هي ملازمة الإنسان وروحه.

ويمثل الفعل الإنجازي في هذه العبارة التلفظية الفعل:

- (دخل): وفيه تأدية وإنجاز للفعل في الواقع، حيث حلّ ودخل علينا شهر رمضان بالفعل.

- (أجهدوا): وفيه كذلك تأدية وإنجاز للفعل في الواقع، وهو بذل جهد كبير للطاعات والعبادات لدرجة تحميل النفس فوق طاقتها.

أما الفعل التأثيري الواقع على المتلقي فإنه يتمثل في كل من الفعلين الإنجازيين السابقين على النحو الآتي:

- (دخل): التذكير بقرب شهر رمضان، والدفع نحو تجهيز النفس للطاعات والعبادات فيه.

- (أجهدوا): إقناع المتلقي ببذل الجهد والعمل بالتزام على قدر المستطاع حتى يحظى برضا الله عزّ وجلّ ورحمته.

واستناداً إلى القوة الإنجازية لهذين الفعلين يمكننا القول إنّ الفعل الإنجازي (دخل) ينتمي إلى صنف الأفعال الحكيمة الإقرارية؛ لأنّه قد تمّ الإعلان من خلاله بقرب شهر رمضان الكريم، أمّا الفعل الإنجازي (أجهدوا) فإنه ينتمي إلى صنف الأفعال التمرسية الإنفاذية؛ لأنّه يقوم على إصدار قرار من طرف المتكلّم الإمام الصادق عليه السلام لصالح المخاطبين بواسطة ابنه موسى بن جعفر عليه السلام، وإلى صنف أفعال التكليف؛ لأنّه ألزمهم فيه من خلاله القيام بسلسلة من العبادات والطاعات لنيل فضل شهر رمضان العظيم.

وختاماً، يمكننا القول إنّ هذا التصنيف الذي قمنا به على جملة الأقوال الكلاميّة الواردة في نص الوصية الأولى والثانية، كان بالاعتماد على المعايير التي أدرجها «أوستين» في الفصل بين الأقوال الوصفية والأقوال الإنجازيّة، وأهمّها معيار الصدق والكذب، ومعيار الفشل والإنجاز.

٢-٢-٢- الروابط الحجاجيّة:

إنّ نص هذه الوصية تماماً كسابقته؛ لا يحتوي على أي رابط من الروابط الحجاجيّة المدروسة في النظريّة الحجاجيّة اللسانية، غير أدوات الشرط (إذا، ف)، في قوله: «إذا دخل..»، «فأجهدوا».

- أدوات التوكيد التي غالباً ما ترتبط بالأقوال الوصفية: «فإنّ فيه تقسّم الأرزاق»، حتى تؤكّد صدقها ومطابقتها للواقع.

- وحروف العطف (ف، و)، والتي استعملت للربط بين الجمل المتشابهة للوصول إلى النتيجة المشتركة بينها.

وهذا دليل على أنّ الحجج المعتمدة في هذا النص هي حجج متكاملة تعمل مع بعضها لإقناع المتلقي بقضية واحدة، إذن، يمكن القول إنّها على سلسلة حجاجية واحدة، سندرجها بالتفصيل في العنصر الموالي على شكل سلم حجاجي.

٢-٢-٣- السّلاسل الحجاجيّة:

إنّ وجود الروابط الحجاجيّة العاطفة، وغياب العوامل الحجاجيّة دليل على ارتباط الحجج والأدلة المعتمدة في نص الوصية ببعضها البعض، هذا دليل كذلك على أنها تتنوّع من حجج ضعيفة إلى قوية إلى أقوى، والتي سنوضّحها في السلم الحجاجي التصاعدي الآتي:

ن

إجهاـد النفس بالطاعة في شهر رمضان

د

العمل في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر

الانتماء إلى وفد الله

ج

المختار

كتابة الأجل

ب

تقسيم الأرزاق

أ

ومنه فالحجج التي اعتمدها الإمام الصادق عليه السلام في نص وصيته متفاوتة على درجات لإقناع المخاطبين بواسطة ابنه موسى عليه السلام بإجهاـد أنفسهم بالطاعة في شهر رمضان وعبادة الله سبحانه وتعالى؛ حيث انطلق تصاعدياً من أضعف حجة إلى أقوىها؛ وهي تقسيم الأرزاق في هذا الشهر لمن يطع الله (ح. أ)، ثم الحجة الأقوى منها وهي أن تُكتب آجال العابد ومجريات مستقبله (ح. ب)، ثم الحجة الأقوى منها وهي الانتماء إلى وفد الله المختار (ح. ج)، وأخيراً أقوى هذه الحجج وهي العمل بجهد حتى يدرك ليلة القدر فيكتب له بذلك أجر عمل وعبادة ألف شهر في ليلة واحدة (ح. د)؛ تعمل هذه الحجج مع بعضها في تكامل كي تصل إلى إثبات وتحقيق نتيجة واحدة هي: إجهاـد النفس في عبادة الله سبحانه وتعالى.

القانون المعتمد من قوانين السلام الحجاجية هنا هو قانون الخفض؛ حيث أن إدراك الشخص ليلية القدر يُصدق أنه انتمى إلى وفد الله المختار، ويُصدق كذلك بأن آجاله قد كُتبت، ويُصدق بأن أرزاقه قد قُسمت، وهذا يوصلنا إلى النتيجة النهائية، وهي أن هذا الشخص قد أجهد نفسه وبذل جهده في عبادة الله سبحانه وتعالى.

إذن، اعتمد الإمام الصادق عليه السلام على مجموعة من الحجج التي ربط بينها بمجموعة من الروابط العطفية غير الحجاجية، التحمت هذه الحجج فيما بينها لتشكّل لنا سلسلة حجاجية واحدة تسعى إلى إثبات النتيجة «ن» وهي إجهاد النفس بالطاعة في شهر رمضان، وهذا يفضي إلى طبيعة السلم الحجاجي التصاعدي المعتمد، وطبيعة الحجج التي بنت لنا هذا السلم؛ حيث تفاوتت تصاعديا من الأسفل نحو الأعلى بين حجج ضعيفة، متوسطة، قوية، أقوى، وهذا الترتيب المنطقي في بناء الخطاب الحجاجي ذو القضية الواحدة.

خاتمة:

في خلاصة الموضوع المعنون بـ«آليات الإقناع في وصية الإمام الصادق لابنه موسى بن جعفر عليه السلام مقارنة حجاجية، وانطلاقا من الإشكالية القائلة: «فيما تمثلت أهم الآليات الإقناعية التي اعتمدها الإمام الصادق عليه السلام في بناء نص وصيته التي توجّه بها لابنه موسى بن جعفر عليه السلام؟»، توصلنا من تحليلنا السابق لهذا الموضوع وعلى ضوء هذه الإشكالية إلى تحصيل مجموعة من النتائج نعرضها فيما يأتي:

- اعتمد الإمام الصادق عليه السلام في بناء وصيته اللتين كانت أنموذجا لدراستنا هذه على الأفعال الكلامية بنوعها؛ الأقوال الوصفية في عرضه لطبيعة الحياة التي يمكن للمسلمين أن يعيشوها في حال حفظه لوصيته والعمل بها (الوصية ٧٩)، والأجر المتحصّل عليه في شهر رمضان الكريم (الوصية ٨٠)، والأقوال الإنجازية في توجيهه للمسلمين إلى ما يجب عليهم فعله والالتزام به حتى يصلوا إلى تحقيق هذه النتائج التي أدرجها على شاكلة أقوال وصفية، هذه الأقوال الإنجازية التي يتكوّن كل واحد منها من فعل تلفظي تعبير، فعل إنجازي أدائي، وفعل تأثيري، واستنادا إلى

مقدار القوة الإنجازيّة تم تصنيف الأفعال الإنجازية المستعملة في نص الوصيتين (احفظ، قُل، زُر، لا تَزُر، دخل، أجهِدوا) إلى أفعال حكّمية إقراريّة (دخل)، وأفعال تمرسيّة إنفاذيّة (احفظ، قُل، زُر، لا تَزُر)، وأفعال تكليف (أجهِدوا).

- لم يستعمل الإمام الصادق عليه السلام روابط حجاجية رابطة بين الأفعال الكلاميّة أو الحجج، ولكنه استعمل روابط لغوية أخرى منها: أدوات الشرط (إن، إذا، ف)، أدوات التوكيد (إنّ)، وحروف العطف الرابطة بين الحجج المتشابهة (ف، و).

- إنّ أدوات الربط المستعملة توحى إلى أنّ الحجج الرابطة بينها هي حجج متشابهة، تسير وفق سلسلة حجاجيّة واحدة، ولذلك تم اعتماد السلم الحجاجي التصاعدي في نص كلا الوصيتين، من الأسفل نحو الأعلى، بالانطلاق من أضعف حجة في الأسفل، إلى أقوى حجة في الأعلى. - إنّ النظريّة الحجاجيّة المعتمدة في هذا التحليل هي النظريّة الحجاجيّة اللسانية (اللغويّة)، والتي تعتمد في تحليلها على اللغة في ذاتها ولذاتها، وأصواتها وصرفها ونحوها ومعجمها عند توظيفها، ودون الحاجة إلى السياق المقامي التداوليّ.

الهوامش

- ١- محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، مكتبة الأدب المغربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص١٠٧، ١٠٨، - بتصرف.
- ٢- جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، مكتبة الأدب المغربي، الدار البيضاء، د. ط، د. س، ص٣٥.
- ٣- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦م، ص٨.
- ٤- جميل حمداوي: مرجع سابق، ص٣٦.
- ٥- أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، د. ب، د. ط، ١٩٩١م، ص١١٥، ١١٦.
- ٦- المرجع نفسه، ص١١٦.
- ٧- حكيمة بوقرومة: نظرية الأفعال الكلامية عند «أوستين» و«سيرل» ودورها في البحث التداولي، قسم اللغة العربية- كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، المسيلة- الجزائر، ص٦٥، - بتصرف.
- ٨- المرجع نفسه، ص٦، ٧.
- ٩- المرجع نفسه، ص٨، - بتصرف.
- ١٠- المرجع نفسه، ص٨، ٩، - بتصرف.
- ١١- محمد طروس: مرجع سابق، ص١١٢.
- ١٢- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ١٣- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ١٤- عمر ذياب أبو هنية: الروابط والعوامل الحجاجية في مقامات الهمذاني، المجلة العربية للنشر العلمي، د. م، العدد الحادي عشر، ٢/ ٩/ ٢٠١٩م، ص٧.
- ١٥- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، منتديات سور الأزيكية، العمدة في الطبع، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م، ص٢٠، ٢١، - بتصرف.
- ١٦- حمدي منصور جودي: السلاسل الحجاجية وقوانين الخطاب- مقارنة تداولية، مجلة مقاليد، د. م، العدد ١٣، ديسمبر ٢٠١٧م، ص١.
- ١٧- المرجع نفسه، ص٣، - بتصرف.
- ١٨- زهير الحموي: من أدب الوصايا، روافد للنشر، الكويت، الإصدار ٦٠، ط١، ديسمبر ٢٠١٢م / محرم ١٤٣٤هـ، ص٢٤.
- نقلًا عن: محمد رجب النجار: الشر العربي القديم، جامعة الكويت، مكتبة دار العروبة،

الكويت، د. ط، د. س، ص ٥٥.

١٩- المرجع نفسه، ص ٢٤.

٢٠- صابر عبد الكريم أحمد الجبوري: الإمام جعفر الصادق - سيرته ومجالسه العلمية، شبكة الألوكة، ص ٢.

٢١- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

٢٢- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

٢٣- صالح بن عبد الله الدويش: الإمام جعفر الصادق، الكتبيات الإسلامية، دار ابن الجوزي، د. ب، د. ط، د. س، ص ١٣.

٢٤- ينظر: علي الأحدي الميانجي: مكاتيب الأئمة - مكاتيب الإمام جعفر بن محمد الصادق والإمام موسى بن جعفر الكاظم، تحقيق ومراجعة: مجتبي الفرّجي، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، د. س، ج ٤، ص ٢٣٥.



المصادر والمراجع:

- * أبو بكر العزّاوي: اللّغة والحجاج،
العمدة في الطّبع، الدار البيضاء،
ط١، ٢٠٠٦م.
- * أبو بكر العزّاوي: اللّغة والحجاج،
منتديات سور الأزبكيّة، العمدة في
الطّبع، الدار البيضاء-المغرب، ط١،
١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
- * أوستين: نظريّة أفعال الكلام
العامّة- كيف ننجز الأشياء بالكلام،
ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا
الشرق، د. د. ب، ط، ١٩٩١م.
- * جميل حمداوي: من الحجاج إلى
البلاغة الجديدة، مكتبة الأدب
المغربي، الدار البيضاء، ط، د. د. س.
- * حكيمة بوقرومة: نظرية الأفعال
الكلامية عند «أوستين» و«سيرل»
ودورها في البحث التداولي، قسم
اللغة العربية- كلية الآداب واللّغات،
جامعة المسيلة، المسيلة- الجزائر.
- * حمدي منصور جودي: السلام
الحجاجيّة وقوانين الخطاب-
مقاربة تداوليّة، مجلّة مقاليد، د. م،
العدد ١٣، ديسمبر ٢٠١٧م.
- * زهير الحموي: من أدب
الوصايا، روافد للنشر، الكويت،
الإصدار ٦٠، ط١، ديسمبر ٢٠١٢م/
محرم ١٤٣٤هـ.
- * صابر عبد الكريم أحمد الجبوري:
الإمام جعفر الصّادق- سيرته
ومجالسه العلميّة، شبكة الألوكة.
- * صالح بن عبد الله الدويش:
الإمام جعفر الصّادق، الكتيّات
الإسلاميّة، دار ابن الجوزي، د. ب،
د. ط، د. س.
- * علي الأحمدي الميانجي: مكاتيب
الأئمة- مكاتيب الإمام جعفر بن
محمد الصادق والإمام موسى بن
جعفر الكاظم، تحقيق ومراجعة:
مجتبى الفرجي، دار الحديث للطباعة
والنشر، بيروت-لبنان، ط١، د. س.
- * عمر ذياب أبو هنية: الروابط
والعوامل الحجاجيّة في مقامات
الهمذاني، المجلّة العربيّة للنّشر
العلمي، د. م، العدد الحادي عشر،
٢ / ٩ / ٢٠١٩م.
- * محمد رجب النجار: النثر العربي
القديم، جامعة الكويت، مكتبة دار
العروبة، الكويت، د. ط، د. س.
- * محمّد طروس: النظريّة الحجاجيّة
من خلال الدّراسات البلاغيّة
والمنطقيّة واللّسانيّة، مكتبة الأدب
المغربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع،
الدار البيضاء- المغرب، ط١،
١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

آليات الحجاج اللغوية في مناظرات الإمام الصادق عليه السلام

م.م. كوثر فليح عبد الموسوي

المديرية العامة للتربية في محافظة المثنى

الملخص

يعدّ الحجاج من أهم الاستراتيجيات الإقناعية؛ لما له من أثر في المرسل إليه، إذ تكون نتائجه أكثر ثباتاً واقناعاً عند المرسل إليه، فشرط الإقناعية عند المرسل عندما يريد من غيره مشاركته اعتقاده فإنّه يطالبه بذلك دون إكراه، وإنما يتبع في تحصيل غرضه سبلاً استدلالية متنوعة تجر الغير إلى الاقتناع برأي المرسل، فيتطرق هذا البحث في صفحاته إلى البحث عن آليات الحجاج اللغوية عند الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام في مناظراته وردّه على أهل الملل والديانات الأخرى، وماهي السبل التي اعتمدها في الاحتجاج لرأيه، وإيصال الفكرة إلى الطرف الآخر وهو المرسل إليه، وماهي الآليات الحجاجية التي وظّفها الإمام في كلامه، للدفاع عن القضية التي يناقشها، وتفنيد رأي خصمه؟



Abstract

Pilgrimage is one of the most important persuasive strategies. Because of its impact on the addressee, as its results are more stable and convincing for the addressee. The condition for convincing the sender is that when he wants others to share his belief, he demands that of them without coercion. Rather, in achieving his goal, he follows various deductive methods that lead others to be convinced of the sender's opinion. He discusses This research, in its pages, is a study of the strategies of discourse and argumentation of Imam Abu Abdullah al-Sadiq (peace be upon him) in his debates and his response to people of other sects and religions, and what are the methods he adopted in protesting his opinion and conveying the idea to the other party, namely the addressee, and what are the argumentative mechanisms he employed. In his speech, the imam defends the issue he is discussing and refutes the opinion of his opponent.

تمهيد

يمثل الحجاج الأداة العامة التي يعتمدها المرسل من بين أدوات وآليات لغوية، ومن هنا يكون الإقناع هو مجال البحث الحجاجي؛ نظرًا لكونه محدد المقام والمخاطب، والإطار القولي، أمّا أهم وظيفة حجاجية في هذا المجال فهي دفع المخاطب إلى العمل فيكون إمّا بقوة الحجة، أو بالسلطة، ومن هنا ارتبطت البلاغة المعاصرة، وخصوصاً نظرية الحجاج وما يتعلق بها من مباحث بقضية الإقناع وعدّ مطلباً أساسياً في شتى العمليات الفكرية^(١)، وعليه يكون التأثير والإقناع في التخاطب ما هو إلا آلية بيانية فاعلة لتحقيقه، فيكون الحجاج هو الميزة التي انماز بها هذا التخاطب، إذ يمثل ركيزة مهمة من ركائز النصوص الموجهة التي تتضمن مقصدية، كما أنّه يمثل وسيلة إيصال الأفكار وتحقيق المقاصد المرجوة من الخطاب بين المرسل والمرسل إليه.

كان العرب قديماً يقسمون الكلام بحسب المرسل إليه، قال أبو الهلال العسكري: «إذا كان موضع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوق، والبدويّ بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب»^(٢)، فالخطاب هو الركيزة المهمة التي يجب أن تؤدي الغرض منها وهو الإفهام للمرسل إليه، لذلك لم يعدوا الكلام بليغاً إلا إذا كان مفهوماً، لأنّه كما قال الجاحظ: «لأنّ مدار الأمر على البيان والتبيين، وعلى الإفهام والتفهيم، وكلّما كان اللسان أبين كان أحمد»^(٣)، ومنه نعرف أنّهم اعتمدوا نقطتين مهمتين وهما: الإقناع والإفهام، وليس هذا فقط بل إنّهم أرادوا إيقاع التأثير والإقناع في الطرح المقدّم، وأمّا الدراسات العربية الحديثة فقد نظرت للحجاج من جوانب مختلفة غير الجانب اللغوي،



فالدكتور طه عبد الرحمن يرى أنَّ «الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناءً على أنَّه لا خطاب بغير حجاج»^(٤)، وعليه فإنَّ للخطاب الحجاجي تقنيات قائمة في أساسها على استراتيجيات الفصل والوصل الحجاجيين لا النحويين، لكنَّ للخطاب - قبل أن يستوي - كيأنًا مشكلاً من تقنيات حجاجية يواجه بها المرسلُ المرسلَ إليه لإيقاع التصديق منطلقات حجاجية مدارها على مقدّمات تؤخذ على أنَّها مسلّمات يقبل بها الجمهور، واختيارها وكيفية صوغها وترتيبها له أهمية حجاجية^(٥)؛ لأنَّ كل رأي يقدمه المرسل يكون مستنداً إلى قيم وحقائق مهمة، وستظل تلك الآراء عرضة للتساؤل ما لم تدعم بالتقانات الحجاجية الصارمة، ويبقى المرسل إليه مشككاً في قبول احتمالات الصدق والكذب في تلك القضية دون تلك التقانات^(٦)، فالحجاج هو «دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم»^(٧)، وقد ارتبطت البلاغة العربية بالنص القرآني الذي نزل وفق سنن العرب في كلامها إلا أنَّه فاقها في النظم وقوة الحجة؛ فقد اشتمل على جميع أنواع الحجج والأدلة، وقد كان في جداله مع المشركين والمنافقين وأهل الكتاب يدعوهم إلى تقديم الحجة والدليل على ما يدعون، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾^(٩)، ومن هذا كله يتبين أنَّ الحجاج هو «دراسة طبيعة العقول ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها ومحاولة انسجامها الإيجابي»^(١٠).

ارتبط مفهوم العوامل والروابط بالدراسات النحوية والدلالية أكثر من أن ينظر إلى الوظيفة الحجاجية والتداولية لها، فرأت الدراسات أنَّ «دورها لا يتجاوز الربط بين الجمل والقضايا، أمّا البعد الحجاجي



والتداولي فقد برز مع ديكر في إطار صياغته للتداولية المدججة وهي النظرية التداولية التي تشكّل جزءاً من النظرية الدلالية^(١١)، وعلى وفق تصوّر ديكر وقد أشار شكري مبخوت إلى أنّ أشكال الربط الحجاجي متعددة فقال: إذا كانت الوجهة الحجاجية محددة بالبنية اللغوية، فإنّها تبرز في مكونات ومستويات مختلفة من هذه البنية، فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة، أي هو عامل حجاجي في عبارة ديكر، فيقيدها بعد أن يتمّ الإسناد فيها، ومن هذا النوع نجد النفي والاستثناء المفرغ، والشرط والجزاء، وما إلى ذلك ممّا يغيّر قوة الجملة دون محتواها الخبري^(١٢)، ومن هنا يتبين أنّه تمّ التفريق بين الروابط الحجاجية وبين العوامل «الروابط الحجاجية تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر) وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة»^(١٣)، ومن أبرز الروابط هي: (حتى - بل - مع ذلك - لأنّ - إذن - لهذا - بالتالي - لا سيما - لكن....)، وأمّا العوامل الحجاجية فهي: «لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي حجّة ونتيجة أو بين مجموعة حجج؛ ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريباً، كاد، قليلاً، كثيراً، ما، إلّا، لن، السين، وجل أدوات القصر»^(١٤)، وعليه فإنّ آليات الحجاج اللغوية هي العناصر والمؤشرات اللغوية الفعالة في توجيه وتقوية الحجج الكامنة في بنية الأقوال اللغوية، وقد ساهمت هذه الروابط مساهمة فعالة في تأطير الحجاج في كلام، ورد الإمام الصادق (عليه السلام) في توجيه دلالة المحاجة، لذلك سوف يعمد البحث إلى ذكر هذه الروابط ومالها من قيمة حجاجية في النصوص التي وردت فيها ودورها في إبراز القيمة الحجاجية للكلام.

الروابط الحجاجية:

أولاً: الرابط الحجاجي (لكن) : وهي من أدوات الربط التي عدّها النحويون من أدوات النفي، التي تنفي الكلام وتثبت غيره، وهي حرف استدراك « معنى الاستدراك أن تنسب حكماً يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك فتداركت بخبره إن سلباً وإن إيجاباً... وتقع (لكن، إلا) بين متنافيين بوجه ما »^(١٥)، وذكر الزمخشري في مفصله أنّها تتوسط بين كلامين متقاربين نفيّاً وإيجاباً فيستدرك النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي^(١٦)، ومن أمثلة التعارض الحجاجي الذي وردت فيه (لكن) في كلام الإمام الصادق عليه السلام « روي عن هشام بن الحكم أنّه قال: من سؤال الزنديق الذي أتى أبا عبد الله الصادق عليه السلام (يسأل عن الصانع للعالم) فقال السائل: فأنت قد حددته إذ أثبت وجوده!

قال أبو عبد الله عليه السلام: لم أحده؛ ولكنّي أثبتّه؛ إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة. فقال السائل: فقله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١٧)، قال أبو عبد الله عليه السلام: بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستولٍ على العرش بائن من خلقه، من غير أن يكون العرش محلاً له، لكنّا نقول: هو حامل، وممسك للعرش، ونقول في ذلك ما قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(١٨)، فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبتّه، ونفيّا أن يكون العرش والكرسي حاوياً له، وأن يكون عزّ وجلّ محتاجاً إلى مكان، أو أي شيء ممّا خلق، بل خلقه محتاجون إليه^(١٩). « وقال السائل: ما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: في علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنّه عزّ وجلّ أمر أوليائه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش؛ لأنّه جعله معدن الرزق^(٢٠)، فلحظ



الرابط الحجاجي (لكن) قد صنع تعارضًا حجاجيًا بين ما تقدّمه وما تأخر عنه، فما تقدم عليه قد تضمّن حجة تخدم نتيجة ضمنية مثل قوله: (لم أحده، ولكنّي أثبتّه) أو (هو مستولٍ على العرش من غير أن يكون العرش محلاً له، لكنّا نقول: هو حامل، وممسك بالعرش) أو (في علمه وإحاطته سواء؛ ولكنّه أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم) وبما أنّ الغاية التي أراد الإمام إثباتها وإيضاحها للسائل تقع في الشطر الثاني من الجملة، وهي الحجة الأقوى من الحجة الأولى، فهي ستوجه الكلام إلى تبني النتيجة الضمنية؛ لأنّ ما أحدثه الرابط الحجاجي (لكن) الاستدراك فهو قد رفع ما يتوهم ثبوته، ففي المثال الأوّل قال السائل: أنت إذ أثبتّ وجوده فقد حددته، فكان ردّ الإمام عليه: لم أحده، ولكنّي أثبتّه. وهو بهذا يبيّن أنّ الإثبات لوجود الصانع بالأدلة التي دلّت عليه، وليس بتحديد وجوده في محل ما، وهذا أيضًا يعود في المثال الثاني الذي يدور فيه الحوار حول قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(٢١)، وهنا أيضًا عمل الرابط الحجاجي (لكن) على إثبات أنّ الله سبحانه وتعالى حاملٌ وممسك للعرش، لا أن يكون العرش محلاً له، وهذا أيضًا يرتبط بالقول الأوّل، وفي المثال الثالث وهو سؤال السائل عن الداعي إلى رفع الأيدي نحو السماء، فيجيب الإمام عليه أنّها في علم الله وقدرته سواء، ولكنّ أمر الله سبحانه مطاع في عباده وبذلك أمر أن ترفع إلى السماء نحو العرش؛ لأنّه معدن الرزق، وكما نلاحظ أنّ التراتبية والتدرجية التي منحها الرابط (الواو) إلى الحجج قد أثبت قوة النتيجة (لم أحده، ولكنّي أثبتّه) (في علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنّه) لإثبات قوة الحجة التي تلتها بالمقارنة مع الحجة التي سبقتها في دعم النتيجة المتقدمة.

ثانيًا: الرابط الحجاجي (بل): تمثل « بل » أداة من أدوات الربط التي تستعمل للحجاج حالها حال (لكن)، قال الرماني: «هي من الحروف الهوامل ومعناها الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني»^(٢٢)، ومن أحوال « بل » أنها إذا تقدمها إيجاب وبعدها مفرد فإنها تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه، ولا يحكم عليه بشيء ويثبت الحكم لما بعده، فيتضح أن « بل » تعمل عمل « لكن » في المنحى الحجاجي الذي يصفها بالاستدراك والتوكيد والقصر والإضراب والإبطال^(٢٣)، ومن أمثلة ورودها ما ذكرنا في المثال الأول « ونفينا أن يكون العرش والكرسي حاويًا له، وأن يكون الله عز وجل محتاجًا إلى المكان، أو أي شيء مما خلق، بل خلقه محتاجون إليه »^(٢٤)، ففي هذا المثال وردت « بل » في نمط حجاجي أفادت الاعتراض فقد توسطت بين حجتين الأولى نفت والثانية التي بعد « بل » أثبتت، وبهذا يكون الرابط أقام علاقة حجاجية بين نفي احتمال أن يكون العرش والكرسي حاويًا له، أو أن يكون محتاجًا إلى الخلق، وبين إثبات حقيقة حاجة الخلق إليه.

ومنه رده على قول السائل: « فالرسول أفضل أم الملك المرسل إليه؟ قال: بل الرسول أفضل »^(٢٥)، ففي هذا القول لم نرَ نفيًا لسابق وإثباتًا للاحق بعد « بل » وإنما كان الجواب بشكل مباشر بما لا يدع مجالًا للشك، فالجواب تضمن نفيًا قاطعًا لما قاله السائل وأثبت حجية جوابه.

وأيضًا مثله « قال: أفتتلاشى الروح بعد خروجه عن قلبه أم هو باق؟ قال الإمام (عليه السلام): بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور »^(٢٦).

ثالثًا: الرابط الحجاجي (لأن): يمثل هذا الرابط التعليلي أهم ألفاظ التعليل والتفسير الذي يستعمل لتبرير الفعل كما يستعمل لتبرير عدمه^(٢٧)، وقد ورد هذا الرابط في مواضع عدة من كلامه (عليه السلام) ففي ردّه على سائل قال: « أخبرني عن الله عز وجل كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحدين

وكان على ذلك قادراً؟ قال ﷺ: لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب؛ لأنَّ الطاعة إذا ما كانت فعلهم لم يكن جنة ولا نار» (٢٨)، فجاء رد الإمام متضمناً رابطاً حجاجياً تعليلي وهو (لأنَّ) لبيّن سبب معقولاً ومنطقياً في عدم استحقاق الخلق للثواب لا بالجنة ولا بالنار؛ لأنَّ الطاعة لم تكن منهم بل أنَّهم خلقوا مطيعين موحدّين، وقد أعطى النتيجة الأولى لو أنَّهم خلقوا مطيعين لم يكن لهم ثواب، ثمَّ علل ذلك بأنَّ الطاعة لم تكن منهم. ومن قوله ﷺ رادّاً على من سأله عمن قال بتناسخ الأرواح من أي شيء، فأجاب ﷺ: « وقالوا: إنّ الملائكة من ولد آدم كلّ من صار في أعلى درجة من دينهم خرج من منزلة الامتحان والتصفية فهو ملك،.... فقد كان يجب عليهم ألا يأكلوا شيئاً من اللحم؛ لأنَّ الذرات عندهم كلها من ولد آدم حولوا من صورهم، فلا يجوز أكل لحوم القربات.... فأما من زعم أنَّ الأبدان ظلمة والأرواح نور، وأنَّ النور لا يعمل الشر والظلمة لا تعمل الخير، فلا يجب عليهم أن يلوموا أحداً على معصية ولا ركوب حرمة ولا إتيان فاحشة، وإنَّ ذلك عن الظلمة غير مستنكر؛ لأنَّ ذلك فعلها، ولا له أن يدعو ربّاً ولا يتضرع إليه؛ لأنَّ النور الرب والرب لا يتضرع إلى نفسه » فقد تكرر الرابط الحجاجي (لأنَّ) في ثلاث مواضع من كلامه ففي الموضع الأول أنَّهم يرون أنَّ صور ولد آدم تتحول إلى صور أخرى، فما كان أعلى درجة يصبح ملك، ومن كان أدنى درجة يصبح على صور الحيوانات أو غيرها، فيأتي ردُّ الإمام عليهم بالنهي عن أكل لحوم، ثمَّ يعلل ذلك بالنتيجة الحتمية بأنَّ كل هذه الذرات هي في الأصل من ولد آدم فلا يجوز لهم أكل لحوم القربات، وأمّا الموضع الثاني فيرد على زعمهم في أنَّ الأبدان ظلمة والأرواح نور، وأنَّ النور لا يعمل شر، والظلمة لا تعمل خير، ثمَّ تأتي النتائج التي احتج بها الإمام بناء على دعواهم أولاً

أنه لا يجب أن يُلام أحد على معصية، وثانيًا أن صدور المعصية والخطأ من الظلمة غير مستنكر عليها، ثم تأتي الحجة التي تدعم النتيجة بأن ذلك فعلها، وأمّا الموضع الثالث أنه ليس له أن يدعوربًا ولا يتضرع إليه، وعلّة ذلك أن النور الرب، والرب لا يتضرع إلى نفسه، وهو بهذا علل النتيجة لتأتي الحجة في مقام التفسير والتعليل.

ومن رده عليه على سائل يسأل عن علّة حرمة شرب الخمر، قال الإمام: «حرّمها؛ لأنّها أمّ الخبائث، ورأس كلّ شر، يأتي على شاربها ساعة يسلب لبه، ولا يعرف ربّه، ولا يترك معصية إلّا ركبها، ولا حرمة إلّا انتهكها، ولا رحم ماسة إلّا قطعها، ولا فاحشة إلّا أتاها»^(٢٩)، فيأتي الرد بالنتيجة الأولى وهي حرمتها قطعًا، ثم يأتي الرابط الحجاجي لبيان سبب وعلّة هذا التحريم بالنتيجة القطعية وهي إنّها أمّ الخبائث، ثم تتوالى النتائج التي بسببها حرمت الخمر فيذكرها واحدة تلو الأخرى كتناج حتمية لما سيحصل لشارب الخمر.

وقال عليه السلام ردًا على سؤال من قال: «فَلِمَ حرّم الدم المسفوح؟ قال: لأنّه يورث القساوة، ويسلب الفؤاد رحمته، ويعفّن البدن، ويغيّر اللون، وأكثر ما يصيب الإنسان الجذام يكون من أكل الدم، فقال: فالميتة لم حرّمها؟ قال: فرقًا بينها وبين ما يذكى ويذكر اسم الله عليه، والميتة قد جهد فيها الدم، وتراجع إلى بدنها، فلهما ثقيل غير مريء؛ لأنّها يؤكل لحمها بدمها»^(٣٠)، فيقدّم في جوابه الذي يحتج به على السائل بأنّها تورث القساوة، ثم يعطي النتائج الأخرى المترتبة على أكل الدم، وهذه النتائج كلها تقدّم عليها النتيجة الأهم وهي القساوة التي جاءت معللة بالرابط الحجاجي (لأن) وأمّا حرمة الميتة فقد قدم الإمام علّة وسبب تحريمها أنّها لم يذكر اسم الله عليها وهذا ما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾^(٣١)، ثم

يبين له سبب المنع من أكلها وهو سبب طبي؛ لأنّ الذي يسأل الإمام لا بدّ أنّ يكون عارفاً بذلك، فيحاجه الإمام بما هو حجّة عليه؛ لأنّها قد جمد الدم في جسدها، وأمّا العلّة الأخرى فهي إنّ لحمها ثقيل، وسبب ثقله أنّ الدم قد جمد في اللحم فيؤكل اللحم مع الدم.

رابعاً: الرابط الحجاجي (لام التعليل): تعد لام التعليل من أدوات الربط التي تدخل على الفعل المضارع فيكون ما بعدها علّة لما قبلها، وتسمى أيضاً لام العلّة، أو لام السببية، ولام كي؛ لأنّ معنى التعليل فيها راجع إلى معنى الاختصاص^(٣٢)، لذلك فإنّ هذه اللام يأتي بها صاحب الكلام لتبرير وتعليل رأيه الذي يمثل النتيجة التي يريد إثباتها للمرسل إليه، فهو إذن من الروابط الحجاجية التي تربط بين النتيجة، والحجة لتدعم تبرير وتعليل النتيجة. ومن أمثلة ورودها في كلام الإمام عليه السلام: ردّه على من قال: لو أنّ الله ردّ علينا من الأموات في كلّ مائة عام أحداً لنسأله عمّن مضى منّا كيف صاروا، وما هو حالهم؟ فأجابه الإمام: «أفيكون أحد أصدق من الله قولاً ومن رسله، وقد رجع إلى الدنيا ممّا مات خلق كثير، منهم أصحاب الكهف أماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة، ثمّ بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث، ليقطع حجّتهم، وليريهم قدرته، وليعلموا أنّ البعث حق»^(٣٣)، فاحتج عليهم هنا أنّ الله سبحانه وتعالى قد أرجع أهل الكهف إلى الحياة، وقد جاء الرابط الحجاجي في الكلام وهو لام التعليل، مرتبطاً بالنتيجة وهو أنّه سبحانه أراد أن يقطع حجّتهم، ويريهم قدرته، وأن يعلموا أنّ البعث حق، فكان الرابط معللاً ومبرراً النتيجة التي مفادها أنّ الله سبحانه قادر على إحياء الموتى، وقد بعث أهل الكهف ليكونوا حجة على من أدعى أنّ البعث غير موجود.

ومن أمثلة ورود هذا الرابط الحجاجي (لام التعليل) في كلامه ﷺ ردًا على من سألَه عن علّة الملائكة الموكلين بالعباد، يكتبون عليهم ولهم، والله عالم السرّ وما يخفى^(٣٤)، فقال الإمام: «استعبدهم بذلك، وجعلهم شهودًا على خلقه؛ ليكون العباد ملازماتهم إياهم أشد على طاعة الله مواظبة، وعن معصيته أشدّ انقباضًا، وكم من عبد يهَمُّ بمعصيته فذكر مكانها فارعوى وكف، فيقول ربي يراني، وحفظتي عليّ بذلك تشهد، وإنَّ الله برأفته ولطفه أيضًا وكلّهم بعباده، يذبّون عنهم مردة الشيطان وهوامّ الأرض، وآفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يجيء أمر الله»^(٣٥)، فجاء هذا الرابط الحجاجي هنا ليبرر النتيجة التي مفادها أن الله سبحانه وتعالى قد وكلّهم بعباده رعايةً للعباد وحفظًا لهم؛ إذ جعلهم شهودًا عليهم، فيبرز الرابط الحجاجي هنا في توجيه القول وتبرير النتيجة وتعليلها لبيان وإقامة حجة الكلام ومفادها أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الملائكة شهودًا على عباده؛ ليكونوا ملازمين لهم فيكون العباد مواظبين على طاعة الله، وبعيدين عن معصيته، فحين يتذكر العبد ملازمة الملائكة له يكف عن فعل المعصية؛ لأنّه يقول ربي يراني والملائكة شهود على فعلي، كما وإنَّ الله سبحانه وتعالى قد كلف الملائكة بالذود عن عباده فيكفون عنهم مردة الشياطين وهوام الأرض، وآفات كثيرة بإذن الله، وهذه النتائج كلّها مترتبة على النتيجة الأولى.

خامسًا: روابط العطف الحجاجي: بالإضافة إلى ما ذكرنا من روابط حجاجية هناك مجموعة من الحروف التي تمتلك بعد حجاجي مهم من خلال ربطها بين الحجج والنتائج والتنسيق بينها للتعليل وللتفسير، ومن هذه الروابط أحرف العطف (الواو، والفاء، وثمّ)، إذ تقوم بدور حجاجي، مع قيامها بالربط بين الحجّتين لنتيجة واحدة، ووصفها سلّمًا حجاجيًا يُخضع هذه الحجج إلى تراتبية معينة بحسب قوتها في دعم النتيجة

النهائية، فلها أيضًا إسهام في بداعة المعنى المقصود، خاصة عند استعمال كل حرف واستغلال وظيفته في الموضع المناسب فذلك يزيد من الإثبات على المعنى من جهة ويلقي على الكلام نوعًا من التنظيم والانسجام من جهة أخرى^(٣٦)، فنحاول ذكر أمثلة لهذه الروابط في كلام الإمام الصادق (عليه السلام) ومدى دعم هذه الروابط للحجج.

أ- الرابط الحجاجي (الواو): العمل الأساس الذي يؤدّيه حرف (الواو) هو الربط بين معنيين، إذن فإنَّ وظيفته هي الجمع والربط بين حجتين أو أكثر، ويستعمل حجاجيا بوصفه رابطًا عاطفيًا يعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، كما يعمل على رصّ الحجج وتماسكها وتقويتها فضلًا عن السّلمية في ترتيب الحجج وعرضها^(٣٧)، ومن أمثلة ذلك قوله (عليه السلام) حين سأله عبدالله بن الفضل الهاشمي عن وجه الحكمة في غيبة صاحب الأمر فقال: «يا ابن الفضل إنَّ هذا الأمر أمر من الله، وسرُّ من سر الله، وغيبٌ من غيب الله، ومتى علمنا أنَّه (عزَّ وجلَّ) حكيم صدقنا بأنَّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف»^(٣٨)، فالرابط الحجاجي (الواو) عمل على الربط والوصل بين الحجج وترتيبها الشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطلوبة وهي أنَّ الأمر هو أمر الله، ومن ثمَّ ترتبت بقية الحجج بشكل يدعم النتيجة الأولى وهي الأقوى بينها، فالأمر أولاً وآخرًا هو أمر الله، وبعدها يذكر أنَّه سرُّ من سرَّ الله، ثمَّ أنه غيب من غيب الله، ويعود يذكر حجة أخرى وهي اليقين بأنَّ الله سبحانه وتعالى حكيمٌ في أفعاله، لذلك فإنَّ الحكمة من الغيبة هي من حكمته وأمره.

ب- الرابط الحجاجي الفاء: وهو حرف من حروف العطف الذي يضطلع بوظيفة حجاجية؛ لأنَّه يربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير، فالفاء أداة ربط عليا واستنتاجية في الكلام الحجاجي، إذ تجمع بين قضيتين

غير متباعدتين في الدلالة على التقارب بين الأحداث، فضلاً على دلالتها على الترتيب والاتصال، وأكثر ورودها يكون ما بعدها متسبباً عما قبلها^(٣٩)، وقد جاء هذا الرباط في كلام الإمام عندما سُئل عن السعادة والشقاوة فقال: «السعادة: سبب الخير، تمسك به السعيد فيجره إلى النجاة، والشقاوة سبب خذلان، تمسك به الشقي فيجره إلى الهلكة»^(٤٠)، فنلاحظ أنَّ الرباط الحجاجي الفاء قد ربطت بين الحجة والنتيجة، فجاء ما بعدها من حجة قد عللت وفسرت النتيجة التي سبقت الرباط، فالنجاة جاءت بعد حجتين هي تمسك السعيد، وسبب الخير، فعملت الفاء على الترتيب والاتصال، كما أنَّ الهلكة قد ذكر قبلها حجتين تمسك الشقي وسبب الخذلان، فكان ما قبل الفاء علة وسبباً لما بعدها.

ج-الرباط الحجاجي ثم: وهي أيضاً أحد حروف العطف التي لها دور حجاجي لأنَّها تفيد التراخي والمهلة بين الحجج، ومن أمثلتها قوله عليه السلام ردّاً على سؤال اليماني عن معنى الثاقب؟ فقال: «إنَّ مطلعته في السماء السابعة، فإنَّه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا، فمن ثم سماه الله النجم الثاقب»^(٤١)، فالإمام يتحدث عن كون هذا النجم يطلع من السماء السابعة، ثم يعطف على الجملة السابقة باستعمال الرباط الحجاجي الفاء حجة أخرى هي أنَّ ضوؤه قد ثقب حتى أضاء السماء الدنيا، وهو هنا لم يبيِّن ما الذي ثقبه؛ لأنَّه ابتدأ بمطلع النجم من السماء السابعة ثم وصول ضوؤه إلى السماء الدنيا، كما أنَّه لم يجعل هناك فترة بين مطلعته وبين وصول ضوؤه للسماء الدنيا وذلك لأنَّه استعمل حرف العطف الفاء، وبعدها (ثم) التي إقامة علاقة تراثية في عرض الحجج لأنَّها دالة التراخي والمهلة للربط بين المعطوف والمعطوف عليه، ولكن قد لا تكون هذه المهلة التي اقتضاها الكلام مرتبطة بزمن فعلي، وعليه فإنَّ هذا الرباط أفاد الترتيب بين الحجج مع إفادة التراخي والمهلة بينها.

الخاتمة

نصل في ختام هذا البحث إلى أنَّ مناظرات وردود الإمام أبي جعفر الصادق (عليه السلام) قد تضمّنت العديد من آليات الحجاج اللغوي وهي روابط حجاجية كان لها الدور الفاعل في توجيه النتيجة، وتوضيح الحجج، فكان دورها مهمًّا في سياق الكلام ممَّا زاد المعنى وانسجام الخطاب في تأدية الوظيفة الحجاجية، وهذا ما يظهر في استخدام بعض الآليات اللغوية الحجاجية، والاعتناء بحروف الربط وحسن اختيارها، لماله من دور في توجيه الكلام الوجهة الصحيحة التي يريد المتكلم، وإيصال المقاصد الحجاجية، فلم تكن وظيفة هذه الروابط ربط أجزاء الجملة بعضها ببعض وإنَّما من أجل التأثير والإقناع، وقد أضفى وجود هذه الروابط قوة حجاجية على ردود الإمام ومناظراته؛ لأنَّها أدوات ربطت بين حجتيْن أو أكثر من جانب، وعملت على تحقيق الدلالة من جانب آخر.



الهوامش

- ١- ينظر: مفهوم الحجاج عند بيرلمان، وتطوره في البلاغة المعاصرة: د- محمد سالم الأمين الطلبة، محمد سالم ولد محمد الأمين، دار الفكر، بيروت- لبنان، د-ط، د-ت، ٢/ ٤٩١.
- ٢- كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ)، تح: علي محمد البجاوي- محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٢، ٢١.
- ٣- البيان والتبين: أبو عثمان الجاحظ (٢٥٥)، تح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨، ١/ ١١.
- ٤- التكوثر العقلي: طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط١، ٢١٣، ١٩٩٨.
- ٥- ينظر: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، مسكيليني للنشر، تونس، ٢٠١١، ٢٣.
- ٦- ينظر: التفكير الفلسفي: كريس هورنر، وامريس ويستاكون، تر: د- ليلي الطويل، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق- سوريا، ٢٠١١، ٢٢٩.
- ٧- الحجاج اطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة، لبيرلمان وتيتكا، عبدالله صولة، ٢٩٩.
- ٨- البقرة: ١١١.
- ٩- البقرة: ٢٥٨.
- ١٠- الحجاج في البلاغة المعاصرة: د- محمد سالم محمد الامين طلبة، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ط١، ٢٠٠٨، ٦٨.
- ١١- معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين ١٩٨٩- ٢٠٠٠م، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، الجزائر، ٢٠٠٥، ١٩١.
- ١٢- ينظر: اللغة والحجاج: د- أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٦، ٣٧٧.
- ١٣- المصدر نفسه: ١٤.
- ١٤- المصدر نفسه: ٦٣.
- ١٥- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ)، تح: د- فخر الدين قباوة، أ- محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٢، ٥٩١.
- ١٦- ينظر: المفصل في علم العربية: أبو القاسم محمود بن عمر الزنجشري (٥٣٨هـ)، تح: د- فخر صباح قدارة، دار عمار، عمان- الاردن، ط١، ٢٠٠٤، ٣٠٠.



- ١٧- طه: ٥.
- ١٨- البقرة: ٢٥٥.
- ١٩- الاحتجاج (مناظرات وخطب وإحتجاجات ومفاخرات الرسول المصطفى وأهل بيته ﷺ): لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، د-ط، ٢٠٢٢، ١/ ٢٥٦.
- ٢٠- المصدر نفسه: ١/ ٢٥٧.
- ٢١- طه: ٥.
- ٢٢- معاني الحروف: لابي الحسن علي بن عيسى الرمانى: تح: عرفان سليم، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ١٤٢٥هـ، ٧١.
- ٢٣- ينظر: رسائل الإمام عليه ﷺ في نهج البلاغة دراسة حجاجية، رائد مجيد جبار الزبيدي، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء- العراق، ١١٨، ٢٠١٧.
- ٢٤- الاحتجاج: ١/ ٢٥٦.
- ٢٥- المصدر نفسه: ١/ ٢٧٢.
- ٢٦- المصدر نفسه: ١/ ٢٧٤.
- ٢٧- ينظر: رسائل الإمام علي ﷺ: ١٣٣.
- ٢٨- الاحتجاج: ١/ ٢٦٤.
- ٢٩- الاحتجاج: ١/ ٢٧٠- ٢٧١.
- ٣٠- المصدر نفسه: ١/ ٢٧١.
- ٣١- المائدة: ٣.
- ٣٢- ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ١٠٩.
- ٣٣- الاحتجاج: ١/ ٢٦٨.
- ٣٤- ينظر: الاحتجاج: ١/ ٢٧٢.
- ٣٥- المصدر نفسه: ١/ ٢٧٢.
- ٣٦- ينظر: الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير: نعيمة يعمرانن، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات- جامعة مولود معمري- تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٢، ٩٣.
- ٣٧- ينظر: رسائل الامام علي: ١٤٤.
- ٣٨- الاحتجاج: ١/ ٢٩٤.
- ٣٩- الروابط الحجاجية في مناظرات الإمام الصادق ﷺ: أ-د: رحمن غركان عبادي، كلية التربية- جامعة القادسية، ع٦٥، ج١، ٢٠٢٢، ٦٦.
- ٤٠- الاحتجاج: ١/ ٢٧٣.
- ٤١- المصدر نفسه: ١/ ٢٧٦.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

* الحجاج في البلاغة المعاصرة: د-

محمد سالم محمد الامين طلبه،
دار الكتاب الجديد، بنغازي،
ط ١، ٢٠٠٨.

* الحجاج في البلاغة المعاصرة: د-

محمد سالم محمد الامين طلبه،
دار الكتاب الجديد، بنغازي،
ط ١، ٢٠٠٨.

* رسائل الإمام عليه ﷺ في نهج

البلاغة دراسة حجاجية، رائد
مجيد جبار الزبيدي، مؤسسة
علوم نهج البلاغة، كربلاء-
العراق، ٢٠١٧.

* في نظرية الحجاج دراسات

وتطبيقات، عبدالله صولة،
مسكيليني للنشر، تونس،
٢٠١١.

* كتاب الصناعتين: أبو هلال

العسكري (٣٩٥هـ)، تح:
علي محمد البجاوي- محمد
ابو الفضل ابراهيم، دار احياء
الكتب العربية، ط ١، ١٩٥٢.

* اللغة والحجاج: د- أبو بكر

العزاوي، العمدة في الطبع، ط ١،
الدار البيضاء، ٢٠٠٦.

* معاني الحروف: لابي الحسن

علي بن عيسى الرماني: تح:
عرفان سليم، المكتبة العصرية،
بيروت- لبنان، ١٤٢٥هـ.

* الفصل في علم العربية: أبو

* الإحتجاج (مناظرات وخطب

وإحتجاجات ومفاخرات الرسول
المصطفى وأهل بيته ﷺ: لأبي
منصور أحمد بن علي بن أبي
طالب الطبرسي، دار المرتضى،
بيروت، د- ط، ٢٠٢٢.

* البيان والتبين: أبو عثمان

الجاحظ (٢٥٥)، تح:
عبد السلام هارون، مكتبة
الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٨.

* التفكير الفلسفي: كريس هورنر،

وامريس ويستاكون، تر: د- ليلى
الطويل، منشورات الهيئة العامة
السورية للكتاب، دمشق-
سوريا، ٢٠١١.

* التكوثر العقلي: طه عبدالرحمن،

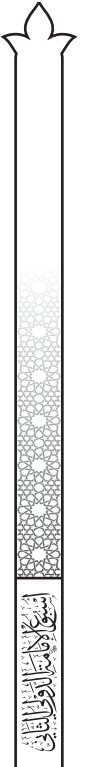
المركز الثقافي العربي، بيروت-
لبنان، ط ١، ١٩٩٨.

* الجنى الداني في حروف المعاني:

الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ)،
تح: د- فخر الدين
قباوة، أ- محمد نديم فاضل، دار
الكتب العلمية، بيروت- لبنان،
ط ١، ١٩٩٢.

* الحجاج اطره ومنطلقاته وتقنياته

من خلال مصنف في الحجاج-
الخطابة الجديدة، ليرلمان وتيتكا،
عبدالله صولة.



الشيخ
الإمام
الشيخ
الإمام
الشيخ
الإمام

القاسم محمود بن عمر الزمخشري
(٥٣٨هـ)، تح: د- فخر صباح
قدارة، دار عمار، عمان- الاردن،
ط ١، ٢٠٠٤.

* مفهوم الحجاج عند بيرلمان،
وتطوره في البلاغة المعاصرة: د-
محمد سالم الأمين الطلبة، محمد
سالم ولد محمد الأمين، دار الفكر،
بيروت- لبنان، د-ط، د-ت.

* الروابط الحجاجية في مناظرات
الإمام الصادق (عليه السلام): أ-د: رحمن
غركان عبادي، كلية التربية-
جامعة القادسية، ع ٦٥، ج ١،
٢٠٢٢.

* معالم لدراسة تداولية حجاجية
للخطاب الصحافي الجزائري
المكتوب ما بين ١٩٨٩-
٢٠٠٠م، اطروحة دكتوراه،
كلية الآداب واللغات، جامعة
الجزائر، الجزائر، ٢٠٠٥.

* الحجاج في كتاب المثل السائر
لابن الأثير: نعيمة يعمرانن،
رسالة ماجستير، كلية الآداب
واللغات- جامعة مولود
معمرى- تيزي وزو، الجزائر،
٢٠١٢.

أحاديث الإمام الصادق عليه السلام في الغلو والغلاة (الموقف والآثار)

محمد السالمي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين، بعد رحيل رسول الله ﷺ اشتدت الانحرافات في الدين، فقاتل أمير المؤمنين عليه السلام القاسطين والناكثين والمارقين، ثم صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية ليحافظ على المتبقي من الإسلام، ثم خرج الإمام الحسين عليه السلام للإصلاح في دين جده، ثم جاهد الإمام السجاد عليه السلام بكلماته وأدعيته وتربيته لشيعته، حتى وصل الأمر لزمان الصادقين عليه السلام حيث تميّزت هذه الفترة بالتأسيس للمدرسة العلمية لمذهب الشيعة الإمامية، وبناء منهج للمعرفة في سبيل مواجهة الانحرافات والأباطيل، والتي كثرت في زمان أبي عبد الله الصادق عليه السلام. توجه الإمام الصادق عليه السلام نحو ملء كل فراغ عقائدي وأخلاقي وفقهي، وجمع الأصحاب والتلامذة من حوله، وارتشفوا من معينه النابع من الوحي، واهتم بهم أشد الاهتمام، وهذا ما وعد به أباه الباقر عليه السلام، حيث ورد عنه أنه قال: (لما حضرت أبي الوفاة قال: يا جعفر، أوصيك بأصحابي خيراً، قلت: جعلت فداك، والله لأدعنهم والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحداً)^(١)

وحقق أبو عبدالله عليه السلام وصية أبيه على أتمها، فهذا الوشاء يدخل مسجد الكوفة، ويشاهد تسعمائة شيخ كلُّ يقول حدثني جعفر بن محمد^(٢)، وتعددت التيارات في زمانه عليه السلام، زنادقة، وفقهاء بالرأي، ومعتزلة، وزيدية، وكيسانية، وغيرهم، وأشد منهم جميعاً من قال بالغلو، ورفع الإمام عن حده، ونسب الربوبية إليه، والكذب بالدس في الأحاديث، والتأويل الباطل، وترك التكاليف وغيرها من صفات الغلاة، حتى وصل بهم الأمر الخروج في الشوارع وهم يهتفون للإمام بالتلبية، وحينما تصل هذه المزاعم للإمام يفزع ويخاف ويذرف الدموع خوفاً من ربه، ومن شدة ما يدعون فيه، فيتوجّه بأحاديثه لمواجهة الغلاة، ويعلن موقفه منهم، ليعلم الناس حقيقتهم.

ولهذا الموقف آثار متعددة أهمها الأثر الشرعي من جهة الحكم بطهارتهم، وتغسيل موتاهم وغير ذلك، والأثر في الاعتقاد، من باب الاحتراز عن معاني الغلو، في المسائل العقدية، والأثر في علم الرجال، من حيث الحكم على الرواة الغلاة والمتهمين بالغلو.

وهذا البحث يسلط الضوء على مجموعة من أحاديث الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام في الغلو والغلاة، ليتبين الموقف الواضح والمعلن منه عليه السلام، وما يترتب عليه من آثار، وقد اشتمل البحث على قسمين وخاتمة:

الأول: في تعريف الغلو والغلاة.

الثاني: في عرض أحاديث الإمام الصادق عليه السلام في الغلو والغلاة وتلخيص موقفه والآثار المترتبة عليه.

وخاتمة: في الغلو المعاصر.



القسم الأول

التعريف بالغلو والغلاة:

في اللغة:

قال الخليل: وغلا الناس في الأمر، أي: جاوزوا حده، كغلو اليهود في

دينها^(٣)

وقال الجوهري: وغلا في الأمر يغلو غُلُوًّا، أي جاوز فيه الحد^(٤).

وقال ابن الفارس: الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح في الأمر

يدل على ارتفاع ومجازة قدر، وغلا الرجل في الأمر غلوًّا، إذا جاوز حده^(٥).

فالغلو في اللغة هو الارتفاع ومجازة الحد.

في القرآن :

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ

لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ

الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ* وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا

أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٦)

وقال جل وعلا: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا

عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(٧)، وقال رب العزة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي

دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا

وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٨).

وقال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ

قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٩).

وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ

يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١٠).

قال العلامة المجلسي تعقيباً على هذه الآيات: تفسير ﴿ما كان لبشر﴾، قيل: تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام، وقيل: إن أبا رافع القرظي والسيد النجراني قالوا: يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك رباً؟ فقال عليه السلام: معاذ الله أن نعبد غير الله، وأن نأمر بغير عبادة الله، فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني، فنزلت.

وقيل: قال رجل: يا رسول الله، نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض؟ أفلا نسجد لك؟ قال: لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم، واعرفوا الحق لأهله.

ولكن كونوا، أي ولكن يقول: كونوا ربانيين، الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كاللحياني، وهو الكامل في العلم والعمل ﴿بما كنتم﴾ أي بسبب كونكم معلمين الكتاب، وكونكم دارسين له ﴿ولا يأمركم﴾ بالنصب عطفاً على ﴿ثم يقول﴾ ولا مزيدة لتأكيد النفي في قوله: ﴿ما كان﴾ وبالرفع على الاستئناف أو الحال ﴿أيأمركم﴾ أي البشر أو الرب تعالى.

﴿لا تغلوا في دينكم﴾ باتخاذ عيسى إلهاً، ﴿إلا الحق﴾ أي تنزيهه سبحانه عن الصاحبة والولد ﴿قد ضلّوا من قبل﴾، أي قبل مبعث محمد عليه السلام، ﴿وضلّوا عن سواء السبيل﴾ بعد مبعثه عليه السلام لما كذبوه.

﴿قل الله خالق كل شيء﴾ يدل على عدم جواز نسبة الخلق إلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وكذا قوله تعالى: ﴿هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء﴾ يدل على عدم جواز نسبة الخلق والرزق والإماتة والاحياء إلى غيره سبحانه وأنه شرك.

أقول- والقول للعلامة-: دلالة تلك الآيات على نفي الغلو والتفويض بالمعاني التي سنذكرها ظاهرة، والآيات الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى؛ إذ جميع آيات الخلق ودلائل التوحيد والآيات الواردة في كفر النصاري

وبطلان مذهبهم دالة عليه، فلم نتعرض لإيرادها، وتفسيرها، وبيان وجه دلالتها، لوضوح الأمر، والله يهدي إلى سواء السبيل). انتهى كلامه^(١١).

في كلمات الأعلام :

إنَّ الإمامية يُعرِّفون الغلوَّ والغلاة بما عرّفهما أهل البيت عليهم السلام، وعبروا عنهما بالتعابير والأوصاف التي ذكرها الأئمة عليهم السلام في أحاديثهم، فالأئمة جعلوا الغلوَّ والغلاة في نطاق معيّن ومحدّد - يمكن أن نعبر عنه بقواعد الغلوّ -^(١٢)، فما دخل في هذا النطاق كان غلوّاً ومن يلتزم به مغالياً.

والغلوّ ليس منحصرأ في الأفكار والاعتقادات والمقولات، بل يتعداه الى الواقع العملي من سلوكيّات وممارسات منحرفة نتيجة الاعتقاد الفاسد، كما في ترك الصلاة.

وكما أنَّ فقه الشيعة يعتمد على أحاديث الأئمة عليهم السلام، كأحد مراجع استنباط الحكم الشرعي، كذلك مسائل العقيدة وتحديد الصحيح والفساد منها، وبالإطلاع على كلمات علمائنا في شأن الغلوّ والغلاة، يتوضّح المعنى الذي تعتمده الإماميّة فيهم، وما كلماتهم إلاّ تعابير مستفادة من الأحاديث الواردة عن الأئمة عليهم السلام، وإليك بعضاً من كلمات أكابر المذهب.

قال الصدوق: (اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنّهم كفار بالله جلّ اسمه، وأنّهم أشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلّة، وأنّه ما صغر الله جلّ جلاله تصغيرهم شيء)^(١٣).

الشيخ المفيد: (والغلاة من المتظاهرين بالإسلام، هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام إلى الألوهيّة والنبوة، ووصفوه من الفضل في الدّين والدّنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحدّ وخرجوا عن القصد، وهم ضالّال كفار حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل والتّحريق بالنار، وقضت الأئمة عليهم السلام عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام)^(١٤).

وقال أيضاً: (فأما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب، فهو منكر بين الفساد؛ لأن الوصف بذلك إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه، لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلا لله عز وجل، وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة، إلا من شذ عنهم من المفوضة ومن انتمى إليهم من الغلاة)^(١٥).

وقال العلامة المجلسي: (اعلم أن الغلو في النبي والأئمة عليهم السلام إنما يكون بالقول بألوهيتهم أو بكونهم شركاء الله تعالى في المعبودية أو في الخلق أو الرزق، أو أن الله تعالى حل فيهم أو اتحد بهم، أو أنهم يعلمون الغيب بغير وحى أو إلهام من الله تعالى، أو بالقول في الأئمة عليهم السلام أنهم كانوا أنبياء، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأن معرفتهم تُغني عن جميع الطاعات ولا تكليف معها بترك المعاصي والقول بكل منها إلحاد وكفر وخروج عن الدين، كما دلت عليه الأدلة العقلية والآيات والأخبار السالفة وغيرها، قد عرفت أن الأئمة عليهم السلام تبرؤوا منهم وحكموا بكفرهم وأمروا بقتلهم، وإن قرع سمعك شيء من الأخبار الموهمة لشيء من ذلك، فهي إما مؤولة أو هي من مفتريات الغلاة)^(١٦).

وقال السيد الخوئي: (الغلاة على طوائف، فمنهم من يعتقد الربوبية لأمر المؤمنين أو أحد الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فيعتقد بأنه الرب الجليل وأنه الإله المجسم الذي نزل إلى الأرض، وهذه النسبة لو صحّت وثبت اعتقادهم بذلك، فلا إشكال في نجاستهم وكفرهم؛ لأنه إنكار لألوهيته سبحانه؛ لبداهة أنه لا فرق في إنكارها بين دعوى ثبوتها لزيد أو للأصنام، وبين دعوى ثبوتها لأمر المؤمنين عليهم السلام لا اشتراكهما في إنكار ألوهيته تعالى، وهو من أحد الأسباب الموجبة للكفر)^(١٧).

وقال السيد السيستاني: (وليحذر المبلّغون والشعراء والروايد أشدّ الحذر عن بيان الحق بما يوهم الغلو في شأن النبي وعترته عليهم السلام، والغلو على



نوعين: إسباغ الصفات الألوهية على غير الله سبحانه، وإثبات أمور ومعانٍ لم تقم حجة موثوقة عليها، ومذهب أهل البيت عليهم السلام خالٍ عن الغلو بنوعيه، بل هو أبعد ما يكون عنه، وإنما يشتمل على الإذعان للنبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام بمواضعهم التي وضعهم الله تعالى فيها من دون زيادة ولا إفراط، بل مع تحذّر في مواضع الاشتباه، وورع عن إثبات ما لم تقم به الحجة الموثوقة، وإنما المتقي من لا يغلو فيمن يحب كما لا يحيف على من يبغض، ولا يصحّ بناء هذه المعاني على مجرّد المحبة، وتصديق كلّ من زاد شيئاً، والإذعان له بمزيد الإيمان، فإنّ ذلك يؤدّي إلى المزايدة في أمر الدين بغير حجة، وحدوث البدع، وطمع الجاهلين، وترؤس أهل الضلالة، وتراجع المتورّعين العاملين بالحجة والمتوقّفين عند الشبهة، وذلك يمحّق الدين ويرتدّ ارتداداً معاكساً بتفريط آخرين، والزيادة في العقيدة بغير حجة موثوقة على حدّ النقصان فيها ممّن قامت عليه الحجة عليها، ومن زاد اليوم شيئاً بغير حجة زيد عليه غداً، حتّى أنّه ليُتهم بالتقصير والقصور، فلزوم الحجة والميزان أحمد وأسلم^(١٨).

ثانياً- لمحة تاريخية عن الغلو في عهد الإمام الصادق عليه السلام:

إنّ ظاهرة الغلو قديمة بقدم التاريخ، فأين ما وُجد أنبياء وأوصياء وأشخاص صالحون، كان هناك من يغالي ويفرّط فيهم، وما تقدّم في آيات القرآن الكريم من مغالاة اليهود والنصارى في المسيح والعزير سلام الله عليهم شاهد على هذا، ولم يخلّ التاريخ الإسلامي من هذا الخط المنحرف، فقد اشتدت مقولاتهم وغيّهم وتطوّرت أساليبهم في نشر ضلالتهم، فمن نسبة الربوبية للأئمة عليهم السلام، إلى وضع الحديث كذباً وتأويله على غير معناه، كما في (بنان - أو بيان) - الذي كان يكذب على الإمام علي بن الحسين عليهما السلام؛ فقد روى الكشي عن زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (سمعتَه يقول: لعن الله بيان التّبان، وإنّ بناناً لعنه الله كان يكذب على أبي، أشهد أنّ أبي علي بن الحسين كان عبداً صالحاً)^(١٩).

وأما في زمان الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام كان (المغيرة بن سعيد): وكان عمل المغيرة منظماً ودقيقاً جداً في كيفية نشر الغلو، فهو على رأس هرم المغالين، وعنده أصحاب مستترون بين أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، يحضرون مجالس الإمام ودروسه ومجالس أصحابه ويأخذون ما يدونه أصحاب الإمام وينسخون ما يكتبه الأصحاب، ثم يدفعونها للمغيرة فيحدث فيها الكذب والأباطيل، من كلمات فيها غلو وتفويض وكفر، ويسند ذلك للإمام، ثم يدفعها لأصحابه ليثبتوها في أوساط الشيعة، فالكتاب الذي عندهم منقول من أصحاب الإمام وأحاديثه مسنده، ومن يثبتها مستتر بالعلم والصحبة، فليس للشيعة الموالي البسيط غير القادر على تمييز حديث الإمام من غيرها وما خفي من كذب بين السطور، إلا الأخذ بما فيها اعتماداً على من ظاهره العلم والتدين والقرب من الإمام عليه السلام.

فقد أخرج الكشي عن هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي يأخذون الكتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون في أصحاب أبي، يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها للمغيرة، فكان يدس فيها الكفر والزندقة، ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه، فيأمرهم أن يثبتوها في الشيعة، فكل ما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك مما دسّه المغيرة في كتبهم^(٢٠).

ولو ألقينا نظرة على تاريخ الحركة الفكرية في فترة الإمام الصادق عليه السلام نجد لها اتجاهين: الأول ازدهار العلمي والفكري لمدرسة أهل البيت عليه السلام، وهذه المدرسة شخصياتها الكبيرة ممن نهل علومه وفكره من الصادقين عليه السلام، منهم فقهاء ومحدثون ومتكلمون، أمثال هشام بن الحكم ومحمد بن مسلم وجابر الجعفي وأبي بصير وبريد العجلي وأبان بن تغلب ووزارة ومؤمن الطاق، وغيرهم الكثير في مختلف صنوف المعرفة.

والاتجاه الآخر ينخر في الأمة الإسلامية ويبث الأفكار الهدامة للدين، ويضلل الناس بأكاذيب وأباطيل تنطلي على العوام، فالزنادقة وشبهاتهم وتشكيكاتهم من جهة وفقهاء السلطات وفتاواهم المستندة للرأي والقياس من جهة أخرى، وأخطر منهم جميعاً الغلاة، لأنهم متلبسون برداء الموالاة للإمام، وباسم التشيع واعتمادهم بالأساس على وضع الأحاديث ونسبتها للإمام، حتى في أدق المسائل العقيدية والفقهية والتفسيرية ومما زاد الأمر خطورة أن بعضهم كان مستقيماً، ومن أصحاب الإمام عليه السلام، ويروي عنه ما يتلقاه من أحاديث والناس تأخذ منه، ومن ثم أزلّه الشيطان وبسوء عاقبة انحرف عن الصراط وغلا، ومن المناسب ذكر واحدة من شخصيات الغلاة، التي تمثل أكبر رؤوس هذا الاتجاه في عصر الإمام الصادق عليه السلام، ليكون عند القارئ تصور كافٍ عن حجم الخطر الذي كان يحيط بشيعة الإمام الصادق عليه السلام.

من رؤوس الغلاة:

(أبو الخطاب) محمد بن مقلاص بن أبي زينب البرّاد الأجدع الأسدي، وإليه تنسب فرقة الخطابية، فهو المنظر الأول لعقائد وسلوكيات هذه الجماعة والتي امتدت إلى عصور الأئمة اللاحقين كما صرح الإمام الرضا عليه السلام بذلك بعدما عرضت عليه كتب فيها أحاديث مدسوسة، وفي ذيل الحديث الذي رواه الكشي عن يونس قال: (وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ووجدت أصحاب أبي عبد الله عليه السلام متضافرين فسمعت منهم وأخذت كتبهم فعرضتها بعد على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون أحاديث أبي عبد الله عليه السلام وقال لي: إنَّ أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله عليه السلام، لعن الله أبا الخطاب وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن) (٢١).

ومّا جاء في ترجمته في قاموس الرجال: محمد بن مقلّاص الأسدي، الكوفي، أبو الخطّاب قال: عدّه الشيخ في رجاله في أصحاب الصادق عليه السلام قائلاً: ملعون غالٍ - ويكنى مقلّاص أبا زينب - البزاز البرّاد، وقال ابن الغضائري: محمد بن أبي زينب أبو الخطّاب الأجدع الزرّاد، مولى بني أسد - لعنه الله - أمره شهير.... وفي الإكمال في التوقيع بخط مولانا صاحب عليه السلام: أمّا أبو الخطّاب محمد بن أبي زينب الأجدع فملعون، وأصحابه ملعونون، فلا تجالس أهل مقالتهم، فإنّي منهم بريء وآبائي عليهم السلام منهم براء، وفي فضل تجارة الكافي: أبو الخطّاب قبل أن يفسد يحمل المسائل لأصحابنا ويحيي بجواباتها^(٢٢).

وقال الشهرستاني في الملل والنحل: الخطّابية أصحاب أبي الخطّاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فلما وقف الصادق على غلوّه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في التبرّي منه واللعن عليه فلما اعتزل عنه ادعى الإمامة لنفسه، زعم أبو الخطّاب أنّ الأئمة أنبياء ثم آلهة وقال بإلهية جعفر بن محمد وإلهية آبائه عليهم السلام وهم أبناء الله وأحباؤه، والإلهية نور في النبوة والنبوة نور في الإمامة ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار وزعم أنّ جعفرأ هو الإله في زمانه وليس هو المحسوس الذي يروونه ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبّخة الكوفة وافترقت الخطّابية بعده فرقة فرقة فزعمت فرقة أنّ الإمام بعد أبي الخطّاب رجل يقال له معمر، ودانوا به كما دانوا بأبي الخطّاب^(٢٣) إلى آخر كلامه حول فرقة الخطّابية .

ورد اللعن والتكذيب والبراءة من أبي الخطاب وأصحابه في روايات كثيرة عنا لإمام الصادق عليه السلام، وأخرج شيخنا الكشي في رجاله ثمانية وأربعين حديثاً بعنوان: (ما روي في محمد بن أبي زينب اسمه مقلاص بن الخطاب البراد الأجدع الأسدي ويكنى أبا إسماعيل ويكنى أيضاً أبا الخطاب)، وكلّها في ذمّه والرد عليه وعلى من يقول مقالته.

وما ورد فيه يشير إلى حجم الخطر الذي أحدثه في عقيدة الشيعة، ولعلّه من أهم الأسباب المؤدية إلى تأثير هذا الملعون في الناس وإفسادهم، هو حاله السابقة ومصاحبته للإمام، وانتحاله التشيع، وأنّه كان مستقيم الظاهر، كما ورد أنّه كان يحمل مسائل الشيعة للإمام ويحيي بجواباتها، ومن كانت سيرته الاستقامة فمقالته مؤثرة في أوساطه.

لذلك كان من أهم أساليب الإمام الصادق عليه السلام في مواجهته، هو تكذيبه ولعنه وتكفيره.

وورد أنّ الإمام الصادق عليه السلام يخاف إضلال أبي الخطاب للناس في كل أوقاته قائماً وقاعداً، حتى في نومه، وما تخوّفه عليه السلام إلاّ لأمرين، الأوّل من شدة خوفه على دين الله والناس؛ لأنّه حجة الله على الخلائق والمكلّف منه تعالى بحفظ الدين وإرشاد الناس وهدايتهم، وهو يشاهد الغلاة يعيشون في أرض الله فساداً، وينشرون بين خلقه الضلال، ويفسدون الناس، فقد أباحوا المحرّمات وتركوا الفرائض وعطلوا الأحكام، حتى وصل الحال ممّن تبعهم إذا تناقل من أداء فريضة سأل أبا الخطاب أن يخفف عنه فيأمره بتركها^(٢٤).

والثاني هو ما ينسبه للإمام عليه السلام من ادعاءات، وتجده سلام الله عليه مذعوراً فزعاً من اعتقادات وسلوكيات أبي الخطاب، فهو يعتقد بربوبيته عليه السلام وأنّه نبي مرسل من قبله، حتّى وصلت به الجرأة إلى الخروج مع أتباعه في شوارع الكوفة وهم ينادون (ليك يا جعفر)، ومقصدهم في هذه التلبية لربهم، كما يفعل الحجيّج.

روى العلامة المجلسي في البحار عن كتاب زيد النرسي قال: (لما ظهر أبو الخطاب بالكوفة وادّعى في أبي عبد الله عليه السلام ما ادّعاه دخلت على أبي عبد الله عليه السلام مع عبيدة بن زرارة فقلت له: جعلت فداك لقد ادّعى أبو الخطاب وأصحابه فيك أمراً عظيماً، إنّه لبّى بليّك جعفر، ليّك معراج، وزعم أصحابه أنّ أبا الخطاب أسري به إليك، فلما هبط إلى الأرض دعا إليك، ولذا لبّى بك، قال: فرأيت أبا عبد الله عليه السلام قد أرسل دمعته من حماليق عينيه وهو يقول: يا ربّ برئت إليك ممّا ادّعى في الأجدع عبد بني أسد، خشع لك شعري وبشري، عبد لك ابن عبد لك، خاضع ذليل، ثم أطرق ساعة في الأرض كأنّه يناجي شيئاً، ثم رفع رأسه وهو يقول: أجل أجل عبد خاضع خاشع ذليل لرّبّه صاغر راغم من ربه خائف وجل، لي والله ربّ أعبد لا أشرك به شيئاً، ما له أخزاه الله وأرعبه ولا آمن روعته يوم القيامة، ما كانت تلبية الأنبياء هكذا ولا تليّتي ولا تلبية الرسل، إنّما لبّيت بليّك اللهم ليّك، ليّك لا شريك لك، ثم قمنا من عنده فقال: يا زيد إنّما قلت لك هذا لأستقرّ في قبري، يا زيد استر ذلك عن الأعداء) (٢٥).

وأما قول الإمام عليه السلام لزيد «استر ذلك عن الأعداء» أي - يا زيد لا تفش مقولات أبي الخطاب بين الأعداء - باعتبار أنّ الأعداء يراقبون تحركات وأقوال أتباع جعفر بن محمد عليه السلام، وأبو الخطاب ظاهراً هو من الشيعة، ولا يهتم الأعداء بكونه انحرف عن استقامته وقال بالغلو، وأنّ الإمام طرده ولعنه، وحكم عليه بالكفر والضلال، فلو علم الأعداء بأقوال هذا الكذاب لاستخدموها حجةً للتشنيع على الشيعة، وإن وجدوا قولاً أو ادّعاءً فيه منقصة للإمام وشيعته بادروا بالترويج له ونشره، كما يؤيّد ذلك ما جاء في عيون أخبار الرضا: (فإذا سمع الناس الغلوّ فينا كفروا شيعتنا ونسبوههم إلى القول بربوبيتنا) (٢٦).

أسباب الغلوّ في عهد الإمام الصادق عليه السلام:

تكاد تكون أسباب الغلوّ وظهور الفرق الغالية في جميع الفترات هي نفسها، وتعود جميعها إلى ثلاثة أمور وهي:

١- الجهل.

٢- طلب الدنيا والأموال.

٣- الحبّ بإفراط.

والجهل هو عدم المعرفة، ومناشئ الجهل كثيرة، منها: تسلط الحكام وذلك بسياسة عزل المجتمعات وإبعاد الناس عن العلم والتعلم، خوفاً من توقد أذهانهم، والفقر الذي يجعل من الإنسان شريد الذهن بعيداً عن تحصيل المعلومة ونيل المعرفة، فلو كان الإنسان متعلماً عارفاً بأمور دينه، يكون سليماً في الاعتقاد، محصناً من أباطيل الغلاة، قادراً على كشف أوهامهم وخدعهم، إذ أنّ الخطأ والصواب في حياة وعقيدة الإنسان معتمد على مقدار المعرفة التي يحملها، والفاقد لها يتعامل مع الدين بإفراط أو تفريط؛ إذ «لا ترى الجاهل إلّا مُفراطاً أو مُفراطاً»^(٢٧).

روى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: (لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، ألا إن الإيمان بعضه من بعض)^(٢٨).

ومن لا يعرف يكون أرضاً خصبة للأفكار الغالية، وصيداً سهلاً لهجمات الغلاة، وحيث لا رادع معرفي لديه لصددهم، فإنّه يتأثر بهم وينحرف عن طريق الحق بسبب جهله.

وأما طلب المال والدنيا والرياسات فهذا من مختصات رؤوس الغلاة، فهم يبحثون عن الشهرة والتّمكك والرياسة، مستغلين سذاجة الجهلة، ليكون لهم أتباع يترأسون عليهم، ولتشيت أمرهم يستغلون جهل

العوام بنسبة الإلوهية للإمام وأدعاء النبوة منه، وبلاستعانة بالشعوذة والاكاذيب، تترسخ أفكارهم في الأذهان، بمعونة انعدام المعرفة، فيأخذون في توجيه أتباعهم نحو ترك الفرائض وتعطيل أحكام الشريعة.

أما دور السلطات الحاكمة المتمثلة بحكومة بني العباس بعدائها الخفي لأهل البيت والشيعة، فقد وجدوا من الغلاة فرصة مناسبة لطمس مناقب وفضائل الأئمة، وتشويه صورتهم، وما سكوتهم عن تحركات الغلاة خصوصاً في الكوفة والمدينة وهم ينشرون أفكارهم في المجالس والشوارع، إلا لأجل إسقاط الإمام عليه السلام من أعين الناس.

والقشة التي قصمت ظهر البعير من زمن أمير المؤمنين عليه السلام وإلى يومنا هذا هي الإفراط في محبة أهل البيت عليهم السلام، فهؤلاء المحبون لم يتمكنوا من الجمع بين بشرية الأئمة عليهم السلام وفضائلهم ومقاماتهم، وما ساعد على ذلك الجهل وقلة المعرفة، والأحاديث المكذوبة في هذا المقام، وبالتالي رفعوا الأئمة عليهم السلام عن حدهم وطاروا بهم وغالوا، بالاشتباه أن هذا هو حق الأئمة عليهم السلام، ولو يلتفت الموالي المحب لإمامه، لوجد أنه لا يحتاج إلى أن يتصور ويقول أشياء في حق الأئمة عليهم السلام بالاعتماد على قول أي كان، بمجرد قوله كلمات ظاهرها تعظيم وإجلال ورفعة، وباطنها غلو وارتفاع، وما زاد في الطين بلة الإعراض عن التأمل في القرآن الكريم والاطّلاع على الآيات الواردة في حق أهل البيت عليهم السلام وتفسيرها، وكذلك نصوص الخطب والأدعية والزيارات جليلة القدر الواردة عنهم كما في نهج البلاغة والصحيفة السجادية وغيرهما الكثير، وترك مطالعة الكتب الموثقة المشتملة على سيرتهم وأحوالهم ومقاماتهم، واللجوء إلى مصادر الغلاة. ومن الأمور التي ساعدت على تقوية تيار الإفراط والغلو، بداعي الموالة والمحبة والتعمق بمعرفة أهل البيت عليهم السلام، هو الأفكار الدخيلة على التشيع من الصوفية وما يسمّى بالعرفان.

القسم الثاني

عرض جملة من أحاديث الإمام الصادق عليه السلام في الغلو والغلاة:

الأحاديث الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام في الغلو والغلاة كثيرة، وفي هذا البحث ننقل جملة منها، لمعرفة موقف الإمام عليه السلام، واعتمدت في نقل أغلبها على ما رواه شيخنا أبو عمرو الكشي رحمه الله عليه، حيث إنه روى الكثير من النصوص المهمة في الغلاة، وسأذكرها أولاً ثم ألحقها بما نقلته من كتب باقي الأصحاب، وعلى حسب الترتيب الزمني، من غير ذكر لتمام السند، و عنونت لكل حديث بما يناسب موضوعه.

مع توضيحات على قدر المتيسر، وأيضاً مع نقل بعض تعليقات العلماء لتقريب المعنى أكثر، وأثبت ذلك في الهامش.

١ - الكذب على الأئمة وتأويل أحاديثهم على غير معناها:

وهذا ما عليه العمدة عند الغلاة وغيرهم من أعداء النبي وآله الطاهرين عليهم السلام، وغرضهم منه جميعاً القضاء على منهج الإسلام الصحيح. (عن الفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يوماً ودخل عليه الفيض بن المختار^(٢٩)، فذكر له آية من كتاب الله عز وجل تأولها أبو عبد الله عليه السلام فقال له الفيض: جعلني الله فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ قال: وأي الاختلاف يا فيض؟ فقال له الفيض: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم، حتى أرجع إلى الفضل بن عمر^(٣٠)، فيوقفني من ذلك على ما تستريح إليه نفسي، ويطمئن إليه قلبي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أجل هو كما ذكرت يا فيض، إن الناس أولعوا بالكذب علينا، إن الله افترض عليهم لا يريد منهم غيره وإني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله وإنما يطلبون به الدنيا، وكل يجب أن يدعى



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله

رأساً، إنَّه ليس من عبد يرفع نفسه إلَّا وضعه الله، وما من عبد وضع نفسه إلَّا رفعه الله وشرفه، فإذا أردت بحديثنا فعليك بهذا الجالس وأومى بيده إلى رجل من أصحابه، فسألت أصحابنا عنه فقالوا: زرارة بن أعين^(٣١).

هذا الحديث مع أنه لم يذكر الغلاة صراحةً، إلَّا أنَّ فيه من صفاتهم وهو الكذب والتأويل على غير المعنى الأصلي يطلبون بذلك الدنيا والرياسة، وفيه تأييد من الإمام عليه السلام للفيض في الرجوع لمن كان عالماً عارفاً بأحاديث الأئمة عليهم السلام.

٢- الأحاديث المخالفة للقرآن و السنة هي من دس الغلاة: (روى شيخنا الكشي عن يونس بن عبد الرحمن أنَّ بعض أصحابنا سأله وأنا حاضر فقال له: يا أبا محمد ما أشدَّك في الحديث وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا فما الذي يملكك على ردِّ الأحاديث؟ فقال حدثني هشام بن الحكم أنَّه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا تقبلوا علي حديثاً إلَّا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة فإنَّ المغيرة بن سعيد لعنه الله دسَّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربِّنا تعالى وسنة نبينا صلى الله عليه وآله فإنَّنا إذا حدثنا قلنا: قال الله عز وجل، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله).^(٣٢)

٣- التأكيد على أن الأئمة عبيد مخلوقون وميتون ومبعوثون: (عن علي بن الحسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لأصحابه: لعن الله المغيرة ابن سعيد، ولعن يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة^(٣٣) والمخاريق^(٣٤)، إنَّ المغيرة كذب على أبي عليه السلام، فسلبه الله الإيمان، وإنَّ قوماً كذبوا عليّ، ما لهم أذاقهم الله حر الحديد^(٣٥)، فوالله ما نحن إلَّا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع وإن رحمتنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنَّا لميتون، ومقبورون، ومنشرون،

ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون، ويلهم ما لهم لعنهم الله فلقد آذوا الله وآذوا رسوله ﷺ في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي ﷺ، وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله، أبيت على فراشي خائفاً وجللاً مرعوباً، يأمنون وأفزع، وينامون على فرشهم، وأنا خائف ساهر وجل أتقلقل بين الجبال والبراري، أبرأ إلى الله مما قال في الأجدع^(٣٦) البراد^(٣٧) عبد بني أسد أبو الخطاب لعنه الله، والله لو ابتلوا بنا^(٣٨)، وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألا يقبلوه فكيف؟ وهم يروني خائفاً وجللاً! استعدي الله عليهم وأتبرأ إلى الله منهم، أشهدكم أي امرؤ ولدني رسول الله ﷺ وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً أو أشد عذابه^(٣٩).

٤ - الكذب في وضع أحاديث الأحكام الفقهية: (عن زرارة: قال - يعني أبا عبد الله ﷺ: إن أهل الكوفة قد نزل فيهم كذاب، أمّا المغيرة: فإنه يكذب على أبي - يعني أبا جعفر ﷺ - قال: حدثه أن نساء آل محمد إذا حضن قضين الصلاة، وكذب والله، عليه لعنة الله: ما كان من ذلك شيء ولا حدثه^(٤٠)، وأمّا أبو الخطاب: فكذب علي، وقال إنّي أمرته ألا يصلي هو وأصحابه المغرب حتى يروا كوكب كذا يقال له: القندانى، والله إن ذلك لكوكب ما أعرفه^(٤١)).

٥ - الشياطين تنزل على الغلاة: (وعن بريد العجلي يسأل الإمام الصادق ﷺ عن تفسير آية من القرآن، قال: وسألت عن قول الله عز وجل: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاكٍ أثيم)^(٤٢) قال: هم سبعة^(٤٣): المغيرة بن سعيد، وبيان، وصائد النهدي، والحارث الشامي، وعبد الله بن الحارث، وهمزة بن عمارة البربري، وأبو الخطاب^(٤٤)).

٦- الإمام الصادق عليه السلام يرد على أبي الخطاب: (عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتب أبو عبد الله عليه السلام إلى أبي الخطاب بلغني أنك تزعم أن الزنا رجل، وأن الخمر رجل، وأن الصلاة رجل، وأن الصيام رجل وأن الفواحش رجل، وليس هو كما تقول أنا أصل الحق وفروع الحق طاعة الله وعدونا أصل الشر وفروعهم الفواحش، وكيف يطاع من لا يعرف، وكيف يعرف من لا يطاع)^(٤٥).

٧- كذبة أبي الخطاب في تلقيه علم خاص من الإمام ونفي علم الغيب: (عن عنبسة بن مصعب، قال، قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أي شيء سمعت من أبي الخطاب؟ قال: سمعته يقول: إنك وضعت على صدره وقلت له عه ولا تنس! وإنك تعلم الغيب، وإنك قلت له: هو^(٤٦) عيبة علمنا، وموضع سرنا، أمين على أحيائنا وأمواتنا، قال: لا والله ما مس شيء من جسدي جسده إلا يده، وأما قوله إنني قلت أعلم الغيب: فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب، ولا أجرني الله في أمواتي، ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له، قال: وقدّامه جويرية^(٤٧) سوداء تدرج قال: لقد كان مني إلى أم هذه، أو إلى هذه كخطة القلم^(٤٨) فأتتني هذه، فلو كنت أعلم الغيب ما كانت تأتيني. ولقد قاسمت مع عبد الله بن الحسن حائطاً بيني وبينه، فأصابه السهل والشرب، وأصابني الجبل، فلو كنت أعلم الغيب لأصابني السهل والشرب، وأصابه الجبل.

وأما قوله إنني قلت له: هو عيبة علمنا، وموضع سرنا، أمين على أحيائنا وأمواتنا: فلا أجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له شيئاً من هذا، قط)^(٤٩).

٨- الإمام لا يرضى بالأسى على قتل الغلاة: (عن عبد الله بن بكير الرجاني، قال: ذكرت أبا الخطاب ومقتله عند أبي عبد الله عليه السلام، قال، فرققت عند ذلك فبكيت، فقال: أتأسى عليهم؟

فقلت: لا، وقد سمعتك تذكر أن علياً عليه السلام قتل أصحاب النهر فأصبح أصحاب علي عليه السلام ييكون عليهم، فقال علي عليه السلام لهم: أتأسون عليهم؟ قالوا: لا، إلا أنا ذكرنا الألفة التي كنا عليها والبلية التي أوقعتهم، فلذلك رفعنا عليهم، قال: لا بأس^(٥٠).

٩- الغلاة يجالسون السفلة: (عن الفضل، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: اتق السفلة، واحذر السفلة، فإنّي نهيت أبا الخطاب فلم يقبل مني)^(٥١).

١٠- الإمام يلعن الغلاة وقتلاهم ويلعن من دخل قلبه رحمة لهم: (عن يحيى الحلبي، عن أبيه عمران بن علي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لعن الله أبا الخطاب، ولعن من قتل معه، ولعن من بقي منهم، ولعن الله من دخل قلبه رحمة لهم)^(٥٢).

١١- النهي عن مجالسة الغلاة ومواكلتهم ومشاربتهم ومصافحتهم: (عن ابن أبي عمير، عن الفضل بن مزيد، قال، قال أبو عبد الله عليه السلام: وذكر أصحاب أبي الخطاب والغلاة، فقال لي: يا مفضل لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا تؤاثروهم)^(٥٣).

١٢- الإمام الصادق عليه السلام يدعو الغلاة للتوبة من الفسق والشرك والكفر: (عن ابن أبي عمير، عن مرازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام للغالية: توبوا إلى الله فإنكم فساق كفار مشركون)^(٥٤).

١٣- الإمام الصادق عليه السلام يبكي ودموعه تسيل على عينيه بعد سماعه بما فعل الغلاة في الكوفة: (عن مصادف، قال: لما لبّى القوم الذين لبّوا بالكوفة: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بذلك، فخر ساجداً وألّزق جؤجؤه^(٥٥) بالأرض وبكى، وأقبل يلوذ بأصبعه ويقول: بل عبد الله قن داخر^(٥٦)، مراراً كثيرة، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته، فندمت على إخباري إياه.

فقلت: جعلت، فذاك، وما عليك أنت من ذا؟ فقال: يا مصادف، إنَّ عيسى لو سكتَ عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعه ويعمى بصره، ولو سكتَ عما قال فيَّ أبو الخطَّاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعي ويعمي بصري^(٥٧).

١٤- الإمام الصادق عليه السلام يكذب قول الغلاة بأنَّه يعلم عدد المطر: (عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّهم يقولون، قال: وما يقولون؟ قلت: يقولون تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب، فرفع يده إلى السماء، وقال: سبحان الله، سبحان الله، لا والله، ما يعلم هذا إلا الله)^(٥٨).

١٥- الغلاة يأتيهم الشيطان فيدَّعون أنَّه الإمام والعياذ بالله: (عن زرارة، قال قال أبو عبد الله عليه السلام: أخبرني عن حمزة أيزعم أنَّ أبي آتية؟ قلت: نعم، قال: كذب والله ما يأتيه إلا المتكون، إنَّ إبليس سلَّط شيطاناً يقال له المتكون يأتي الناس في أي صورة شاء، إن شاء في صورة صغيرة، وإن شاء في صورة كبيرة، ولا والله ما يستطيع إن يجيء في صورة أبي عليه السلام)^(٥٩).

١٦- التأكيد على أنَّ ادِّعاءات الغلاة شرٌّ وتصغير لعظمة الله تعالى: (عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر عنده جعفر بن واقد^(٦٠) ونفر من أصحاب أبي الخطَّاب، ف قيل: إنَّه صار إلى يروذ^(٦١)، وقال فيهم: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله^(٦٢)، قال، هو الإمام، فقال أبو عبد الله عليه السلام لا والله، لا يأويني وإياه سقف بيت أبداً، هم شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيء قط، إنَّ عزيزاً جال في صدره ما قالت فيه اليهود فمحا الله اسمه من النبوة، والله لو أنَّ عيسى أقرَّ بما قالت النصارى لأورثه الله صمماً إلى يوم القيامة، والله لو أقررت بما يقول فيَّ أهل الكوفة لأخذتني الأرض وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على شيء ضرراً ولا نفعاً)^(٦٣).

١٧ - إبليس يطأ عقب الغلاة ليكونوا رسله: (عن حفص بن عمرو النخعي، قال، كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام، فقال له رجل: جعلت فداك إنَّ أبا منصور^(٦٤) حدَّثني أنَّه رفع إلى ربِّه وتمسَّح على رأسه، وقال له بالفارسية (يا سر).

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: حدَّثني: أبي عن جدي أنَّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ إبليس اتخذ عرشاً فيما بين السماء والأرض، واتخذ زبانية كعدد الملائكة فإذا دعا رجلاً فأجابه ووطئ عقبه وتخطَّت إليه الأقدام، تراءى له إبليس ورفع إليه، وإنَّ أبا منصور كان رسول إبليس، لعن الله أبا منصور، لعن الله أبا منصور ثلاثاً^(٦٥).

١٨ - الغلاة يسقطون كلام أهل البيت بنسبة الكذب لهم: (عن ابن سنان، قال، قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّا أهل بيت صادقون، لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله ﷺ أصدق البرية لهجة، وكان مسيلمه يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول الله ﷺ، وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه بما يفترى عليه من الكذب عبد الله بن سبأ^(٦٦) لعنه الله، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام قد ابتلي بالمختار^(٦٧)، ثم ذكر أبو عبد الله: الحارث الشامي وبنان، فقال، كانا يكذبان على علي بن الحسين عليه السلام.

ثمَّ ذكر المغيرة بن سعيد، وبزيعاً، والسري، وأبا الخطاب، ومعمراً، وبشاراً الأشعري، وهمزة الزبيدي، وصائد النهدي، فقال: لعنهم الله إنَّا لا نخلو من كذاب يكذب علينا أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤنة كلِّ كذاب وأذاقهم الله حر الحديد^(٦٨).

١٩- البراءة مَن يقول إِنَّ الأئمة آلهة: (عن حنان بن سدير، عن أبيه، قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إِنَّ قوماً يزعمون أنكم آلهة يتلون علينا بذلك قرآنًا: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم. قال: يا سدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء، برىء الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني ودين آبائي، والله لا يجمعني وإياهم يوم القيامة إلا وهو عليهم ساخط.

قال، قلت: فما أنتم جعلت فداك؟ قال: خزان علم الله، وتراجمة وحي الله، ونحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض...) (٦٩)

٢٠- الإمام يطرد الشعيري المغالي من مجلسه ويقرّ بالعبودية ويُقسم أنه يُسأل في القيامة عن قول الشعيري فيه: (عن إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لبشار الشعيري^(٧٠): اخرج عني لعنك الله، لا والله لا يظلني وإياك سقف بيت أبداً، فلما خرج قال: ويله، ألا قال بما قالت اليهود، ألا قال بما قالت النصارى، ألا قال بما قالت المجوس، أو بما قالت الصابية، والله ما صغر الله تصغير هذا الفاجر أحد، إنه شيطان ابن شيطان خرج من البحر ليغوي أصحابي وشيعتي، فاحذروه وليبلغ الشاهد الغائب، إني عبد ابن عبد، قن ابن أمة ضمتني الأصلاب والأرحام، وإني لميت وإني لمبعوث ثم موقوف، ثم مسؤول والله لأسألن عما قال في هذا الكذاب، وادّعاه عليّ، يا ويله ما له أربه الله، فلقد أمن على فراشه وافزعني، وأقلقني عن رقادي، أو تدرون أنني لم أقول ذلك؟ أقول ذلك لكي استقر في قبري) (٧١).

٢١- الإمام ينفي علمه بالغيب: بصائر الدرجات: (عن محمد بن سليمان بن سدير قال كنت أنا وأبو بصير وميسر ويحيى البزاز وداود الرقي في مجلس أبي عبد الله عليه السلام، إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه



قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أننا نعلم الغيب، وما يعلم، إلا الله لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني، فما عرفتُها في أي بيوت الدار هي.

قال سدیر: فلما ان قام من مجلسه وصار من منزله (وأعلمت) دخلت أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له: جعلنا فداك، سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر خادمك، ونحن نزعم أنك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب^(٧٢)، قال: فقال لي: يا سدیر ألم تقرأ القرآن؟ قال: قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا اتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)^(٧٣)؟ قال: قلت: جعلت فداك قد قرأت، قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده علم من الكتاب؟ قال: قلت: فأخبرني فأفهم، قال: قدر قطرة الثلج في البحر الأخضر، فما يكون ذلك من علم الكتاب؟! قال: قلت: جعلت فداك، ما أقل هذا، قال: يا سدیر، ما أكثر هذا لمن ينسبه الله الى العلم الذي أخبرك به، يا سدیر، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)^(٧٤)؟ قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك، قال: فمن عنده علم من الكتاب أفهم أم من عنده علم الكتاب كله؟ قال: لا، بل من عنده علم الكتاب كله، قال: فأوماً بيده الى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا، علم الكتاب والله كله عندنا^(٧٥).

٢٢- النهي عن القول في الأئمة عليهم السلام بما يخرجهم عن الخلقية: بصائر الدرجات: عن إسماعيل بن عبدالعزيز قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا إسماعيل، ضع لي في المتوضأ ماء، قال: فقممت فوضعت له، قال: فدخل، قال: فقلت في نفسي: أنا أقول فيه كذا وكذا^(٧٦) ويدخل المتوضأ يتوضأ! ^(٧٧) قال: فلم يلبث أن خرج، فقال: يا إسماعيل، لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا، قال إسماعيل: و كنت أقول إنه وأقول وأقول^(٧٨).

٢٣- التنبيه من الإمام على أنه عبد مخلوق، وجزاء من ترك عبادة ربه النار، بصائر الدرجات: (عن خالد بن نجيح الجوار قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده خلق ففقتعت رأسي فجلست في ناحية وقلت في نفسي ويحكم ما أغفلكم عند من تكلمون، عند رب العالمين قال فناداني ويحك يا خالد إنني والله عبدٌ مخلوق لي رب أعبده إن لم أعبد - والله - عذّبي بالنار، فقلت: لا والله لا أقول فيك أبداً إلا قولك في نفسك) (٧٩).

النهي عن تفضيل أحد الأئمة على رسول الله ولا إفراط ولا تفريط في محبة أهل البيت: قرب الأسناد: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اتقوا الله، وعظموا الله، وعظموا رسوله، ولا تفضلوا على رسول الله عليه السلام أحداً، فإن الله تبارك وتعالى قد فضله. وأحبوا أهل بيت نبيكم حباً مقتصداً، ولا تغلوا، ولا تفرّقوا، ولا تقولوا ما لا نقول إن قلتم وقلنا ثمّ ومتنا ثمّ بعثكم الله وبعثنا، فكنّا حيث يشاء الله وكنتم) (٨٠).

٢٤- فرع الإمام من نسبة معاني الربوبية إليه: الكافي: (عن الفضل بن عمر قال: كنت أنا والقاسم شريكي ونجم بن حطيم وصالح بن سهل بالمدينة، فتناظرنا في الربوبية، قال: فقال بعضنا لبعض: ما تصنعون بهذا، نحن بالقرب منه وليس منا في تقية، قوموا بنا إليه، قال: فقمنا، فوالله ما بلغنا الباب إلا وقد خرج علينا بلا حذاء ولا رداء قد قام كل شعرة من رأسه منه وهو يقول: لا، لا، يا مفضل، ويا قاسم، ويا نجم، لا، لا، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (٨١).

٢٥- الغلاة ليسوا مسلمين، ومن سمع حديثهم وصدّقه خرج من الإيمان: الخصال: (روى الشيخ الصدوق عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: (أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يجلس إلى غالي فيستمع إلى حديثه ويصدّقه على قوله، إن أبي حدّثني، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام أن

رسول الله ﷺ قال: صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام: الغلاة والقدرية^(٨٢).

٢٦- المغالي كافر ضالّ مضلّ تارك للفرائض والحقوق: علل الشرائع، في ذيل حديث طويل يرويه عبد الله بن الفضل الهاشمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (... لعن الله الغلاة والمفوضة فإنهم صغروا عصيان الله وكفروا به وأشركوا وضلّوا وأضلّوا فراراً من إقامة الفرائض وأداء الحقوق)^(٨٣).

٢٧- الغلاة شرّ الخلق وهم شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والمشرّكين، والمغالي لا يترك طريقته ولا يرجع لطاعة الله أبداً: الأمالي للطوسي: (قال الصادق عليه السلام: احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، فإن الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله، ويدعون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، ثم قال عليه السلام: إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصر فنقبله، فقل له: كيف ذلك، يا بن رسول الله؟ قال: لأنّ الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج، فلا يقدر على ترك عاداته، وعلى الرجوع إلى طاعة الله (عز وجل) أبداً، وإنّ المقصر إذا عرف عمل وأطاع)^(٨٤).

خلاصة الموقف المستفاد من أحاديثه عليه السلام:

بعد الاطلاع على ما تقدّم من الأحاديث الشريفة يتوضح موقف الإمام عليه السلام ومنه النظري أو التوجيهي والعملية المتعلّق بالتعامل مع الغلاة.

فأمّا النظري يتلخص بالتأكيد المستمر من الإمام عليه السلام بالعبودية والخالقية وبهذا ردّ ادّعائهم أنّه إله ورب، والتبرّي منهم ليخرجهم من دائرة التشيع والمولاة، وما يميّزهم عن باقي الخلق هو الاصطفاء منه تعالى، وأنّ الأئمة كباقي البشر يموتون ويحشرون، وأنّ محبتهم بلا افراط ونتيجته المغالاة، ولا تفريط فيكون تقصير وبخس لحقهم، والنهي عن

تفضيلهم على رسول الله ﷺ، والغلاة ليسوا مسلمين، ومن جالسهم ومن سمع حديثهم وصدّقه خرج من الايمان، وشرهم أكبر وأخطر من اليهود والنصارى والمشرّكين، وذلك بتصغيرهم معصية الله تعالى.

والإمام عليه السلام لعن الغلاة مراراً، ولعن من يرأف بهم ومن يتأسى على موتهم، وما اللعن إلا الطرد من رحمة الله و (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا)^(٨٥)، وأكد الإمام على أَنَّ الغلاة يؤذون رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم، و (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا)^(٨٦)، وأمّا مسألة علم الغيب بلا واسطة للإمام والتي يعول عليها الغلاة في مقولاتهم فقد ردّها وبين حقيقة علمه ومصادر علمه، وكذلك دعاء الإمام عليهم بالقتل بالسيف، لتخلص الأمة من شرورهم .
وتصدياً للإمام عليه السلام بحزم وشدة، لعملية الدسّ في أحاديثه وأحاديث آبائه ووضعهم لأحاديث مكذوبة ونسبتها له، سواء كانت في احاديث المسائل العقديّة، أو الأحكام الشرعية، أو الأحاديث المفسرة للقرآن، وكثيراً ما بينا للإمام عليه السلام صلة الغلاة بالشياطين، وذلك بتمثل الشيطان لهم بصور شتى، أو تنزل الشياطين عليهم، ومن أهم الأساليب التي استخدمها الإمام عليه السلام، في فضح الغلاة، هو تشخيصهم، وتسميتهم، وذكر كذبهم، فلو علم الناس بمقالة الإمام فيهم، نبذوهم وعلموا فساد دعواهم .

ويتجلّى الموقف العملي في كيفية التعامل مع الغلاة، بعدة أمور، منها: الامر بالاجتناب عنهم، واعتزالهم، والنهي عن مخالطتهم، ومجالستهم، ومواكلتهم، ومشاربتهم، وموارثتهم، ليعلم الناس أنّهم منحرفون، فاسدون، وليسوا بمسلمين، وكان الإمام يبعث الرسائل لرؤوس الغلاة في الرد عليهم .

ومن أهم المواقف العملية للإمام عليه السلام، هو إعداد تلامذة علماء يحملون أحاديثه بصدق للناس، وإعلام الشيعة بأنّ يأخذوا الحديث

مَن زكاهم فقط، كأمثال زرارة رضوان الله عليه، بعدما وصل الحال بالغلاة في أيام أبيه الباقر عليه السلام بالتغلغل بين أوساط أصحابه ودس الاحاديث في كتب الأصحاب.

أنَّ مسألة الأحاديث المكذوبة والتحريف فيها وتأويلها على غير معناها أقلقَت الإمام عليه السلام، فلو تركها على حالها انحرفت الشريعة عن مسارها، ولكان التشيع كباقي المذاهب الأخرى فلا أصول دين أصيلة ولا فروع، لذلك أسس للإمام عليه السلام قاعدة عامة لأصحابه في كيفية الاخذ بالحديث المروي عنهم صلوات الله عليهم، وهي قاعدة لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن أو السنة أو معه شاهد من الأحاديث المتقدمة، وبذلك سد الإمام الطريق على كل كذاب ومحرّف ودساس ومتأول .

الآثار المترتبة على موقف الإمام عليه السلام

سار علماء المذهب على طول الأزمان، على نهج الأئمة عليهم السلام في موقفهم من جماعات وأفراد قالوا بالغلو، ومن أبرز ما يظهر هذا الموقف، هو طريقة تعاملهم مع الغلاة في أبواب الفقه، والعقيدة، ولعله من أهم ما بحثوه، هو في علم الرجال لتهديب الرواة والوقوف عليهم واحداً واحداً والتحقيق في حالهم، ولتقريب المسألة نتعرض بإيجاز لذكر كلمات الأعلام، في ثلاث نقاط، في الفقه، والعقيدة، والرجال .

أولاً / في الفقه :

أجمع علماء الإمامية على نجاسة الغلاة، وعدم جواز تغسيل ودفن موتاهم، وعلى تحريم إعطائهم الزكاة، وعلى أنَّه لا يحل للغالي أن يتزوج المسلمة، ولا للمسلم أن يتزوج الغالية مع أنَّ الإمامية أجازوا الزواج بالكتابية، وأجمعوا أيضاً على أنَّ المسلمين يتوارثون وإن اختلفوا بالمذاهب والأصول والعقائد، قالوا: يرث المحق من المسلمين من مبطلهم، ومبطلهم من محقهم ومبطلهم

إلا الغلاة يرث منهم المسلمون وهم لا يرثون من المسلمين^(٨٧)
 إنَّ التعامل مع الغلاة له أحكامه الخاصة المستفادة من أحاديث الأئمة عليهم السلام،
 وللإطلاع على جملة منها ننقل كلمات الأعلام بهذه المسألة.
 قال الشهيد الأوَّل في نجاسة الغلاة: العاشر: الكافر، أصلياً، أو مرتدّاً،
 أو منتحل الإسلام جاحداً لبعض ضرورياته كالخوارج والغلاة، لقوله
 تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(٨٨)،... وأمّا الخوارج والغلاة فلا يرتكباهم ما
 علم من الدين بطلانه ضرورة^(٨٩).

قال العلامة الحلي في المنع من تغسيل موتى الغلاة: ويجب تغسيل كل
 مظهر للشهادتين وإن كان مخالفاً عدا الخوارج والغلاة^(٩٠).
 وقال الشيخ الأنصاري في كفرهم ونجاستهم: وأمّا (الغلاة)،
 فلا إشكال في كفرهم؛ بناءً على تفسيرهم ب: من يعتقد ربوبية أمير
 المؤمنين عليه السلام أو أحد الأئمة عليهم السلام^(٩١).

كلام صاحب الجواهر في كفر الغلاة ونجاستهم: وأمّا الغلاة وهم
 الذين تجاوزوا الحد في الأئمة عليهم السلام حتى ادَّعوا فيهم الربوبية^(٩٢)...
 ...إلاَّ أنّه على كل حال لا كلام في نجاستهم وكفرهم كما في جامع المقاصد
 وعن الدلائل، بل عن الأخير والروض الإجماع عليه، قلت: وهو كذلك، بل
 يدل عليه جميع ما دل على نجاسة الكافر^(٩٣)

ثانياً / في العقيدة :

ليتضح الأثر العلمي لأحاديث الإمام الصادق عليه السلام في العقائد،
 ولتبيين أهميتها في تحديد الصحيح والفاقد من الاعتقاد، نتعرض لذكر
 مسألة (التفويض) التي استند إليها الغلاة في مقولاتهم وعولوا عليها في
 بناء أفكارهم، حتى سمّيت بعض الفرق بها وأطلق عليهم المفوضة،
 والتفويض الباطل الذي يشمل الخلق والرزق وغيره من المعاني الباطلة

وذلك بالاستقلالية للعبد في تحقيقه، فهو نوع غلو في ذات الشخص من غير القول بألوهيته، وهذا خروج عن الحد البشري بإضافة صفات لا يجوز وصف ممكن بها على نحو الاستقلال.

مسألة التفويض^(٩٤) :

عقد العلامة المجلسي باباً في البحار عنوانه بـ(التفويض وما لا ينبغي أن ينسب إليهم منها وما ينبغي) وفَصَّل في بيان معنى التفويض وما يجوز نسبته للأئمة من معانيه وما لا يجوز، ومما قاله:

وأما التفويض فيطلق على معانٍ بعضها منفي عنهم عليهم السلام وبعضها مثبت لهم، فالأول التفويض في الخلق والرزق والتربية والإماتة والإحياء، فإنَّ قوماً قالوا: إنَّ الله تعالى خلقهم وفوض إليهم أمر الخلق فهم يخلقون ويرزقون ويميتون ويحيون وهذا الكلام يحتمل وجهين:

أحدهما أن يقال: إنَّهم يفعلون جميع ذلك بقدرتهم وإرادتهم وهم الفاعلون حقيقة، وهذا كفر صريح دلَّت على استحالته الأدلة العقلية والنقلية، ولا يستريب عاقل في كفر من قال به.

وثانيهما: أنَّ الله تعالى يفعل ذلك مقارناً لإرادتهم كشق القمر وإحياء الموتى وقلب العصا حية وغير ذلك من المعجزات، فإنَّ جميع ذلك إنَّما تحصل بقدرته تعالى مقارناً لإرادتهم لظهور صدقهم..... وهذا وإن كان العقل لا يعارضه كفاحاً لكن الأخبار السالفة تمنع من القول به فيما عدا المعجزات ظاهراً بل صراحاً، مع أنَّ القول به قول بما لا يعلم، إذ لم يرد ذلك في الأخبار المعتبرة فيما نعلم....

الثاني التفويض في أمر الدين، وهذا أيضاً يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الله تعالى فوّض إلى النبي والأئمة عليهم السلام عموماً أن يُحلِّوا ما شاؤوا ويُحرِّموا ما شاؤوا من غير وحي وإلهام، أو يغيروا ما أوحى إليهم بآرائهم وهذا باطل لا يقول به عاقل.

وثانيهما: أنَّه تعالى لما أكمل نبيه ﷺ بحيث لم يكن يختار من الأمور شيئاً إلا ما يوافق الحق والصواب ولا يحل بباله ما يخالف مشيئته تعالى في كل باب فوّض إليه تعيين بعض الأمور كالزيادة في الصلاة وتعيين النوافل في الصلاة والصوم وطعمة الجد وغير ذلك مما مضى وسيأتي إظهاراً لشرفه وكرامته عنده، ولم يكن أصل التعيين إلا بالوحي، ولم يكن الاختيار إلا بإلهام....

الثالث: تفويض أمور الخلق إليهم من سياستهم وتأديبهم وتكميلهم وتعليمهم وأمر الخلق بإطاعتهم فيما أحبوا وكرهوا وفيما علموا جهة المصلحة فيه وما يعلموا وهذا حق .

الرابع: تفويض بيان العلوم والأحكام بما رأوا المصلحة فيها بسبب اختلاف عقولهم، أو بسبب التقية فيفتون بعض الناس بالواقع من الأحكام، وبعضهم بالتقية ويبينون تفسير الآيات وتأويلها، وبيان المعارف بحسب ما يحتمل عقل كل سائل....

الخامس: الاختيار في أن يحكموا بظاهر الشريعة أو بعلمهم وبما يلهمهم الله من الواقع ومخض الحق في كل واقعة....

السادس: التفويض في العطاء؛ فإنَّ الله تعالى خلق لهم الأرض وما فيها وجعل لهم الأنفال والخمس والصفايا وغيرها، فلهم أن يعطوا ما شاؤوا ويمنعوا ما شاؤوا...^(٩٥).

الكلام في التفويض طويل ونكتفي بهذا القدر من كلام العلامة في المقام ومن أراد التوسع فليرجع للبحار، ويتزود.

ومن العناوين التي يشملها التفويض بكلاً معنييه الباطل والحسن هو ما يعبر عنه بـ (الولاية التكوينية) وكونهم (وسائل أو وسائط في الفيض)، وأما بيان المعنى الصحيح في هذه العناوين هو يرجع الى تفصيل الأحاديث الشريفة وهي كثيرة في هذا الشأن، وما يكون محل اشتباه في فهم مُراد

المعصوم في بعض المسائل الدقيقة، يُرجع فيه الى كلمات الأعلام المطلعين على دقائق بيانات الأئمة .

والمغالة لا تكون منحصرة في كون الإمام هو ربّ أو إله لعبادته فقط، بل يشمل مطلق النسبة للعباد من الصفات والأفعال المختصة به تعالى عزّ وجلّ، إذا أُريد بها معناها كما هي له تعالى من معاني التفويض الباطل على ما تقدم، وأما التفويض الحسن بمعنى أنّ للأئمة عليهم السلام القدرة بإذن الله تعالى أو بمعنى الدعاء وتحقيق الإجابة السريعة لهم أو بمعنى يريد الله ما يريدون لتشريفهم وإعلاء شأنهم ومقامهم فهو خارج عن الغلو، إذ قيّد هذا المعنى من التفويض بالإذن منه تعالى او بالتوقف على قدرته وإرادته .

ومن المسائل التي وقع الكلام في أنّها من الغلوّ أو لا مسألة علم الغيب وهل إنّ الإمام يعلم الغيب؟ وقد ورد هذا الأمر في الأحاديث المروية عن الصادق عليه السلام كما تقدم وهو كما في التفويض أنّه ثابت للنبي والإمام لكن لا على نحو الانفكاك عن علمه تعالى، إنّما يكون منه تعالى إمّا بوحى أو تعلّم . ومن المسائل التي وقع فيها الخلاف في أنّها من الغلوّ، بين بعض قدماء أعلام الإمامية مسألة سهو المعصوم، فمنهم من قال بنفيه واعتبر من أثبتة مقصراً، ومنهم من قال بغلو من ينفيه وفيها نقاش طويل لا يسع المقام لذكره.

ثالثاً / في علم الرجال :

جاهد علماء الإمامية في سبيل تنقيح الأحاديث التي وصلت إلينا، لتخليصها من شائبة الغلوّ، والتحقيق في أحوال الرواة واحداً واحداً، والتحقيق في مسألة الراوي المغالي يقع في عدة أمور نذكر بعضها:

- ما إذا كان الراوي مستقيماً ثم قال بالغلوّ .

-أو روايته حال كونه مغالياً .

-أو كان مغالياً ثم رجع .

- أو أنه حَسُن حاله ثم رجع للقول بالغلو .

- أو أنه كان متَّهماً بالغلو .

- أو أنه فاسد العقيدة - من المفوضة مثلاً - لكنه ثقة .

- أو أن الراوي له أصلٌ دونه حال الاستقامة ثم قال بالغلو .

- أو أنه مقطوعٌ بكونه مغالٍ وله أصلٌ يروي فيه عن ثقات .

- أو أن الراوي صحيح العقيدة لكن الغلاة يروون عنه .

- أو أنه متهم بالغلو من قبل الغلاة أنفسهم .

هذه بعض من المسائل المتعلقة بالرواة الغلاة، وللعلماء فيها كلام طويل وآراء متعددة، أنقل هنا كلمات جملة من الأعلام لتقريب الفكرة، ولنطلع على جهودهم في هذا الباب، وما هذا إلا من آثار أحاديث الأئمة عليهم السلام والصادق عليه السلام بالخصوص وموقفه من الغلاة، فهو الذي وجه شيعته وأصحابه إلى التثبت في النقل، لكثرة الكذب عليهم.

قال الشيخ الطوسي : وإذا كان الراوي من فرق الشيعة مثل الفطحية، والواقفة، والناوسية وغيرهم نُظر فيما يرويه، فإن كان هناك قرينة تعضده أو خبر آخر من جهة الموثقين بهم، وجب العمل به، وإن كان هناك خبر آخر يخالفه من طريق الموثقين، وجب اطراح ما اختصوا بروايته والعمل بما رواه الثقة، وإن كان ما رووه ليس هناك ما يخالفه ولا يعرف من الطائفة العمل بخلافه، وجب أيضاً العمل به إذا كان متحرّجاً في روايته موثقاً في أمانته وإن كان مخطئاً في أصل الاعتقاد ولأجل ما قلناه عملت الطائفة بأخبار الفطحية مثل عبد الله بن بكير وغيره، وأخبار الواقفة مثل سماعة بن مهران، وعلي بن أبي حمزة، وعثمان بن عيسى، ومن بعد هؤلاء بما رواه بنو فضال وبنو سماعة والطاطريون وغيرهم، فيما لم يكن عندهم فيه خلافة.



وأما ما ترويه الغلاة والمتهمون والمضعفون وغير هؤلاء، فما يختص الغلاة بروايته، فإن كانوا ممن عرف لهم حال استقامة وحال غلو، عمل بما رويوه في حال الاستقامة، وترك ما رويوه في حال خطئهم، ولأجل ذلك عملت الطائفة بما رواه أبو الخطاب محمد بن أبي زينبي حال استقامته وتركوا ما رواه في حال تخليطه وكذلك القول في أحمد بن هلال العبرتائي، وابن أبي عذاقرو غير هؤلاء، فأما ما يرويه في حال تخليطهم فلا يجوز العمل به على كل حال، وكذلك القول فيما ترويه المتهمون والمضعفون، وإن كان هناك ما يعضد روايتهم ويدل على صحتها وجب العمل به، وإن لم يكن هناك ما يشهد لروايتهم بالصحة وجب التوقف في أخبارهم، ولأجل ذلك توقف المشايخ عن أخبار كثيرة هذه صورتها ولم يرووها واستثنوها في فهارسهم من جملة ما يروونه من التصنيفات^(٩٦).

وقال الشيخ البهائي: المستفاد من تصفح كتب علمائنا المؤلفة في السير والجرح والتعديل أن أصحابنا الإمامية رضي الله عنهم كان اجتنابهم عن مخالطة من كان من الشيعة على الحق أولاً ثم أنكر إمامة بعض الأئمة في أقصى المراتب وكانوا يجترزون عن مجالستهم والتكلم معهم فضلاً عن أخذ الحديث عنهم بل كان تظاهرهم لهم بالعداوة أشد من تظاهرهم بها للعامة فإنهم كانوا يلاقون العامة ويجالسونهم وينقلون عنهم ويظهرون لهم أنهم منهم خوفاً من شوكتهم لأن حكام الضلال منهم

وأما هؤلاء المخدولون فلم يكن لأصحابنا الإمامية ضرورة داعية إلى أن يسلكوا معهم على ذلك المنوال وسيما الواقفية، فإن الإمامية كانوا في غاية الاجتناب لهم والتباعد منهم حتى أنهم كانوا يسمونهم بالممطورة أي الكلاب التي أصابها المطر وأثمتنا لم يزالوا ينهون شيعتهم عن مخالطتهم ومجالستهم ويأمرونهم بالدعاء عليهم في الصلاة ويقولون أنهم كفار مشركون زنادقة وإنهم شر من النواصب وأن من خالطهم وجالسهم فهو منهم وكتب أصحابنا مملوءة بذلك كما يظهر لمن تصفح كتاب الكشي وغيره

فإذا قبل علماءنا وسيّ المتأخرون منهم روايةً رواها رجلٌ من ثقات أصحابنا عن أحد هؤلاء وعولوا عليها وقالوا بصحتها مع علمهم بحاله، فقبولهم لها وقولهم بصحتها لا بدّ من ابتناؤه على وجهٍ صحيحٍ لا يتطرق به القدرح إليهم ولا إلى ذلك الرجل الثقة الراوي عمّن هذا حاله كأن يكون سماعه منه قبل عدوله عن الحقّ وقوله بالوقف أو بعد توبته ورجوعه إلى الحقّ أو أنّ النقل إنّما وقع من أصله الذي ألفه واشتهر عنه قبل الوقف أو من كتابه الذي ألفه بعد الوقف، ولكنه أخذ ذلك الكتاب عن شيوخ أصحابنا الذين عليهم الاعتماد ككتب عليّ بن الحسن الطاطري فإنّه وإن كان من أشدّ الواقفية عناداً للإمامية إلّا أنّ الشيخ شهد له في الفهرست بأنّه روى كتبه عن الرجال الموثوق بهم وبروايتهم إلى غير ذلك من المحامل الصحيحة^(٩٧).

الخاتمة

في الغلو المعاصر

بعدما تقدّم من بيانه في معرفة الغلوّ والغلاة من خلال أحاديث الإمام الصادق (عليه السلام)، ينقدح في الذهن تساؤل وهو : هل يوجد في العصر الحاضر - عصر الغيبة الكبرى - غلو وغلاة ؟ وللجواب عليه : نقول إنّ المتابع للوضع العام يجد أنّ هناك من يحاول لإعادة الترويج لأفكار الغلاة، بهيئات وأشكال معاصرة وجديدة، وذلك باستغلال الممارسات والفعاليات الدينية عامة، والشعائر الحسينية خاصة، والتوغّل في اوساط المجتمع الشيعي، المتعلق بموالاة ومحبة محمد وآل محمد (عليهم السلام)، والنفوذ للناس بالمقولات والافعال الفاسدة، والتي ظاهرها ذكر الأئمة وفضائلهم ومقاماتهم، وباطنها أباطيل وتحريفات، وكذلك نشر الخرافات والأكاذيب، ودعوى الغلاة والمتصوفة بدعوى أنّها معاجز وكرامات .

ويوعز السبب في نشوء ظواهر الغلو المعاصر إلى أمور عدة، منها عامل الجهل، وذلك بتقبل كل ما يتلقاه الموالي من مقولات فاسدة بحق الأئمة، فإنَّه يتوهم برفع شأنهم ومقامهم وأنَّ هذا هو حقهم، في حين أنَّه يصغر عظمة الله تعالى، ويتبنّى أفكار نهى عنها الأئمة بأشدّ الإنكار.

أو أنَّ البعض مَنَّ يجهد نفسه في تحصيل المطالب الدنيوية، من أموال، أو رياسة، فيساهم في نشر الأفكار الضالة، وفق أهواء أفراد، أو جهات، ولا يهتم بأنه اعتقد بما ينشره أو لا، إنَّما سعيه للنفوذ و الجاه، فيكتب كلمة، أو يلقي حديثاً مكذوباً على الائمة، أو غير ذلك، وهذا هو المستأكل بآل محمد والعياذ بالله، ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: (الشَّيْعة ثلاث: محبّ وادّ فهو منّا، ومتزيّن بنا ونحن زين لمن تزيّن بنا، ومستأكل بنا النَّاسُ؛ ومن استأكل بنا اقتقر) (٩٨).

وأهم رادع للغلاة في زمن غيبة الإمام عليه السلام هو امتثال المؤمنين لكلمات أهل الحكمة والدين، والتي تتمثل بالإرشادات والنصائح والتوجيهات والفتاوى، التي تصدر من العلماء العاملين المجاهدين المحامين عن حريم دين الله تعالى، والدافعين لشبهات وشكوك المبطلين والمضلين، من المغالين وغيرهم، رحم الله الماضين منهم، وأدام بركات ووجود الباقين، لا سيما المرجع الورع والعالم العيلم السيد علي الحسيني السيستاني، أدام الله ظله، فإنَّه بين حين وآخر يصدر فتاوى وتوجيهات مبينة، ومحدّرة من الغلاة وشروهم، وكلّها محفوظة ومنشورة في الموقع الإلكتروني لمكتبه، والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين.

الهوامش

- ١ - الكافي / ١ / ٣٤٠-٣٤١ .
- ٢ - رجال النجاشي / ٣٩-٤٠ .
- ٣ - كتاب العين / ٤ / ٤٤٦ .
- ٤ - الصحاح للجوهري / ٦ / ٢٤٤٨ .
- ٥ - معجم مقاييس اللغة / ٤ / ٣٨٧ .
- ٦ - آل عمران / ٧٩-٨٠ .
- ٧ - النساء / ١٧١ .
- ٨ - المائدة / ٧٧ .
- ٩ - الرعد / ١٦ .
- ١٠ - الروم / ٤٠ .
- ١١ - بحار الأنوار / ٢٥ / ٢٦٢ .
- ١٢ - أي أنّ ما أورده الأئمة عليهم السلام وبالدقة من خصائص وصفات يشترك فيها الغلاة كان هو المقدار الكافي لتحديد مفهوم الغلوّ ومعرفة الغلاة، ولكنّ قدماء علمائنا اختلفوا في تفاصيل المسائل العقديّة فربّما كان الأمر عند بعضهم غلوّاً وعند غيرهم من ضروريّات العقيدة الصحيحة، وسنشير لذلك في المبحث الثالث.
- ١٣ - الاعتقادات / ٣٣ .
- ١٤ - تصحيح اعتقادات الإمامية / ١٣١ .
- ١٥ - أوائل المقالات / ٦٧ .
- ١٦ - بحار الأنوار / ٣٤٦ .
- ١٧ - التنقيح في شرح العروة الوثقى، الطهارة / ٢ / ٧٣ .
- ١٨ - من وصية للسيد السيستاني للخطباء والمبلغين لعام ١٤٤١ نشرها الموقع الالكتروني لسماحته .
- ١٩ - اختيار معرفة الرجال / ٣١٣، ورد الحديث برقم: ٥٤١، في ترجمة محمد بن أبي زينب مقلاص بن الخطاب.
- ٢٠ - اختيار معرفة الرجال / ٢٤١، رقم الحديث: ٤٠٢ .
- ٢١ - اختيار معرفة الرجال / ٢٤٠، رقم الحديث: ٤٠١ .
- ٢٢ - قاموس الرجال / ٩ / ٥٩٤ .
- ٢٣ - الملل والنحل / ١ / ٣٠٠-٣٠١ .
- ٢٤ - قال القاضي النعمان المغربي في دعائم الإسلام / ١ / ٤٩-٥٠ : ثم كان أبو الخطاب

في عصر جعفر بن محمد صلوات الله عليه من أجل دعائه، فأصابه ما أصاب المغيرة، فكفر وادّعى أيضاً النبوة، وزعم أن جعفر بن محمد صلوات الله عليه إله، تعالى الله عن قوله، واستحل المحارم كلها، ورخص فيها، وكان أصحابه كلّما ثقل عليهم أداء فريضة، أتوه وقالوا: يا أبا الخطاب، خفف علينا، فيأمرهم بتركها، حتى تركوا جميع الفرائض، واستحلوا جميع المحارم، وارتكبوا المحظورات، وأباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور، وقال: من عرف الإمام فقد حلّ له كل شيء كان حرم عليه، فبلغ أمره جعفر بن محمد عليه السلام فلم يقدر عليه بأكثر من أن لعنه وتبرأ منه، وجمع أصحابه فعرفهم ذلك وكتب إلى البلدان بالبراءة منه وباللعنة عليه، وكان ذلك أكثر ما أمكنه فيه، وعظم ذلك على أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه واستفظعه واستهاله. قال المفصل بن عمرو: دخلت يوماً على أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه فرأيتَه مقارباً منقبضاً مستعبراً، فقلت له: مالك، جعلت فداك؟ فقال: سبحان الله وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، أي مفصل، زعم هذا الكذاب الكافر أنني أنا الله، فسبحان الله، ولا إله إلا هو ربي ورب آبائي، هو الذي خلقنا وأعطانا، وخولنا، فنحن أعلام الهدى والحجة العظمى أخرج إلى هؤلاء - يعني أصحاب أبي الخطاب - فقل لهم: إنا مخلوقون وعباد مريبون ولكن لنا من ربنا منزلة لم ينزلها أحدٌ غيرنا، ولا تصلح إلّا لنا، ونحن نور من نور الله، وشيعتنا منا، وسائر من خالفنا من الخلق فهو في النار، نحن جيران الله غداً في داره، فمن قبل منا وأطاعنا فهو في الجنة، ومن أطاع الكافر الكذاب فهو في النار.

٢٥ - بحار الانوار / ٤٧ / ٣٧٨ .

٢٦ - عيون أخبار الرضا / ١ / ٣٠٤ .

٢٧ - نهج البلاغة / ٤٩٦ ، حكمة رقم ٦٥ .

٢٨ - الكافي / ١ / ٦٢ .

٢٩ - قال الشيخ النجاشي في فهرسته / ٣١١ : الفيض بن المختار الجعفي الكوفي، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله وأبي الحسن عليهم السلام، ثقة، عين، له كتاب، يرويه ابنه جعفر.

٣٠ - قال السيد الخوئي بعد كلام طويل في ترجمة المفصل بن عمر: النتيجة أن المفصل بن عمر جليل، ثقة، والله العالم / معجم رجال الحديث / ١٩ / ٣٣٠ .

٣١ - اختيار معرفة الرجال / ١٥٨ .

٣٢ - اختيار معرفة الرجال / ٢٤٠ .

٣٣ - قال في القاموس: الشعوذة: خفة في اليد، وأخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين، وهو مشعوذ ومشعوذ: القاموس المحيط / الفيروز آبادي / ٣٤٣ .

٣٤ - أفعال وحركات يستخدمها الغلاة لإغواء الجهلة، قال التنوخي في نشوار المحاضرة / ١ / ١٦٥: وكانت أكثر مخاريق الحسين بن منصور الحلاج، هذا، التي يظهرها كالمعجزات، ويستغوي بها جهلة الناس، إظهار المآكل في غير أوانها، بحيل يقيمها، فمن لا تنكشف له، يتهوّس بها، ومن كان فطناً، لم تحف عليه.

٣٥ - كناية عن القتل بالسيف، وكثيراً ما كان يدعو الإمام عليه السلام على الغلاة بالقتل .

٣٦ - الأجذع مقطوع الأنف، في الصحاح / ٣ / ١١٩٣: (الجدع) قَطَعُ الْأَنْفَ وَقَطَعُ الْأُذُنَ أَيضاً... فَهُوَ (أَجْدَعُ).

٣٧ - قال العلامة المجلسي في البحار / ٢٥ / ٢٩٠: والبراد لعله بمعنى عامل السوهان أو مستعمله، قال الفيروزآبادي: برد الحديد: سحله، والمبرد كمنبر: السوهان. وفي بعض النسخ: السراد، أي عامل الدرع، وفي بعضها: الزراد بالزاي المعجمة بمعناه.

٣٨ - علّق العلامة المجلسي في البحار / ٢٥ / ٢٩٠ قال: قوله: (ابتلوا بنا) على بناء المفعول، أي لو كنا أمرناهم بذلك على فرض المحال فكانوا هم مبتلين بذلك مرددين بين مخالفتنا وبين قبوله منا والوقوع في البدعة لكان الواجب عليهم أن لا يقبلوه منا، فكيف وإنا ننهاهم عن ذلك؟ وهم يروننا مرعوبين وجلين من الله تعالى، مستعدين الله عليهم فيما يكذبون علينا، من الاستعداد بمعنى طلب العدوي والانتقام والإعانة.

٣٩ - اختيار معرفة الرجال / ٢٤١-٢٤٢ .

٤٠ - وهذا من الاساليب الخبيثة للغلاة في إيهام الناس بأن نساء أهل البيت هن أحكام وحالات خاصة ليست كباقي نساء بني البشر العاديين .

٤١ - اختيار معرفة الرجال / ٢٤٤ .

٤٢ - الأفاك الأثيم كما في تفسير ابن كثير / ٦ / ١٧٢: كذوب في قوله، وهو الأفاك الأثيم، أي الفاجر في أفعاله، فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين كالكهان وما جرى مجراه من الكذبة الفسقة، فإن الشياطين أيضاً كذبة فسقة .

٤٣ - نقله المجلسي في البحار / ٢٥ / ٢٧٠-٢٧١ عن الخصال بسند مختلف، واختلاف في بعض ألفاظ الحديث، وعلّق عليه: المغيرة وهو ابن سعيد من الغلاة المشهورين، وقد وردت أخبار كثيرة في لعنه، وسيأتي بعضها. وبيان في بعض النسخ بالباء الموحدة ثم المثناة، وفي بعضها ثم النون... أقول: قال مؤلف كتاب ميزان الاعتدال من علماء المخالفين: بيان الزنديق، قال ابن نمير: قتله خالد بن عبد الله القسري وأحرقه بالنار، قلت: هذا بيان بن سمعان النهدي من بني تميم ظهر بالعراق بعد المائة وقال: بإلهية علي عليه السلام، وأن جزءاً إلهياً متحد بناسوته، ثم من بعده في ابنه محمد بن الحنفية ثم في أبي هاشم ولد محمد بن الحنفية، ثم من بعده في بيان هذا، وكتب بيان كتاباً إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام يدعو إلى



نفسه وأنه نبي. انتهى كلامه-صاحب ميزان الاعتدال-والصائد هو النهدي الذي لعنه الصادق عليه السلام مراراً، وحمزة من الكذابين الملعونين وسيأتي لعنه، وكذا الحارث وابنه وأبو الخطاب محمد بن أبي زينب ملعونون على لسان الأئمة عليهم السلام، وسيأتي بعض أحوالهم.

٤٤ - اختيار معرفة الرجال / ٣٠٣ .

٤٥ - اختيار معرفة الرجال / ٣٠٣، وعلق المير داماد على هذه الرواية وقال: قوله عليه السلام: طاعة الله فيه وجهان: الأول أن تكون الطاعة جمع طائع أو طيع، كما السادة جمع سيد والقادة جمع قائد، والصاغة جمع صائغ، والغاصة جمع غائص، والغاغة جمع غائغ، وعلى هذا ففروع الحق الشيعة، ومعنى الكلام: انا نحن أصل الحق وفروع الحق من شيعتنا، انما هم الطيعون الطائعون المطيعون لله عز وجل، الثاني: أن تكون هي اسم الجنس فيعني بها جنس الطاعات والحسنات، أو المصدر أي إطاعة الله والتعبد له عز وجل فيها أمر به من العبادات، ونهى عنه من المعاصي، فحينئذ يقدر حذف المضاف إلى الضمير في اسم ان، والتقدير أن معرفة حقنا والدخول في ولايتنا أصل الحق وأس الدين وفروع الحق وامتعات الدين، هي ضروب الطاعات والعبادات والامثال في أوامر الله تعالى والانتهاة عند نواهيه، وكذلك-الفواحش-على قياس ما ذكر، إما بمعنى الطواغي على جمع الفاحشة والطاغية بالهاء للمبالغة لا بالياء للتأنيث، فكل فاحش جاوز الحد في الفحش وطاغ تعدى الحد في الطغيان والعتو، فهو فاحشة وطاغية من باب المبالغة، فالمعنى: عدونا أصل الشر وأساس الضلال، وفروعهم الفواحش الطواغي من أصحاب الغواية والضلالة واما بمعنى الفاحشات من الآثام والسيئات من المعاصي، بمعنى أن الدخول في حزب عدونا والانخراط في سلوكهم أصل الشر والضلال في الدين وفروع ذلك فواحش الأعمال وموبقات المعاصي، رجال الكشي بتعليقه السيد داماد / ٣ / ٥٧٧ / ٥٧٨ .

٤٦ - أي ابو الخطاب الملعون .

٤٧ - مصغر جارية .

٤٨ - كناية عن الشيء القليل، أي بمعنى المقاربة القليلة او غير ذلك، انظر بحار الأنوار / ٢٥ / ٣٢٣ .

٤٩ - اختيار معرفة الرجال / ٣٠٤ .

٥٠ - اختيار معرفة الرجال / ٣٠٥ / ٣٠٦ .

٥١ - المصدر نفسه / ٣٠٧، أي أن الامام نهى أبا الخطاب -أيام استقامته- من مجالسة السفلة، وفي حديث طويل جامع لأموال الدين والدنيا رواه الإمام الصادق، عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في الخصال / ٦٩٥، وذكر السفلة فقال: ... احذروا

السفلة فإنَّ السفلة من لا يخاف الله عز وجل، فيهم قتلة الأنبياء وفيهم أعداؤنا....
٥٢ - اختيار معرفة الرجال / ٣٠٧.

٥٣ - اختيار معرفة الرجال / ٣٠٨-٣٠٩، (ولا توارثهم) أي المنع من الارث لأنَّهم ليسوا بمسلمين في حكم الشرع، وعَلَّق العلامة في البحار / ٢٥ / ٢٩٦ بقوله: بيان: قوله عليه السلام ولا توارثوهم، أي لا تعطوهم الميراث، فإنَّهم مشركون لا يرثون من المسلم، أو لا تواصلوهم بالمصاهرة الموجبة للتوارث، وصَحَّف بعض الأفاضل وقرأ: لا توارثوهم، من الأثر بمعنى الخبر، أي لا تحادثوهم ولا تفاوضوهم بالآثار والأخبار. انتهى وأما النهي عن المأكَل والمشرب والمجالسة والمصافحة، فهو بمثابة إعلان وإعلام للناس بأنَّ الإمام وشيعته بريئون من الغلاة.

٥٤ - اختيار معرفة الرجال / ٣٠٨-٣٠٩، (ولا توارثهم) أي المنع من الارث لأنَّهم ليسوا بمسلمين في حكم الشرع، وعَلَّق العلامة في البحار / ٢٥ / ٢٩٦ بقوله: بيان: قوله عليه السلام ولا توارثوهم، أي لا تعطوهم الميراث، فإنَّهم مشركون لا يرثون من المسلم، أو لا تواصلوهم بالمصاهرة الموجبة للتوارث، وصَحَّف بعض الأفاضل وقرأ: لا توارثوهم، من الأثر بمعنى الخبر، أي لا تحادثوهم ولا تفاوضوهم بالآثار والأخبار. انتهى وأما النهي عن المأكَل والمشرب والمجالسة والمصافحة، فهو بمثابة إعلان وإعلام للناس بأنَّ الإمام وشيعته بريئون من الغلاة.

٥٥ - هو مقدم الصدر

٥٦ - أي العبد من أبوين مملوكين، والداخر: الخاضع.

٥٧ - اختيار معرفة الرجال / ٣١٠، مصادف بعد ما شاهد الحالة التي صار عليها الإمام عليه السلام ندم على إخباره بفعله الغلاة في الكوفة من التلبية باسمه وقال للإمام: أنَّه لا دخل لك بهذا الفعل، فقال له الإمام إنَّ أنا سَكْتُ ورضيت لعاقبني الله تعالى بصم السمع وعمي البصر.

٥٨ - المصدر نفسه / ٣١٠ / ٣١١.

٥٩ - المصدر نفسه / ٣١٢.

٦٠ - روى الكشي في رجاله / ٥٢٤، في جعفر بن واقد، عن الإمام الجواد عليه السلام: عن علي بن مهزيار، قال: سمعت أبا جعفر الثاني عليه السلام يقول - وقد ذكر عنده أبا الخطاب -: لعن الله أبا الخطاب، ولعن أصحابه ولعن الشاكِّين في لعنه ولعن من قد وقف في ذلك وشك فيه، ثم قال: هذا أبو الغمر، وجعفر بن واقد، وهاشم بن أبي هاشم استأكلوا بنا الناس، فصاروا دعاة، يدعون الناس إلى ما دعا إليه أبو الخطاب، لعنه الله ولعنهم معه ولعن من قبل ذلك منهم، يا علي لا تتخرجن من لعنهم، لعنهم الله، فإنَّ الله قد

لعنهم، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: من تأثم أن يلعن من لعنه الله، فقد لعنه الله.
٦١ - مدينه من توابع الأهواز .

٦٢ - الظاهر أن الغلاة من أصحاب أبي الخطاب قصدوا هذه المدينة لنشر فسادهم ومقولاتهم الباطلة، أو أنهم بتنقلاتهم وسفرهم بين الأمصار للتجارة أو غيرها يروجون أفكارهم المنحرفة بين الناس، ومما قالوه في بيروذ أن الإله في الأرض هو الامام، ومقولتهم هذه ورد ذكرها في الأحاديث التي ذكرت بنان الملعون الذي كان يكذب على الامام علي بن الحسين ﷺ، ومنه نعرف أن مقولات الغلاة بعضها مشترك في ما بينهم وإن اختلفت أزمانهم مثل الكذب، والتأويل الكاذب، وتصوّر الشيطان لهم، فقد ورد في رجال الكشي / ٣١٥-٣١٦: عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن بنانا والسري و بزيعاً لعنهم الله تراءى لهم الشيطان في أحسن ما يكون صورة آدمي من قرنه إلى سرتة قال، فقلت إن بنانا يتأول هذه الآية (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) إن الذي في الأرض غير إله السماء، وإله السماء غير إله الأرض، وأن إله السماء أعظم من إله الأرض، وأن أهل الأرض يعرفون فضل إله السماء ويعظمونه، فقال: والله ما هو إلا الله وحده لا شريك له، إله من في السماوات، وإله من في الأرضين، كذب بنان عليه لعنة الله، لقد صغر الله عز وجل وصغر عظمتة.

٦٣ - اختيار معرفة الرجال / ٣١٢ .

٦٤ - هو أبو منصور العجلي قال النوبختي في فرق الشيعة / ٢٥٧ : أبي منصور وهو الذي ادعى أن الله عز وجل عرج به إليه، فأدناه منه وكلمه ومسح يده على رأسه، وقال له بالسرياني أي بني، وذكر أنه نبي ورسول وأن الله اتخذ خليلاً، وكان (أبو منصور) هذا من أهل الكوفة من عبد القيس وله فيها دار، وكان منشأه بالبادية، و كان أمياً لا يقرأ، فادعى بعد وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ﷺ أنه فوض إليه أمره وجعله وصيه من بعده، ثم ترقى به الأمر، إلى أن قال كان علي بن أبي طالب ﷺ نبياً ورسولاً وكذا الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وأنا نبي ورسول، والنبوة في ستة من ولدي، يكونون بعدي أنبياء آخرهم القائم، وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال، ويقول من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفي، وزعم أن جبرئيل ﷺ يأتيه بالوحي من عند الله عز وجل وأن الله بعث محمداً بالتنزيل وبعثه هو -يعني نفسه- بالتأويل فطلبه خالد بن عبد الله القسري فأعياه، ثم ظفر عمر الخناق بابنه الحسين بن أبي منصور وقد تنبأ وادعى مرتبة أبيه وجيئت إليه الأموال وتابعه على رأيه ومذهبه بشر كثير و قالوا بنبوته، فبعث به للمهدي فقتله في خلافته وصلبه بعد أن أقر بذلك وأخذ منه

مألاً عظيماً و طلب أصحابه طلباً شديداً و ظفر بجماعة منهم فقتلهم و صلبهم .

٦٥ - اختيار معرفة الرجال / ٣١٥ .

٦٦ - كثر الكلام في شخصية ابن سبأ، فمن الشيعة من أقر بوجوده، ومنهم من اعتبره شخصية وهمية، وأمّا السنّة فيعتبرونه مؤسس الرافض، ويسندون نشأة التشيع اليه، واستنادهم هذا بلا أساس، وللتفصيل انظر ترجمته في رجال الكشي، وكتاب عبد الله بن سبأ حقيقة أم خرافة لعلي آل محسن، وكتاب عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى للسيد مرتضى العسكري .

٦٧ - قال السيد الخوئي في المعجم / ١٩ / ١٠٢ وما بعدها: نعم تقدّم في ترجمة محمد بن أبي زينب رواية صحيحة، وفيها كان أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام قد ابتلى بالمختار، وقد ذكر في تلك الرواية رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام وأنّ كلاً منهم كان مبتلى بكذاب يكذب عليه، ولكن هذه الرواية لعل فيها تحريفاً فإنّ المختار بن أبي عبيدة كان في الكوفة، والحسين بن علي عليه السلام كان بالمدينة، ولم ينقل ولا بخبر ضعيف كذب من المختار بالنسبة إلى الحسين عليه السلام، وغير بعيد أنّ المختار الذي كان يكذب على الحسين عليه السلام أن يكون رجلاً آخر غير المختار بن أبي عبيدة، وللمزيد في احوال المختار انظر ترجمته في معجم رجال الحديث / ١٩ / ١٠٢ وما بعدها، وكذلك كتاب: المختار ثورة وجهاد للشيخ باقر شريف القرشي.

٦٨ - اختيار معرفة الرجال / ٣١٦-٣١٧، في الكشي / ٣١٧ عن ابن أبي يعفور قال، دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: ما فعل بزيع؟ فقلت له: قتل، فقال: الحمد لله، أما أنّه ليس لهؤلاء المغيرة شئ خيراً من القتل لأنهم لا يتوبون أبداً.

٦٩ - المصدر نفسه / ٣١٧ / ٣١٨ .

٧٠ - قال أسد حيدر في كتابه الإمام الصادق والمذاهب الأربعة / ٤ / ١٤٨-١٤٩: و كان بشار الشعيري من أهل الكوفة من دعاة الإلحاد، و ممّن يقول بمقالة العليوية، و هم الذين قالوا إنّ علياً رب، و ظهر بالعلوية الهاشمية، و قالوا بالتناسخ و التعطيل، و كان لبشار جماعة يتبعوه على أضاليله و أباطيله، قال مرزوم: قال أبو عبد الله: (يا مرزوم من بشار؟) قلت: الشعيري، قال عليه السلام: (لعن الله بشاراً، يا مرزوم قل لهم: و ليكنم توبوا إلى الله، فإنّكم كافرون مشركون)، و كان بشار جاراً لمرزوم، فقال له الصادق عليه السلام: (يا مرزوم إنّ اليهود قالوا و حدّوا الله، و إنّ النصارى قالوا و حدّوا الله، و إنّ بشاراً قال قولاً عظيماً، فإذا قدمت الكوفة فأته و قل له: يقول لك جعفر: يا فاسق، يا كافر، يا مشرك، أنا بريء منك)، قال مرزوم: فلمّا قدمت الكوفة، فوضعت متاعي و جئت إليه، و دعوت الجارية، و قلت قولي لأبي إسماعيل، هذا مرزوم، فخرج إليّ. فقلت

له: يقول لك جعفر بن محمد: (يا كافر، يا فاسق، يا مشرك، أنا بريء منك). فقال بشار: وقد ذكرني سيدي، قال: قلت نعم ذكرك بهذا الذي قلت لك. فقال: جزاك الله خيراً، وجعل يدعولي، ومن هذا يتجلى لنا أن هؤلاء الناس كانوا يخفون أغراضهم وراء حب آل البيت، فمن عدم اكتراث بشار ببراءة الإمام منه ولعنه له، ندرك أنهم يحملون عقائد غرضها الإساءة إلى الإسلام، وليس الأمر حب أهل البيت. لأنَّ الحب يؤدي إلى اتباع تقاليدهم وأوامرهم، والمودة تعني عدم مخالفتهم، وإنَّما الأمر يتعلّق بجذور دفينّة وبذور كامنة حالت دون إيمانهم الصحيح.

٧١ - اختيار معرفة الرجال / ٤٠٦ .

٧٢ - كلام بن سدير وأبي بصير وميسر هنا يدل على أنّهم يعتقدون بأنَّ الامام يحمل من العلم الكثير، لكن علم الغيب هو من خصائص علم الله تعالى وحده .

٧٣ - النمل / ٤٠ .

٧٤ - الرعد / ٤٣ .

٧٥ - بصائر الدرجات / ١٤٤٩ / ٤٥٠، وما ورد في إثبات الهداة / ٥ / ٣٩٦ / ٣٩٧ في معنى علم الغيب عند الامام: عن ابن أبي عمير عن ابن المغيرة قال: « كنت عند أبي الحسن عليه السلام وأنا ويحيى بن عبد الله بن الحسن عليه السلام فقال يحيى: جُعِلْتُ فداك إنّهم يزعمون أنّك تعلم الغيب؟ فقال: سبحان الله، ضع يدك على رأسي، فوالله ما بقيت في جسدي شعرة ولا في رأسي إلّا قامت، ثم قال: لا والله ما هي إلّا وراثه عن رسول الله S.

٧٦ - قال العلامة المجلسي في البحار / ٢٥ / ٢٧٩ بعد إيراده هذه الرواية: بيان: كذا وكذا، أي أنّه ربّ ورازق وخالق ومثل هذا، كما أنّه المراد بقوله: كنت أقول إنّهُ وأقول. انتهى كلامه

٧٧ - المتوضأ: اسم مكان من توضأ .. خلاء، مستراح، معجم اللغة العربية المعاصرة / ٣ / ٢٤٥٤ .

٧٨ - بصائر الدرجات / ١ / ٤٥٩ / ٤٦٠ .

٧٩ - المصدر نفسه / ١ / ٤٧٢ .

٨٠ - قرب الأسناد / ١٢٩ .

٨١ - الكافي / ٨ / ١٢٦ .

٨٢ - الخصال / ٩٧ .

٨٣ - علل الشرايع / ٢ / ٤٣ .

٨٤ - الأمالي للطوسي / ٩٢٢ .

٨٥ - الأحزاب / ٦٤ .

٨٦ - الأحزاب / ٥٧ .

٨٧ - الشيعة في الميزان / ٢٩٢ .

٨٨ - التوبة / ٢٨ .

٨٩ - ذكرى الشيعة / ١ / ١١٥ / ١١٦ .

٩٠ - قواعد الأحكام / ١ / ٢٢٣ .

٩١ - كتاب الطهارة / ٥ / ١٤٩ .

٩٢ - جواهر الكلام / ٦ / ٥٠ .

٩٣ - المصدر نفسه / ٥١ .

٩٤ - ومن معاني التفويض المبحوث عنها في علم الكلام ما يأتي مقابل الجبر وهو حصول شيء خلاف الإرادة الإلهية وهو خارج عن محل بحثنا .

٩٥ - بحار الأنوار / ٢٥ / ٣٣٧ الى ٣٥٠ .

٩٦ - العدة في الأصول / ١ / ١٥٠ / ١٥١ .

٩٧ - مشرق الشمسين / ٥٨ الى ٦٢ .

٩٨ - البحار / ٦٥ / ١٥٣ ، وعلق العلامة عقب هذه الرواية: (بيان: التزين بهم هو أن يجعلوا الانتساب إليهم ومولاتهم زينة لهم وفخراً بين الناس، ولا زينة أرفع من ذلك والاستئكال بهم ﷺ هو أن يجعلوا إظهار مولاتهم ونشر علومهم وأخبارهم وسيلة لتحصيل الرزق، وجلب المنافع من الناس، فينتج خلاف مطلوبهم، ويصير سبباً لفقرهم، والقسم الأول هو الذي يحبهم ويواليهم في الله والله، وهو ناج في الدنيا والآخرة).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

* إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات:

الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي
ت ١١٠٤هـ، تخريج: علاء الدين
الأعلمي، نشر: مؤسسة الأعلمي،
بيروت، ط الأولى ١٤٢٥هـ.

* اختيار معرفة الرجال بتعليقة المعلم
الثالث ميرداماد الاسترآبادي، تحقيق:
السيد مهدي الرجائي، نشر: مؤسسة
آل البيت لإحياء التراث.

* اختيار معرفة الرجال- المعروف
برجال الكشي -، شيخ الطائفة
الطوسي ت ٤٦٠هـ، تحقيق: العلامة
المصطفوي، نشر: مركز نشر
آثار العلامة المصطفوي، طبعة
لبنان ١٤٤١هـ، الثامنة.

* أصول الكافي: ثقة الاسلام محمد بن
يعقوب الكليني الرازي ت ٣٢٩هـ،
دار الأسوة، ط الخامسة ١٤٢٥هـ،
طهران .

* الاعتقادات في دين الإمامية: الشيخ
أبو جعفر بن بابويه الصدوق
ت ٣٨١هـ، تصحيح: مؤسسة الإمام
الهادي (عليه السلام)، نسخة بلا تعليقات
وهوامش، قم، الطبعة الأولى.

* الأمالي: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد
بن الحسن الطوسي ت ٤٦٠هـ،
تحقيق: بهراد الجعفري وعلي أكبر
غفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية،
طهران، ط الأولى .

* الإمام الصادق والمذاهب الأربعة:

الشيخ أسد حيدر، نشر:
المجمع العالمي لأهل البيت، ط
الأولى ١٤٢٥هـ .

* أوائل المقالات: الشيخ محمد بن محمد
بن النعمان الملقب بالمفيد ت ٤١٣هـ،
تحقيق: الشيخ إبراهيم الانصاري
الزنجاني تعليق: الشيخ فضل الله
الزنجاني والواعظ الجرندي، دار
المفيد قم، سلسلة مؤلفات الشيخ
المفيد الرقم (٤).

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار
الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر
المجلسي ت ١١١١هـ، تحقيق: مجموعة
من الاعلام المحققين، دار إحياء
التراث العربي، بيروت، ط
الثالثة ١٤٠٣هـ.

* بصائر الدرجات الكبرى في فضائل
آل محمد: الشيخ أبو جعفر محمد
بن الحسن بن فروخ الصفار
ت ٢٩٠هـ، تحقيق: السيد محمد المعلم،
نشر: انتشارات المكتبة الحيدرية، ط
الاولى.

* تصحيح اعتقادات الإمامية:
الشيخ محمد بن محمد بن النعمان
العكبري الملقب بالمفيد ت ٤١٣هـ،
تحقيق: حسين دركاهي، نشر: المؤتمر
العالمي لألفية الشيخ المفيد، مطبعة
مهر، قم.

* تفسير القران العظيم: عماد الدين أبو
الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي
ت ٧٧٤هـ، تحقيق: سامي بن محمد

السلامة، دار طيبة، السعودية،
الرياض، ط الثانية ١٤٢٠هـ.

* التنقيح في شرح العروة الوثقى، كتاب
الطهارة، تقرير بحث السيد أبو
القاسم الخوئي ت ١٤١٣هـ، تأليف
الميرزا علي الغروي ت ١٤١٩، مطبعة
الآداب، النجف، إشراف: مرتضى
الحكيمى .

* جواهر الكلام في شرح شرائع
الإسلام: الشيخ محمد حسن
النجفيت ١٢٦٦هـ، نشر: الشيخ علي
الأخوندي، دار الكتب الإسلامية،
النجف، ط السادسة ١٣٧٩هـ.

* الخصال: الشيخ أبو جعفر بن بابويه
الصدوق ت ٣٨١، صححه: علي
أكبر غفاري، نشر: مؤسسة النشر
الإسلامي، ط السابعة ١٤٢٦هـ.

* دعائم الإسلام: القاضي المغربي الشيخ
النعمان بن حيون المغربي ت ٣٦٣هـ،
تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي،
دار المعارف، القاهرة ١٣٨٣هـ.

* ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: محمد
بن جمال الدين العاملي المعروف
بالشهيد الأول ت ٧٨٦هـ، تحقيق:
مؤسسة آل البيت، قم ط الاولى
١٤١٩هـ.

* الروضة من الكافي: ثقة الإسلام
الشيخ محمد بن يعقوب الكليني
ت ٣٢٩هـ، نشر: منشورات الفجر،
بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٨.

* الشيعة في الميزان: الشيخ محمد جواد
مغنية ت ١٤٠٠هـ، نشر: دار التيار

الجديد، بيروت، ط الحادي عشر،
١٤١٧هـ.

* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:
أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري
ت ٣٩٣هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور
العتار، الطبعة الرابعة، ط دار العلم
للملايين، بيروت ١٤٠٧هـ.

* العدة في اصول الفقه: الشيخ أبو جعفر
محمد بن الحسن الطوسي ت ٤٦٠هـ،
تحقيق: محمد رضا الانصاري، ط
الاولى، مؤسسة البعثة ١٤١٧هـ.

* علل الشرائع: الشيخ أبو
جعفر بن بابويه الصدوق ت
٣٨١هـ، تحقيق: مؤسسة آل البيت، ط
الاولى، قم، ١٤٤٣ .

* عيون أخبار الرضا/ الشيخ أبو جعفر
بن بابويه الصدوق ت ٣٨١هـ،
تصحيح: السيد مهدي الحسيني
اللاجوردي، نشر: دار العلم، الميرزا
رضا المشهدي، قم.

* فرق الشيعة: ابو محمد الحسن بن
موسى النوبختي، تحقيق: محمد باقر
ملكيان، نشر: انتشارات دانشگاه
أديان ومذاهب، قم.

* فهرست أسماء مصنفى الشيعة المعروف
برجال النجاشي: أبو العباس أحمد بن
علي النجاشي ت ٤٥٠هـ، تحقيق:
السيد موسى الشبيري الزنجاني،
نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم،
ط السادسة ١٤١٨هـ .

* قاموس الرجال: الشيخ محمد تقى
التستري ت ١٤١٥هـ، نشر: مؤسسة

- * النشر الاسلامي ١٤٣٠هـ، الطبعة الثالثة.
- * القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت ٨١٧هـ، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت
- * قرب الأسناد: الشيخ أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري، من أعلام القرن الثالث، تحقيق: مؤسسة آل البيت، ط الأولى ١٤١٣هـ، بيروت.
- * قواعد الأحكام: أبو منصور الحسن بن يوسف المعروف بالعلامة الحلي ت ٧٢٦هـ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، قم ط الأولى ١٤١٣هـ.
- * كتاب الطهارة: الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري ت ١٢٨١هـ، المطبوع ضمن سلسلة تراث الشيخ الأعظم، نشر: مجمع الفكر الإسلامي، ط الرابعة ١٤٣١هـ.
- * كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، نشر: مؤسسة دار الهجرة، ط الثانية ١٤١٠هـ.
- * مشرق الشمسين واكسير السعادتین: الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسن العاملي المعروف بالبهائي، تعليقات: المحقق المازندراني الخواجهي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، ط الثانية ١٤٢٩هـ.
- * معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر-معاصر-، نشر: عالم الكتب، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٩هـ.
- * معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: السيد أبو القاسم الخوئي ت ١٤١٣هـ، نشر: مؤسسة الإمام الخوئي.
- * معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي ١٤٠٤هـ، إيران.
- * الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت ٥٤٨هـ، صححه وعلق عليه: الشيخ أحمد فهمي محمد، دار السورور، بيروت ١٣٦٨هـ، الطبعة الأولى.
- * نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: القاضي علي المحسن التنوخي ت ٣٨٤هـ، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ط ١٩٩٥.
- * نهج البلاغة المختار من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام): جمعه الشريف الرضي ت ٤٠٦هـ، تحقيق: السيد هاشم الميلاني، نشر العتبة العلوية المقدسة، ط الرابعة ١٤٣٦هـ.
- * وصايا المرجعية الدينية العليا للخطباء والمبلغين بمناسبة قرب حلول شهر المحرم الحرام عام ١٤٤١هـ، المنشورة على الموقع الالكتروني لمكتب السيد السيستاني، الرابط: [//sptth/cibara/gro.inatsis.www/14362/evihcra](http://sptth/cibara/gro.inatsis.www/14362/evihcra)

المحتويات

مؤتمر الإمام الصادق عليه السلام الدولي الثاني

الإمام جعفر الصادق عليه السلام في «موسوعة الإسلام»، دراسة تحليلية ونقدية

د. عبدالكريم حسن پور..... ٦

موقع القرآن الكريم في جغرافيا (مجالات) الفكر الإسلامي عند الإمام

الصادق عليه السلام، نماذج ومحطات

أ.د. الشيخ حميد البغدادي..... ٣٤

التعاليم الإسلامية في بناء الشخصية الإنسانية

دراسة في المنهج التربوي عند الإمام الصادق عليه السلام

الشيخ حميد فليح الكلابي..... ٥٦

مرويات الدعاء عن الامام الصادق عليه السلام دراسة وفق المناهج النقدية

م. د. قحطان جاري عليوي..... ٧٢

اللغة عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام

م. د. جعفر جمعة زبون علي..... ١١٠

الإمام الصادق عليه السلام في مرآة الآثار والفنون الإسلامية

أ.د. عبد الحميد عبدالسلام أبو عليو..... ١٤٤

شواهد من أحاديث الإمام الصادق عليه السلام وآثارها في التنمية البشرية

المستدامة

أ.د. عمار جاسم مسلم..... ١٩٦

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

وتأصيل التخصص العلمي في مدرسته الرائدة

الشيخ اركان حسين التميمي..... ٢٢٠

أسلوب التوكيد في دعاء وداع شهر رمضان للإمام جعفر بن محمد الصادق

عليه السلام دراسة نحوية دلالية

م. د. ميثم كريم كاظم الشاهين..... ٢٤٤

- الأفعال الثلاثية المزيدة صيغها ودلالاتها الصرفية في أدعية الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) نماذج مختارة من الصحيفة الصادقية م.م. دلال اسماعيل عزيز عبيد ٢٦٤
- الثقافة الصحية والبدنية ودورها في حياة المجتمع من فكر الإمام الصادق (عليه السلام) م.سمانة عزيز الساعدي ٢٩٠
- نقد القواعد الفقهية عند الامام الصادق (عليه السلام) القياس انموذجا الباحث السيد عبد الستار الجابري ٣١٠
- نظرية الأخلاق عند الإمام الصادق (عليه السلام) د. عبد الوهاب باشا ٣٥٠
- موقف الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) تجاه القول بنزول القرآن على سبعة أحرف أ. م. د. علي نيكوكار ٣٦٨
- آليات الإقناع في وصية الإمام الصادق لابنه موسى بن جعفر (عليه السلام) مقارنة حجاجية د. لزعر عز الدين ٤٠٨
- آليات الحجاج اللغوية في مناظرات الإمام الصادق (عليه السلام) م.م. كوثر فليح عبد الموسوي ٤٤٤
- أحاديث الإمام الصادق (عليه السلام) في الغلو والغلاة (الموقف والآثار) محمد السالمي ٤٦٤

